

وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة
(رقم ٧٢٤)

ISRAEL
AND
SOUTH
AFRICA

THE PROGRESSION
OF A RELATIONSHIP

REVISED EDITION
with Foreword by John Henrik Clarke

Richard P. Stevens
&
Abdelwahab M. Elmessiri

إسرائيل وجنوب أفريقيا

بمقدم
ريتشارد ب. ستيفز
عبد الوهاب المسيري

وزارة الاعلام
الهيئة العامة للإستعلامات

(كتب مترجمة)

رقم ٧٢٤

السرّ الأول وجنود الأفراسيا

بمقام
ريتشارد (ب) ستيفنز
و
عبد الوهاب (م) المسيري

مقدمة

حينما قامت اللجنة الخاصة لمقاومة التفارقة العنصرية التابعة للأمم المتحدة بنشر تقريرها عن العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا في سبتمبر ١٩٧٦ لفتت انتباه العالم الى علاقة ذات اهمية خاصة بالنسبة للجمع الدولي بينما كان يحاول معالجة مجالين للمشكلات البارزة في عصرنا - الشرق الاوسط وافريقيا الجنوبية ، فليس بالامر غير المهم ان تمتد جزور هاتين المشكلتين من اصل تاريخي واحد ، وان يزداد وضوح القوى المحركة للنزاع وتربط العناصر الرئيسية يوما بعد يوم . ونظرا لحقيقة ان كلتا المشكلتين ترتبطان بالبنية الاجتماعية لتلك الدول القريبة التي قدمت الدعم ان لم يكن القوة الدافعة لنمو جنوب افريقيا واسرائيل - تتضاعف اهمية العلاقات المتبادلة بينهما .

ولم يكن تركيز اهتمام العالم على ارتباط اسرائيل بجنوب افريقيا مشار حرج لكثير من مؤيدي اسرائيل فحسب ، بل اطلق العنان ايضا لهجوم متوقع الى حد بعيد . وكانت دلالة هذا الاتجاه قيام المجلس اليهودي الامريكي في ٦ سبتمبر ١٩٧٦ بنشر دراسة توضح وجود علاقات تجارية بين تسع عشرة دولة من دول افريقيا السوداء وجنوب افريقيا . . . وكان الهدف من هذه الدراسة ، التي اعدّها الدكتور موسى دكتر ، هو (كشف المعيار المزدوج) الذي يطبقه على اسرائيل من يوجهون اليها النقد بسبب قيامها بالتجارة مع جنوب افريقيا . واهتمت هذه الدراسة اهتماما بالغا بالعلاقات الاقتصادية بين كل من موزمبيق وانجولا وزامبيا وليسنو وبتشوانا وسوازيلاند بما في ذلك الاتحاد الجيمركي الذي يضم الدول الثلاث الأخيرة) وبين جنوب افريقيا باعتبار ذلك تبريرا آخر لتصرف اسرائيل .

الا ان العلاقات في افريقيا الجنوبية ، كما يكشف اي تحليل موضوعي هي في حد ذاتها مثال صارخ للفساية للتراث الاستغلالي للامبريالية والاستعمار ولا سيما ما يتعلق بموزمبيق . كما ان الجهد الذي تبذله هذه الدول لتحويل هذه العلاقة ، وانكار وجودها في الواقع ، هو جوهر عهد الاستقلال ذاته . اما بقية الدول ، فان تجارتها الاجمالية مع جنوب افريقيا ضئيلة . واينما توجد هذه العلاقة ، فانها لا تماثل فقط الروابط الوثيقة التي كانت قائمة فيما مضى مع اسرائيل بمساندة الدول الغربية

بل تشير الى آثار التبعية الاقتصادية منذ عهد الاستعمار . وقد اوردت الدراسة التي اعدّها المجلس اليهودي الأمريكى ان ثلاث من الدول التي تتبادل التجارة مع جنوب افريقيا ، وهى مالاوى وليسوتو وسوازيلاند ، لم تقطع علاقتها مع اسرائيل . وان تحول علاقاتها الى معقل البيض في جنوب افريقيا قد عرقله بصورة نسبية نفس القوى التي تقوم الآن بدعم الضعف الافريقى تبريرا للتعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا .

ومن الناحية الاخرى ، تتميز العلاقة بين اسرائيل وجنوب افريقيا بأنها اكثر من واقعية . ومهما كان مدى الصدمة التي تصيب دوائر مختلفة بشأن تقدم العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل ، فان تلك العلاقات في اطارها الفلسفى والتاريخى ، وفي صيغتها الثقافية والاقتصادية والسياسية ، هى علاقات عادية وطبيعية معالنها تنبع من طبيعة الصهيونية وسعيها للوصول الى قواعد النفوذ في العالم المغربى . وهذا الطابع هو الذى يضع العلاقة بين اسرائيل وجنوب افريقيا في اطار مختلف عن تلك العلاقة التي تخلفت عن ماضى استغلالى لافريقيا ينبعث من روديسيا وجنوب افريقيا . لانه في هذا المعقل الابيض استخدمت طائفة من أكثر الطوائف اليهودية ثراء في العالم ، ومرتبطة منذ عهد بعيد بالصهيونية السياسية ، طاقاتها الوفيرة في السعى لتحقيق الهدف الصهيونى .

ومع ذلك - وبعد ان استمدت وجودها من نظام اجتماعى كان التفاوت الاجتماعى فيه هو الشرط الفعلى لنمو اقتصاد البيض - تعامل التفرقة العنصرية معاملة سياسية من وجهة نظر المنظمات اليهودية - وقصارى القول ، ان المواقف او المسائل التي توصف وحدها من وجهة نظر الطائفة بأنها « غير اخلاقية » - طبقا لما اوضحه النقاد اليهود في جنوب افريقيا - هى المواقف او المسائل التي تؤثر تأثيرا مباشرا على الطائفة اليهودية او القضية الصهيونية . ومن ناحية اخرى ، ثمة قاعدة من قواعد السلوك الصهيونى تقتضى من زعماء الكنيسة المسيحية وجماعات الحقوق المدنية للأمريكيين السود وأية جماعة تدعى أنها تعبر عن مبدأ ، ان يلبوا عند الطلب مطالب اسرائيل كشرط لتعاون اليهود وتأييدهم . ولا حاجة الى القول بان العلاقة لها مشاكلها حتى بالنسبة لمؤيدى اسرائيل من الزنوج الأمريكيين من أمثال مستر بايارد راستن .

ورغم اعتراف العالم ، الآن ، بالطابع العنصرى لسياسة التفرقة العنصرية التي تمارسها جنوب افريقيا ، ينبغي ان نتذكر ان الاعتراضات

القوية من جانب بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة هي وحدها السبب في اثاره مشكلة التفرقة العنصرية على المستوى الدولى . فقد كان اتحاد جنوب افريقيا يتمتع - بوصفه عضوا مؤسسا لعصبة الأمم ، والأمم المتحدة - بمكانة خاصة في المجاملة الدولية من جانب الغرب ، وتنطوي هذه المجاملة على احترام الدول لمؤسسات وقوانين الدول الاخرى . وعلى هذا ، وبالرغم من اثاره الهند لسياسات جنوب افريقيا العنصرية أمام الأمم المتحدة في عام ١٩٥٤ اغفلت القضية باعتبارها مسألة اختصاص داخلى لا تدخل في نطاق اختصاص الأمم المتحدة . إلا أن الجمعية العامة - التى أصبحت في عام ١٩٥٧ أكثر تمثيلا للرأى العام العالمى عما كانت عليه في عام ١٩٤٥ الى حد بعيد - ناشدت جنوب افريقيا تعديل سياساتها العنصرية . وفي عام ١٩٦١ وافقت حتى الولايات المتحدة وبريطانيا - على مضض - على أن التفرقة العنصرية موضوع يصلح للمناقشة في الأمم المتحدة نظرا لما تتسم به من طابع شاذ . وبعد ذلك بثلاثة أعوام ، في عام ١٩٦٤ ، رأى كل عضو في الأمم المتحدة ، عدا البرتغال وجنوب افريقيا - انه من المناسب أن يوافق على ادانة التفرقة العنصرية . وفي عام ١٩٧٥ كان الفيتو الثلاثى - الأمريكى البريطانى الفرنسى - هو الذى انقذ جنوب افريقيا من الطرد من الأمم المتحدة ، وكانت أوراق اعتماد جنوب افريقيا قد رفضت في الجمعية العامة للأمم المتحدة قبل ذلك في اكتوبر ١٩٧٣ .

وكما أدى توسيع عضوية الأمم المتحدة وحقائق النظام الاقتصادى والسياسى العالمى المتغير الى عزلة جنوب افريقيا ، دفعت نفس هذه العوامل بالذات - خلال السنوات العشر التالية - الى بعيد - عددا كبيرا من الدول الى تقويم اسرائيل والصهيونية ، لاسيما بعد التوسع الاسرائيلى سنة ١٩٦٧ . وهكذا انتهت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها الصادر في ١٠ نوفمبر ١٩٧٥ الى أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى . ورغم استنكار الولايات المتحدة وعدد قليل من حلفائها لهذا القرار ووصفه بأنه « فاحش » و « عنصرى » و « غير أخلاقى » ، كان هذا الاجراء من جانب الأمم المتحدة مقياسا لعزلة اسرائيل المتزايدة . كما أدى قيام الولايات المتحدة وحلفائها بالحيولة دون طرد جنوب افريقيا ، في نفس العام ، من الأمم المتحدة الى زيادة تأكيد اعتماد كلتا الدولتين على التأييد الأمريكى .

واذا كان تعاون اسرائيل وجنوب افريقيا أصبح مؤخرا ماثرا للمناقشة ، فانه يمكن اعتبار الموضوع أوسع مما ينبغى واضيق مما ينبغى في آن واحد

وذلك من وجهة نظر أكاديمية . فاذا اعتبرنا هذا التعاون مجرد علاقة بين دولتين استعماريتين استيطانيتين يصبح الموضوع وثيق الصلة بحركات التحرير وينطوى على مغزى بالنسبة للمناضل ، ولكن المغزى التاريخي والسياسي الكامل يغفل ويهمل بهذه النظرة . ومن ناحية أخرى ، اذا اعتبرنا الصلة بين الدولتين مظهرا وضعيا لظاهرة الاستعمار الاستيطاني وعدوانا ثقافيا واقتصاديا غربيا على شعوب آسيا وأفريقيا ، فان هذه النظرة تحيل الصلة الخاصة بين الدولتين الى وضع ثانوي رغم اتساع مدى هذه الصلة .

وأما في التوفيق بين هذين الرأيين المتعارضين ، حاولنا ان نقدم للقارئ ، في هذا الكتاب ، متطورا ماديا وتاريخيا واسعا وان تقدم في مواجهته صورة أكثر صراحة للرابطة الفعلية بما يدعمها من معلومات ووثائق . فيضم الجزء الأول مقالة بقلم عبد الوهاب المسيري عن التبريرات الصهيونية لتفوق البيض ، جذورها في الفكر الامبريالي في القرن التاسع عشر . ويشير المقال ايضا الى تصور التفرقة العنصرية الذي يستوعب اليهودي باعتباره « رجلا أبيض » . وتكشف مقالة سميح فارسون أوجه الشبه بين جنوب افريقيا واسرائيل والتماثل المذهل في ممارستها السياسية (حيازة الاراضي والتوسع وقوانين الهجرة ، الخ) . وينتقل القسم الثاني ، المؤلف من مقالتين بقلم ريتشارد ب. ستيفنز ، من التشابه في التركيب الى الروابط التاريخية . فيكشف المقال الأول ، الذي يتناول العلاقة بين وايزمان وسمطس ، الأساس والمغزى السياسي والتاريخي لصداقة العمر بين زعيم جنوب افريقيا والزعيم الصهيوني وصلتها الوثيقة بتاريخ تطور جنوب افريقيا والصهيونية . ويكشف المقال الثاني وعنوانه « دراسة في الصهيونية وجنوب افريقيا والتفرقة العنصرية » الجذور المركبة لقوة الصهيونية في جنوب افريقيا والمفاهيم الأدبية والسياسية لاتجاهات المؤسسات اليهودية ويكشف الروابط المبكرة بين جنوب افريقيا واسرائيل .

أما المقالة الثالثة بقلم المسيري فهي دراسة للعلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية بين جنوب افريقيا واسرائيل في الوقت الحاضر .

والهدف من هذه المقالة الأخيرة أيضا أن تكون بمثابة مقدمة للجزئين التاليين من الكتاب وهما قراءات ووثائق . ويشمل القسم الأول كتابات ليهود جنوب افريقيا عن طبيعة الطائفة اليهودية ونموها الاقتصادي

ومساهمتها في العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا . وثمة مقالات تبحث
ايضا مواقف المؤسسات اليهودية من مسألة التفرقة العنصرية .

ورغم ان العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا كانت تظهر حتى عام
١٩٧٠ من خلال تقارير المنظمات اليهودية وحدها ، بالدرجة الاولى ، فانها
اصبحت بعد ذلك التاريخ موضوعا اكثر شيوعا في الصحف .

ونظرا لان العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا اتخذت شكلا اكثر
صراحة - فقد لفتت انظار افريقيا والامم المتحدة بصورة متناسبة - يعرض
القسم الاخير من هذا الكتاب الوثائق التي تتصل بهذه الناحية .

ريتشارد ب. ستيفنز

عبد الوهاب م. المسيري

الجزء الأول

الأسس الثقافية والتماثل التاريخي

(١) التبريرات الصهيونية وواجب الرجل الأبيض (*)

بقلم : عبد الوهاب م . المسيرى

نبرر كافة الدول الاستعمارية الاستيطانية وجودها الشاذ في آسيا وأفريقيا بحقوق اسطورية معقدة ولأن الصهيونية ، لا تعدو أن تكون استعمارا استيطانيا ، تعمل وفقا لهذا الاسلوب وتتخذ التبريرات الصهيونية ، أحيانا ، اللغة التقليدية الطنانة عن نقاء الرجل الأبيض وتفوقه ، وأحيانا أخرى تلجأ الى مصطلحات أقل شيوعا ولهجة تتميز بها تحددتها أصولها التاريخية وممارستها السياسية الخاصة . وسوف نستكشف في هذه المقالة تلك النواحي من أسطورة الاستيطان الصهيونية التي تشترك فيها الحركة مع الاشكال الأخرى للاستعمار الغربى .

ان الاستعمار الاستيطانى الأوروبى قد بنى على افتراضات عنصرية معينة تتعلق بالتفوق الوراثى والثقافى للحضارة الغربية والرجل الأبيض . وكانت هذه الافتراضات بدورها هى التى أضفت الشرعية فى نظر المستعمرين ، على ادخال عنصر أجنبى من سكان الغرب على قارتى افريقيا وآسيا . وبمعنى آخر ، كان افتراض التفوق يصاحب الاستعمار ويشكل جزءا عضويا منه . وقد وصف لورد بلفور ، الذى كان له تأثير فيما يتعلق بجنوب افريقيا وفلسطين أيضا ، عملية الاستعمار الاستيطانى بأنها تعبير عن « الحقوق والامتيازات الكبرى » لأجناس أوروبا واعتبرت التفاوت بين الأجناس « الحقيقة التاريخية الواضحة للموقف » (١) .

ويرى كروسمان أن الاستعمار الاستيطانى الأوروبى بدأ بلغة حق الرجل الأبيض فى نقل الحضارة الى السكان الوطنيين الأقل تحضرا فى آسيا وأفريقيا وذلك باحتلال القارتين احتلالا ماديا ولو كان ثمن ذلك « القضاء على السكان الأصليين » . وتلك طريقة غريبة لادخال الحضارة الى شعب بآبادته (٢) . وقد اقترح ماكس نوردو ، حتى قبل اعتناقه للصهيونية التى تتطابق مع وجهة نظره الاستعمارية العنصرية ، توطين عمال أوروبا المتعطلين باحتلال المهاجرين الأوربيين محل « الأجناس الدنيا » التى لن يقدر لها البقاء فى صراع التطور (٣) .

وقدم روزنبرج ، منظر النازية ، حجة مماثلة للتدليل على براءته أو على انه انسان طبيعى على الأقل ، وذلك خلال محاكمته في نورمبرج ، مؤكدا لقضاته العلاقة العضوية بين العنصرية والاستعمار . فأوضح انه عشر على تعبيرى « الانسان الاسمى » و « الجنس الاسمى » فى كتاب عن ترجمة حياة اللورد كتشنر ، الرجل الذى « غزا العالم » . كما ادعى انه صادف هذه السطور فى مؤلفات عالم الاجناس البشرية الأمريكى ، ماديسون جرانت ، وفى مؤلفات عالم الاجناس الفرنسى لابوج . وأكد ملاحظته بالاصرار على ان هذا النوع من علم الاجناس الغربى ليس الا « اكتشافا بيولوجيا نتيجة أبحاث أوروبية استمرت أربعمئة عام » (٤) .

ويبدو أن النظريات العنصرية أخذت تزداد عمقا وقوة مع تزايد الحاجة الى الأسواق والأراضى ومع ازدياد حدة الازمات الاقتصادية والسكانية . ويوضح كاتب مادة « العلاقات العنصرية » بالموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية انه يمكن القول بأن عهد العلاقات العنصرية بدأ مع توسع الدول الأوروبية الكبرى فيما وراء البحار من القرن التاسع عشر فصاعدا (٥) . اذ تبدأ الصهيونية غير اليهودية وآراء المصلحين المسيحيين فى الازدهار فى ذلك الوقت . وليس من المصادفة أن تصبح حركات الماشيخانية الزائفة الحديثة فى الديانة اليهودية مألوفة بصورة متزايدة منذ ذلك الحين . وكان اخطر ماشيخ دجال ، شابتاي تسفى ، ينتمى الى عائلة من التجار وكان أبوه يعمل لحساب شركة بريطانية للتجارة فيما وراء البحار .

الا أن كل هذه الأساطير والعقائد كانت مجرد رموز للامبريالية والعنصرية العالمية اللتين اكتمل نموهما فى أواخر القرن التاسع عشر . اذ يجد مؤلف مادة « الاجناس » فى الموسوعة البريطانية الجديدة انه ليس من المصادفة أن تزدهر العنصرية فى الموجه الكبرى الثانية من التوسع الأوروبى الاستعماري والتزاحم على افريقيا . ويضيف أن ايدولوجية الاستعمار وواجب الرجل الأبيض « غالبا ما كانت تتجلى بلغة عنصرية » (٦) .

وكانت الصهيونية هى الماشيخ الدجال لعصر الامبريالية والتزاحم على افريقيا . فقد أعد منظروا الصهيونية مشروعهم واستكملوه فى اطار العلاقة بين الامبريالية والعنصرية التى سادت فى أواخر القرن التاسع عشر . فقد كان على المرء أن يكون رجلا أبيض لكى يجنى فائدة من الصيغة الاستعمارية ويشارك فى امتياز وحق تحمل مسئولية ذلك العبء البسالىغ المشقة الذى

يتمثل في نشر الحضارة بين الأجناس غير البيضاء وفي المشاركة في رسالة أوروبا الحضارية النبيلة . والواقع أنه لم يكن هناك بديل أمام الصهيونيين وكان عليهم أن يفكروا في هذه الحدود وحدها لأنهم ، رغم كل شيء ، نتائج ظروفهم التاريخية ولا ينتظر المرء منهم أن يكونوا ملائكة يترفعون عن النقائص التاريخية للبشر أو شياطين يخوضون فيها الى حد بعيد .

ويؤيد آرثر روبين في كتابه « اليهود في العصر الحاضر » فون لاسكو ، وهو أحد الباحثين الصهيونيين الكثرين في « الجنس اليهودي » ، فينسب اليه الفضل في اكتشاف التشابه الطبيعي بين اليهود وأجناس آسيا الصغرى ولا سيما الأرمن . ويفضل روبين أن يعتبر اليهود من أفراد « الجنس الأبيض » (٧) . ويمجد الجهود النظرية التي تبذل لتوجيه « ضربة الى نظرية السامية » . اذ يرى أن الاختلاف العنصري بين اليهود والأوروبيين « ليس كبيرا الى حد يبرر أحد النذر غير المشجعة بالنسبة لنتائج الزواج المختلط » (٨) .

وهناك نزعة كاملة في الفكر الصهيوني لقصر تعبير « اليهودي » على يهود أوروبا المعروفين بالاشكنازيين ، فيتحدث روبين عن أن « الحركة الصهيونية أثارت بالفعل الوعي اليهودي لدى كثير من يهود أوروبا » (٩) ، مغفلا اغفلا واضحا اليهود الشرقيين ، السفارديين ولذلك ، استهدفت جهود الاستيطان الصهيوني حتى عام ١٩٤٨ جمع يهود أوروبا وحدهم ونادرا ما كانت تحاول تجنيد اليهود الشرقيين رغم أنه كان من الأيسر الى حد بعيد توطين الشرقيين (يهود اليمن والمغرب وحلب والقوقاز) في المستعمرات الزراعية بل أن روبين كان يرى أنهم « يندفعون بالفعل الى فلسطين » ، ربما بدون جهود صهيونية واعية . الا ان اندفاع هؤلاء اليهود الشرقيين لم يكن يروق له لأن الحالة الروحية والفكرية لهؤلاء اليهود كانت سيئة الى حد أن هجرة جماعية كانت ستؤدي الى تدهور المستوى الثقافي العام لليهود (الاشكنازيين) في فلسطين ، وسوف تكون لها مساوئها من وجهات نظر متعددة (١٠) وهي نفس الكلمات التي ردها أبا ايان بعد ذلك بنصف قرن في كتابه « صوت اسرائيل » .

الا أن الاعتبارات العملية وحدها تركت أثرا في وجهة النظر الصهيونية التي تؤمن بتفوق البيض . فاليهود الشرقيين يمكن أن يكونوا ذا نفع تام بفضل معرفتهم بظروف الشرق وضالة مطالبهم (١١) ، علاوة على قدرتهم على « التنافس في الأجور مع عمال الزراعة العرب » ، بشرط أن يفدوا

بأعداد صغيرة . وتتمثل مشكلة يهودى شرق أوروبا (الأبيض) فى انه « لا يستطيع باى حال العيش على مثل هذه الأجور المنخفضة » التى يتقاضاها العرب . فضلا عن ذلك ، ومع التسليم بان اليهودى الأوروبى يعيش فى فلسطين بفضل عمله وحده الذى يخلق الطلب على تفكيره وامكانية الاعتماد عليه ، ويستخدم العرب فى العمل اليدوى البحت (١٢) . وربما كان هذا الترتيب مقبولا لو لم يكن من المحتم ، من وجهة النظر الصهيونية ، عزل « النظام الاقتصادى اليهودى » لتحقيق تنمية منفصلة من خلال العمل العبرى البحت الذى يقوم به المستوطنون الصهليون . فاستخدام شخص عربى من شأنه ان يشكل مخالفة للنظام الصهيونى المغلق ومن ثم كان من الضرورى استخدام اليهودى الشرقى الذى يمكنه ان يؤدى العمل الشاق بنفس الأجر الذى يتقاضاه العربى (١٣) .

وبمعنى آخر ، أسطورة الحقوق الصهيونية تنطبق فقط فى رأى روبين على اليهودى الاشكنازى . أما بالنسبة لليهود السفرديين فقد سمح لهم بدخول البلاد بسبب الضرورة الاقتصادية الملحة والاعتبارات العملية .

وربما بدا الأسلوب الذى استخدمه روبين فى تحليله أسلوبا غير أخلاقى ، وعنصريا ، ونفعيا ، الى حد بعيد ، لأنه يتحدث عن اليهود الشرقيين باعتبارهم كائنات ذات نفع كبير واحتياجات ضئيلة ، الا ان هذا الأسلوب كان مألوفا فى أوروبا فى ذلك الوقت .

والواقع انه ينبغى ، انصافا لروبين ، أن نشير الى انه قد أثبت انه كان أكثر كرما ورقة وواقعية الى حد بعيد من نظرياته المجردة . فعندما رحل الى فلسطين للإشراف على الأنشطة الاستيطانية هناك ، أظهر ادراكا لدقة الوضع الأكثر تعقيدا ومأساوية ، الى حد بعيد ، من نظريته المشكوك فيها عن واجب اليهودى الأبيض .

وكان تيودور هرتزل أيضا متحيزا لتلك الثقافة الاستعمارية وكان يدرك تماما انه ينبغى تنسيق جهوده الصهيونية مع مشروعات مماثلة حتى لا تتعارض حقوق « الأبيض » المختلفة مع بعضها بعضا . فقد دون فى يومياته قبل أن يعقد اجتماعه مع تشمبرلين أن عليه أن يعرض على وزير المستعمرات « بقعة من الممتلكات الانجليزية حيث لا يوجد فيها حتى الآن أناس من الأبيض » قبل أن « يستطيعا التحدث عن ذلك المشروع الصهيونى للاستيطان » (١٤) .

ولقد كان من المسلم به طوال كافة المناقشات المتعلقة بالمقترحات الصهيونية لتغلغل البيض في افريقيا وآسيا ان السكان البيض الغربيين يتمتعون بهذه الحقوق والامتيازات بفضل مستواهم الحضارى الرفيع . وكان هرتزل يتحدث بأسلوب المفكرين الاستعماريين في القرن التاسع عشر عن الامبريالية باعتبارها عملا نبيلًا يستهدف توصيل الحضارة الى افراد الأجناس الأخرى الفارقة في الجهل (١٥) . فقد كتب في عام ١٨٩٦ رسالة الى دوق بادن الأكبر يؤكد له فيها أنه عندما يعود اليهود الى « وطنهم التاريخي » سيعودون باعتبارهم « ممثلى الحضارة الغربية » الذين سينقلون النظافة والنظام وعادات الغرب المتأصلة الى هذه البقعة من الشرق (١٦) ، التى اجتاحتها الكوارث واستشرى فيها الفساد . وأيد الصهيونيين ، باعتبارهم مدافعين مخلصين عن التقدم الأوروبى سيقومون « بعد طرق حديثة داخل آسيا - كطريق عام للشعوب المتحضرة » (١٧) . ويؤكد هرتزل ، مستغلا أسطورة اليهودى الأبيض ، أن القصد من اقامة الدولة اليهودية هو « انشاء جزء من حائط للدفاع عن أوروبا في آسيا ، وقاعدة امامية للحضارة ضد الهمجية » (١٨) .

ان الدفاع عن اليهود بوصفهم جنسا أبيض ينتمى الى الغرب ، يبدو أمرا مشرا للسخرية الى حد ما ، ولا سيما بعد الإبادة الجماعية على ايدى النازيين ، الا أنه كان أمرا طبيعيا تماما بالنسبة للعصر ، كان أمرا شائعا تقريبا بين الصهيونيين . ويبدو جليا طابع العنصرية الاستعمارية لأوروبا في أسلوب جابوتنسكى - الذى لم يكن ممن يعجبون كثيرا بثقافة الشرق - في وصفه « لليهود بأنهم أوروبيون » لا تربطهم رابطة مشتركة بالشرق الذى زعم أن « كل شيء فيه محكوم عليه بالاخفاق » (١٩) .

ان فهم اليهود على أنهم كيان عنصرى مستقل فضلا عن أنهم ينتمون الى الجنس الأبيض والحضارة الغربية هو أساس كثير من تصريحات الصهيونيين وفكرتهم عن أنفسهم .

ويستخلص بن جوريون في كتابه « بعث إسرائيل ومصيرها » عددا من أوجه الشبه بين الصهيونيين والمستعمرين تكشف عن نزعتة البيضاء القوية . وفي سنة ١٩١٧ كتب مقالة بعنوان « يهودا والجليل » اعتبر فيها أن المستوطنين الصهيونيين فى أرض إسرائيل ليسوا « مجرد عمال » فحسب ، بل - على العكس من ذلك - اعتبر أنهم « يفتحون أرضا ، كناسرية من الفاتحين » ومع أن التشابه مع أحد مشروعات الاستعمار

الاستيطاني يبدو واضحا ، يتقلص الفتح ، في هذه المقالة ، ليفتقد على الأرض وحدها دون الشعب (٢٠) .

وفي مقالة أخرى بعنوان « اكتساب وطن » - يوسع فيها مفهوم الفتح ليشمل الشعب أيضا - يشبه بن جوريون الاستيطان الصهيوني بالاستيطان الأمريكي في العالم الجديد مستحضرا في الذهن صورة « المارك الوحشية » التي خاضها المستعمرون الأمريكيون ضد الطبيعة الضارية والهنود الحمر الأكثر ضراوة (٢١) . والمهم ، من وجهة نظر الجدل الراهن ، هو أن الزعيم الصهيوني يحدد هوية المواطنين الأمريكيين عن طريق اللون . إلا أن الأهم من ذلك هو تقليله من شأن الهنود الحمر إلى حد مساواتهم بالطبيعة بل أنه وضعهم في منزلة أدنى منها لأنهم « أكثر ضراوة » . وهذه العملية التي تنطوي على تجريد الإنسان وتحويله إلى مجرد عصور طبيعية - الأمر الذي يتفق مع أخلاقيات دارون ووجهة نظره - تجعل من الإبادة عملا مستساغا وتحول أفراغ منطقة من سكانها إلى عمل من أعمال البقاء . وقد استفاد النازيون فيما بعد استفادة كاملة من ذلك المنطق على نطاق أكثر اتساعا وتنظيما وبصورة علمية . فأعلنوا أن من واجبهم إفراغ السكان كجزء من رسالتهم التي تتمثل في المحافظة على سكان المانيا ، « وإذا كانت الطبيعة قاسية ، فينبغي علينا أيضا أن تكون كذلك » (٢٢) .

وعلى الرغم من أن وايزمان كان على خلاف دائم مع بن جوريون في الأسلوب ، فقد فضل في كتبه « التجربة والخطأ » استخدام فكرة المستوطنين الفرنسيين في تونس (٢٣) والمستوطنين البريطانيين في كندا وأستراليا كأمثلة تحتذى ، مع اظهار تعاطفه الملحوظ مع المستوطنين في جنوب أفريقيا (٢٤) .

فلاحظ في مذكرة بعث بها إلى الرئيس ترومان في ٢٧ نوفمبر ١٩٤٧ الميل الاستعماري إلى وضع خط فاصل واضح بين جماعة أوروبية متقدمة تكنولوجيا ومواطنين أصليين متخلفين . فقد قال وايزمان ، في وصفه للسكان الصهيونيين في فلسطين ، أنهم يتألفون أساسا من « فلاحين متعلمين وطبقسة صناعية ماهرة ، ويعيشون في مستويات مرتفعة » . وأوضح الاختلاف الصارخ بين هذه الصورة المشرقة والصورة الكئيبة « للجماعات الأمية والفقيرة التي لا تشبه السكان الصهيونيين » (٢٥) . ولم يكلف وايزمان نفسه بطبيعة الحال عناء تفسير سبب هذا الوضع للرئيس الأمريكي ، والسبب في أن فجر الحضارة لم يبرز بعد خمسين عاما من الاستعمار البريطاني والصهيوني .

وفي ظل وجود اسطورة الحقوق الاستعمارية العنصرية البيضاء فان لم يتردد وعد بلفور في الاشارة الى عرب فلسطين من المسلمين والمسيحيين ، الذين يشكلون أكثر من ٩٠٪ من السكان ، بأنهم « جماعات غير يهودية » . وبمعنى آخر ، كانت الأغلبية من سكان البلاد الأصليين تحول فعلا وبلا هوادة الى مرتبة اقلية ، باسم الحقوق الممتازة التي يتمتع بها فائض أوروبا المقبل . ولقد كتب بلفور ذات مرة يقول : « اننا لا نقدم مطلقا ، في فلسطين . تجربة صيغة الرجوع الى رغبات سكان البلاد الحاليين ، رغم ان لجنة (كنج / كرين) الأمريكية جربت صيغة التصرف على رغبات السكان » (٢٦) . أما بالنسبة لتلك التصريحات العامة والنصوص الوفيرة عن الحماية ، فقد أغفلت فيما بعد : « فالدول الكبرى لم تصدر بيانا عن السياسة التي لم تقدم انتهاكا أبدا » (٢٧) . فكانت الدول الاستعمارية الكبرى تتخذ القرار وكان المستعمرون المستوطنون يجنون فائدة كاملة من نظام القوى الدولية .

« ويستطيع اليهود (ابتداء من تلك المرحلة فصاعدا) محاكاة رسالة نشر الحضارة التي ينعم بها غير اليهود » (٢٨) ، كما أشار أحد الكتاب اليهود أو بصراحة أكثر أنه ينبغي أن ينال اليهود الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها المستوطنون البيض الآخرون في أفريقيا وآسيا .

وبعد انشاء دولة اسرائيل استمر نفس الاتجاه الرجعي للدولة مع ما يصاحبه من توتر بين اسطورة الحقوق التي يشرها اليهود الاشكنازيون في متطلبات هجرة اليهود متعددي الاجناس والجغرافيا السياسية للشرق الأوسط . ويتجلى هذا التوتر بوضوح في دعوى بن جوريون بأن اسرائيل تقع من الناحية الجغرافية في الشرق الأوسط ولكنها لا تنتمي اليه (٢٩) ، وفيما أعلنه من أنه يود أن يرى مزيدا من اليهود الغربيين يستوطنون الدولة الصهيونية للحيلولة دون تحول اسرائيل الى دولة شرقية (٣٠) .

واختار موسى ديان جنوب افريقيا لاستكشاف مخاوفه من اليهود الشرقيين . ففي المؤتمر السنوي للاتحاد الصهيوني في جنوب افريقيا عام ١٩٧٤ ، وصف ديان « ازدياد عدد المهاجرين من اليهود الشرقيين على المهاجرين من الدول الأوروبية بأنه أكبر مشكلة لاسرائيل » . وناشد أعضاء المؤتمر أن يعدوا يد المساعدة لحل مشكلة اسرائيل السكانية بالهجرة الى اسرائيل (٣١) .

ويبدو التعبير الاسرائيلي التقليدي لهذه الازمة في كتاب ابا اييان صوت اسرائيل « الذي حدد فيه ببلاغته المعهودة تصوره للعلاقة المثالية التي ينبغي أن تقوم بين اسرائيل وجيرانها . وتقوم الفكرة على أساس أن العلاقة ينبغي ألا تكون علاقة تكامل ، بل عكس ذلك تماما ، فالتكامل امر ينبغي تجنبه » . ويعود اييان ، وهو من يهود جنوب افريقيا الاشكنازيين ، الى موضوع اليهود الشرقيين فيحدث عن « المخاوف الشديدة التي تنتاب الاسرائيليين من ذوى الاصل الغربى ، الناجمة عن احساسهم بالخطر خوفا من أن يؤدي تزايد عدد المهاجرين من ذوى الاصل الشرقى الى ارقام اسرائيل على أن تسوى بين مستواها الثقافى ومستوى العالم المجاور لها » (٢٢) أى آسيا وافريقيا . ويستطرد بعدئذ الى القول بأنه « بعيدا عن اعتبار المهاجرين الينا من بلاد الشرق جسرا نحو تكاملنا مع العالم الناطق باللغة العربية ، ينبغي أن يكون هدفنا بث الروح الغربية فيهم بدلا من أن نسمح لهم باجتذابنا الى سمة شرقية غير طبيعية » (٢٣) .

واذا كان بن جوريون قد اثار صورة الفاتحين ، واثار وايزمان صورة المستعمرين الفرنسيين ، فان اييان يثير صورة الأمريكى فى امريكا اللاتينية ، فيقول أنه ينبغي على اسرائيل أن تعمل على اقامة علاقة مماثلة لتلك العلاقة السائدة بين الولايات المتحدة وقارة امريكا اللاتينية (٢٤) .

وقد اعتبر المستوطنون فى جنوب افريقيا أنفسهم أعضاء حضارة بيضاء متفوقة واختاروا القيام بنفس الدور التبشيرى الذى يقوم به رسل تلك الحضارة وحاولوا باسم ذلك التفوق الحضارى والعنصرى اخلاء ارضهم الموعودة من السكان الاصليين القدماء لاقامة ديمقراطية غربية اخرى وسط الادغال . فمنطق سيادة البيض الذى استخدمه بعض المفكرين الصهيونيين يحتل منزلة رئيسية بالنسبة لدعاة التفرقة العنصرية لان كلتا الايديولوجيتين ظهرت فى نفس البيئة الحضارية وتولدت من نفس المصادر والأساطير . وربما كان اجراء دراسة أولية تفصيلية لمبررات التفرقة العنصرية امرا غير ضرورى لان معظم الناس على علم بمنطق دعاة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا ، الذين لم يحاولوا ابدا ، على عكس الصهيونيين ، اخفاء منطقهم القائم على الفزو وما يستند اليه من وجهة نظر . والأمر الذى قد ينطوى على بعض الأهمية فى السياق الراهن هو حقيقة أن انصار التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا قد صنفوا اليهود على أنهم من الشعوب البيضاء . ففي ٣ نوفمبر ١٩١٩ تحدث سمطس فى حفل استقبال اقيم فى مدينة جوهانسبرج ، تحت رعاية الاتحاد الصهيونى لجنوب افريقيا وهيئة النواب

اليهود في جنوب افريقيا ، عن اليهود «كشعب صغير له رسالة حضارية» في العالم . ونوه بلغة العهد القديم باعتبارها أساسا « لثقافتنا البيضاء » و « ثقافتكم اليهودية » (٢٥) . وربما لقيت أوجه الشبه التي أوضحها سمطس استحسانا ، ولكنها قوبلت بتزايد عزلة الأقلية البيضاء في جنوب افريقيا ، اذ أن الصهيونية رأت أنه من الملائم التقليل من أهمية الأصول الثقافية والتاريخية المشتركة التي تشارك فيها التفرقة العنصرية . الا أن رئيس الوزراء فورستر لم يهتم بهذا الأمر وانتقد بعنف أولئك الصهيونيين المعتدين المعادين الذين يرغبون في التمييز بين « سياسة التنمية المستقلة » التي تمارسها اسرائيل على أساس الدين وسياسات جنوب افريقيا المماثلة التي تمارس على أساس عنصري (٢٦) .

وتنجلي تماما هذه النظرة الى اليهودى باعتباره رجلا أبيض في مختلف القرارات والقوانين التي أصدرتها حكومة جنوب افريقيا . فعندما أجرى امتحان في معرفة القراءة والكتابة « بحروف احدى اللغات الأوربية » (بقصد استبعاد الحروف الآسيوية) اعترف باللغة اليديشية التي تكتب بحروف عبرية (آسيوية) - اعترف بها ، مع ذلك ، رسميا ، كلفة مقبولة في قانون الهجرة باقليم الكاب الصادر عام ١٩٠٦ كما اعترف بها قانون الهجرة الاساسى الصادر عام ١٩١٣ (٢٧) .

ان تصنيف اليهودى بأنه « أبيض » يفسر حقيقة ان يهود جنوب افريقيا يعتبرون انفسهم « جزءا لا يتجزأ من السكان البيض » ، وانهم يشعرون أن مصيرهم « مرتبط ببقية السكان البيض » (٢٨) ، وأنه « يعتمد اعتمادا شديدا - مثل بقية البيض - على الحكومة التي تستطيع توفير النظام والأمن وتقوم بتوفيرها فعلا » (٢٩) .

ان فكرة واجب الرجل الأبيض ، سواء كان غير يهودى أم كان يهوديا ، هي فكرة أساسية تعتنقها معا كل من الصهيونية وفلسفة التفرقة العنصرية وطالما تنقسم الانسانية انقسامًا شديدا على أسس عنصرية ، فان التنمية الاقتصادية المنفصلة والكيانات السياسية المنعزلة تصبح منطقية في نهاية الأمر بل مرغوبا فيها . وباسم هذا الانعزال والتفوق العنصرى تدفقت موجات من المهاجرين الأوروبيين ومن فائض سكان أوروبا الى جنوب افريقيا وفلسطين وجردت المواطنين الأصليين من أملاكهم ثم قامت بطردهم ، ونظرا لهذه الجذور الثقافية والتاريخية المشتركة كان من الطبيعى تماما أن توحد الدولتان صفوفهما وتدعما علاقتهما ازاء الضغوط التاريخية المتزايدة .

- (١) ريتشارد ستيفتر ، « الدول الاستيطانية ورد الغرب ، اسرائيل وجنوب افريقيا »
عابدين جبارة وجانيس تيرى ، العالم العربى من القومية الى الثورة ، (ويلميت . الينوى :
دار نشر جامعة مدينا ، ١٩٧١) صفحة ١٦٧ - ١٦٨ .
- (٢) ريتشارد كروسمان ، بعث امة ، اسرائيل وايزمان وبيفن وبن جوريون (لنسطن ،
هاميش هاميلتون ، ١٩٦٠) صفحة ٥٨ .
- (٣) ويزمونت ستوارت ، تيودور هرتزل (جاردن سيتى ، نيويورك : دابلواى وشركاه ،
١٩٧٤) ص ١٩٢ .
- (٤) محاكمة كبار مجرمى الحرب امام المحكمة العسكرية الدولية : نورمبرج من ١٤ نوفمبر
١٩٤٥ - اول اكتوبر ١٩٤٦ (نورمبرج ، ألمانيا ، ١٩٤٧) المجلد الحادى عشر ، صفحة ٤٥ .
- (٥) اعداد دافيد سيلز (نيويورك شركة ماكملان ١٩٦٨) المجلد الثالث عشر .
- (٦) الموسوعة البريطانية (شيكاغو ، ويليام بتون ، ١٩٧٢) المجلد الخامس عشر .
- (٧) روبين ، اليوم فى العصر الحاضر . ترجمة مارجرى بنتويتش (لنسطن ، ج. بل
واولاده ١٩١٢) صفحة ٢١٢ .
- (٨) المرجع السابق صفحة ٢٢٧ .
- (٩) المرجع السابق صفحة ٢٩٦ .
- (١٠) المرجع السابق صفحة ٢٩٢ - ٢٩٤ .
- (١١) المرجع السابق صفحة ٢٩٤ .
- (١٢) المرجع السابق .
- (١٣) المرجع السابق .
- (١٤) اليوميات الكاملة لتيودور هرتزل ، اعداد رافائيل باتاى ، ترجمة هارى زوهن ،
٥ مجلدات (نيويورك - مطبعة هرتزل ، ١٨٦٠) المجلد الرابع صفحة ١٢٦١ .
- (١٥) الاجناس ، الموسوعة البريطانية المجلد الثانى عشر .
- (١٦) اليوميات المجلد الاول صفحة ٢٤٣ .
- (١٧) اليوميات المجلد الاول صفحة ٢٢٨ .
- (١٨) ارثر هرتز بيرج (اعداد) : الفكرة الصهيونية ، تحليل تاريخى ومختارات أدبية
(وستبورت كونكتيكت جرينوود ، ١٩٥٩) صفحة ٢٢٢ .
- (١٩) جوزيف شختمان ، مقاتل وبنى : قصة فلاديمير جابوتسكى ، السنوات الاخيرة
(نيويورك ، توماس يوسيلوف ، ١٩٦١) صفحة ٢٢٤ .
- (٢٠) دافيد بن جوريون ، بعث اسرائيل ومضجبرها (نيويورك ، المكتبة الفلسفية ،
١٩٥٤) صفحة ٩ .

(٢١) المرجع السابق صفحة ٦ .

(٢٢) جاكوب برنارد اجوس ، معنى التاريخ اليهودي ، مجلدان (لندن ، ايلارد سكومان ، ١٩٦٢) المجلد الثاني صفحة ٢٨٦ .

(٢٣) حاييم وايزمان ، التجربة والخطا (نيويورك : هاربروراو ، ١٩٤٩) صفحة ١٩١ .

(٢٤) المرجع السابق ٢٧٧ .

(٢٥) هاري .س. ترومان ، مذكرات (جاردن سيتي ، نيويورك : دوبلداي ، ١٩٥٥) المجلد الثاني ص ١٥٩ .

(٢٦) ليونارد شتاين ، تصريح بلفور (لندن ، فالينتين ريتشيل ١٩٦١) صفحة ٦٤٩ .

(٢٧) المرجع السابق .

(٢٨) ن.ا. روز ، الصهيونيون غير اليهود ، دراسة في الدبلوماسية الانجليزية الصهيونية من ١٩٢٩ الى ١٩٣٩ (لندن ، فرانك كاس ، ١٩٧٣) صفحة ٧٥ .

(٢٩) بن جوريون ، بعث اسرائيل ومصرها . صفحة ٤٨٩ .

(٣٠) فيليب سيغال ، تأملات في القومية اليهودية ، خريف عام ١٩٦١ صفحة ٢١ .

(٣١) مجلة تقارير العالم الثالث المجلد الخامس العدد السابع سبتمبر ١٩٧٤ .

(٣٢) ابا اييان ، صوت اسرائيل (نيويورك ، مطبعة هوريزون ١٩٥٧) صفحة ٧٦ .

(٣٣) المرجع السابق .

(٣٤) المرجع السابق .

(٣٥) « رؤية سمطس لصهيون ويهود العالم » مجلة الشؤون اليهودية اغسطس ١٩٧٠ .

(٣٦) الروابط المعاصرة بين جنوب افريقيا واسرائيل (لجنة ماديسون الخاصة بـافريقيا الجنوبية) وردت في كتاب (١٢٧ سؤالا وجوابا حول النزاع العربي الاسرائيلي . .) صفحة ١٣٦ .

(٣٧) « جنوب افريقيا » الموسوعة اليهودية (القدس ، دار ماكملان للنشر ، ١٩٧٢) المجلد الخامس عشر .

(٣٨) المرجع السابق .

(٣٩) نيفيل روبين ، « اثر الصهيونية واسرائيل في الاتجاه السياسي ليهود جنوب افريقيا » من كتاب « النظم الاستيطانية في افريقيا والعالم العربي » : وهم البقاء (ويلميت ، النوى ، مطبعة جامعة مدينا ، ١٩٧٤) صفحة ١٧١ .

(٢) الاستعمار الاستيطاني وديمقراطية

السادة والشعب (+)

بقلم : سميح فارسون (x)

(النص التالي هو جزء مختصر من بحث بعنوان : « جنوب افريقيا واسرائيل ، علاقة خاصة » ، قدم الى مؤتمر الاتجاهات والسياسات الاجتماعية والاقتصادية في افريقيا الجنوبية الذي عقد بدار السلام خلال الفترة من ٢٩ نوفمبر الى ١٢ ديسمبر ١٩٧٥ تحت رعاية المعهد الافريقي للتنمية الاقتصادية والتخطيط بذاكار ، التابع للأمم المتحدة . وقد كان من الضروري حذف بعض التفاصيل والصور التي تضمنها النص الأصلي) .

درست طبيعة الاستعمار الاستيطاني لجنوب افريقيا من الناحيتين التاريخية والمعاصرة دراسة مستفيضة من جوانب مختلفة ، ودرست طبيعة الاستعمار الاستيطاني في روديسيا بصورة اقل استفاضة . كما درست اسرائيل دراسة اقل استفاضة ايضا ، وربما كان مرجع ذلك تحيز الغرب التقليدي . الا انه منذ يونيو ١٩٦٧ ، وظهر « اليسار الجديد » على الساحة الدولية يجرى تحليل اسرائيل من هذه النواحي تحليلا مباشرا (١) .

وتتناقض مصالح سكان المستعمرة المستوطنين مع مصالح الوطنيين ابناء البلاد كما تتناقض مع مصالح اصحاب رؤوس الاموال في (الدولة الأم » . وعندما تبدأ في الظهور تسوية ما ، بين الدولة المستعمرة والسكان الوطنيين (مما يؤدي عادة الى حصول السكان الوطنيين على الاستقلال السياسي) تتعرض مصالح سكان المستعمرة من المستوطنين للخطر فيقاتلوا بعنف .

« ان هذا العامل الانتكاسي والرجعي الى حد بعيد خاص النضال من الناحية التاريخية على جبهتين النضال الصلب والصداق ضد الوطنيين

(+) من مجلة العالم الثالث (بون ، ألمانيا) عدد خاص عن « اسرائيل - جنوب افريقيا : تطلون القواعد الامامية الاستعمارية » ١٩٧٦ .

(x) سميح فارسون ، دكتوراه في الفلسفة وعلم الاجتماع هيئة التدريس بقسم الاجتماع بالجامعة الامريكية بواشنطن ، من مجلة العالم الثالث .

... والنضال النسبي وعند الاقتضاء ، ولكن بعنف بالغ في كثير من الأحيان ، ضد عودة أصحاب رؤوس الأموال الكبار الى الوطن » (٢) .

استقلال المستعمرين :

يحاول المستعمرون الانفصال عن الدولة الام واقامة نظامهم الذي يقوم على سيادة البيض والذي يتسم أساسا بالقمع الشديد لأبناء البلاد الأصليين . وأحدث مثال لهذه الظاهرة روديسيا . ومع أن الصراع العنيف بين المستوطنين في جنوب افريقيا وبريطانيا كان صراعا اقتصاديا في جوهره إلا أنه كان متصلا أيضا بالسياسة البريطانية تجاه أبناء البلاد الأصليين . وعندما نال البيض الذين يستوطنون البلاد الاستقلال في نهاية الامر وسيطروا على البلاد فرضوا نظاما من أشد الأنظمة قمعا في التاريخ ، إلا وهو التفرقة العنصرية .

وبالنسبة لاسرائيل ، فإننا في أغلب الأحوال ننسى تماما أنه إذا كانت هذه الدولة تمثل رأس حربة للامبريالية في سباق العداء الدولي السائد حاليا بين الكتلتين الكبيرتين فإن هذا الوضع هو نتيجة ظروف خاصة فحسب . فطبيعتها الحقيقية أن تكون كتلة من المستوطنين البيض الذين ينتشرون بصورة متزايدة ليستعمروا بلاد متخلفة الامر الذي يجعل نزاعهم مع شعوب المنطقة قاسيا للغاية ، حتى مع الشعوب التي تعيش تحت حكم « أنظمة موالية للغرب ودائرة في فلك الامبريالية . فبرغم تحالف اسرائيل مع الامبريالية الأمريكية فإنها دولة استعمارية انفصالية ، وكان قيامها موضع صراع طويل دام مع انجلترا التي كانت تقوم بدور الدولة الاستعمارية الأصلية » (٣) .

وبانفصال مستوطني المستعمرة او استقلالهم ، تتمثل الصفة المميزة الحيوية للأنظمة الاستعمارية الاستيطانية في علاقتهم بالسكان الوطنيين وعلاقتهم بالأرض . فمن الناحية السياسية يقيم المستعمرون الأوروبيون ما يطلق عليه فان دن برج اسم « ديمقراطية السادة والشعب » ، وهي ازدواج سياسي ينطوي على ديمقراطية برلمانية للمستعمرين للمستوطنين وعلى نظام استعماري بالنسبة للوطنيين من أبناء البلاد . وهذه الديمقراطية هي « نظام برلماني تقصر فيه ممارسة السلطة وحق الاقتراع بحكم الأمر الواقع ، وبحكم القانون في أحوال كثيرة ، على الجماعة المسيطرة » (٤) وقصارى القول ، أن المستعمرين يحكمون أنفسهم حكما ديمقراطيا ويفرضون طغيانهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي على الوطنيين .

حيازة الأرض :

ان استيطان مستعمرة ما ، يحتاج الى الأرض . وهكذا ينشب نزاع فوري مع السكان الوطنيين عندما يستولى المستعمرون (بالغزو أو حتى بالشراء) على الأرض . ولتأمين السيطرة على المستعمرة يتطلب الأمر مزيدا من المهاجرين مما يؤدي الى زيادة الضغط السكاني على أبناء البلاد كما تزداد حاجتهم الى الأرض ، فتنشأ نتيجة لذلك مقارن الوطنيين . الا ان عملية فعالة تبدأ في الانطلاق وتتمثل في تضخم سكان المستعمرة والهجرة وطردهم السكان الأصليين واستعبادهم وعزلهم . وتتجلى هذه العملية في سلسلة من المعارك والحروب التي تبلغ ذروتها بالسيطرة على الأرض وطردهم الوطنيين واخضاعهم . وفي بعض الأحيان تتحول هذه المعارك الى إبادة جماعية . ففي أمريكا الشمالية عرفت هذه الحروب باسم حروب الهنود وعرفت في جنوب إفريقيا باسم حروب الكفير ، وفي الشرق الأوسط باسم النزاع العربي الاسرائيلي (ليس معنى هذا انكار ان عوامل أخرى قد دخلت الى الصورة هنا) .

التوسع على حساب الوطنيين :

تختلف دقائق هذه العملية باختلاف المواقف الاستعمارية الاستيطانية ، الا ان الجوهر واحد والنتيجة الأخيرة متماثلة . ففي جنوب إفريقيا كان تملك الأرض يتم بالقوة التي تساندتهم (وأحيانا تتفاضى عنها) السلطة الاستبدادية . والواقع انه ابتداء من القرن التاسع عشر أدى النزاع بين مصالح الامبراطورية البريطانية والمستوطنين من الأفريكان الى زيادة التوسع على نطاق واسع . ومن نافلة القول ان هذا التوسع كان على حساب الوطنيين وأولهم البوشمان والهوتنتوت وآخرهم البانتو . اذ قام الأفريكان بدفع زنوج جنوب إفريقيا الى بعض الأراضي التي « خصصت » لهم فقد خصص قانون أراضي الوطنيين الصادر سنة ١٩١٣ للوطنيين الزنوج ٧٪ من الأراضي (وارتفعت النسبة بعد ذلك الى ١٣ ٪ في عام ١٩٣٦) في جنوب إفريقيا ، رغم ان عدد الأفريقيين كان يبلغ اربعة امثال عدد الأفريكان البيض . وقد تكرر هذا النموذج في روديسيا فيما عدا انه في فترة زمنية اقصر . بدأ من عام ١٨٩٠ وكانت نسبة السكان الأفريقيين الى البيض اقرب الى ٢٠ : ١ .

تملك الأرض بالشراء :

اختلفت الوقائع في العالم العربي اختلافا طفيفا . فعلى الرغم من تأييد

بريطانيا الاستعمارية . لم يتم استيطان الصهيونيين الأوائل في فلسطين ، عن طريق الغزو ، لأنه كان سيشعل نار حرب مع امبراطورية وقوة اقليمية رسخت اقدامها منذ عهد بعيد هي الامبراطورية العثمانية . ولكن الصهيونيين تملكوا الارض في البداية عن طريق عمليات شراء كان يمولها الصهيوونيون الأوروبيون ومؤيدوهم . ومع ذلك لم يكن كل هذا النشاط ، ذا قيمة تذكر ، قبل أن يفرض الانتداب البريطاني على فلسطين في أعقاب الحرب العالمية الأولى .

وقد يسر الانتداب البريطاني – الذي كان يعمل بالتنسيق مع ما يهدف اليه تصريح بلفور من اقامة « وطن قومي » للصهيونيين – للمستوطنين أن يملكوا الارض . وأدى هذا الى بدء أسلوب الهجرة الاستيطانية وطرده الفلاحين الفلسطينيين من اراضيهم . وشعر بهذا التهديد العرب سكان البلاد الأصليون الذين أخذوا في المقاومة بمختلف السبل ، بما في ذلك القيام بثورة شاملة ضد البريطانيين والصهيونيين خلال الفترة من سنة ١٩٣٦ حتى ١٩٣٩ . ورغم ذلك ، عندما أحال البريطانيون مسألة فلسطين الى الأمم المتحدة في سنة ١٩٤٧ ، لم تكن الملكية الصهيونية واليهودية للأراضي في فلسطين تتجاوز ٧٪ من أراضي البلاد (٥) . مع أن المستوطنين في فلسطين كان عددهم قد وصل في سنة ١٩٤٨ الى ما يقرب من سبعمائة ألف نسمة ، أي ما يماثل تقريبا ثلث سكان البلاد . ولم يتم تملك الصهيونيين للأرض في فلسطين بالجملة حتى ما بعد الحرب الفلسطينية في ١٩٤٧ / ١٩٤٨ . وفي هذه المرة أيضا تم تملك الأرض بالقوة . وينبغي الإشارة الى أن الأمم المتحدة ، التي كانت خاضعة لسيطرة الغرب في ذلك الوقت ، قد وفر الأساس الرسمي لقيام الدولة الصهيونية الاستيطانية دون الرجوع الى رغبات الوطنيين أبناء البلاد ، وذلك بالقرار الذي اتخذته في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين . وفيما عدا اتحاد جنوب افريقيا ، أيد مشروع التقسيم دولة افريقية واحدة ودولة أسيوية واحدة . وصدر القرار اعتمادا على أصوات الدول الأوروبية ودول نصف الكرة الغربي .

التوسع العسكري :

قامت دولة اسرائيل الاستيطانية الجديدة بتوسيع رقعة اراضيها في فلسطين من المساحة المخصصة لها وفقا لقرار الأمم المتحدة والبالغ نسبتها ٥٦٪ حتى أصبحت مساحه اراضيها ٧٧٪ من اراضي فلسطين في سنة ١٩٤٨ . وامتد التوسع الاسرائيلي ابعد من ذلك في سنة ١٩٦٧ في أعقاب

حرب يونيو ، فقد استولت اسرائيل على اراضي بقية فلسطين واراضي دولتين عربيتين مجاورتين . وضمت اسرائيل ، من جانبها وحدها ، القدس العربية والمنطقة المحيطة بها . واقام الاسرائيليون اكثر من عشرة مستعمرات جماعية وشبه عسكرية لا في بقية اراضي فلسطين فحسب (الضفة الغربية) وانما في الاراضي السورية والمصرية ايضا .

قوانين الدولة الاستيطانية :

ما ان تقوم دولة استيطانية فوق اراضي وطنية حتى يشجع تملك الاراضي عن طريق قوانين الدولة الاستيطانية ، وهي تشريعات تستهدف نقل ملكية اراضي الوطنيين اثناء البلاد وتنظيم تملك المستوطنين لها . كما انها تسبغ الطابع القانوني على هذا المخطط ويعتبر قانون املاك الغائبين الذي اصدرته اسرائيل في عام ١٩٥٠ حالة وثيقة الصلة بهذا الموضوع . فهذا القانون وما يماثله من تشريعات اخرى مثل المادة ٢٥ من تنظيمات الطوارئ ، التي ترخص للحكم العسكري بطرد القرويين وفرض الحصار على ديارهم ، قد اسهمت في نقل ممتلكات العرب الى ايدي الاسرائيليين المستوطنين (٦) . وبعد حرب يونيو ١٩٦٧ قامت الحكومة الاسرائيلية بنزع ملكية منازل العرب داخل مدينة القدس القديمة في يناير اولا ثم في ابريل ١٩٦٨ . فقدت ثلاثة آلاف فلسطيني ثم خمسة آلاف فلسطيني اراضيهم ونقلوا بعد ذلك الى الضفة الشرقية للأردن . ولم تكن هذه العمليات « القانونية » - تملك المستوطنين للأرض - تختلف في جوهرها او نيتها عن تشريعات او قوانين اراضي الوطنيين التي تطبقها جنوب افريقيا وروديسيا .

الهجرة :

بالاضافة الى تملك الأرض ، يهتم الاستعمار الاستيطاني بهجرة المستوطنين الجدد لكي يساعدوا على تأمين وتدعيم المجتمع الاستيطاني ، وهي حركة تنكر بصورة مباشرة السكان الوطنيين . وهكذا ، يصبح وجود الوطنيين بمثابة مشكلة . وكما يقول باتريك كيتلي عن مستوطني روديسيا من البيض : « لا يسع المرء الا أن يشعر . . أن أهالي روديسيا البيض يكونون في اعماق قلوبهم رغبة صامتة في زوال الافريقيين من الوجود » .

وتتخذ هذه « الرغبة الصامتة » في جنوب افريقيا شكل عزل جغرافي واجتماعي مفروض بالقوة على السود . وبالمثل ، يبغى الصهيونيون ، ببلاغتهم وسياستهم ، هذه « الرغبة الصامتة » ذاتها . فقد صاغ اسرائيل

زانجويل ، أحد فلاسفة الصهيونية الأول ، الشعار القائل بأن فلسطين أرض بلا شعب تمنح لشعب بلا أرض (أى يهود أوروبا) ومنذ عهد قريب سنة ١٩٦٩ أعلنت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل في ذلك الحين ، في حديث صحفي نشر في صحيفة الصنداي تايمز اللندنية في ١٥ يونيو ١٩٦٩ أنه : « لم يكن الأمر وكأن هناك فلسطينيين في فلسطين يعتبرون أنفسهم شعبا فلسطينيا ، فأتينا نحن وطردناهم ثم اغتصبنا وطنهم منهم . انهم لم يكونوا موجودين » .

ان الاستعمار الاستيطاني الصهيوني المدعم بأيدولوجية دينية تاريخية، مقترنة بالرغبة في اقامة أمة حديثة تضم اليهود من كافة الطبقات ، كان معنيا بصورة خاصة بالرغبة في بلاد خالية من الوطنيين أى خالية من العرب . ولقد قام أرسكين تشيلدرز بتحليل التاريخ والخطط والحرب (العسكرية والارهابية والنفسية) التي جعلت فلسطين ، طبقا لقول بن جوريون « خالية فعلا من أهلها السابقين » (٧) . لقد رفضت إسرائيل إعادة توطين مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين بعد الحرب ١٩٤٨ ثم رفضت مرة ثانية بعد حرب ١٩٦٧ . وبعد هذه الحرب الأخيرة سمحت لنسبة رمزية صغيرة من اللاجئين بالعودة الى ديارهم في الضفة الغربية . وكان اللاجئين الذين لم يسمح لهم بالعودة الى ديارهم هم الذين صودرت ممتلكاتهم بمقتضى قانون ممتلكات الفائزين .

مبررات الكتاب المقدس :

تيسر الدول الاستيطانية هجرة مهاجرين تتوافر لديهم الاعلية اللازمة: فيهاجر البيض الى جنوب افريقيا واليهود الى إسرائيل . ويمنح قانون العودة الاسرائيلي الحق لليهودي (الذي ينطبق عليه التعريف القانوني وفقا للتشريعات الدينية) في أن يستوطن إسرائيل ويكتسب حق المواطنة فيها . أما بالنسبة لجنوب افريقيا ، فان المهاجرين ينالون مساعدات اجتماعية واقتصادية ومساعدات في مجال الاسكان . بينما تعامل قوانين المواطنة الوطني الاصيل معاملة جائرة في نفس الوقت . وقصارى القول ، ان حركات الاستعمار الاستيطاني تفتصب أرض الوطنيين الاصليين وتطردهم أو تفرض الرقابة عليهم وتشجع هجرة المستوطنين الكفاء . وتبرر ذلك بلغة عقيدة تنطوي على افكار عامة وغامضة أى بأنها تضطلع برسالة الحضارة بالنسبة للوطني . ولكن مثل هذا التبرير كثيرا ما يستند الى الكتاب المقدس . وقد بلغت جنوب افريقيا واسرائيل شأوا خاصا في هذا المجال .

فالكنيسة الاصلاحية الهولندية ، التي يتبعها المستوطنون البيض تعتمد على بعض نصوص العهد القديم . فتؤمن بأن التفاوت بين الاجناس انما هو قضاء من الله . وأنه من المقدر على السود ، الذين تعتبرهم الكنيسة من نسل حام ، أن يكونوا في خدمة البيض من سمام . وكان البوير يعتبرون الغاء الرق امرا مخالفا لتعاليم الكتاب المقدس . وكان الافريكان يعتبرون السود جنسا وضيعا منحطا غير متمدين ، وان رسالة البيض نشر الحضارة بينهم .

ويعتمد الصهيونيون بدورهم على نصوص الكتاب المقدس لتبرير دعواهم واستعمارهم لفلسطين فبالاضافة الى اضطلاعهم بنقل الحضارة الى اقليم اسىوى متخلف (انظر : ن . هرتزل) ، يعتبر الصهيونيون فلسطين ارض الميعاد التى منحها الله لهم . فاستعمارهم للبلاد ليس سوى استرداد ما هو حق لهم بمقتضى نصوص الكتاب المقدس ، وتحقيق لنبوءة الكتاب المقدس . ولا تزال تصريحات الزعماء تتحدث عن « ارض اسرائيل » التى تشمل جانبا كبيرا من الاراضى الحالية لتي تحتلها اسرائيل منذ حرب ١٩٦٧ .

نظام استعماري للوطنيين :

يقيم المستعمرون المستوطنون ، كما يوضح فان دن برج ، ديمقراطية السادة والشعب ، يفرضون فيها على الوطنيين - اولئك الذين بقوا تحت سيطرتهم - نظاما استعماريا يتسم بثلاث خصائص اساسية :

(أ) الحرمان من الحقوق السياسية وفرض السيطرة السياسية .

(ب) العزل الاجتماعى .

(جـ) الاستغلال الاقتصادى .

وتستخدم وسائل مباشرة وغير مباشرة لتحقيق السيطرة السياسية على الوطنيين وحرمانهم من الحقوق السياسية . اذ تلجأ الانظمة الاستيطانية فى اغلب الاحوال ، بفضل دعوى الديمقراطية البرلمانية المتناقضة ، الى وسائل غير مباشرة تتميز بالدهاء لفرض الحظر على الحريات السياسية للوطنيين . ففي جنوب افريقيا وروديسيا ، حيث يشكل السكان الوطنيون السود اقلية عديدة يحرم الوطنيون كلية من حق الانتخاب . وفي اسرائيل ، بالمعنى الضيق للكلمة ، حيث يشكل الوطنيون الذين لا يزالون يعيشون فوق اراضيها اقلية عديدة (حوالى ١٢٪) لم يحرم الوطنيون من حقوقهم السياسية رغم فرض قيود شديدة عليها.

فقد فرضت قيود شديدة على حرية التعبير والاجتماع بواسطة قانون المطبوعات والملاهي الصادر سنة ١٩٦٣ وقانون حظر الشيوعية الصادر سنة ١٩٥٠ في جنوب افريقيا . وتعرف الشيوعية بأنها أية نظرية تهدف الى تحقيق اى تغيير سياسى او صناعى او اجتماعى او اقتصادى داخل الاتحاد وذلك بتشجيع الشعب والاخلال بالأمن عن طريق القيام بأعمال محظورة او بالاهمال او بالتهديد بالقيام بتلك الأعمال أو بالاهمال (٩) . وكان القصد من هذا التعريف الواسع الذى تضمنه القانون هو قمع اى نشاط للوطنيين . ففي سنة ١٩٦٣ وحدها منع صدور ٧٥٠٠ مطبوع . أما التشريعات الاسرائيلية التى تحظر على الوطنيين حرية التعبير فانها أكثر حرصا الا أنها تتميز بنفس الفاعلية . فالمطبوعات الخاصة بالفلستينيين وحدهم في اسرائيل لا يسمح لها بالصدور ، أو تفرض عليها القيود والضوابط (١٠) .

القمع السياسى :

يحظر المستعمرون أيضا حرية تكوين الجمعيات والتنظيمات السياسية بالنسبة للوطنيين . ففي جنوب افريقيا لم يخول قانون التنظيم غير المشروع الصادر عام ١٩٦٠ (المائل لقانون مشابه في روديسيا) ومشروع قانون حظر التدخل غير السليم لسنة ١٩٦٦ ، السلطات اعلان عدم شرعية مؤتمر كل شعب افريقيا والمؤتمر الوطنى الافريقى فحسب ، بل حظرا على الجماعات العنصرية المشاركة في أنشطة سياسية مشتركة . كما أن قانون المحافظة على القانون والنظام يفرض قيود على حرية الاجتماع ، فلا يستطيع افريقى أن يعقد اجتماعا أو يخطب فيه أو يرأسه الا بتصريح كتابى من مفوض المنطقة الأبيض . وبينما توجد هذه التشريعات المعلنة ، للسيطرة على الوطنيين في جنوب افريقيا ، تستخدم اسرائيل اجراءات غير رسمية ، ولكن يمكن ادراكها ، لحظر النشاط المستقل للوطنيين الفلسطينيين ولقد منعت الحكومة الاسرائيلية كل المحاولات الرامية الى انشاء احزاب عربية مستقلة (١١) . وتشمل الأساليب الاسرائيلية لمنع الأنشطة الوطنية ، اعتقال الزعماء ، وايداعهم بالسجون واستخدام الوسائل القانونية وغيرها من الوسائل ، للتضييق على الوطنيين ، ومنع تسجيل الجمعيات الخ .

العمل الاجتماعى :

لعل انجح اساليب السيطرة الاقتصادية والاجتماعية على الوطنيين في كافة دول الاستعمار الاستيطانى بما في ذلك جنوب افريقيا واسرائيل

هو تقييد وتنظيم حرية حركتهم . ويبرر هذا التقييد استنادا الى أسس متعددة ، من بينها الأمن . فالتفرقة العنصرية في جنوب افريقيا تقييد الوطنيين بمناطق معينة مخصصة لهم ، عن طريق عدد من القوانين مثل قانون مناطق الجماعات والقانون الموحد لمناطق البانتو الحضرية وقانون سنة ١٩٦٤ المعدل لقانون البانتو . وينظم الخروج من مناطق العزل الافريقية والدخول اليها تنظيما محكما . ولا يتنقل الافريقيون في مناطق البيض (التي تزيد عن ثلاثة أرباع البلاد) ولا يقيمون فيها الا اذا استطاعوا أن يثبتوا رسميا السبب الذي يدعوهم الى ذلك ، وينبغي أن يكون ذلك عن طريق وثائق رسمية يتيح لهم التنقل .

وفي اسرائيل ، تفرض قيود مماثلة على عرب فلسطين الوطنيين . فم منذ قيام دولة اسرائيل في سنة ١٩٤٨ عاش ما يزيد على ٨٠٪ من عرب فلسطين في ظل الحكم العسكري مرة واحدة على الأقل . والقوانين التي تحكم هذه « المناطق العسكرية » هي قوانين حالة الطوارئ التي أصدرها الانتداب البريطاني في فلسطين في سنة ١٩٤٥ . وسنت اسرائيل تشريعات أخرى في سنة ١٩٤٩ مثل قانون نظم مناطق الأمن . تخول مواد هذا القانون الحكام العسكريين حقوقا مطلقة تقريبا لا في تقييد حرية الانتقال فحسب ، بل في تقييد كافة الحريات المدنية أيضا . وليس أمام الوطني من سبيل سوى سلطات الادارة العسكرية العليا وكانت هذه القوانين تطبق مع الحكم العسكري في المناطق التي يتركز فيها أكبر حشد سكاني من العرب الوطنيين في الجليل والنقب و « منطقة المثلث » الواقعة في المنطقة الوسطى من البلاد . واستمر هذا الحكم العسكري منذ سنة ١٩٤٨ حتى سنة ١٩٦٦ ، عندما تحول الاشراف على هذه المناطق الى البوليس . وخلال حرب ١٩٦٧ ، ومنذ ذلك التاريخ أعيد فرض الحكم العسكري في هذه المناطق كما فرض في منطقة الضفة الغربية . ولم تكن مناطق الأمن هذه قريبة من الحدود الاسرائيلية ، وانما كانت أيضا في مناطق بعيدة عن الحدود . وكان الخروج من هذه « المناطق المغلقة » والدخول اليها يتم بتصاريح مرور عسكرية رسمية بالنسبة للوطنيين .

وفي سنة ١٩٤٨ ، أرغم العرب الذين ظلوا مقيمين في المناطق الحضرية، على الانتقال بل أرغموا على التخلي عن ممتلكاتهم - الى مناطق محدودة خصصت لهم . وقد أدت هذه العزلة المفروضة بالقوة الى عزلة واقعية

للاقلية العربية الحديثة التكوين . وقد برزت هذه العملية ، بالإضافة الى نظام الحكم العسكري ، كأساس للعزل الاجتماعي المفروض على الوطنيين العرب (١٢) .

الاستغلال الاقتصادي :

يوجد بطبيعة الحال ، كما هو الشأن في جنوب أفريقيا ، عدد محدود من الوطنيين يعملون في بعض الوظائف الرسمية وفي المؤسسات . ولكنهم وطنيون «مأمونو الجانب» « وولاؤهم » للدولة الاستيطانية مضمون . وهذا النمط من التشجيع والتدعيم الذي تلقاه القيادة الوطنية المحافظة والمتعاونة لا يختلف عن الأسلوب الذي تنتهجه جنوب أفريقيا في تدعيم ومساندة زعماء القبائل الأفريقية من السود .

وأخيرا ، فان انسيطرة السياسية والاقتصادية على الوطنيين ترتبط بالاستغلال الاقتصادي لهؤلاء الناس كما انها ضرورية لهذا الاستغلال . ففي جنوب أفريقيا واسرائيل يتركز الوطنيون في الطوائف الحرفية الدنيا : كالحرف اليدوية أو الحرف التي لا تتطلب مهارا أو تلك التي تتطلب مهارة متوسطة . وتكون هذه القيود أيضا عرفا ينسب عليه القانون في بعض الأحيان . والواقع ان الوطنيين في اسرائيل يتقاضون نسبة ضئيلة فقط من الأجر الذي يتقاضاه المستوطنون عن نفس العمل (١٣) . ويطبق هنا أيضا الأسلوب المألوف الذي يتمثل في ان العامل العربي هو آخر من يستخدم وأول من يفصل . والعمال الوطنيون محظور عليهم ان يقيموا تنظيمات خاصة بهم ، او هم يخضعون لقيود صارمة في ممارسة هذا الحق . ففي جنوب أفريقيا يعرف قانون التوفيق الصناعي الصادر في سنة ١٩٥٦ العمال الأفريقيين تعريفا ينكر حقهم في التنظيم النقابي .

وفي اسرائيل ، كان للتنظيم النقابي الاستيطاني القوى ، الهستدروت ، تاريخ حافل بالعداء للعمال العرب الوطنيين . ففي عهد الانتداب كان الشعار الذي رفعه الهستدروت هو أنه يؤيد العمل اليهودي وحده . وبعد قيام الدولة الاسرائيلية أصبح شعاره الجديد استخدام « عمال منظمين » . ولما لم يكن للعمال العرب نقابات ، كما لم يكن مسموحا لهم بالانضمام الى عضوية الهستدروت ، فقد كان معنى هذا الشعار الاخير رفض تشغيل العرب الوطنيين . وفي سنة ١٩٦٠ ، منح العمال العرب أخيرا حق الانضمام الى الهستدروت ومع ذلك فان أجورهم مازالت تشكل نسبة ضئيلة من أجور العمال الاسرائيليين المماثلين لهم .

ومعظم العمال العرب في اسرائيل « متنقلون » يقطعون مسافات بعيدة في بعض الأحيان الى عملهم ويعودون بصورة دورية فقط الى ديارهم . ومنذ سنة ١٩٦٧ يقطع ما يقرب من سبعين ألف عربي من الأراضي المحتلة أيضا مسافات طويلة يوميا للعمل داخل اسرائيل . ويتم استخدام هؤلاء العمال العرب كأيد عاملة رخيصة جدا في اسرائيل (١٤) .

التمييز الثقافي :

يتجلى تمييز مماثل في المجال التعليمي . ففي جنوب افريقيا لا يجد ٦٠٪ من أطفال الوطنيين الذين بلغوا سن الالتحاق بالمدارس الابتدائية مكانا لهم في المدارس رغم بعض التقدم الذي حققته هذه الدولة ، بينما يبلغ المعدل في المعدل في اسرائيل ٣٠٪ تقريبا . وتتميز معاهد ومرافق تعليم الوطنيين بانحطاط مستواها بصورة واضحة كما انها تعاني الحرمان من الثقافة الوطنية . ويؤكد جريس أن الطلبة الوطنيين الذين تلقوا تعليمهم في المدارس الابتدائية نادرا ما يستطيعون القراءة والكتابة بلفتهم الأصلية ، وأن التاريخ الوطني يدرس بطريقة مشوهة بينما يمجّد تاريخ المستوطنين (١٥) .

وأخيرا ، فإن ديمقراطية السادة والشعب التي أقامها المستوطنون المستعمرون في كل من جنوب افريقيا واسرائيل معا متماثلة في اتجاهاتها وفي ملامحها العامة تماما رغم عدم تماثلها في التفاصيل . فالبنيات الاجتماعية المتماثلة والمعضلات المتماثلة في التعامل مع الوطنيين وتبريرات توطنها وتاريخها اللاحق ، تميل الى خلق أيديولوجيات متماثلة وآراء عالية متماثلة وتعاطف مشترك (١٦) .

- (١) أفضل مثل على ذلك هو كتاب المؤرخ والعالم الاجتماعي الفرنسي رودنسون بعنوان « إسرائيل : هل هي دولة استيطانية ؟ » نيويورك ، ١٩٧٢ . انظر أيضا ، ١ . القسندى و ١ . لويل : العالم العربي واسرائيل . نيويورك . ١٩٧٠ .
- (٢) مقال بقلم ١ . ايمانويل بعنوان : « استعمار المستوطن الابيض واسطورة امبريالية الاستعمار » بمجلة العالم الجديد . العدد رقم ٧٣ مايو/يونيو ١٩٧٣ صفحة ٣٩ .
- (٣) ١ . ايمانويل ، المرجع السابق صفحة ٤٧ .
- (٤) الجنس والعنصرية ، نيويورك ١٩٦٧ صفحة ٢٩ ، انظر أيضا ل : فان دن برج : جنوب افريقيا ، دراسة في الصراع . ميدلتاون ، كونكتيكت ، ١٩٦٥ .
- (٥) انظر ج . ريودي . ديناميكيات تحويل ملكية الاراضي ، في ١ . ابولفد : تحول فلسطين . ايفانستاون ١٩٧١ .
- (٦) انظر وصف هذه العملية في كتاب ص . جريس (أحد المحامين الوطنيين) : العرب في اسرائيل بيروت ١٩٦٩ .
- (٧) كتاب اسرائيل السنوي ١٩٥٢ ، صفحة ٣٨ .
- (٨) انظر ج . جبور - استعمار الاستيطاني في افريقيا والشرق الاوسط . الخرطوم/ بيروت ١٩٧٠ صفحة ٥٨ .
- (٩) راجع صفحة ٦٧ .
- (١٠) أفضل تصدير لهذا النموذج هو حالة مطبوعات الارض . انظر ج . لاندو : العرب في اسرائيل لندن ١٩٦٨ صفحة ٩٦ . وص . جريس المرجع السابق .
- (١١) انظر ج . لاندور المرجع السابق . صفحة ٥٤ والصفحات التالية .
- (١٢) الادلة التي توضح هذا جمعها الرابطة الاسرائيلية لحقوق الانسان . انظر اسرائيل شاهان (اعداد) : اللايهودي في الدولة اليهودية - القدس ١٩٧٥ . وشاهان هو رئيس الرابطة .
- (١٣) اورد ص . جريس هذه الحقائق من المناقشات البرلمانية ، انظر ايضا ي . بن بوراث : العمال العرب في اسرائيل ، القدس ١٩٦٦ ، ١ . كوهن : اسرائيل والعالم العربي . باريس ١٩٦٤ .
- (١٤) س . ريان (السياسة الاقتصادية الاسرائيلية في المناطق المحتلة : أسس امبريالية جديدة) تقارير مريب . العدد ٢٤ واشنطن/بوسطن يناير ١٩٧٤ .
- (١٥) انظر ج جبور المرجع السابق صفحة ٨٣ ، و ص . جريس صفحة ١٤٦ وما بعدها .
- (١٦) ص . جريس من ص ١٤٦ الى ١٥٥ .

القسم الأول

جنوب أفريقيا والصهيونية واسرائيل (*)

١ - سمطس وايزمان

بقلم : ريتشارد ستيفتر

مقدمة :

لعل عددا قليلا من الصداقات الشخصية كان له من التأثير في مجرى الأحداث السياسية خلال القرن العشرين مثلما كان للعلاقات التي قامت بين الجنرال جان كريستيان سمطس رئيس وزراء جنوب افريقيا الذائع الصيت وحاييم وايزمان الزعيم الصهيوني وأول رئيس للدولة في اسرائيل. الا أن أهمية ومغزى هذه العلاقة التي لم يعلن عنها الا القليل تفوق كثيرا ما تنطوى عليه من عوامل شخصية أو ما أسهمت به في نجاح الصهيونية . بل انها في الواقع تساعد على تحديد الأبعاد الصحيحة لتناقضات الليبرالية الغربية والمناخ النفسى الذى برر الوضع المسيطر الذى تتمتع به اقلية بيضاء في جنوب افريقيا من ناحية ، واستيطاننا اوروبيا جديدا في فلسطين من ناحية أخرى .

لقد كان موقف كل من وايزمان وسمطس من انصاره متماثلا الى حد بعيد جدا وكان كلاهما يمثل في « دائرته » العامل البالغ الضخامة في ابعادها الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية . قلولا وايزمان لما صدر تصريح بلفور ولولا سمطس لانهار حقا الاتحاد الذى قام في جنوب افريقيا سنة ١٩١٠ . اما على المستوى الشخصى فينبغى ملاحظة انه خلال هذه العلاقة التى استمرت ثلاثة وثلاثين عاما كاملة ، والتي امتدت من سنة ١٩١٧ حتى وفاة سمطس سنة ١٩٥٠ ، كان كلا الرجلين يسلم جدلا بشرعية موقف الآخر من الناحية الادبية وهكذا لا توجد كلمة واحدة في مراسلات وايزمان أو كتاباته تنطوى على تشكك في الأساس العنصرى لدولة جنوب افريقيا التى كانت الصهيونية تعتمد عليها الى حد بعيد أو في الدور الذى قام به سمطس لدعم نظامها العنصرى . وبالمثل ، كان

(*) مجلة دراسات فلسطينية المجلد الثالث . العدد الاول خريف عام ١٩٧٢ .

سمطس يسلم بلا جدال « بحق » المستوطنين اليهود في احتلال فلسطين دون اهتمام بحقوق العرب الفلسطينيين سكان البلاد الأصليين . وفي كلتا الحالتين ، كان سمطس ووايزمان يبرزان على أعلى مستوى قدرة الحضارة الغربية على تبرير السيطرة والاستغلال والغزو والتحكم بأنها رسالة حضارية مسيحية أو أنها انجاز يهودى مسيحي يؤمن بأنه اسمى من سائر الأجناس الأخرى .

سمطس والصهيونية :

تم التعارف بين كل من سمطس ووايزمان لأول مرة بلندن في يونيو ١٩١٧ (١) . وفي ذلك الوقت كان سمطس هو « المندوب الخاص من جنوب أفريقيا » لدى الحكومة البريطانية ووزارة الحرب والممثل الوحيد للممتلكات البريطانية الذى يلعب دورا كاملا في السياسات التى تنتهجها بريطانيا العظمى وقت الحرب (٢) . أما وايزمان ، الذى كان قد نال تقدير مجلس الوزراء البريطانى لنجاحه في انتاج الاسيتون لمساعدة المجهود الحربى البريطانى ، فكان رئيسا للاتحاد الصهيونى الانجليزى وكان يحاول جاهدا اقناع مجلس الوزراء البريطانى بسلامة البرنامج الصهيونى وفائدته لأهداف السياسة البريطانية . ويسجل وايزمان ان سمطس قد استقبله :

على نحو يتسم بأعظم مودة ، واستمع اليه بتعاطف بالغ وكان يشع منه نوع حماس الفهم واكد لى باخلاص انه سيتم القيام بشيء ما فيما يتعلق بفلسطين والشعب اليهودى . ووجه الى كثيرا من الاسئلة الدقيقة ، وحاول اكتشاف مدى صدق ايماني بالامكانيات الحالية . كان يعالج المشكلة باهتمام متحمس ، بل يمكن القول انه كان يعالجها بتأثير (٣) .

ثمة عدة عوامل في شخصية وايزمان ومنهجه كان من الطبيعى ان تستأثر بمشاعر زعيم جنوب أفريقيا ، واستطاع سمطس ان يشارك هذا المغرب اليهودى الروسى الاحساس بأنهما ينتميان الى طبيعة واحدة وذلك استنادا الى ثلاثة أسباب رئيسية على الأقل ، لم يكن اقلها شأنا اعتراف وايزمان الصريح بأن الصهيونية ترتبط ارتباطا طبيعيا وعضويا بمصالح الإمبراطورية البريطانية . وكان هذا الاعتراف اختبارا حاسما بالنسبة لسمطس الذى كان يعتبر الإمبراطورية البريطانية دعامة النظام العالمى والتنمية المتحضرة . وكان سمطس ذاته مرتبطا ارتباطا وثيقا بفكرة

قيام اتحاد الانجليز وانبوير داخل اطار الامبراطورية البريطانية وكان معنى مخططات وايزمان لاقامة كيان صهيونى داخل هذا الاطار انه ، مثل سمطس ، قد تجنب اية مشكلة لتناقض الولاء للوطن مع الولاء للامبراطورية . وقد اورد ليونارد شتاين ، مؤرخ تصريح بلفور ، التعليق التالى :

لقد اتضح له (وايزمان) منذ البداية أن الفوز برعاية بريطانيا للامانى الصهيونية امر اكثر احتمالا ، فضلا عن أنه من المرغوب فيه الفوز برعاية بريطانيا اكثر من اية دولة أخرى . فالصهيونيون لن يكونوا عند عرض قضيتهم على البريطانيين مجرد متوسلين ، أو ملتجئين لشيء لا يتماش مع المصالح البريطانية بصورة جلية .

فقد كان وايزمان يرى ، كما كتب الى اسرائيل زانجويل فى ١٠ أكتوبر ١٩١٤ انه من البديهي ان انجلترا فى حاجة الى فلسطين لحماية الطرق المؤدية الى مصر ، وانه اذا ما فتحت ابواب فلسطين امام استيطان اليهود عندئذ « سوف يصبح لانجلترا حاجز فعال ، وسوف يصبح لنا وطن » وكانت تركيا فى ذلك الوقت مازالت تقف موقف الحياد . وبدخولها الحرب الى جانب دول الوسط أصبح مستقبل امبراطوريتها الاسيوية ، ومستقبل فلسطين باعتبارها جزءا من هذه الامبراطورية مطروحا للبحث . وكانت هذه دعوة ، انتهزها وايزمان تماما ، للاصرار على تطابق المصالح بين بريطانيا العظمى والصهيونيين ، فقد كانت المصلحة شبيها يؤمن به ايمانا صادقا . وكانت القضية الصهيونية فى رايه تأتى فى المقام الاول ، ولكنه عندما يبذل كل ما فى وسعه للدعاية لها لم يكن يتحدث من منطق المدافع فقط عندما يمعن النظر فيما يعود على بريطانيا العظمى من كسب بتأييدها للصهيونية . ويقول ويستر : « لم يكن الدكتور وايزمان ليستطيع بلوغ ما ناله من مكانة فى الدوائر الرسمية لو لم يكن كل من اجرى اتصالات بهم يؤمنون ايمانا مطلقا بأمانته واخلاصه ويعلمون أنهم معه باعتباره شريكا فى مشروع عظيم سيكون مقيدا لبريطانيا ولشعبه أيضا » (٥) .

وثمة سبب ثان لاعجاب سمطس بالصهيونية ويتمثل فى أن القضية الصهيونية ، فى رأى وايزمان ، كانت تبرر بنفس الاسلوب الذى بررت به الحضارة الأوروبية توسعها فى الأمريكتين وآسيا وافريقيا . اذ كانت ، حسب تفسير وايزمان ، « مجرد مسألة صحراء ضد مدينة » (٦) .

ولقد قدم وايزمان التفسير التالى ، متصلا فيه من أى « غطرسة » ينطوى عليها التحليل :

« اننا ما زلنا نسمع حتى الآن اناسا يقولون : « حسنا ، ربما كان ما أنجزتموه عظيما تماما . ولكن العرب فى فلسطين قد القوا حياة الدعة

والسكينة . وكانوا يركبون الجمال . وكان منظرهم رائعا . وكانت صورتهم منسجمة مع منظر الطبيعة . فلماذا لا تظل هذه الصورة كما لو كانت متحفا أو صديقة عامة ؟ لقد وفدتكم الى البلاد من الغرب حاملين معرفتكم واصراركم اليهودى . ولا تنسجيم صورتكم مع مناظر الطبيعة . انكم تجففون المستنقعات . وتقضون على الملاريا بطريقة تؤدي الى انتقال البعوض الى القرى العربية . انكم مازلتكم تتحدثون باللغة العبرية بلكنة سقيمة ولم تتعلموا حتى الآن كيف تستخدمون المحراث بطريقة سليمة . وتستخدمون بدلا من الجمل سيارة از هذا يذكر المرء بالصراع الأبدى بين الجمود والتقدم والكفاءة والصحة والتعليم . انها الصحراء ضد المدنية (٧) .

وفي الوقت نفسه ، كان وايزمان يؤمن ايمانا مطلقا بعدالة القضية الصهيونية ، وهو ايمان جوهري بصورة بدت معه القضية بديهية مثل حق الأوربيين في المطالبة بجنوب افريقيا . ويقول وايزمان : « ان أساس وجودنا كله هو قناعتنا في اقامة وطن قومي فوق أرض اسرائيل . وهو حق تملكه منذ آلاف السنين ، ومصدره وعد الرب لابراهيم ، وقد حملناه معنا في أنحاء العالم كله طوال حياة حافلة بالتقلبات » (٨) .

وكان سمطس في موقفه من اليهود ذاتهم في جنوب افريقيا قد اظهر بالفعل ميولا مشجعة . اذ كان يؤمن بأن الدفاع عن حضارة جنوب افريقيا التي كان يعتبرها في منزلة مماثلة لحضارة البيض) يتطلب وحدة البيض . وما ان شرع سمطس ورفيقه الجنرال بوتا في تكوين حزبهما المسمى بحزب Hetvalk بعد حرب البوير حتى أعلن أنه « يسمح بالانضمام اليه لجميع البيض سواء كانوا من البوير أو اليهود أو البريطانيين (٩) . ونقرا لأن وحدة البيض كانت هي السبيل الوحيد لحماية « الحضارة » فقد رفضت نزعة العداء للسامية .

وثمة تلميح بأن الألفة بين سمطس واليهود كانت انعكاسا لاحتياسه بتمائل الظروف بين اليهود والبوير ، اذ يقول ه.س. ارمسترونج أن اليهود :

كانت ظروفهم تماثل ظروف شعبه (سمطس) : فالهولنديون ينتمون الى المروج واليهود ينتمون الى الصحراء . وكانت لهم نفس الصفات المميزة ، فكلاهما شعب متعصب يتسم بالخشونة متمزمت في تدينه ، تقوم حياته على أساس دين تعلمه من كتاب واحد هو العهد القديم (١٠) .

الا أن الدفاع عن قضية الصهيونية ، التى تتمثل فى « رؤية اليهود يستعيدون مجدهم كان معناه بالضرورة الوقوف موقف المعارضة من النهضة العربية » . بصرف النظر عن العدالة ، لم يكن (سمطس) يشعر بتعاف طبيعى نحو الفرنسيين أو العرب (١٢) . وقصارى القول ، كان موقف سمطس من العرب يتسم أساسا بالعنصرية . فعلى حين أنه كان من الممكن أن يتسامح بعض الأوربيين فى موقف روما نتيكى من العربى ، فإن سمطس، شأنه فى ذلك شأن معظم أبناء جنوب افريقيا ، لم يكن يبدى مثل هذه النزعة . وقد أورد مترجم سيرته الملاحظة التالية :

« بالنسبة للعرب ، من الطبيعى تماما أنه لا يمكن أن يكون منظر العربى من البدو غريبا بالنسبة للمواطن من جنوب افريقيا بالصورة الرومانتيكية التى يبدو بها فى نظر أوربى ، لأن المواطن الذى ينتمى الى جنوب افريقيا يعرف الشعوب ذات البشرة السوداء معرفة قوية تماما ، فهى شعوب تتشابه مع العرب فى واقع الأمر وبحكم العقل لأن الدم العربى يجرى فى عروقها . فالوطني من أبناء جنوب افريقيا يحيط به طوال حياته ملايين من أبناء هذه الشعوب السوداء ، ممن يعيشون ، مثل البدو ، فى اكواخ أو يجوبون البلاد ، يتميزون بكياسة وشجاعة وشاعرية أكبر مما يسلم به ، وهم أيضا مثل البدو (ما لم تفرض عليهم الحضارة بالقوة) لا يفعلون ولا يصنعون ولا يزرعون ولا يريدون ولا يملكون شيئا .

ان سمطس يفكر بعقلية رجل أوربى أكثر مما يفكر بعقلية رجل من جنوب افريقيا - ومع ذلك فإن السود لا يمكن أن يبدوا أغرابا فى نظره (١٣) ورغم أن نزعة سمطس الثقافية والعنصرية كانت بلا شك فى صالح اليهود ، ثمة حقيقة باقية تتمثل فى وجود أسباب داخلية عميقة أيضا لتأييده للصهيونية . فقد كان حزب بوتاسمطس حزب جنوب افريقيا الذى اتخذ فيما بعد اسم الحزب المتحد - هو الحزب الذى يمثل ملاك المناجم ورجال الصناعة وأصحاب البنوك (١٤) . وكان اليهود ممثلين تمثيلا واسعا فى فئتين على الأقل من هذه الفئات . ومع أن اليهود لم يكونوا القوة الاقتصادية المهيمنة فى جنوب افريقيا ، إلا أنه من الواضح أنهم كانوا يسيطرون على صناعة معينة مثل صناعة الملابس ثم سيطروا على صناعة السينما بعد ذلك ورغم اشتغال عدد قليل من اليهود بالزراعة فإن أولئك الذين اتجهوا الى الزراعة قد استثمروا الميكنة على نطاق واسع ، فكان «ملك البطاطس» و « ملك الذرة » من اليهود (١٥) . وكانت الأغلبية الساحقة من الطائفة ، وتبلغ ٨٠٪ تقريبا ، يرجع أصلها الى ليتوانيا الأمر الذى يخلق قدرا غير عادى من التجانس (١٦) . ورغم فقرهم أصلا ، اكتشف المهاجرون اليهود -

شأنهم في ذلك شأن جميع المهاجرين البيض الى جنوب افريقيا - ان التفرقة العنصرية المطبقة في البلاد تتيح للطائفة احتلال مكانة اسمى . ويرى كثير من المراقبين ان الطائفة اليهودية في جنوب افريقيا قد اصبحت في نهاية الحرب العالمية الاولى اكثر الطوائف اليهودية في العالم ثراء على أساس فردي (١٧) . كما ان حجم الطائفة اليهودية لم يكن ، وفقا لما لاحظته الحاخام الدكتور اندريه اونجار يمثل انعكاسا حقيقيا لمكانة اليهود في حياة جنوب افريقيا .

» . . . سيكون من الخطأ الفادح التهوين من شأن الاقلية اليهودية . فتحى من الناحية العددية البحتة ، وبمقتضى قواعد الحساب العرفي المنافية للعقل والمطبقة في جنوب افريقيا ، يشكل حجم السكان اليهودى عاملا من الضرورى الاعتداد به . . . ففي مدينتى جوهانسبرج وكيب تاون الرئيسيتين يشكل اليهود عشر المواطنين « الذين يعتد بهم » ، وهم البيض (١٨) . وكانت المؤسسات اليهودية تعكس الأولويات والمصالح الصهيونية للطائفة اليهودية . فقد كان ٩٩٪ من يهود جنوب افريقيا على الأقل ينتمون الى الصهيونية (١٩) . وبوجود هذه الطائفة اليهودية الصغيرة التى تتمتع بنفوذ واسع في جنوب افريقيا والتى تلتزم بالفلسفة الصهيونية ، أدرك سمطس انه من الحكمة للسياسة ان يعتنق الرؤيا الصهيونية . وبما انه من الواضح ان الصهيونية سوف تتلاءم مع مشروعات الامبراطورية فقد كانت كل الأسباب تدعو للترحيب بها .

سمطس ووايزمان من الحرب العالمية الاولى الى الحرب العالمية الثانية . مظاهر العلاقة بينهما .

على حين ارتبطت اسماء لويد جورج ولورد بلفور ولورد ملتر زمنا طويلا بتصريح بلفور ، فان الدور الذى قام به سمطس لم ينل نفس الاهتمام رغم انه لعب دورا بارزا في ذلك القرار على حد قول الجنرال سمطس ذاته . كان الدور الذى لعبه سمطس في اصدار تصريح بلفور مثير اهتمام ليونارد شتاين مؤرخ تلك الوثيقة . وقد عقد أول اجتماع مع وايزمان ، كما اشرنا من قبل ، في يونيو ١٩١٧ وهو الشهر الذى كان احد اصداق وايزمان قد اشار عليه فيه بأنه « ينبغي علينا ان نحاول استمالة سمطس لتأييد قضيتنا (٢٠) » ، نظرا لانه سيصبح عضوا في وزارة الحرب مفضلا ذلك على قبول عرض بقيادة القوات البريطانية في فلسطين . ومع ان وايزمان قد وصف الاستقبال الودى الذى لقيه من سمطس فانه لم يذكر أية تفاصيل عما دار بينهما من حديث . وفي ٢٥ سبتمبر أعرب ساتشر الذى كان يتبادل

الرسائل مع وايزمان عن ارضيائه لان وايزمان قد « وجد لدى سمطس مثل هذا القدر من التفهم (٢١) . ومع ان شتاين توصل الى انه من العسير تقويم الدور الذي قام به سمطس فعلا في المساعدة على ضمان الموافقة على التصريح فقد اعترف بأنه ينبغي اعتباره من بين مهندسي التصريح » رغم ان مساعدته « لا تشبه المساعدات التي قدمها بلفور أو ملنر أو لويد جورج » (٢٢) .

ان للقصة الكاملة لم تعلق حتى الآن كما يقول شتاين ، لان سمطس كان « يمارس نفوذه بعيدا عن الانتظار » كما هي عادته (٢٣) وهذا « النفوذ البعيد عن الانتظار » الذي ظل يظهر بهذه الصورة الواسعة طوال الثلاثين عاما التالية هي الذي يعيننا ..

فقد استطاع سمطس ووايزمان طوال الثلاثين عاما التي اعقبت صدور تصريح بلفور ، الى حد كبير ، ان يسيطر ، أو يؤثر في سير الأحداث المؤثرة في كل من جنوب افريقيا والحركة الصهيونية على التوالي . ولم يكف سمطس بئسا عن مساندة القضية الصهيونية ، سواء كان في الحكم أو بعيدا عن الحكم وثم يتوقف عن استخدام نفوذه الواسع في لندن لصالحها . واستمر وايزمان الذي طرد من رئاسة المنطقة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية في يوليو ١٩٣١ وظل بعيدا عن أي منصب رسمي حتى ١٩٣٥ ، يرعى صداقته للجنرال سمطس . وهكذا ، عندما أدركت بريطانيا ان من العسير بصورة متزايدة الوفاء بتصريح بلفور دون تعريض مصالح الامبراطورية الأخرى للخطر . بادر سمطس بالاستجابة الى طلبات المساعدة التي قدمها وايزمان . وارتفع صوت سمطس مدافعا عن القضية الصهيونية ومطالبيا بالوفاء بوعد بلفور سواء كان ذلك عند صدور الكتاب الأبيض سنة ١٩٢٢ أو كتاب باسفيلد الأبيض سنة ١٩٣٠ أو تقرير اللجنة الملكية سنة ١٩٣٧ أو الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ .

وثناء اشتراك سمطس في المؤتمر الامبراطوري في أواخر ١٩٢٣ ظل على اتصال وثيق بوايزمان وبالمكتب المركزي للمنظمة الصهيونية وكان يبلغ بآخر التطورات الخاصة بالمناصب التي يواجهها الصهيونيون في فلسطين (٢٥) .

وفي ٢١ أكتوبر ١٩٣٠ أصدرت حكومة ماكدونالد كتاب باسفيلد الأبيض (الذي سحب فيما بعد) ، وهو وثيقة أعلنت فيها ضرورة وقف الهجرة اليهودية وشراء اليهود للأراضي الزراعية نظرا للاضطرابات التي نشبت في فلسطين . وهو الأمر الذي اعتبر بمثابة تهديد بالتنصل من تصريح بلفور وادى الى حدوث هياج داخل المنطقة الصهيونية وبناء على طلب وايزمان

أبرق سمطس الى رئيس الوزراء « يوصفه أحد المسؤولين عن تصريح بلفور » معترضا على ما اعتبره « نكوصا عن ذلك التصريح » .

« بوصفى أحد المسؤولين عن تصريح بلفور ، أشعر بقلق بسبب الموقف السياسى الراهن فى فلسطين الذى يعتبر نكوصا عن ذلك التصريح . لقد كان التصريح وعدا قاطعا للعالم اليهودى بأن سياسة اقامة وطن قومى سوف تنتهج على نحو فعال . وكان الفرض منه كسب نفوذ اليهود القوى لتأييد قضية الحلفاء فى أحلك ساعات الحرب . كما وافقت عليه الولايات المتحدة والحلفاء الآخرون وأيده اليهود تأييدا مخلصا . فلا يمكن للبريطانيين تغييره من جانب واحد لأنه يمثل الآن تعهدا يجب الوفاء به . وكانت المراسم التى اقترنت بذلك التصريح من الذبوع والشهرة بحيث يمكن أن يكون هناك عدول عن تأييده . وأود أن ألح باصرار على أن تصدر الحكومة تصريحا بأنها ستنفذ بالكامل نصوص تصريح بلفور على نحو يتسم بالاخلاص وأن سياسة الحكومة فيما يتعلق بفلسطين سوف تتغير تبعا لذلك (٢٦) .

وقد أدت البرقية المطولة التى رد بها ماكدونالد الى تسكين مخاوف سمطس الذى أعلن ردا على ذلك :

« اننى أرحب ترحيبا خاصا بتأكيدك بأن البيان الأخير لا يبلور سياسة الحكومة فيما يتعلق بالوطن القومى ، وأنه فيما يتعلق بشراء الأراضى والهجرة لا ينكر بيان الحكومة واجب اقامة وطن قومى لليهود وفقا لما طالب به تصريح بلفور » (٢٧) .

ومهد سمطس أيضا الطريق لى يجتمع وايزمان بلويد جورج فى ٢٣ أكتوبر (٢٨) .

ورغم ما أدخلته بريطانيا من تعديلات على الكتاب الأبيض الذى أصدرته ١٩٣٠ فان المؤتمر الصهيونى السابع عشر الذى عقد فى سنة ١٩٣١ لم يفتفر لوايزمان موقفه المؤيد لبريطانيا العظمى . وبعد أن فشل فى الحصول على تأييد الاغلبية انسحب من المؤتمر غاضبا وقضى السنوات الأربع التالية بعيدا عن المناصب الرسمية . وفى أواخر ١٩٣١ قرر أن يزور جنوب افريقيا للقيام بحملة لجمع التبرعات « (٢٩) . وكانت هذه الرحلة ، التى وصفها وايزمان فى سيرته الذاتية « التجربة والخطأ » والتى وصفها أيضا زوجته فى مذكراتها التى صدرت بعنوان « المستحيل يستغرق وقتا أطول » ، ذات مغزى تمثل فى أن وايزمان لم يصدر عنه أى تعليق ينتقد فيه مشكلة جنوب

أفريقيا العنصرية ، رغم ما صادفه وايزمان وزوجته خلال جولتهما الواسعة التي شملت كافة أنحاء الاتحاد ، من بؤس الأفريقيين ، على حد قول زوجته:

« لقد روعتنا حالة السكان الأفريقيين . لقد كان القطار يتوقف عند كل محطة ، فيقبل علينا أطفال عراة دائما ، ذوو بطون منتفخة بسبب الجوع، وسيقان ملتوية لاصابتهم بشلل الأطفال ولم يكن الأفريقيون يعرفون الطريق السليم لفلاحة أراضيهم ، فلم تكن مزارعهم تنمو بقدر ما كانت تنمو أسرهم . وكان جيل الشباب يضطر الى الرحيل الى المدن الكبرى سعيا وراء كسب عيشه . فأصبحت الهجرة الى المدن الكبرى مثل مدينة الكاب وديربان وجوها نسبرج إحدى المشاكل ولم يكن مسموحا للأفريقيين بارتياح الحوانيت الا من باب خلفي » (٢٠) .

وازاء هذا البؤس كانت مسز وايزمان تواسى نفسها بفكرة ان ثمة رابطة تعاطف بين الشعب اليهودى . . والسكان الآخرين الذين يسعون الى الظهور بوصفهم أمة ، وأن عددا كبيرا من أفراد الطائفة اليهودية في جنوب أفريقيا قد لعب دورا بارزا في محاولة التخفيف عن هم دونهم خطأ من أبناء البلاد ، وفي تحسين ظروفهم (٢١) . ولم تذكر أية إشارة الى ان مشكلات استرقاق الأفريقيين وسيطرة البيض التي يمارسها البوير واليهود البريطانيون تستحق مزيدا من التحليل ولم يذكر وايزمان في مذكراته شيئا عن الأفريقيين أبدا ، عدا واقعة تتمثل في أنه في الساعة الرابعة من صباح أحد الأيام أيقظهم « صبية من الكافر الذين اشتد بهم الانفعال » - وهو اصطلاح ينطوى على التحقير يستخدمه أبناء جنوب أفريقيا من البيض في الحديث عن الأفريقيين - في حديقة حيوانات كروجر قائلين ان الأسود في المنطقة المجاورة . بل ان الأغرب من ذلك هو الملاحظة التي أوردها وايزمان عن جمال الحديقة وسحرها والحياة السعيدة التي تحياها الحيوانات .

« ها هي ذى في مواطنها ، الذى تقل مساحته قليلا عن مساحة فلسطين، تنعم بالحرية ، وتقدم لها الطبيعة هباتها بسخاء . ولا تواجهها مشكلة العرب . . . ولا بد انه امر رائع ان يكون المرء حيوانا في حديقة الحيوانات بجنوب أفريقيا : فذلك افضل له كثيرا من ان يكون يهوديا في وارسو او حتى في لندن (٢٢) » .

ولم يتساءل وايزمان عما سيكون عليه الحال لو أصبح المرء حيوانا في جنوب أفريقيا ولعل أحد مفاتيح ابتعاد وايزمان الواضح عن مسألة الظلم

العنصرى مع الحاحه على « العدالة للجنس اليهودى » ، هو ما يرويه ريتشارد كورسمان الذى كان أحد المعجبين الانجليز بوايزمان فى فترة سابقة :

« لقد قيل ان رفض وايزمان وضع نظريات أمر تعلمه من بريطانيا . وليس ثمة دليل يؤكد هذا الرأى ، مثلما لا يوجد دليل يؤكد هذا الرأى ، مثلما لا يوجد دليل » على أنه تعلم شيئا من الديمقراطية البريطانية ، فعندما كنت أطلع على سجلات راحبوت طلبت الاطلاع على أى مرجع عن محاضرات وايزمان سواء فى السياسة البريطانية أو فى الظروف الاجتماعية فى لاكشاير حيث عاش سنوات طويلة . وقد عثروا على رسالة واحدة فقط يصف فيها لزوجته نظرة البؤس الشديد التى تبدو فى عيون العمال وهم يدخلون المصنع ولا شئ غير ذلك . فلما علمت بذلك لم يسعنى سوى ان أقارن بين تركيز وايزمان على منحه شعبه اليهودى وموقف أجنبى آخر عاش سنوات طويلة فى مانشستر ، وهو فريدريك انجلز . وقد جاء انجلز الى مانشستر بوصفه صاحب مصنع للقطن . ولكنه فى تعاونه مع كارل ماركس شغل نفسه بصورة متحمسة بحالة العمال . وكما نعرف جميعا ، فان تحليل ماركس - انجلز للصراع الطبقي تم التوصل اليه بلغة لاكشاير بينما كان وايزمان يتمتع بذكاء حاد ، وعندما كان يتعامل مع شعبه كان يهتم بالظروف الاجتماعية والسياسات الاجتماعية وحدها .

ولكنه ، على عكس ماركس وانجلز ، لم يتأثر بحالة العمال اذ لم تكن المشكلة تعنيه . وكان ماركس وانجلز يؤمنان بوحدة الطبقة العاملة بسبب نزعتها الدولية . على حين كان وايزمان وطنيا يهوديا يؤمن بأن العامل اليهودى فى المنفى يعيش فى عزلة عمن حوله بحكم أصله اليهودى . وذلك هو السبب الذى جعل وايزمان يسلك طوال اقامته فى بريطانيا سلوك شخص غريب ويرفض على الدوام التدخل أو حتى الاهتمام بالسياسة الداخلية البريطانية الا بقدر ما كانت تؤثر فى المسألة الفلسطينية . فقد كان الالتزام الوحيد الذى يشعر به هو حث رجال السياسة البريطانية فى جميع الاحزاب على مناصرة وتأييد القضية اليهودية (٣٣) .

وبالمثل ، كان الالتزام الوحيد الذى يشعر به وايزمان ازاء جنوب افريقيا هو المحافظة على التأييد اليهودى للقضية الصهيونية وضمان تأييد رجل الدولة ذى الشهرة الواسعة ، الجنرال سمطس .

وتعكس مراسلات سمطس - وايزمان ، فيما بين ١٩٣٧ ، ١٩٣٩ الى حد بعيد علاقة وايزمان بمشروع التقسيم الذي قدمته لجنة بيل والجهود التي بذلها سمطس للحيلولة دون اقرار هذا المشروع .

فعندما اعد تقرير وود هيد الذي كان الغرض منه وضع خطط لتنفيذ مقترحات لجنة بيل صرح سمطس بأن لندن قد زودته بالفعل بنسخة من الوثيقة التي كانت ما تزال سرية (وهو امر ينطوى على تقدير غير بسيط لنفوذه في دوائر الحكومة البريطانية) ، وعلق بقوله :

« وهكذا تبقى المسألة الاخطر ، وهي استيطان فلسطين . فلقد تلقيت منذ اكثر من اسبوع نسخة اصلية من تقرير وود هيد قمت بدراستها دراسة دقيقة تماما . وعندما تتسلم هذه الرسالة ستكون قد عرفت الحقائق كلها ، ومن ثم فأننى لا اذيع سرا بافضائي اليك في الحال بانطباعى عن التقرير .

لقد كان من رأى ان تقرير اللجنة الملكية (لجنة بيل) الاصلى لا يمكن قبوله لعدد من الأسباب . وأستطيع أن ادرك أنه لم يكن في مقدورك الا أن تفكر في دراسته بدافع من ضغط الظروف القاسية . الا أن تقرير وود هيد يجعل قبول اليهود للتقسيم امرا اكثر صعوبة أيضا . ومما لا شك فيه أنه يعد من وجهة النظر البريطانية المخضة تطورا لتقرير اللجنة الملكية اذ أنه يتيح لسلطات الانتداب مجالا أوسع للحركة لاعتبارات استراتيجية ويتحاشى بعض الاخطار الكامنة من وجهة نظر عسكرية وجدية تبينتها على الفور في التقرير الاصلى . أما من وجهة النظر اليهودية ، فان المساحة المقترحة الآن للدولة اليهودية ضيقة وضئيلة جدا الى حد يجعل المرء يرتاب في كونه يجدر به أن يقبل فأرا صغيرا تمخض عنه الجبل (٢٤) » .

ورغم ما كان ينطوى عليه التقرير من مغزى غير مقبول ، فقد بدا أن سمطس كان على ثقة من أن التقرير لن ينفذ :

« ان انطباعى عموما هو أن لجنة وود هيد تعارض التقسيم ولا تعتزم فعلا أن توصى بتنفيذه . وفي ظل هذه الظروف ، فأننى أترقب بشيء من الفضول البيان السياسى الذى ستعلنه الحكومة لأننى أشك الآن فيما اذا كانت ستمضى قدما في مشروع التقسيم . ولكننى أقول هذا دون أى أساس استند اليه فيما عدا انطباعاتى الشخصية عن التقرير . ومن ثم

فان السؤال الذى يوجهه الآن هو : ما هى السياسة المقبلة التى سيتم وضعها (٣٥) .

وفى ختام رسالته أعرب سمطس عن اغتباطه بأن « اليهود الأمريكبين قد اتخذوا موقفا حازما بالنسبة للمسألة . فربما استطعت تحقيق النصر بتأييدهم القوى (٣٦) » . وربما كان ذلك ادراكا منه بأن مركز القوة الحقيقى وراء المشروع الصهيونى سوف ينتقل قريبا من لندن الى نيويورك .

وبدخول بريطانيا الحرب العالمية الثانية فى ٣ سبتمبر ١٩٣٩ اتخذ الموقف فيما يتعلق بفلسطين أبعادا جديدة . فبالرغم من أن وايزمان كان قد أبرق قبل ذلك الى سمطس معبرا عن قلقه من أن تتنكر بريطانيا لفكرة الوطن القومى اليهودى باتخاذ سياسة صارمة فيما يتعلق بالهجرة ، فانه أشار ايضا الى موضوع جديد وهو أن التفكير للتعهدات القانونية لليهود سوف يكون أخطر ضربة أدبية توجه الى هذه البلاد (أى بريطانيا) فى الولايات المتحدة (٣٧) .

وطوال بقية سنوات الحرب كانت قيود الهجرة التى فرضها الكتاب الابيض الصادر سنة ١٩٣٩ ومسألة انشاء جيش يهودى وتهريب اليهود للأسلحة والذخيرة واندلاع أعمال الارهاب اليهودى ضد الإدارة والقوات المسلحة البريطانية فى فلسطين هى الموضوعات الرئيسية التى تناولتها المراسلات بين وايزمان وسمطس (٣٨) .

وانعكس التصميم الصهيونى على مقاومة التقسيم (٣٩) الذى اقترح بصورة رسمية على وايزمان فى ٤ نوفمبر ١٩٤٤ (٤٠) فى مراسلات وايزمان فترة طويلة من الزمن . ففى شهر سبتمبر أبرق وايزمان معبرا عن قلقه ازاء ما تردد من شائعات عن قرارات على وشك أن تصدر ومن المحتمل أن تؤثر فى الموقف ، وحث سمطس على ان يرد على مذكرته المؤرخة فى ١٤ يونيو والتى رفض فيها التقسيم (٤١) . وفى ١٤ نوفمبر ١٩٤٤ أبلغ رد سمطس على هذه البرقية وعلى مذكرة مؤرخة فى ٦ أكتوبر ١٩٤٤ . الا أن سمطس كان قد أخطر بلا ريب فى هذه الفترة باقتراح تشرشل الخاص بالتقسيم واعتبره أمرا محتوما :

« على الرغم من حجتك المفحمة المطالبة بفلسطين كلها بلا تقسيم ، فأننى أخشى من أنه سيكون هناك تقسيم وأنه لابد من وقوعه . لقد ضاعت فرص كثيرة جدا منذ سنة ١٩١٩ فى تنفيذ تصريح بلفور روحا ومعنى . وربما كان الفشل الاساسى راجعا الى تحديد الهجرة فى السنوات الاولى

في الوقت الذي كان من الممكن فيه انتهاج سياسة قسوية فيما يتعلق بالهجرة . ولو كان السكان اليهود في فلسطين يشكلون في الوقت الراهن الاغلبية لكان من الممكن وضع حل بعيد الاثر . والآن ، فانه مع وجود اغلبية عربية ، وهياج العالم العربي وخوف السياسة البريطانية من اثاره عداء العرب والمسلمين فان افضل ما يمكن ان يقبله المرء هو تقسيم سيحقق عدالة كبيرة لليهود وقيم دولة يهودية قادرة على البقاء . فلقد ازدادت الظروف سوءا بسبب الاغتيال الجنوني الذي راح ضحيته موين المسكين ، ولحق بالقضية اليهودية ضرر بالغ بسبب كارثة مشثومة في لحظة حرجية . وتلك احدى ضربات الحظ العائر التي كان لا بد لك من ان تحملها . اننى لست ملما تماما بالمقترحات البريطانية الراهنة دائما اتحدث فقط عما توفر لى من معرفة بالموقف وفقا لما كان سائدا منذ ستة شهور (٤٢) .

وفي اوائل سنة ١٩٤٥ تلقى سمطس مذكرة سرية من وايزمان عن زيارة قام بها الاخير لفلسطين في شهر نوفمبر من العام السابق . وفي هذه الوثيقة الملفتة للنظر والتي كان عنوانها « تغيرات في وجهة نظر يهود فلسطين منذ عام ١٩٣٩ وبواعثها » نقل وايزمان الى سمطس عددا من الافكار كان القصد منها بلا شك ان تبلغ اسماع البريطانيين والامريكيين . ففيما يتعلق باليشوف « سكان فلسطين من اليهود » أكد وايزمان انه خلال غيبته التي امتدت خمس سنوات ونصفا ، حدث تدهور في العلاقات اليهودية البريطانية ، وقال وايزمان « ولكننى اكتشفت بسرعة ان هذا التدهور لم يصبح ، عتى الآن ، خطيرا على اى حال من جانب اليهود . ويرى اليشوف ان اؤيد الارتباط ببريطانيا ، ولم يسبق لى ان استقبلت مثل هذا الاستقبال . . . » وبعد هذا التأكيد الجديد لزعامته وارتباطه ببريطانيا استطرد وايزمان منددا بما قدم من تنازلات او وعود للعرب في سوريا ولبنان وليبيا « دون أية شروط تتعلق بنا » وباختصار ، فان وجهة النظر الصهيونية هي انه ينبغي الا تقدم تنازلات للقومية العربية « المتطرفة » دون موافقة العرب على قيام دولة يهودية غير مقسمة في فلسطين كلها . وأعلن وايزمان انه « لو أن الامبراطورية البريطانية والولايات المتحدة رسما سياستهما فيما يتعلق بقيام دولة يهودية على أساس انه قرار لا يقبل المناقشة ، فاننى اعتقد ان ابن سعود والاخرين سوف يدعون » .

وبالإضافة الى النصيحة التي قدمها فيما يتعلق بحمل العرب على الاذعان قسرا ، مضى وايزمان الى ابعاد من ذلك ولمح الى عنصر آخر في

المنهج الصهيوني لا يكاد يتفق مع السباق وهو أنه لا يمكن أبدا اندماج اليهود حتى في دول الغرب الليبرالية . فهل كان هذا تخديرا للغرب أم تنبؤا بكارثة تنزل بالقضية الصهيونية إذا ما حدث ذلك الاندماج ، ومهما كان الأمر فإن وائزمان أوضح أن الهجرة اليهودية ضرورة . وبين أنه إذا لم يسمح لهم بدخول فلسطين « فقد يضطرون إلى اتخاذ اتجاه مختلف » . وأكد وائزمان ، فضلا عن ذلك أنه « ما لم تفتح أبواب فلسطين فإن الضغط سوف يتجه إلى الولايات المتحدة والامبراطورية البريطانية حيث لكل يهودى أوربى تقريبا أقارب أو أصدقاء واختتم وائزمان مذكرته بقوله :

« أن المشكلة اليهودية في نهاية المطاف هي مشكلة لهاتين الدولتين العظميين اللتين ستضمنان إلى حد بعيد ، بعد الحرب ، ما يزيد على نصف يهود العالم . فما لم تدخلا ، عن طريق إقامة دولة يهودية في فلسطين ، عنصرا ظل غائبا طوال ألفى عام فإنهما ستعرضان لخطر الدمار بفعل المسألة اليهودية كما تعرض غيرهما من قبل (٤٣) .

وفي هذا الصدد ، يزداد وضوح ما سبق أن أعرب عنه وائزمان من أنه لا بد من القيام بأى شيء وكل شيء لاتقاذ يهود أوروبا ، مهما كلف الأمر ، فيما عدا التضحية بالصهيونية ذاتها . فقد كان تصميم الصهيونية على عدم الإلحاح على الهجرة بأعداد كبيرة إلى الولايات المتحدة وبريطانيا هو ، على وجه التحديد ، الذى يمد وائزمان بمزيد من القدرة على المساومة مع « الديمقراطيات الغربية » . أما الآن فإن وائزمان سيثير شبحا حقيقيا ، إذا لزم الأمر ، لكى يضمن طوفانا من اليهود يدق أبواب فلسطين .

بعد انتهاء الحرب عرضت مسألتا مصير اللاجئين اليهود ومستقبل فلسطين على بساط البحث مرة أخرى . وفي سنة ١٩٤٦ استجاب سمطس لطلب قدمه وائزمان فيما يتعلق بلجنة التحقيق الانجلو امريكية التى شكلت مؤخرا والتى كان وائزمان يتوقع أن تصدر توصية بالفناء الوكالة اليهودية وتأسيس حكومة فلسطينية (أى أغلبية عربية) تقوم بعدئذ بتنظيم الهجرة اليهودية . وفي هذه الظرف طلب وائزمان من سمطس أن يستخدم مرة أخرى « مساعدته القوية لمصلحة الصهيونية . فلسطين (٤٤) » . فقد كانت مساعدة سمطس ضرورية ، بصفة خاصة ، للحصول فوراً من الحكومة البريطانية على تراخيص لمائة ألف مهاجر يهودى . وقال وائزمان أنه إذا تم الحصول على هذه التراخيص .

« فإن ذلك سوف يخفف إلى حد ما من حدة وضع اليهود في أوروبا ، وسوف يكون من الممكن حينذاك بحث المسائل الأوسع نطاقا والمتعلقة

بالمشكلة الفلسطينية كلها والتي اعتقد أنها ترتبط بمستقبل الشرق الأوسط ومركز بريطانيا ومصالحها فيه ، واعتقد أنك قد شاركتنا دائما في وجهة نظرنا التي تتمثل في أن كون فلسطين يهودية أكثر ضمانا من جميع الحصون المتاحة للنفوذ البريطاني في الشرق الأوسط (٤٥) .

وأعلن وايزمان أنه ما أن يتم استئناف الهجرة على نطاق واسع فإنه من المتوقع عندئذ أن تتلاشى ظاهرة الارهاب وأن يتوطد من جديد التعاون مع بريطانيا الذي كان دائما الأساس الراسخ لسياستنا (٤٦) . وفي ختام رسالته لجأ وايزمان الى مناشدة سمطس شعوره بالولاء للأفريكان وللمصالح اليهودية البريطانية المشتركة :

« اننى اناشدك بوصفك واحدا من اقدم أصدقائنا - واحدا من الفلافل الذين بقوا لنا من مجموعة الساسة العظام الذين ندين لهم بسياسة الوطن القومى . انك تعلم ما الذى يتعرض للخطر فى الاسابيع الحرجة المقبلة . فهل لى أن اناشدك ان تقدم عونك القوى لشعب آخر فى حاجة ماسة لهذا العون - شعب صغير كشعبك وعريق وابى مثل شعبك ؟ لقد حان الوقت الذى يستطيع فيه أصدقائنا أن يهبوا لنجدتنا اذا شاءوا . لقد بذلنا ما نستطيع ان نبذله ، ومصيرنا الآن فى يد انجلترا وأمريكا (٤٧)

ورغم ان سمطس لم يرد على هذه الرسالة لعدة أسابيع الا أنه قدم على الفور بيانا مستفيضا الى لجنة التحقيق الانجلو الأمريكية « بوصفه العضو الوحيد الباقي على قيد الحياة من وزارة الحرب فى الحرب الماضية ، واحد الذين قاموا بدور فعال فى سنة ١٩١٧ فى تخطيط تصريح بلغور (٤٨) » . واثبت سمطس فى بيانه ان التصريح لم يقصد به أن يكون « مجرد وسيلة مؤقتة للتخلص من متاعب راهنة » وانما كان القصد منه أن يكون « اعلانا لسياسة طويلة المدى بالنسبة للمستقبل » . وهكذا قال سمطس :

« ان الكتاب الابيض الصادر عام ١٩٣٩ الذى يفهم منه ظاهريا أنه يحدد سياسة الهجرة فى ظل الانتداب ، بأمد من السنين وبالتحديد الاعداد ، كان مجرد عمل منفرد من جانب الحكومة البريطانية وحدها يتعارض - كما يبدو اى - مع الطابع الحقيقى للانتداب . ولا اظن انه يمكن استخدامه كحجة فى تفسير التصريح أو الانتداب . وكل ما أرغب فى تأكيدده فى هذا البيان هو أن تصريح بلغور - الذى أصدرته الحكومة البريطانية

ووافقت عليه الحكومتان الأمريكية والفرنسية ، وصدق عليه بعد ذلك بصورة تتوافر فيها الشروط القانونية في تفويض الانتداب الذي وافق عليه أعضاء عصبة الأمم - هو وثيقة تتوافر فيها كل الشروط القانونية كما أنها مقدسة الى ابد حد ، وتجسد سياسة طويلة الأمد للهجرة اليهودية الى فلسطين ، وأنه ينبغي معاملتها باحترام في حد ذاتها ، كما أن الحقوق الجوهرية التي كفلتها هذه الوثيقة للشعب اليهودي ينبغي عدم اختصارها أو العبث بها أكثر مما هو ضروري تماما ، بموجب كافة ظروف القضية (٤٩) » .

واستطاع سمطس في ٩ يونيو أن يرد شخصيا على رسالة وايزمان المؤرخة في ١٤ أبريل . وكان تأخره في الرد يرجع ببساطة الى انه « لم يحدث شيء لم تعلم به » . وقال سمطس في رده : « وحتى تفرغ الحكومتان من المناقشات الدائرة الآن بينهما ، لا يوجد في الحقيقة شيء يمكن ابلاغه لك (٥٠) » . بيد ان سمطس كان مقتنعا بأن بريطانيا لن تقدم على أي امر بدون مساندة امريكا وان المستقبل القريب سوف يظهر « كون امريكا على استعداد لتقديم مساندتها ، والى أي مدى ستساند بريطانيا » . وتنبأ على نحو دقيق بأن « الدلائل الأمريكية كانت مؤيدة بوجه عام » للقضية الصهيونية ووعد بأن يتصل بوايزمان عند عودته الى لندن (٥١) . وبعد أن غادر رئيس جنوب افريقيا لندن اعترف له وايزمان بقوله : « لا أكاد أستطيع ان أعبر لك عن مدى افتقاري لتوجيهك ونضحك في هذه الاوقات العصيبة للغاية (٥٢) » .

قيام اسرائيل :

عقب قرار بريطانيا بعرض المسألة الفلسطينية على الأمم المتحدة ، لم تكن اللجنة الخاصة بفلسطين التابعة للأمم المتحدة ، والتي اخبرت من أحد عشرة دولة من الدول التي تعتبر « محايدة » بالنسبة للمسألة الفلسطينية وهي : استراليا وكندا وتشيكوسلوفاكيا وجواتيمالا والهند وايران وهولندا وبيرو والسويد وأورجواي ويوغوسلافيا ، الا عامل تشجيع للصهيونيين . فقد كان ضمن هؤلاء « المحايدون » انصار اوفياء للصهيونية مثل جورج جارسيا جرانادوس ممثل جواتيمالا وانريك رودريجز فابريجات ممثل أورجواي وقد أدلى وايزمان بشهادته أمام هذه اللجنة بمدينة القدس خلال جلساتها التي امتدت من ١٦ يونيو الى ٢٤ يوليو . واستشهد خلال شهادته بجزء من إحدى رسائل سمطس باعتبارها تعليقا على معاناة

اليهود بقلم « أحد الباقيين على قيد الحياة من السياسة الذين قاموا بصياغة تصريح بلفور (٥٣) ». وفي أول سبتمبر اقترحت اللجنة الخاصة بفلسطين التابعة للأمم المتحدة على الجمعية العامة تقسيم فلسطين وأوصت بإقامة دولة يهودية .

وبعد وصول وايزمان الى نيويورك في شهر أكتوبر أخطر سمطس بأن الموقف يبدو مواتيا :

« ان النقطة الأساسية هي الموقف الايجابي الذي تتخذه كل من أمريكا وروسيا على السواء . ومما يكاد يكون بمثابة معجزة ان تتفق هاتان الدولتان في موقفهما من مشكلتنا . ويبدو ان تقرير أغلبية اللجنة الخاصة بفلسطين التابعة للأمم المتحدة يلقي قدرا كبيرا من التأييد . وربما اجريت بعض التعديلات الطفيفة هنا وهناك ، ولكنه يبدو ، بوجه عام ، أساسا ممتازا للمناقشة (٥٤) » .

وبعد ان أصبحت الأمم المتحدة بؤرة النشاط استطاع سمطس ان يقدم يد المساعدة لوايزمان بوسائل أخرى غير ظاهرة عن طريق وفد جنوب افريقيا في الأمم المتحدة . وأعرب وايزمان لسمطس عن عرفانه بالجميل لانه هيا له الاتصال بوفدكم هنا الذي التقيت به مرتين والذي بحثنا معه كافة التفاصيل المختلفة . ان مستر لورانس وزملاءه رجال يتميزون بعمق التفكير والتعاطف وكانوا يصفون بانتباه شديد لكل ما كان على ان أذكره لهم (٥٥) » .

وقد أوضح سمطس لوايزمان انه قد ايد تقسيم فلسطين في خطاب القاه امام برلمان جنوب افريقيا في شهر مايو ، بل ان رئيس وزراء جنوب افريقيا تحدث قبل هذا البيان عن تأييد بلاده لعقد دورة خاصة للأمم المتحدة لبحث المسألة الفلسطينية . وأعلن سمطس في رده على سؤال وجه اليه في منتصف شهر ابريل :

« لقد كنت شخصا انظر بارتباب شديد الى ذلك الكتاب الابيض الصادر سنة ١٩٣٩ . وأظن ان الحكومة البريطانية كانت ترتاب فيه . واعتقد في الحقيقة انه قد سحب عمليا ، وانه معلق مؤقتا الى حد بعيد . . . ان الشعب اليهودي قد دفع الى اليأس . واننى أنظر الى المجرمين من بين صفوفه نظرتى الى أشخاص استبد بهم اليأس والتهور فعلا ، ودفعهم

الى الجنون ما عاثاه جنسهم من عذاب وما تعرضوا من احباط مستمر ،
واننى لارجو ان يتحقق للشعب اليهودى ذلك الحل بواسطة الامم
المتحدة (٥٦) » .

وفى تلك الفترة ذاتها كشف سمطس كيف ان التأييد على المبدأ
للصهيونية عن طريق انتهاج سياسات للهجرة تنطوى صراحة على التمييز
العنصرى ، هو أمر فى غير مصلحة اليهود . اذ قال الجنرال ردا على طلب
قدم فى المجلس التشريعى يقضى بضرورة السماح بهجرة المشردين من
اوربا ، بما فيهم اليهود ، للحيلولة دون دخول المهاجرين القادمين من
الهند والصين واليابان الى البلاد انه :

« فيما يتصل بالاقترح السابق الذى قدمه مستر كنتريدج فال
مستر سمطس انه لن يكون حلا للمشكلة اليهودية . لان تدفق اليهود
بصورة لا تحتملها البلاد لن يؤدى الا الى خلق نزعة عداة للسامية . وكان
دائما يؤمن بهذا الراى . وسوف تسهم جنوب افريقيا بدورها بالمساعدة
على التوصل الى حل يتمثل فى رايه فى تأسيس وطن قومى يهودى فى
فلسطين (٥٧) » .

ولم يعترض النائب اليهودى ، الذى تحدث بعد الدكتور فريدمان
عضو الحزب الذى يرأسه سمطس ، على منطق رئيس الوزراء . واعرب
بدلا من ذلك عن تقديره لما ذكره سمطس عن فلسطين . وقد لخصت
المناقشة القصيرة بايجاز دقيق الحقيقة التى تتمثل فى أن الصهيونية
ومعاداة السامية ، فى جنوب افريقيا كما فى بقية دول الغرب الليبرالية ،
تعتمد كل منهما على الأخرى بصورة متبادلة وان جنوب افريقيا التى
لا تفوقها اية دولة أخرى فى تأييدها للصهيونية من الناحية الفردية يمكنها
مع ذلك ان تستوعب سياسات العداة للسامية فتصبح بذلك أكثر
وضوحا . وهكذا ، على حين كان سمطس يعترض على انتهاج اية سياسة
عامة للهجرة اليهودية كان يستطيع ايضا أن يهنيء المواطنين اليهود
لقيامهم « بدور رئيسى ، منذ البداية ، فى اقامة أعظم مركز للسكان
الأوربيين فى الاتحاد (٥٨) » .

ولقد كان للعلاقة المالية الوثيقة بين يهود جنوب افريقيا والمشروع
الصهيونى فى فلسطين على مر السنين فائدتها فى ابراز الدور الخاص
لللغاية الذى لعبته رءوس الأموال المتدفقة من جنوب افريقيا فى مشروع

المستعمرات اليهودية .. وقد استطاع سيطرس عن طريق الاعتراف بهذه العلاقة وتشجيع استعمارها ان يربط مصيره السياسي بالطائفة اليهودية بطريقة تتفق تماما مع تأييده التقليدى لأقوى المصالح الرأسمالية في البلاد .

ولقد مولت الأموال اليهودية شركة جنوب افريقيا للمشروعات الفلسطينية (بينيان) التى لم تكن مجرد وسيلة لتأييد جنوب افريقيا للجهود الصهيونية فحسب وانما كانت عملا تجاريا مضمونا أيضا (٥٩) . وعلى حد قول مستر برنارد ألكسندر ، أحد زعماء الصهيونيين في جنوب افريقيا « لقد كانت الصهيونية في نشاطها المعبر عنه بلغة المساعدة العملية هي أبرز خصائصها » يقصد الطائفة اليهودية في جنوب افريقيا « رغم ان « الوضع المادى المزدهر ليهود جنوب افريقيا كان يسر لهم اطلاق العنان لهذه النزعة (٦٠) » .

وقال الكسندر أن « النشاط العملى » لصهيونى جنوب افريقيا قد دخل مؤخرا مجالا جديدا ذا أهمية حيوية . وشرح ذلك بأنه في خلال الخمسة عشر عاما أو العشرين عاما الماضية بدأت شبه هجرة صهيونية من جنوب افريقيا . وعلى الرغم من أن عدد مواطنى جنوب افريقيا السابقين في فلسطين كان ضئيلا في سنة ١٩٤٧ إلا أنه كان ملموسا كما كان آخذا في الازدياد بصورة مطردة رغم كل العقبات التى كانوا يلاقونها في دخول فلسطين . وكانت المستعمرات في كافة أنحاء فلسطين تضم روادا من جنوب افريقيا فكان يوجد جنود سابقون في أقصى الشمال ، وشبان في منظمة الحارس الفتى في النقب وقادة شباب سابقون في الحولة مستعمرة ايميك زيبولون وتلال الخليل وكان مهاجرو جنوب افريقيا منتشرين هنا وهناك يديرون مزارع خاصة ، وفي المدن كان هناك عدد كبير من رجال الأعمال ومن المهنيين كما كانت هناك نساء يزاولن الأعمال التجارية والمهنية أيضا ، وكان الجميع يقومون بعمل رائد ويدعمون في الوقت نفسه الرابطة بين جنوب افريقيا و « ارض اسرائيل » . وفي الوقت نفسه كانت شركات جنوب افريقيا العديدة والنشطة تمارس « صهيونية عملية » حقيقية تماما وذلك بإقامة وصيانة مشروعات انتاجية أعدت لدعم التنمية الاقتصادية في فلسطين ولتوسيع مجال الاستيطان والاستيعاب ..

أما بالنسبة للأفراد في جنوب أفريقيا ممن كانوا يستثمرون أموالهم في فلسطين ، فقد كان عددهم كبيرا على حد قول الكسندر . وقد تجلّى الدور الهام الذى لعبه الصهيونيون من أبناء جنوب أفريقيا ، بصورة فردية أو جماعية ، في بناء فلسطين في العدد الكبير من « المؤسسات » التى خلّدت أسماء شخصيات من جنوب أفريقيا أو التى عرف أنها تدين بوجودها ، كليا أو جزئيا ، لأعمال خيرية مصدرها جنوب أفريقيا . وقد كانت القائمة طويلة ومؤثرة . ومع ذلك ، فقد بقيت حقيقة تتمثل في أن العمل الأساسى من أجل فلسطين بين طائفة تضم نيفا ومائة ألف نسمة يعيشون على بعد آلاف الأميال من « أرض إسرائيل » سوف يستمر ليأخذ شكل مساعدات مالية لأعمال بناء الوطن القومى . والواقع أن نمو مزيد من الصلات الشخصية والمباشرة مع فلسطين قد صاحبه دعم متزايد على الدوام لمثل هذه المشروعات .

وأكد الكسندر أن النتائج كانت مؤثرة للغاية خلال سنوات الحرب وما بعد الحرب بصفة خاصة من حيث حجمها ومن حيث مداها على السواء ، وأنها لم تشمل مجالات الانشاءات اليهودية الأساسية فحسب وإنما شملت موضوعات ثقافية وأعمال انقاذ وموضوعات خيرية ذات طبيعة متباينة . إلا أن صهيونى جنوب أفريقيا كانوا قد توصلوا فيما مضى الى نتيجة مؤداها أن الأساليب « العادية » غير كافية بصورة لا أمل فيها وأنه لى ينجح الشعب اليهودى فى الفوز بالأرض ، وفى الوقت المناسب ينبغى أن تتوافر له موارد سائلة أضخم حجما . وأن معنى هذا فيما يتعلق بيهود جنوب أفريقيا القيام بحملات خاصة علاوة على الوسائل العادية لجمع الأموال . والواقع أن اخلاص يهود جنوب أفريقيا للصهيونية ، الذى ظهر من خلال الارتباطات المالية المتزايدة على الدوام ، هو الذى أكد بصورة لا ريب فيها استمرار الصداقة بين سمطس ووايزمان ، كما أنه خدّم الاثنى بصورة ملائمة تماما . وفى غضون ذلك ، كان القلق يستبد بوايزمان الذى كان يخشى أن ينقلب استياء بريطانيا بسبب التطورات الأخيرة فى فلسطين الى معارضة صريحة لقيام دولة يهودية . ورغم ادراك وايزمان أن بريطانيا لم تعد عاملا رئيسيا مؤثرا فى المسألة الفلسطينية فانه ، فى ١٥ نوفمبر ، ومع اقتراب تصويت الجمعية العامة على تقرير اللجنة الخاصة بفلسطين التابعة للأمم المتحدة ، سأل الجنرال سمطس الذى كان فى لندن فى ذلك الوقت : « عما اذا كان فى استطاعتك ، بما لك من نفوذ عظيم ، أن تعمل فى آخر لحظة على تحقيق تغير فى موقف وزارة الخارجية البريطانية .. » (٦١) .

وبعد ذلك بأيام قليلة تلقى سمطس مرة أخرى نداء عاجلا آخر :

« ان موقف الوفد البريطاني هنا يشير القلق وقد يهدد نجاح كل جهودنا .
فهل تستطيع استخدام نفوذك الكبير في اقناعهم بأن تكون علاقتهم أكثر ودا
في اللحظة الأخيرة الحرجة ؟ شكرا جزيلا » (٢١) .

وفي ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، أصبح تقسيم فلسطين الى دولة يهودية
ودولة عربية سياسة معلنة للأمم المتحدة بعد مفاوضات سرية لا مثيل لها
وارهاب سياسي صريح (٢٢) . وفي اليوم السابق على تحقيق النصر
الصهيوني أكد سمطس لاحد المسئولين بالوكالة اليهودية في لندن :

« لقد أصدرت تعليمات الى وفدنا بالامم المتحدة بأن يعمل على
تأييدكم وأن يظل على اتصال وثيق بالدكتور وايزمان . وقد ناقشت
ايضا على أعلى مستوى المسائل التي اشرنا اليها منذ عدة ايام ، واثني
مفعم بالامل في تحقيق نتائج طيبة (٢٤) » .

وبانتصار الصهيونية كان سمطس من أوائل الذين قدم اليهم وايزمان
شكره بسبب تأييده الذي لم يفتر . وبعد عودة رئيس الوزراء الى
بريتوريا بادر بكتابة رسالة شخصية يرد بها على وايزمان :

« عزيزي وايزمان

لقد تأثرت تأثرا عميقا ببرقيتك الرقيقة التي أرسلتها من نيويورك
على اثر صدور قرار التقسيم . وقد تلقيت البرقية وانا في روما في طريق
عودتي الى جنوب افريقيا ، ولم تتح لي فرصة قبل الآن لكي اعرب لك
عن شكري على برقية اقدرها تقديرا عميقا . ولقد كانت خدماتي للقضية
متواضعة ولكنها كانت صادقة دائما وفي كل الظروف . .

ولقد ناقشت مع كبار رجال الحكومة البريطانية الحاجة الى نهاية
مناسبة لا تلقى بفلسطين في أحضان الفوضى ولا بد من أن تكون نهاية
منظمة وسليمة لفصل عظيم من التاريخ . وأمل ان تلقى هذه المناشدة
استجابة طيبة ، فلقد وقفت بريطانيا العظمى موقف الصديق رغم أنها
كانت في بعض الاحيان صديقا يصعب التعامل معه . ولا بد لها من
الاحتفاظ بصداقة اليهود في الفصل الصعب المقبل . والامل معقود على
الا يقع شيء من شأنه ان يعرض تلك الصداقة للخطر (٢٥) » .

ويتصاعد العنف في فلسطين في اعقاب صدور قرار التقسيم تراجعت
الولايات المتحدة عن فرض التقسيم بالقوة . وبدلا من ذلك ، بدا ان

الولايات المتحدة ترى في ٢٤ فبراير ١٩٤٨ أن مجلس الأمن لا يمكنه فرض التقسيم بالقوة وحثت على اتخاذ ترتيبات لفرض وصاية على فلسطين ونظروا لأن الصهيونيين تأثروا بما اعتبروه تهديدا للتقسيم فقد اتخذت كل وسيلة بما في ذلك تنظيم « مؤتمر طارئ » لانقاذ الأمم المتحدة بتأييد قرار فلسطين (١٦) . واستدعى وايزمان لكي يعود من فلسطين الى نيويورك في منتصف فبراير للمساعدة في « الأزمة الأخذة في التجمع (١٧) » .

وفي ٢٤ مارس ارسل وايزمان برقية عاجلة الى سمطس :

« اننى اتوق الى لفت نظرك الى ان بيان ايفات فيما يتعلق بالتقسيم سوف يكون سائغا للغاية اذا استطعت تأييد التقسيم في هذه اللحظة الحرجة ، بسبب تغير السياسة الامريكية (١٨) .

بيد ان سمطس كان مقتنعا بأن الولايات المتحدة لا تعتزم اعتراض سبيل التقسيم وانما ترغب فقط في منع قيام فراغ في السلطة الحكومية بعد الانسحاب البريطانى الذى تقرر ان يتم في ١٥ مايو ١٩٤٨ (١٩) .

وفي ٢١ ابريل ابرق وايزمان الى سمطس يطلب منه المساعدة :

« لقد وصلنا الى نقطة حاسمة في المداولات . ان موقف نيوزيلنده واستراليا يطالب باخلاص لقرار الجمعية العامة ، وادت مقاومة العدوان الى رفع معنويات وتقوية آمال جميع الموجودين هنا . وسوف يكون موقف جنوب افريقيا المماثل والمتفق مع تقاليده الطويلة اعظم عون (٢٠) .

ورد سمطس على هذا الطلب ببرقية بعث بها عن طريق وفد جنوب افريقيا في الأمم المتحدة .

« ان وفدنا لديه تعليمات بمواصلة تأييد التقسيم والالاحاح على عقد هدنة خاصة في القدس اذا لم يمكن عقد هدنة عامة (٢١) » .

وفي ١٥ مايو ١٩٤٨ انسحبت بريطانيا ، حسب وعدها من فلسطين واعلن رسميا قيام دولة اسرائيل . وتوالى الاعتراف بها من مختلف الدول الا ان بريطانيا العظمى لزمت الصمت . وساد اعتقاد بأن مستر بيغن كان يمارس ضغطا على المستعمرات البريطانية المستقلة (الدومنيون) وأوروبا الغربية لمنعها من الاعتراف ، على حد قول وايزمان (٢٢) . ولذلك ارسل برقية الى الجنرال سمطس يحثه على الاعتراف الفورى :

« بعد أن تحقق تصريح يلفور بإنشاء دولة إسرائيل ، انتهز الفرصة لكي أعرب لك ، باعتبارك أحد مخططي التصريح وأشد مؤيدي القضية اليهودية عزما ، عن أعمق تقديري وعرفاني للافضال العديدة التي أبديتها نحو الحركة الصهيونية ونحوي شخصيا خلال السنوات التي تطلت صدور التصريح وإنشاء الدولة . اننى أدرك ان الدولة الجديدة قد تقدمت اليك تطلب الاعتراف بها ، واننى أتجاسر بالاعراب عن أملى في أنه سيكون في وسعك تكليل تشجيعك المستمر مدى الحياة لإمانينا القومية بمنح اعتراف عاجل (٧٣) » .

وقد رد سمطس عن طريق مفوضية جنوب أفريقيا في واشنطن مرحبا برسالة وايزمان وأعرب عن أمله في نجاح إسرائيل . الا أنه ذكر ان الفرار الرسمي بالاعتراف « تعوقه اعتبارات تتعلق بموقف جديد ومشاورات ضرورية (٧٤) . وعاد وايزمان الى الإلحاح على هذه المسألة بعد ذلك بأيام قليلة . . وتوضح برقيته التي نقلها كاملة الأسباب المحددة للحاجة الملحة الى اعتراف جنوب أفريقيا .

« شخصى وسرى »

« اننى أقدر تقديرا عميقا رسالتك المشجعة ، واعتبر ان الاعتراف الفورى لن يكلل تأييد بلادك وتأييدك الشخصى منذ زمن بعيد لبعث الوطن اليهودى فحسب ، وانما سيكون له تأثير هام على الموقف الراهن ، أولا ، بتشجيع المستعمرات البريطانية المستقلة الأخرى (الدومينيون) على القيام بخطوة مماثلة وثانيا بتدعيم الجهود المبذولة لحقن الدماء عن طريق مجلس الامن وثالثا بالمساعدة على تنشيط العلاقات مع بريطانيا . وبوصفى أحد دعاة الصداقة البريطانية اليهودية طوال حياتى ، شعرت بأسى عميق للدور البريطانى الراهن الذى يسمح للفيلق العربى بالغزو بما فى ذلك الهجوم المدمر على القدس الذى قام به قادة بريطانيون واستخدمت فيه أسلحة وأموال بريطانية . كذلك ، لاستمرار شحنات الأسلحة الى الجيوش العربية الأخرى التى تقاتل فى فلسطين ، وتزعم المعارضة فى مجلس الامن للمبادرة الأمريكية بوقف إطلاق النار . ان استخدام نفوذك غير الرسمى فى التخفيف من السياسة البريطانية غير الودية وتشجيع قيام علاقات مرضية بين الدولة الجديدة والكومنولث البريطانى سيكون اسهاما بارزا ولك تمنياتى القلبية الطيبة على الدوام .

حايمس وايزمان

« يقترح المايجور كوماى ارسال هذه البرقية بالبرقية الكاتبة الى مكتبنا في واشنطن الذى سيقوم بتسليمها الى وزير جنوب افريقيا المفوض في واشنطن طالبا منه باسم الدكتور وايزمان تبليغ الرسالة الى الجنرال سمطس (٧٥) » .

وفي ٢٤ مايو اعترفت حكومة الاتحاد بالدولة الجديدة ، على أساس الامر الواقع ، ببرقية ارسلت الى موسى شرتوك وزير خارجية اسرائيل (٧٦) . وبعد ذلك بيومين . وفي ٢٦ مايو سقطت حكومة سمطس . وعقب الانتصار الذى احرزه الحزب الوطنى بشق النفس ، مباشرة ، اعترفت حكومة مالان باسرائيل اعترافا قانونيا . اما برقية الشكر التى ارسلها وايزمان في ٢٦ مايو الى سمطس فقد وصلت في اليوم الاخير له في الحكم .

بينما كانت انتخابات سنة ١٩٤٨ العامة تقترب بدت دلائل متزايدة تشير الى تحول في الفكر المعادى للسامية تجاه يهود جنوب افريقيا ، كان يعتنقه على نحو تقليدى الحزب الوطنى لجنوب افريقيا . فلم تكن صحف الافريكان تؤيد المعارضة الصهيونية للسياسات البريطانية في فلسطين فحسب بل انها اخذت تشبه تصميم الافريكان على قطع الروابط التى تربط الاتحاد ببريطانيا بالانحياز الصهيونى ، رغم انها قد رفضت منذ سنة ١٩٣٩ تأييد قيام دولة يهودية ضد رغبة الاغلبية العربية . وبدأ سياسة الحزب في مختلف المواقع يسعون الى كسب تأييد اليهود ذوى النفوذ الواسع صراحة . وبدأ حوار في مدينة الكاب بين عدد من اليهود البارزين وكبار رجال الحزب الوطنى . وعلى الرغم من ان مالان كان يردد في اكتوبر ١٩٤٧ معارضة حزبه لهجرة يهودية اخرى فقد اوضح ان معارضته ليست راجعة الى مشاعر معادية لليهود وانما لاننا نريد منع هذه المشاعر (٧٧) الا ان قيام دولة اسرائيل في ١٤ مايو ١٩٤٨ ، قبل ايام من انتخابات ٢٦ مايو هو الذى اثر بصورة خاصة على مواقف الحزب الوطنى . وعلى حد قوله الدكتور لسلى روبين وهو أحد المنفيين من جنوب افريقيا واحد موسى حزب الاحرار :

« ان خليطا غريبا من الدوافع يسر لمالان (وستريدوم الذى سار على نهجه باخلاص منذ ذلك الحين) ولرجال الحزب الوطنى ان يقدموا تأييدا متحمسا للدولة الجديدة . فقد كان ثمة احساس بالالفة مع الاسرائيليين لانهم تخلصوا من نير البريطانيين وربما كان عالم النفس

يسمى هذا الاحساس اعجابا ، لقيام الغير بتحقيق ما لا يزال يمثل رغبة مكتوبة لديهم (٧٨) » .

وفي ظل حكم الحزب الوطنى وصلت العلاقات مع اسرائيل الى غايتها المنطقية التى تمثلت فى التعاون بين الدولتين . وانضم عدد من يهود جنوب افريقيا ، من بينهم ابا ايبان ومستر ارثر لورى والماجور ميشيل كوماى وكثيرون الى طبقة الصفوة صانعة القرار فى اسرائيل .

سنوات النهاية :

فى أعقاب الهزيمة ، لم يكن من الممكن نسيان ما أسهم به سمطس فى انتصار الصهيونية وقد اعترفت بالدور الذى قام به طوال احدى وثلاثين سنة الصحف اليهودية فى جنوب افريقيا وهيئة النواب اليهود فى جنوب افريقيا والاتحاد الصهيونى (٧٩) . اما وايزمان ، الذى انتخب عقب ذلك مباشرة اول رئيس لاسرائيل ، فقد ارسل برقية ضمنها تمنياته الودية (٨٠) . وخلال آخر سنتين ونصف سنة ، فى حياته كان يحتفى بالصلات التى تربط بين سمطس ووايزمان وتصريح بلفور باعتبارها واحدا من أعظم الاسهامات فى نجاح الدولة اليهودية .

فقد احتفل بالذكرى السنوية الاولى لاعلان استقلال اسرائيل فى جنوب افريقيا بأن اقامت اللجنة التنفيذية للاتحاد الصهيونى بجنوب افريقيا مادبة فى قاعة الاحتفالات الرسمية بمدينة جوهانسبرج كان ضيف الشرف فيها الجنرال سمطس . وقد استقبل سمطس ، الذى كان يلتف حوله كل الشخصيات البارزة فى الحركة الصهيونية ، بحماس بالغ وابدت له آيات التقدير والاحلال لما بذله من جهود مخصصة لخدمة القضية الصهيونية . وفى رده ، علق سمطس بقوله انه مما يثير الدهشة البالغة فى الواقع ان مولد اسرائيل قد تم فى عهدهم ، وقال ان جنوب افريقيا قامت بدور رائع فى هذه المأثرة العظيمة . ليس هناك بلد ادى للوطن القومى خدمات مادية اكثر مما ادت جنوب افريقيا وفقا لامكانياتها » . وقال انه يشعر بسرور خاص عندما يفكر فى ان آخر قرار اتخذه كرئيس للوزراء هو الاعتراف بدولة اسرائيل ، ذلك انه « فرض اسرائيل على الخريطة » ولكنه ايضا فرض جنوب افريقيا على الخريطة (٨١) »

وفى اغسطس ١٩٤٩ ارسل وايزمان الى سمطس يستطلع رايه فى امكانية حضوره حفل عشاء كبير يقام فى لندن يقصد الاحتفال بعيد ميلاده

الخامس، والسببين . وقد طلب من سمطس ان يحضر الجفل وأنه سيكون المتحدث الرئيسي فيه . وقد رد سمطس بسرعة بقوله انه على الرغم من « جدول سياسى حافل للغاية ، فأننى متلهف على المشاركة فى اية خطوة لتكريمك . كما ان زِمالتنا الطويلة فى القضية الكبرى سبب اضافى بطبيعة الحال لقبولى الدعوة ، اذا وجهت الى (٨٢) » .

وكما وعد توجه سمطس الى لندن بطريق الجو للمشاركة فى تكريم وايزمان الذى قال فى حديثه عنه انه « صديق عظيم ، ورجل عظيم ، نلت امتياز صداقته فترة طويلة من العمر » . واعاد سمطس الى الاذهان بروز وايزمان من أحد الجيتوات الروسية ودراساته العلمية ووصوله الى انجلترا وقال سمطس ان وايزمان كان أكثر من عالم ، فقد كان خياله وعاطفته يشتعلان بالرؤيا التى أثارها هرتزل « وظل على اخلاصه فى الوقت الذى بدأت تحوز فيه عزائم الكثيرين ، ومنهم هرتزل نفسه ، أمام الصعوبات البالغة » . وقال :

« ان القضية ذاتها واسلوب وايزمان فى عرضه لها ، بلاضافة الى مكانته الشخصية كعالم واسهامه فى المجهود الحربى حقق له الفوز مع بعض أعضاء وزارة الحرب فى ذلك الوقت . اذ اقتنع مستر بلفور وأصبح أحد المؤيدين المقتنعين . واقتنع بالمثل مستر لويد جورج الذى لم يتلق تعليمها دينيا فحسب ، وإنما كان يتأثر بصورة خاصة بالحجج التى يسوقها وايزمان لأنه كان ينتمى الى شعب صغير . لقد اقتنعنا جميعا . ولكن تذكروا أن وايزمان هو الذى اقنعنا . فلولا الدكتور وايزمان لما صدر تصريح بلفور (٨٣) . » .

ورغم شعوره بالأسى لما ارتكبه اليهود من ارباب فى فلسطين ، فان سمطس لم يحاول مع ذلك أن يضعه فى سياق تاريخى مقبول . وهو منهج ينطوى على تناقض ظاهرى أكثر الى حد ما اذا أخذنا فى الاعتبار ادائته بعد ذلك لما ثار من سخط من جانب الافريقيين فى بلاده والفلسطينيين المشردين :

كان ثمة سخط متزايد من جانب البقية اليهودية المعذبة التى لم يعد فى وسعها أن تتحمل أكثر من ذلك . فلا عجب أن يفلت زمام السيطرة على العناصر المتطرفة وأن تغد الخطى بالقوة نحو حلول لم يكن من الممكن أن تتوصل الى مثلها لجنة أو مناقشات طويلة لا نهاية لها . اننا جميعا نعرف تلك القصة المحزنة . ولا ينبغي للمرء أن يوافق على سياسات العنف التى

انتهجتها منظمة الارجون زفاى ليوى ولا أن يخفف من بغضه للجسودين
الاجرامية التى ارتكبتها عصابات عصابة شتيرن . الا أن التاريخ لا يملك
دائما سبيل القانون والنظام . فحيثما يخفق المنطق تضطلع القوة بالأمر
وتعجل بالظروف التى أخفق المنطق فى تحقيقها ، اذ تؤدي الاجبايات
المستمرة الى خلق حالة ذهنية شاذة ، ومن ثم ، فلا ينبغي أن يعتبر
اليهود بوجه عام مسئولين عن مثل هذه الانحرافات (٨٤) .

وبالنسبة لعلاقات اسرائيل مع جيرانها ، فان سمطس قد أعرب عن
أمله فى تسوية الخلافات والتسليم بوجود اسرائيل . وقال سمطس
بأسلوب الفذ انه مع ذلك من الممكن أن يحملون رسالة الحضارة أن
يرتقوا حتى بالنزاع والعنف الى مرتبة الرياضة :

« ان الحياة تصبح رتيبة للغاية وينقصها الكثير جدا من عناصر
التشويق الفعالة للانسان . فاللعب واللهو وقدر معين من التوتر والالزة
بل من الجموح ، له وظيفته فى المجتمع الانسانى . ان الحياة عنصر
تشويق ، وقد يتخذ هذا التشويق اشكالا كثيرة غريبة ، ومن ثم فان
بعض المناوشة بين العناصر السامية فى فلسطين قد لا تكون شرا
مطبقا (٨٥) » .

وقبل أن يختتم اشاداته بوايزمان والدولة اليهودية . اظهر سمطس
ولاءه للتقليد البريطانى . فأعلن أنه فى التحليل اأخير ، كان ارتباط الوطن
القومى ببريطانيا هو الذى ادى الى النجاح .

« ولا ينبغي لنا أن ننسى الليلة الكومنولث العظيم الذى ساند
الوطن القومى منذ تصريح بلفور حتى تحقيق السيادة الوطنية . وقد
كان الطريق شاقا عرقلة فى بعض الأحيان سوء الفهم الناجم عن الواجبات
المتضاربة الملقاة على عاتق بريطانيا بمقتضى الانتداب ، ولكن على اسرائيل ألا
تنسى ان بريطانيا هى التى ساندت وايزمان فى البداية وينبغى ألا تتخلى
عنها . ولكن عليكم أن تنسوا الخلافات الصغيرة التى ظهرت على الطريق .
وينبغى أن نستمر الزمالة التاريخية دون انقطاع من أجل خدمة البشرية
بصورة مثمرة (٨٦) » .

ولا تكاد السنتان الاخيرتان من حياة سمطس تضيف جديدا الى
سجل خدمته للقضية الصهيونية . الا أنه مع اقتراب نهاية حياته كلل
سمطس ، بصورة واضحة ، ما أداه من خدمات طوال حياته بأن فى

٤ ديسمبر ١٩٤٩ تمثالا نصفيا له ، حفرة المثل موشى كوتلر ، من يهود جنوب افريقيا ، الى الجامعة العبرية بالقدس . وأكد سمطس مرة أخرى ، وهو يسلم التمثال النصفى الى القاضى ل . جرينبرج رئيس جمعية أصدقاء الجامعة العبرية ، ايمانه بالدور التاريخى للشعب اليهودى بقوله :

« لا أظن انه فى اية مرحلة أخرى من مراحل التاريخ وقع حادث له اهمية واسعة النطاق مثل عودة الشعب اليهودى الى وطنه القديم (١٨٧) » .

ومضى الجنرال بعدئذ يناقش تأثير قيام اسرائيل على الشرق الاوسط . وكان يعتقد ان وجود الدولة اليهودية سوف يغير الموقف بأسره فى المنطقة . . « لقد ظل الشرق الاوسط مستغرقا فى النوم منذ قرون . واود ان ارى اسرائيل تبرز كقوة حيوية ، تقود الدول المجاورة لها فوق دروب التقدم . هذا هو ما اود ان اراه ، فلست اود رؤية نزاع او صراع . اننى ارغب فى ان اشاهد قريبا فجر عهد جديد فى الشرق الاوسط وان تمارس اسرائيل نفوذا كبيرا من أجل الخير » . وقال الجنرال سمطس ان الجامعة العبرية يمكنها ان تصبح القوة الرائدة لهذا التقدم الثقافى وان الامل معقود على انها سوف تحقق آمال وأمانى أصدقائها الكثيرين وتؤدى رسالتها النبيلة .

« اننى سعيد لوجودى هنا الليلة ولارتباطى بأمر واحد على الاقل فى حياتى ككل بالنجاح ، ويسرنى أن جنوب افريقيا قد لعبت دورا فى تحقيق عودة اليهود الى وطنهم . ولقد تحقق هذا الانجاز العظيم بفضل قرار يتسم بعدالة تاريخية ، وكان من المفيد ان ندرك ان هناك قوى تساند الخير ذات أثر فعال فى العالم (٨٨) » .

وأعلن القاضى جرينبرج ، فى كلمة الشكر التى وجهها الى جنرال سمطس انه (التمثال) سوف يذكر الأجيال المقبلة من اليهود بهذا الرجل العظيم الذى شغلت أمانى الشعب اليهودى اهتمامه والذى بلغت عظمتة حدا جعل اهتماماته تمتد من مسقط رأسه فى الاقليم الغربى الى الشرق الاوسط (٨٩) . والواقع ان الفضل فى مولد اسرائيل كان مرجعه الى حد ما الى تحويل سمطس من جندى بويرى من « الاقليم الغربى » فى جنوب افريقيا الى نصير رئيسى « لرسالة » الامبراطورية البريطانية ، وهى رسالة اعتنقت ، لحسن الحظ تماما ، القضية الصهيونية .

وفي ١١ سبتمبر ١٩٥٠ انتهت حياة سمطس بمزرعته في ايرين . ولم يكن هناك من هو اكثر حماسا او اخلاصا في تأيينه من جنوب افريقيا والزعماء الصهيونيين والاسرائيليين . واصبح من المألوف ان يؤبن سمطس في المعابد اليهودية في انحاء جنوب افريقيا بوصفه « صهيونيا طوال حياته » و « مبدع تصريح بلفور » و « مهندس اتحاد جنوب افريقيا كذلك » . اما بالنسبة لاسرائيل ذاتها فقد أعلن جوزيف سبرنزاك القائم بأعمال رئيس الوزراء حينذاك ان « اسم سمطس مدون على خريطة اسرائيل ومسجل في أعماق أمتنا (١٠) » . وبعد ذلك بعامين احتفلت اسرائيل في ١٢ مارس ١٩٥٢ بتكريس تذكاري للجنرال سمطس . ففرست فوق المنحدرات الجنوبية لتلال يهودا غابة سمطس التي تطل على غابة وايزمان . وبينما كان علم جنوب افريقيا يرفرف جنبا الى جنب مع راية اسرائيل ، وفي حضور ممثلي الحكومة الاسرائيلية والوكالة اليهودية والكيرن كايمت (الصندوق القومي اليهودي) والطائفة اليهودية في جنوب افريقيا ، تلقيت رسالة تأييد من ونستون تشرشل ، وهو التوحيد الباقي على قيد الحياة من سياسة الامبراطورية الذين تربطهم صلة بالبرنامج الصهيوني .

وبوفاة الجنرال سمطس ، اختتم فصل في العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل . الا ان الاسس كانت قد توطدت دعائمها على نحو مضمون ، ولان أهمية جنوب افريقيا كانت أمرا مؤكدا بالنسبة لاسرائيل فقد قامت علاقة جديدة اكثر اثارة للاهتمام .

-
- (١) ليونارد شتاين ، تصريح بلفور (لندن ١٩٦١) صفحة ٤٨. يتناقض هذا التاريخ مع التاريخ الذي أورده وايزمان في كتبه : التجربة والخطأ ، صفحة ١٥٩ .
 - (٢) ا.ب. ثورنتون ، فكرة الامبراطورية وخصومها (نيويورك ١٩٦٨) صفحة ٢١٤ .
 - (٣) صمويل شيكور ، المجد الكاذب (نيويورك ١٩٦٠) من صفحة ٢٣ الى صفحة ٢٦ .
 - (٤) هاييم وايزمان ، التجربة والخطأ (نيويورك ١٩٦٦) صفحة ١٥٩ .
 - (٥) شتاين ، صفحة ١٤ ، ١٥ .
 - (٦) هاييم وايزمان ، مقال بعنوان « الوضع في فلسطين » نشر بالعدد الثاني من « وثائق فلسطينية » (الوكالة اليهودية لفلسطين ، لندن ١٩٢٩ - ١٩٣٠) صفحة ٢٤ .
 - (٧) المرجع السابق صفحة ٢٤ - ٢٥ .
 - (٨) المرجع السابق صفحة ٢٤ .
 - (٩) ساره جرتروود ميلين ، الجنرال سمطس ، المجلد الثاني (لندن ١٩٣٦) صفحة ١٠٩ .

- (١٠) هـ.س. ارستردينج ، السيف المتعرج : ج.س. سمطس ، دراسة في الفطرسية (لندن ١٩٢٧) صفحة ٢٠٠ - ٢٠١ .
- (١١) ميلين المرجع السابق صفحة ١١٠ .
- (١٢) المرجع السابق صفحة ١١١ .
- (١٣) المرجع السابق صفحة ١١٢ - ١١٣ .
- (١٤) ج.س.هـ ، ر.أ. سيمونز ، الطبقة واللون في جنوب افريقيا من ١٨٥٠ - ١٩٥٠ (بالتيمور ١٩٦٩) صفحة ٢٨٨ .
- (١٥) برنارد ساكس ، « جنوب افريقيا : الحياة فوق بركان » ، الطائفة اليهودية في مجتمع التفرقة « العدد التاسع من « كومتارى » (يونيو ١٩٥٠) صفحة ٥٣ .
- (١٦) دان جاكوبسون ، « يهود جنوب افريقيا : صورة لطائفة مزدهرة » العدد الثالث والعشرين من « كومتارى » يناير ١٩٥٧ صفحة ٢٩ .
- (١٧) المرجع السابق .
- (١٨) اندريه اونجار ، « تنازل طائفة عن حقها » ، جنوب افريقيا ، العدد الثالث (يناير - مارس ١٩٥٩) صفحة ٢٩ - ٣٠ .
- (١٩) سارة ج . ميلين ، شعب جنوب افريقيا (نيويورك ، ١٩٥٤) صفحة ٣٣٦ .
- (٢٠) شتاين ، صفحة ٤٨٠ . كان سمطس قد وعد احد الصهاينة المحليين بمساعدة الصهيونية أثناء وجوده في جنوب افريقيا سنة ١٩١٦ ، طبقا لما ورد في ساوث افريكان زاينست ريكورد في ٢٢ سبتمبر ١٩٥٠ .
- (٢١) المرجع السابق .
- (٢٢) المرجع السابق صفحة ٤٨٢ .
- (٢٣) المرجع السابق .
- (٢٤) رسالة وايزمان الى سمطس بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩٢٢ .
- (٢٥) برفية مرسلة من جوهانسبرج من مؤتمر صهيوني جنوب افريقيا الى المكتب المركزى للمنطقة الصهيونية في ٥ مارس ١٩٢٤ .
- (٢٦) رسالة من وايزمان الى ماك دونالد في ٢٢ اكتوبر ١٩٣٠ .
- (٢٧) رسالة من وايزمان الى ماك دونالد في ٢٤ اكتوبر ١٩٣٠ .
- (٢٨) فيرا وايزمان (كتيبه دافيد تيوتاف) ، المستحيل يستغرق وقتا اطول (نيويورك ١٩٦٧) - صفحة ١١٣ .
- (٢٩) فيرا وايزمان صفحة ١٢٢ .
- (٣٠) المرجع السابق صفحة ١٢٣ .
- (٣١) المرجع السابق صفحة ١٢٤ .

- (٣٢) وايزمان ، التجربة والخطا ، صفحة ٣٤٧ .
- (٣٣) ريتشارد كروسمان ، بحث امة (نيويورك ١٩٦٠) صفحة ٢٠ - ٣١ .
- (٣٤) رسالة من سمطس الى وايزمان بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٣٨ .
- (٣٥) المرجع السابق .
- (٣٦) المرجع السابق .
- (٣٧) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ٨ مارس ١٩٣٩ .
- (٣٨) انظر على سبيل المثال - رسائل وايزمان الى سمطس بتاريخ ١٧ فبراير ١٩٤٠ ، ١٥ أغسطس ١٩٤١ ، ١٠ نوفمبر ١٩٤٣ ، ٢٣ نوفمبر ١٩٤٣ ، ١٢ يونيو ١٩٤٤ .
- (٣٩) كان وايزمان قد ذكر في ١٢ يونيو ١٩٤٤ ان الفكرة التقسيم لا يمكن الاخذ بها الان مع انه كان راغبا في التوصل الى حل وسط وقبول اقتراح بتقسيم فلسطين في سنة ١٩٣٧ .
- (٤٠) ماير وايسجل وجويل كارامايكل ، حايم وايزمان (نيويورك ١٩٦٢) صفحة ٢٧٥ .
- (٤١) رسالة وايزمان الى سمطس بتاريخ ١٢ سبتمبر ١٩٤٤ .
- (٤٢) رسالة سمطس الى وايزمان بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٤٤ .
- (٤٣) مذكرة عن الوضع داخل اليشوف الى الفيلد مارشال سمطس بتاريخ ٢٠ مارس ١٩٤٥ .
- (٤٤) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ١٤ ابريل ١٩٤٦ .
- (٤٥) المرجع السابق .
- (٤٦) المرجع السابق .
- (٤٧) المرجع السابق .
- (٤٨) صحيفة ساوث افريكان جوش كرونيكل العدد الصادر بتاريخ ١٩ ابريل ١٩٤٦ .
- (٤٩) المرجع السابق .
- (٥٠) رسالة من سمطس الى وايزمان بتاريخ ٩ يونيو ١٩٤٦ .
- (٥١) المرجع السابق .
- (٥٢) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ١٢ يوليو ١٩٤٦ .
- (٥٣) شيكور ، صفحة ٤٨ .
- (٥٤) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ٢٨ اكتوبر ١٩٤٧ .
- (٥٥) المرجع السابق .
- (٥٦) ساوث افريكان زاينست ريكورد في ١٨ ابريل ١٩٤٧ .
- (٥٧) المرجع السابق .
- (٥٨) صحيفة ساوث افريكان جوش كرونيكل العدد الصادر في ٤ يوليو ١٩٤٧ .

- (٥٩) صحيفة ساوث افريكان جويش كرونكل العدد الصادر في ١٨ يوليو ١٩٤٧ .
- (٦٠) المرجع السابق .
- (٦١) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩٤٧ .
- (٦٢) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٤٧ .
- (٦٣) انظر ريتشارد ب. ستيفنس : الصهيونية الامريكية والسياسية الخارجية الامريكية من ١٩٤٢ الى ١٩٤٧ (نيويورك ١٩٦٢) من صفحة ١٧٥ الى ١٨٥ .
- (٦٤) رسالة من سمطس الى لينتون بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٤٧ .
- (٦٥) رسالة من سمطس الى وايزمان بتاريخ ٥ ديسمبر ١٩٤٧ .
- (٦٦) ستيفنس ، من صفحة ١٨٦ الى صفحة ٢١٠ .
- (٦٧) وايزمان والتجربة والخطأ صفحة ٤٧١ .
- (٦٨) رسالة من وايزمان الى سمطس ٢٤ مارس ١٩٤٨ .
- (٦٩) رسالة من سمطس الى وايزمان بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٤٨ .
- (٧٠) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ٢١ ابريل ١٩٤٨ .
- (٧١) من الوفد الدائم لاتحاد جنوب افريقيا الى وايزمان بتاريخ ٢٦ ابريل ١٩٤٨ .
- (٧٢) وايزمان ، المرجع السابق صفحة ٤٧٩ .
- (٧٣) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ١٦ مايو ١٩٤٨ .
- (٧٤) رسالة من مفوضية اتحاد جنوب افريقيا الى وايزمان بتاريخ ١٧ مايو ١٩٤٨ .
- (٧٥) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ٢١ مايو ١٩٤٨ .
- (٧٦) صحيفة ساوث افريكان جريش كرونكل بتاريخ ٢٨ مايو ١٩٤٨ .
- (٧٧) مجلة الترنسفال ٣٠ اكتوبر ١٩٤٧ ، طبقا لما ورد مترجما في كتاب الكسندر رهيل : فيرورد (بالتيمور ١٩٦٧) صفحة ٢٢٦ .
- (٧٨) لسلي روبين ، « قومية الافريكان واليهود » مجلة جنوب افريقيا (ابريل - يونيو ١٩٥٧) صفحة ٢٩ .
- (٧٩) انظر صحيفة ساوث افريكان جريش كرونكل بتاريخ ١١ يونيو ١٩٤٨ لمعرفة المزيد من التفاصيل عن لوري وكوماي .
- (٨٠) رسالة من وايزمان الى سمطس بتاريخ ١٣ يونيو ١٩٤٨ .
- (٨١) صحيفة ساوث افريكان جويش كرونكل في ١٥ سبتمبر ١٩٥٠ .
- (٨٢) رسالة من سمطس الى وايزمان بتاريخ اول سبتمبر ١٩٤٩ .
- (٨٣) ساوث افريكان زاينست ريكورد في ٢٥ نوفمبر ١٩٤٩ .
- (٨٤) المرجع السابق .
- (٨٥) المرجع السابق .
- (٨٦) المرجع السابق .
- (٨٧) صحيفة ساوث افريكان جويش كرونكل في ١٥ سبتمبر ١٩٥٠ .
- (٨٨) المرجع السابق .
- (٨٩) المرجع السابق .
- (٩٠) صحيفة ساوث افريكان جويش كرونكل في ٢٢ سبتمبر ١٩٥٠ .

(٢) الصهيونية وجنوب افريقيا والتفرقة العنصرية

المثلث المتناقض ظاهريا

بقلم

ريتشارد ب . ستيفنز

الحزب الوطني ومعاداة السامية ١٩٣٠ - ١٩٤٧

بدأت نبوءة الأستاذ كيبيل جونز بوقوع مذبحة جماعية بموافقة السلطات الرسمية في سنة ١٩٥٦ (١) متسقة تماما مع سجل الحزب الوطني في جنوب افريقيا ، الحافل بالعداء للسامية في السنوات السابقة على نجاحه في انتخابات عام ١٩٤٨ . فالى عهد قريب جدا يرجع الى سنة ١٩٣٠ كان الدكتور دانييل ف . مالان هو الذى تقدم بمشروع قانون حصص الهجرة الذى يحد من الهجرة من شرق أوروبا . وقد تم اقرار هذا المشروع الذى تبناه الرجل الذى قاد الحزب الوطنى الى الفوز فى انتخابات ١٩٤٨ وصدر باسم قانون الحصص لسنة ١٩٣٠ ، وهو الذى أدى الى انخفاض هجرة اليهود من شرق أوروبا الى حالات فردية . وعندما أدت اعتداءات هتلر على يهود ألمانيا الى هجرة عدة آلاف من اليهود الى ألمانيا . نادى العناصر المتأثرة بالنازية داخل الحزب الوطنى صراحة بانتهاج أساليب مماثلة فى جنوب افريقيا . وقد استهل الدكتور هندريك ف . فيروورد ، صديق مالان الحميم وخليفته فى النهاية فى رئاسة الوزارة ، حياته السياسية ، بذلك ، فى نفس هذه الفترة التى اتسمت بتفشى نزعة العداء للسامية . وكان أحد الأعمال السياسية الاولى التى قام بها الدكتور فيروورد أنه رأس وفدا اجتمع برئيس الوزراء هرتزوج لمطالبته بأن يرفض قبول اللاجئين اليهود (٢) . وفى سنة ١٩٣٦ أنشأ قانون الاجانب نظاما جديدا لضبط الهجرة كان الغرض منه فى الواقع الا يدخل البلاد أكثر من خمسين يهوديا فى العام حتى نهاية الحرب .

وقد استمر الحزب الوطنى فى انتهاج سياسة معادية للسامية بصورة صارخة حتى عام ١٩٤٥ . وفى خلال هذه الفترة كان بعض (الافريكان) (مواطنى جنوب افريقيا من البيض) ويؤيدون حرمان كافة الجماعات « التى لا تقبل الاندماج » والتى تشمل اليهود بصورة خاصة من حقوق الانتخاب .

ونادرا ما كان يسمح بانضمام شخص من اصل يهودى الى الحزب الوطنى . وكانت صحيفة الحزب - الترنسفالى « التى يرأس تحريرها الدكتور فيروورد تهاجم » اداة الحرب الامبريالية اليهودية « والهجرة اليهودية . كما اعلنت رسميا سياسة الحزب الوطنى المعادية لليهود فى البرنامج الانتخابى للحزب فى سنة ١٩٣٨ وتاكدت هذه السياسة من جديد بعد ذلك بثلاثة اعوام ، بل ان هزيمة المانيا النازية فى ابريل ١٩٤٥ لم تضع حدا سريعا لتأييد الحزب الوطنى للمبادئ النازية (٣) .

الطائفة اليهودية فى جنوب افريقيا والصهيونية :

كان عدد افراد الطائفة اليهودية فى جنوب افريقيا يقدر فى سنة ١٩٤٥ بما يزيد قليلا على مائة وخمسة آلاف شخص وارتفع عددهم الى مائة وعشرين ألف يهودى بعد ذلك بخمسة اعوام (٤) . ومع ان اليهود لم يكونوا القوة الاقتصادية المهيمنة فى البلاد ، فقد كان من الواضح انهم يسيطرون على صناعات معينة مثل صناعة الملابس والسينما . ورغم ان عددا قليلا من اليهود كان يخترف الزراعة ، فان اولئك الذين اتجهوا الى الزراعة قد استخدموا الميكنة بصورة واسعة فكان كل من « ملك البطاطس » و « ملك الذرة » يهوديا (٥) . وكانت الاغلبية الكبرى من الطائفة ، وتقدر بحوالى ٨٠ ٪ ، ويرجع اصلها الى ليتوانيا الامر الذى كان يبدو معه وجود قدر غير عادى من التجانس فيما بينها (٦) . الا انه بحلول عام ١٩٤٨ اصبح ٤٦ ٪ تقريبا من الطائفة اليهودية من مواليد جنوب افريقيا . ورغم فقرهم اصلا ، اكتشف المهاجرون اليهود - شأنهم فى ذلك شأن كل المهاجرين البيض الى جنوب افريقيا ، - اكتشفوا بسرعة ان الفوارق العنصرية فى البلاد تسمح بامكان تحرك الجماعات لاحتلال مكانة اسمى . وسرعان ما اصبح عنصر الطبقة العاملة اقلية صغيرة . ويرى كثير من المراقبين ان الطائفة اليهودية فى جنوب افريقيا قد اصبحت فى نهاية الحرب اكثر الطوائف اليهودية فى العالم ثراء من الناحية الفردية (٧) . كما ان حجم الطائفة اليهودية ، وفقا لملاحظة الحاخام الدكتور اندريه اونجار ، لا يعتبر انعكاسا حقيقيا للمكانة التى يحتلها اليهود فى حياة جنوب افريقيا :

« سيكون من الخطأ الفادح التهوين من شأن الاقلية اليهودية . فحتى من الناحية العددية البحتة . وبمقتضى قواعد الحساب العرفى المنافية للعقل والطبقة فى جنوب افريقيا ، يشكل حجم السكان اليهود عاملا لا بد

من الاعتداد به . . . فجنوب افريقيا هي بلا نزاع البلاد التي يمكن فيها أن يكون للأقليات رأى - بينما تحرم الأغلبية الواسعة من أن يكون لها رأى - دون اعتبار تماما لما تكفله في النظام الديمقراطي ، أعداد هذه الاقليات . وفي مدينتي جوهانسبرج وكيب تاون يشكل اليهود عشر المواطنين الذين يعتد بهم : أى انبيض » (٨) .

ورغم المكاسب الاقتصادية التي حققتها الطائفة اليهودية فانها لم تحقق ازدهارا ثقافيا أو مركزا تطور في جنوب افريقيا ، على نحو متميز ، يتعادل مع هذه المكاسب . ويرى برنارد ساكس الاديب والكاتب السياسى اليهودى المشهور في جنوب افريقيا ، أن ضعف التطور الثقافى كان من نتيجته الطبيعية التعبير عن المصالح والأنشطة اليهودية تعبيرا يكاد يكون كاملا عن طريق الصهيونية والمؤسسات الخيرية (٩) . كما يرى الحاخام أن آثار عزلة اليهود عن الأفريكان والبريطانيين تتخذ شكل « فكرتين أساسيتين شبه دينيتين تشغلان البال تماما . . رهبة مقدسة تحبط بالنادى الرباضى المنفصل ، وتقديس الصهيونية بشكلها المبالغى في التعصب بما لا يتفق مع قواعد النقد أبعد حد » (١٠) . إذ أن يهود جنوب افريقيا ، شأنهم في ذلك شأن الطوائف اليهودية الأخرى التي هاجرت من روسيا العنصرية عقب المذابح الجماعية التي حدثت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، قد اجتذبتهم فكرة الصهيونية السياسية بما تنطوى عليه من وعد بإقامة دولة يهودية . إذ بدت فكرة قيام الدولة بديلا منطقيا لحياة كان الاندماج فيها ممنوعا أما بقرار من الحكومة أو يعززه إيمان قويم بالأمن الذى توفره عزلة الجيتو لليهود . فلم يجد اليهود ، وقد نبذهم على المستوى الاجتماعى المجتمعان الرئيسيان للبيض في جنوب افريقيا ، حافزا يدفعهم الى ابداع ثقافة يهودية في جنوب افريقيا .

وكان يمثل المؤسسات اليهودية التي تعكس على نحو متطابق الأولويات والمصالح الصهيونية للطائفة ، في المقام الاول ، الاتحاد الصهيونى لجنوب افريقيا الذى تأسس في سنة ١٨٩٥ وهيئة نواب جنوب افريقيا اليهود (١٩١٢) . ولم تكن هاتان المنظمتان قاصرتين على الصهيونيين فيما بينهما . الا ان الصهيونيين ، حتى قبل سنة ١٩٤٨ لم يكونوا يشكلون « أغلبية في هيئة النواب فحسب ، بل كانوا يحتلون أيضا المراكز الرئيسية في الطائفة اليهودية » (١١) . وفي سنة ١٩٤٨ كان ٩٩٪ على الأقل من يهود جنوب افريقيا قد انضموا الى الصهيونية (١٢) . وباختصار ، كانت الصهيونية بلا جدال هي وسيلة التعبير الثقافى الأساسية ومشار اهتمام يهود جنوب

افريقيا . ويقدر ساكس ان الشكل اليميني او التنقيحي من الصهيونية كان يشكل ١٥٪ فقط من قوة اليهود كلها بينما اجتذب الحزب الصهيوني الموحد غالبية الأعضاء اليهود . وفي سنة ١٩٤٤ كان عدد كبير من أعضاء كل الاحزاب يعربون عن ازدرائهم الشديد لمعارضة بريطانيا للمطالب الصهيونية المتطرفة فيما يتعلق بفلسطين (١٣) . وهكذا ، على حين كان اليهود يؤيدون بصورة تقليدية الروابط البريطانية باعتبارها درعا للديمقراطية ضد فلسفة الحزب الوطني ، أدت المواجهة بين الجماعات الارهابية اليهودية والجنود البريطانيين في فلسطين - أدت الى تدهور كبير في اتجاه بريطانيا ، في نفس اللحظة التي كان الحزب الوطني يعد فيها هجومه على استمرار ارتباط جنوب افريقيا بالتاج البريطانى .

الا انه مما يثير السخرية ان قلق يهود جنوب افريقيا على فلسطين لم يكن نتيجة مصالح صهيونية عادية استمالت في اعقاب الهتلرية يهود أمريكا وبريطانيا الى أهداف السياسة الصهيونية فحسب ، وانما كان يعكس ايضا قلق الطائفة اليهودية من ان تؤدي ازدياد قوة الحزب الوطني بالضرورة الى خروج اليهود من جنوب افريقيا .

الحزب الوطني يقر سياسة يهودية جديدة :

على الرغم من ترائه الذي ينطوى على عدااء شديد للسامية ، قام الحزب الوطني في سنة ١٩٤٨ بتعديل موقفه من الطائفة اليهودية تعديلا دراميا . ولم تكن المسألة هي ادراك الحاجة الى تضامن البيض من اجل ضرورة الحفاظ على نظام اقلية عنصرية فحسب ، وانما على العكس من ذلك كانت طبيعة الطائفة اليهودية ذاتها والاحداث المحيطة ببريطانيا في فلسطين هي التي جعلت اتخاذ سياسة جديدة امرا مفريا ومناسبا معا . وفي رأى الدكتور ادوين س . مونجر ، وهو أحد المراقبين لمسرح جنوب افريقيا لفترة طويلة ، ان التقارب بين اليهود والافريكان (مواطنى جنوب افريقيا من البيض) فيما بعد الحرب كان مرجعه ايضا الى الراى الذى ساد بين الافريكان من ذوى النفوذ الكبير بأن « طرد اليهود من جنوب افريقيا سوف يزلزل البلاد من أساسها » (١٤) نظرا لان أى تنفيذ للتفرقة العنصرية سوف يؤدي الى قيام اليهود الاثرياء بسحب اموال تكفى للتعجيل بحدوث كساد اقتصادى .

فلما اقتربت الانتخابات العامة سنة ١٩٤٨ اخذت الدلائل تشير الى تحول في فكرة الحزب الوطني . فلم تؤيد صحف الافريكان المعارضة

اليهودية للسياسات البريطانية في فلسطين - التي كانت قد تخلت منذ سنة ١٩٣٩ عن اقرار اقامة دولة يهودية على غير رغبة الاغلبية العربية ، فحسب وانما شبهت تصميم الافريكان على فصم الروابط التي تربط الاتحاد ببريطانيا ، بالانجاز الصهيوني . وسعى ساسة الحزب الوطني صراحة في مختلف المواقع الى كسب تأييد اليهود من ذوى النفوذ وافتتح حوار في كيب ناون بين عدد من اليهود البارزين وكبار رجال الحزب الوطني . ورغم ان الدكتور مالان اعاد من جديد تأكيد معارضة حزبه لهجرة يهودية اخرى في أكتوبر ١٩٤٧ دلل على ان هذه المعارضة ليست بسبب شعور بالعداء لليهود وانما « لاننا نريد ان نمنع هذه المشاعر » (١٥) . الا ان قيام دولة اسرائيل في ١٤ مايو ١٩٤٨ قبل انتخابات ٢٦ مايو بايام قليلة هو الذى اثر تأثيرا قويا في مواقف الحزب الوطني . وعلى حد قول لسلى روبين ، احد المنفيين من جنوب افريقيا واحمد مؤسسى حزب الأحرار (كما انه يهودى وعضو سابق فى مجلس الشيوخ ممثل لغير البيض) .

« ان خليطا غريبا من الدوافع يسر لمالان (وستريدوم الذى سار على منواله باخلاص منذ ذلك الحين) ولرجال الحزب الوطني ان يقدموا تأييدا متحمسا للدولة الجديدة فقد كان ثمة احساس بالالفة مع الاسرائيليين لانهم تخلصوا من نير البريطانيين . وربما وصف عالم النفس هذا الاحساس بأنه اعجاب لقيام الغير بتحقيق مالا يزال بالنسبة لهم رغبة مكبوتة . فلقد رأى كثير من رجال الحزب الوطني حينذاك - وهذا الراى كشفه لى احد مثقفى الافريكان - ان نجاح اليهود ضد العرب هو انتصار للبيض على غير البيض ، ولقد اظهر مالان نفسه ، الذى كان يتقدم به العمر ، حماسا عاطفيا بالغا لعودة اليهود الى وطنهم القديم وفقا لنبوءة التوراة » (١٦) .

كما لاحظ ريتشارد وايسبوردي انه « لم يكن من قبيل المصادفة ان تحول الحزب الوطني عن العداء الصريح للسامية قد حدث فى نفس الوقت الذى تحقق فيه هدف الحركة الصهيونية السياسية لقيام دولة اسرائيل » (١٧)

وقد اثار اعلان استقلال اسرائيل مسألة الاعتراف الدبلوماسى وادى الى مضاعفات فورية على سياسة جنوب افريقيا . فبالرغم من أن رئيس الوزراء سمطس كان طوال حياته مؤيدا للصهيونية وصديقا شخصيا حميما لحاييم وايزمان الزعيم الصهيونى (١٨) ، فانه اعترف بالدولة الجديدة على اساس الامر الواقع فقط . ورغم أن تحفظه فى هذه المسألة ربما كان راجعا الى مراعاته لحساسية بريطانيا فيما يتعلق بالعاطفة المشتركة بين

انجلترا وجنوب افريقيا ، فانه خشى أن يستفيد الحزب الوطنى من اجراء بلقى ترحيبا واضحا للغاية لدى الطائفة اليهودية (١٩) . بيد أن الاجراء الذى اتخذه رئيس الوزراء لم تكن نتيجة نفور بعض الناصحين من الناطقين باللغة الانجليزية فحسب (ممن لم يكونوا يكتون لليهود أى نوع من الحب وكانوا يضرعون كراهية شديد للقتلة المحترفين فى فلسطين الذين كانوا يفتالون الجنود البريطانيين . .) (٢٠) ، وانما مكن الدكتور مالان من استغلال اجراء سمطس لكى يعلن ، عن طريق المقسارنة ، « صداقته الحقيقية » للشعب اليهودى ، الذى سوف يمكنه وعيه العنصرى من أن يفهم بسهولة الكثير ويحترم نفس الشعور فى حالة كل فئة اخرى من المجتمع » (٢١) . وعلى اثر الفوز الذى احرزه الحزب الوطنى بشق النفس فى انتخابات ٢٦ مايو اعترفت حكومة مالان باسرائيل اعترافا قانونيا .

وقد أعقب الاعتراف الدبلوماسى باسرائيل اجراءات اخرى قصد بها كسب تأييد اليهود . فبعد ستة أسابيع من تولى الدكتور مالان رئاسة الحكومة أعلن أنه وحكومته يؤيدان سياسة عدم التفرقة ضد أى فئة من السكان البيض وانهما يتطلعان الى اليوم الذى لن يعود يجرى بعده أى حديث عن المسألة اليهودية فى البلاد (٢٢) . وتجاوز مالان موقف معظم الدول المؤيدة لاسرائيل فلم يسمح لضباط الاحتياط اليهود بأداء الخدمة العسكرية فى اسرائيل فحسب - وهو اجراء مخالف للقانون رسميا - وانما كان اول رئيس وزراء فى الكومنولث البريطانى يقوم بزيارة مجاملة للدولة الجديدة (٢٣) . وعندما سمحت الحكومة - رغم المشكلات الاقتصادية الخطيرة - بتصدير سلع وعمليات لازمة لاسرائيل اكتمل فى الواقع انتصار مالان مع الطائفة اليهودية . وبعد ذلك أخذت الطائفة اليهودية فى جنوب افريقيا ترسل الى اسرائيل من الاموال « اكثر مما ترسله أى جماعة يهودية فى العالم ، على أساس الفرد الواحد ، مما يفوق كثيرا ما يرسله الأمريكيون وأخذت تهاجر الى اسرائيل من جنوب افريقيا نسبة من المستوطنين اعلى من أى نسبة من المهاجرين اليهود من بلاد اخرى يتمتع فيها اليهود برخاء نسبى » (٢٤) .

نتائج التقسارب :

أدى تأييد الحزب الوطنى لاسرائيل وابطاله رسميا لنزعة العداء للسامية الى قبول سياسات الحزب الوطنى فى جميع مستويات وسائل التعبير الرسمى اليهودى . ففي سنة ١٩٥١ قدم رئيس هيئة النواب اليهود شكره الصادق للحكومة بسبب شعورها الموالى لاسرائيل وبسبب تقديرها

لمشاعر الطائفة اليهودية تجاه اسرائيل (٢٥) . بيد انه اعرب في الوقت نفسه عن خيبة امله لان اليهود مازالوا محرومين في معظم الاقاليم من الانضمام الى الحزب الوطني وفي خلال شهور قليلة رفع مؤتمر الحزب بالترنسفال الحظر المفروض على عضوية اليهود للحزب وحذا حذوه مؤتمر الحزب في اورانج الحرة ومؤتمر الحزب في ناتال . وشهدت الانتخابات التالية التي اجريت في جنوب افريقيا عددا متزايدا من اليهود يؤيدون الحزب الوطني (٢٦) . وعندما اعتزل الدكتور مالان الحياة الرسمية في سنة ١٩٥٤ وخلفه رئيس الوزراء ستريدوم قام يهود جنوب افريقيا بتكريمه اعظم تكريم بتدوين اسمه في كتابهم الذهبي اعترافا « باسهامه في ايجاد تفاهم عنصرى افضل في جنوب افريقيا .. » (٢٧) . وقد استمرت حكومة مستر ستريدوم في ابراز موقف ودي تجاه اسرائيل « وكاقرارا للتآلف بين العنصرين ، قام وزير العدل بتعيين مستر سيمون كوبر ، رئيس الاتحاد الصهيوني في جنوب افريقيا ، قاضيا بمحكمة الترنسفال » (٢٨) .

وعند انتخاب الدكتور فيروورد رئيسا للوزراء في سنة ١٩٥٨ قام وفد من هيئة النواب اليهود بتقديم التهانى الرسمية . وقد قضى تعيين حكومته للدكتور بيرسي يوتار نائبا للمدعى العام بالترنسفال في سنة ١٩٦٠ على اية شكوك باقية محتملة فيما يتعلق بقدرة اليهود على الحصول على مناصب حكومية عليا . وقد اكتسب يوتار شهرة كمُدع عام في محاكمة ريفونيا الشائنة التي حوكم فيها زعيم المؤتمر الوطنى الافريقى ، نلسون مانديلا ورفاقه الذين كان بينهم عدد من اليهود . وقد رقى يوتار في سنة ١٩٦٨ الى منصب المدعى العام لدولة اورانج الحرة .

وقد سمحت سياسة فيروورد للصهيونيين في جنوب افريقيا بالاستمرار في ارسال ما يقرب من سبعمائة الف دولار سنويا الى اسرائيل (٢٩) . وقد اعرب الدكتور م. ناروك - وهو عضو في البرلمان الاسرائيلى كان يقوم بزيارة جنوب افريقيا - عن عرفان اسرائيل بالجميل ، في ابريل ١٩٥٩ بقوله :

اننا نعرب عن بالغ شكرنا لحكومة جنوب افريقيا بسبب الدور الذى قامت به في مساعدة اسرائيل على بلوغ مكانتها الحالية . كما ان يهود جنوب افريقيا الذين استوطنوا اسرائيل هم مواطنون مخلصون للاتحاد » (٣٠) .

وقبل مغادرته جنوب افريقيا ، وجه الدكتور ناروك الدعوة لرئيس الوزراء لزيارة اسرائيل .

وقد أثارت هذه العلاقات الودية بين حكومة الحزب الوطني والطائفة اليهودية جدلا مفترضا حول تواطؤ اليهود في التفرقة العنصرية ، تواطؤا أبعد مما يمكن أن ينسب الى جماعات دينية أخرى في جنوب افريقيا . وعلى حد اعتراف هنري كانزو مساعد رئيس تحرير « زايونست ريكورد » التي تصدر في جوهانسبرج . احتلت الطائفة اليهودية بعد ١٩٤٨ وضعا فريدا « كانت الحكومة متعاطفة فيه مع الطائفة اليهودية وتتخذ موقف التشدد والتحيز ضد العناصر الأخرى من السكان ، وهم في هذه الحالة الافريقيون والملونون والهنود » (٢١) .

ولقد سجل التغير الذي طرأ على مواقف الحزب الوطني وما صاحبه من استجابة من جانب التنظيمات اليهودية ، تسجيلا وافيا . ففي عهد حكومة سمطس كانت مجلة « الشئون اليهودية » التي تصدرها شهريا هيئة النواب اليهود تعبر عن رأيها بحرية في مسائل اللون والتفرقة العنصرية وكانت طبعاتها تبرز مقالات تذكر القراء بأن « الديانة اليهودية تفرض على كهنتها والمبشرين بها ان يطالبوا بلا خوف بالعدالة الاجتماعية » . وفي غشية انتخابات ١٩٤٨ علقت مجلة الشئون اليهودية في مقالها الافتتاحي على التفرقة العنصرية بقولها :

« انها سياسة تجعل منها الحقائق الاجتماعية والصناعية لعصرنا تناقضا ميثوسا منه . . . ومن المشكوك فيه أن تكون هناك وجهة نظري يهودية محدودة ، الا أنه يمكن مع ذلك توقع شيء من اليهودي . ففي المسائل العنصرية عليه أن يتخذ رأيا متحررا بقدر الامكان . وعليه أن يكون ذا حساسية قوية ازاء الظلم الناجم عن التمييز القائم على الجنس أو الطوائف الاجتماعية . ويمكنه وينبغي عليه أن يكون تقدما » (٢٢) .

وعلى اثر فوز الحزب الوطني أوضح رئيس تحرير « الشئون اليهودية » مرة أخرى أن الضمان الوحيد للسلام يكمن في معاملة عادلة وتشجيع متدرج لرعاية وتنمية هذه الجماعات المعدمة (٢٤) . الا أنه على حد اعتراف كانزو : كانت هذه هي المرة الأخيرة التي تتحدث فيها « الشئون اليهودية » بمثل هذا الأسلوب الحاسم » (٢٥) . فسرعان ما عكست أعمدة مجلة « الشئون اليهودية » تأثير الاجتماع الذي عقده الدكتور مالان في يونيو ١٩٤٨ مع كبار أعضاء هيئة النواب اليهود . اذ أعربت افتتاحية العدد التالي من المجلة فقط عن أملها في أن يكون قد انتهى فصل محزن في موقف الحزب الوطني من الطائفة اليهودية ، ولم ترد أية إشارة الى استمرار التفرقة العنصرية ضد الجماعات غير البيضاء . وهكذا ، في غضون اسابيع قليلة تناست هيئة

إنّ النواب اليهود نظريتها التي أعلنت فيها أن أمن اليهود يكفله على أفضل وجه تأييد كل القضايا التحررية ، وذلك لمصلحة النظرية القائلة بأن « هيئة النواب اليهود هي جهاز غير سياسى يمتنع عن اتخاذ أى موقف فى المسائل السياسية الحزبية ولا يعبر عن آراء فيما يتعلق بالسياسات العنصرية المختلفة التي تدافع عنها الأحزاب » (٢٦) .

لقد كان اليهود ، على حد قول كاتزو ، يستجيبون فقط باعتبارهم شعبا ، لا باعتبارهم نماذج مثالية . وهكذا « لم يتوقفوا عن تسوية تتيح لهم الخلاص ولا تتيحه للأفريقيين والهنود والملونين » . وأصبح اليهود الآن ، كما يقول كاتزو ، يرون الأفريكانز « شعبا شجاعا ولم يكن فى وسعنا إلا أن نلاحظ فيهم نوعا من الإصرار ونطابق الفرض المماثل لما هو موجود لدينا . كما أننا قدرنا تقديرا عميقا موقفهم من إسرائيل » (٢٧) . وهكذا أصبحت هيئة النواب اليهود بملء رغبتها كارثة التفرقة العنصرية .

ولقد شمل الصمت الذى نزل على هيئة النواب اليهود ومجلة « الشئون اليهودية » بقية الصحف اليهودية ، كما لزمّت المبادئ الصمت فيما عدا الاعتراض فى بعض المناسبات على التفرقة العنصرية فى بعض الخطب التي كان يلقيها الحاخام الأكبر ل . ا . رابينوفيتش الذى سرعان ما وجد ما يدعو به إلى الهجرة إلى إسرائيل . وقد فسر ذلك بصراحة الحاخام الدكتور ج . سى . وايلر فى خطابه الذى القاه أمام المؤتمر الدولى الثامن للاتحاد العالمى لليهودية التقدمية بلندن فى يوليو ١٩٥٣ بقوله :

« ان اليهود كانوا قد قرروا كطائفة ألا يتخذوا موقفا فى مسألة السكان الوطنيين لأنهم كانوا مشغولين بمشكلة مساعدة اليهود فى بلاد أخرى . فقد كان يهود جنوب افريقيا يبذلون أكثر مما تبذله أى طائفة أخرى فى مساعدة إسرائيل . ولم يكن فى وسع الطائفة اليهودية أن تطلب من الحكومة التصريح لها بتصدير أموال و سلع وتعترض فى الوقت نفسه على الحكومة » (٢٨) .

بل ان مذبحة شاريڤيل التي وقعت فى مارس ١٩٦٠ وادت إلى اذانة جنوب افريقيا من معظم الحكومات بما فى ذلك الولايات المتحدة وجميع الهيئات الدينية فى الواقع - لم تقطع الصمت الذى التزمته الصحف اليهودية فى جنوب افريقيا أو هيئة النواب اليهودية واكد مستر تشسارلز هوبنشتاين ، عضو هيئة النواب اليهود طوال ثلاثين عاما ، بعد تلك المذبحة بعدة شهور ، فى لندن : « ان غالبيتنا يؤيد سياسة حكومة الاتحاد فيما يتعلق بالتفرقة العنصرية » . وأعرب هوبنشتاين عن تقديره لحقيقة أن

جنوب افريقيا قد فتحت أبوابها لما يزيد على ألف وخمسمائة لاجئ يهودي من الكونغو (٢٩) .

ولقد نشرت أول دراسة تاريخية شاملة عن الطائفة اليهودية في جنوب افريقيا ، من اعداد جوستاف ساورن ولويس هوتز وعنوانها « اليهود في جنوب افريقيا » في سنة ١٩٥٥ وقد وضعت هذه الدراسة لظهور أن الطائفة اليهودية قد أسهمت اسهاما كبيرا في تنمية جنوب افريقيا . ومع أن الدراسة اهتمت اهتماما كبيرا بالصهيونية فقد تجاهلت الديانة اليهودية أو أية تطورات دينية تجاهلا له مفرزا . وقد ذكر المؤلفان أن الحركة الصهيونية تلقت دعما ماليا من الطائفة اليهودية بجنوب افريقيا مما تلقت من أي طائفة أخرى في العالم على أساس الفرد الواحد (٤١) . أما الفترة التي ارتبط فيها تاريخ الحزب الوطني بالعداء للسامية فقد أوجزها المؤلفان في صفحات قليلة ولقيت المسائل السياسية والاجتماعية العامة التجاهل الا عندما كانت « المسائل التي تؤثر تأثيرا مباشرا على اليهود باعتبارهم جماعة » (٤٢) تعرض في جلبة السياسة .

وقد أدى ظهور مقال انتقادي عن « يهود جنوب افريقيا » بقلم دان جاكوبسون ، من الكتاب اليهود البارزين في جنوب افريقيا ، في عدد يناير ١٩٥٧ من مجلة « كومنتاري » الى اثارة جدل مثير مع رونالد م. سيجال ، وهو يهودي أيضا ويرأس تحرير مجلة « جنوب افريقيا » التي كانت تصدر في كيب ناون ، الى أن نفى سيجال من البلاد . وقد كشف الجدل بين جاكوبسون وسيجال أوجه الخلاف بينهما .

ويرى جاكوبسون أنه « ما كان من الممكن أن تكون هناك حكومة أكثر دقة في سلامة موقفها من حكومة الدكتور مالان تجاه الطائفة اليهودية ، وقد حافظت الحكومة التي خلفتها برئاسة ستريدوم على تقاليد الصداقة مع دولة اسرائيل التي بدأها الجنرال سمطس » (٤٣) . وبرهن جاكوبسون على أن اليهود لم يكونوا أكثر حصانة بالنسبة للتحيز العنصري عن الجماعات الأخرى وأن من الخطأ اعتبار المتطرفين « اليهود متماثلين مع الطائفة كلها . وبان رغم من أن رعايا من غير جنوب افريقيا قد يشعرون أن من واجب اليهود أن يعارضوا التمييز العنصري لأنهم يهود ، لم يكن هذا الرأي ينطبق على جنوب افريقيا حيث : التمييز العنصري ... ليس حكومة ، ولا حركة ، ولا حزبا سياسيا ولكنه أساس المجتمع ذاته : فلم تكن جنوب افريقيا أبدا إلا دولة عنصرية ، بل أنها حتى الآن بلد تمكن فيه اليهود من أن يصيبوا حدا من النجاس . ويرى يهود

جنوب افريقيا انه ليس من الضروري ان يكون الشعور باللون في جنوب افريقيا سببا لتولد نزعة عداة للسامية » (٤٤) .

واذا كان عدد قليل من الزعماء - ممن تولد قلقهم على الظروف في البلاد من تفسيرهم لآخلاقيات اليهود وتجربتهم - قد يجاهرون برأيهم من غير خوف ولا تردد ، فانهم لا يميلون « الى الحديث مع المواطنين على نحو يتسم بالتهور والاندفاع . . » . ويؤكد جاكويسون في النهاية ان الجماعة الوحيدة في جنوب افريقيا التي تطالب اليهود باصرار بالارتباط بالسود هم الشيوعيون (٤٥) .

وفي مجال الرد على تقويم جاكويسون لحقائق الحياة في جنوب افريقيا ، اتهم سيجال يهود جنوب افريقيا بان قلقهم على « العدالة » كان قاصرا على مصالح يهودية ضيقة . وأعاد الى الأذهان :

« كم يهوديا في جنوب افريقيا من ذوى المكانة في الطائفة لم اسمعهم يتفاوضون عن ، بل يمتدحون في بعض الأحيان ، أبشع احوال التفرقة العنصرية » ثم يناشدون العالم في نفس اللحظة تقريبا ان لا يعترف في النهاية بالأعمال الوحشية التي يرتكبها نظام عبد الناصر ؟ لقد ثارت تائرة الطائفة اليهودية في جنوب افريقيا بسبب مصادرة الممتلكات اليهودية واعتقال المدنيين اليهود في مصر . فاحتجت احتجاجا عنيفا صارخا على هذا الظلم . ومع ذلك فعندما طرد الافريقيون ، من سكان صوفيا تاون ، من ديارهم وحرموا من حقهم في امتلاك الأرض والعقارات في جوهانسبرج وطردوا من منازلهم في الصباح الباكر بين صفوف من الشرطة المسلحة ، كم زعيم من منظمات الطائفة اليهودية قام بالاحتجاج ؟ لم يصدر تصريح علني واحد . ولم يتحرك اى وفد الى الحكومة . فلا عجب اذن ان يكون الفيلد ماوشال الراحل سمطس بطلا شعبيا للطائفة اليهودية في جنوب افريقيا » (٤٦) .

ان الاعتذار بأنه لم يكن في وسع اليهود ان يعترضوا رسميا على تشريع بعينه لم يكن « مشرا للسخرية » فحسب وانما كان في سياق النمط العام لسلوك الطائفة اليهودية « زائفا » لانهم يتحررون باصرار من عبء الالتزام بأراء المجتمع فيما يتعلق بسير الأمور في الشرق الأوسط ، وهو أمر اقل أهمية الى حد بعيد من قانون يدفع مختلف الاجناس في جنوب افريقيا

الى الجيتو . وقال سينجال ان الامتناع عن المجاهرة بالرأى دون ما تردّد في هذه المسائل قد اثار عندئذ السؤال المحتوم :

« اذا لم يكن اليهود جنسا مثل الهنود ، ولا طائفة دينية مثل اتباع الكنيسة الانجليزية فماذا يكونون ، وفقا لتقديرهم ؟ واذا كانوا مواطنين لجنوب افريقيا فحسب والا شيء عدا ذلك ، فانه ليس من حق هيئة النواب اليهود في هذه الحالة ان تبقى ، وان يعمل الاتحاد الصهيونى لصالح اسرائيل مستخدما ادعاءاته زائفة تماما » (٤٧) .

واختتم جاكوبسون دفاعه عن الطائفة اليهودية بجنوب افريقيا بانه « لن تضحي طائفة بنفسها من اجل طائفة اخرى » (٤٨) . وأن البيانات الأخرى تدين التفرقة العنصرية لأن سودا من اتباع الكنيسة الانجلىكانية ، وثمة سودا من اتباع الكنيسة الميثودية ، كما أن هناك كاثوليك سودا ، ولكن لا يوجد يهود سود . فالطائفة اليهودية « ترفع عقيرتها بالصياح عندما تشعر أن مصالحها مهددة (سواء كان هذا التهديد بفعل السياسة السوفيتية المصرية في الشرق الأوسط ، أو نتيجة قوانين الهجرة المحلية) اما فيما عدا ذلك فانها تلزم الصمت » (٤٩) .

انقلاب مؤقت : اسرائيل تدين التفرقة العنصرية سنة ١٩٦١ :

ظل المتحدثون باسم الحزب الوطنى ، والحكومة وصحف الافريكان يشيدون باسرائيل بصورة لا حدود لها منذ عام ١٩٤٨ حتى منتصف عام ١٩٦١ . الا أن هذا الجو الذى يتسم بالتآلف تبدد نتيجة قرار اتخذه اسرائيل بتوسيع نطاق هجومها الدبلوماسى الذى كان قد بدأ منذ ١٩٥٦ (٥٠) . فعندما قام رئيس جمهورية فولتا العليا بزيارة اسرائيل في يوليو ١٩٦١ أصدرت الحكومة الاسرائيلية بيانا وصفت فيه التفرقة العنصرية بأنها « ضارة بمصالح الاغلبية غير البيضاء من أهالى البلاد » . وفي اكتوبر ١٩٦١ أبدت اسرائيل فى اللجنة السياسية للأمم المتحدة مشروع قرار ينتقد خطابا القاه مندوب جنوب افريقيا ووزير خارجيتها مستر اريك لاو . واخيرا ، أبدت اسرائيل قرارا اتخذته الجمعية العامة باستنكار سياسة التفرقة العنصرية التى تنتهجها جنوب افريقيا باعتبار انها « تستوجب اللوم وتتعارض مع كرامة الشعوب والأفراد وحقوقها » (٥١) .

وكان رد حكومة جنوب افريقيا وصحفها على التغير المفاجئ والكامل فى الموقف الاسرائيلى قاسيا بصورة يمكن التنبؤ بها . فقد تساءلت صحيفة « الترنسفال » عما سيكون عليه رأى حكومة اسرائيل اذا ما شغلت نفسها ،

دون أن يدعوها أحد ، بالإجثين العرب الذين « يعيشون منذ ثلاثة عشر عاما على حدود إسرائيل في ظروف رهيبة للغاية بسبب عدم السماح لهم بالعودة الى ديارهم الأصلية » . وتسألت الترنسغالي :

فهل هناك أية خلافات حقيقية بين الطريقة التي يحاول بها شعب إسرائيل البقاء وسط شعوب غير يهودية والطريقة التي يحاول بها الأفريكاني أن يظل على ما هو عليه ؟ أن شعب إسرائيل يستند الى « العهد القديم » في تفسير عدم رغبته في الاختلاط بالشعوب الأخرى : والمواطن الأبيض في جنوب افريقيا يفعل هذا أيضا ... » (٥٢) .

وقد اتهم مستر لاو إسرائيل « بالحقس والعقوق » ... نظرا لان حكومة جنوب افريقيا وأعضاء بالذات في الوزارة قد بذلوا في الماضي جهدا خاصا لتعزيز العلاقات الطيبة مع إسرائيل « (٥٣) . وعلق الدكتور فيروورد بأن اليهود « اغتصبوا إسرائيل من العرب ، بعد أن عاش العرب في البلاد ألف عام . وأنا اتفق معهم في هذا ، فإسرائيل دولة تقوم على التفرقة العنصرية شأنها في ذلك شأن جنوب افريقيا » (٥٤) . وقال الدكتور فيروورد في رسالة خاصة « تسربت الى صحيفة الصنداى برس أن تصرفات إسرائيل تعتبر مأساة بالنسبة لليهود في جنوب افريقيا ، ولكنه أشار الى أن رد فعل الصحف اليهودية المؤيد لجنوب افريقيا قد خفف الى حد ما من حدة الموقف ، واستطرد يقول :

« لقد بدأ الناس يتساءلون : اذا كانت إسرائيل وحاخاماتها مدفوعين الى مهاجمة سياسة التنمية المنفصلة هنا ، فلماذا لا تكون سياسة التنمية المنفصلة في إسرائيل خطأ في نظرهم أيضا ؟ ... قد يقال أنهم يريدون التفرقة في حالات منفصلة بسبب الاختلافات الدينية لا العنصرية ، لأنه اذا كانت التفرقة خطأ بسبب من الأسباب فانها خطأ للسبب الآخر . ولقد كنا نؤمن بالوضع المنفصل لإسرائيل ، ولكننا بدأنا الآن نتساءل عما اذا كان ينبغي سحب هذا التأييد ، اذا كانت فكرة التنمية المنفصلة خطأ من أساسها بحسب معتقداتهم . لذلك ترون أن الاجراء الذي أقدمت عليه إسرائيل قد أطلق سلسلة جديدة من الاتجاهات » (٥٥) .

وقامت الحكومة بإلغاء الامتيازات الخاصة في تنظيمات النقد الأجنبي التي كانت تباع للمنظمات اليهودية تحويل النقود والسلع الى إسرائيل . ومنذ ذلك الحين أخذت طلبات تحويل الاعتمادات تبحث بحسب وقائعها الموضوعية .

ولقد روع يهود جنوب افريقيا ايضا بسبب مواقف اسرائيل ، كما خيبت آمالهم بصورة شديدة الملاحظات التي ابداهها رئيس الوزراء ، فاعربت صحيفة « زاينيست ريكورد » الناطقة بلسان الاتحاد الصهيوني في جنوب افريقيا عن أسفها لان « وفد اسرائيل وجد انه من المناسب ان يؤيد ٦٧ دولة بدلا من ان يتخذ موقف مجموعة الدول الغربية ويمتنع عن التصويت » (٥٦) .

واتخذت هيئة النواب اليهود قرارا ينص على انه « كان ينبغي على اسرائيل ان تنضم الى الدول الغربية الأخرى في الامتناع عن التصويت ضد جنوب افريقيا » (٥٧) ، وطلبت الهيئة من مستر آرثر سوزمان ، وهو محام بارز ورئيس لجنة العلاقات العامة للهيئة ، ان يضطلع بشرح قرارها (٥٨) . ووضعت المسألة الى نهايتها عندما اعربت هيئة النواب اليهود عن اقتناعها بالتفسير الذي قدمه فيروورد بأن انتقاده لاسرائيل لا شأن له بموقف الحكومة من المواطنين اليهود . وعقب اغتيال رئيس الوزراء فيروورد في سبتمبر ١٩٦٦ علقت صحيفة « ساوث افريكان جويش تايمز » بقولها :

« لقد كانت إحدى سمات براعة فيروورد في ادارة شئون الدولة انه كبح جماح اتجاهات أحداث الماضي التي كانت تشوه صورة الطائفة اليهودية في بعض الأحيان ، وانه صمم على مقاومة أى شكل من أشكال التفرقة العنصرية ضد اليهود ونادى باستئصال نزعة العداة للسامية تماما من حياة جنوب افريقيا » (٥٩) .

وقال الحاخام الأكبر البروفيسور ابراهام فر ، أثناء قداس تذكاري اقيم بعدئذ كيب تاون أن الدكتور فيروورد كان « رجلا يتميز بالاخلاص والاستقامة البالغة ... وكانت سياساته تستند الى أساس أخلاقي : فقد كان أول انسان يهتد للتفرقة العنصرية أساسا أخلاقيا » (٦٠) . وقال كبير حاخامات طائفة اليهود التقدميين ، الحاخام آرثر سوبر ، في تأبينه لفيروورد انه : « واحد من أعظم رؤساء الوزارات الذين أنجبتهم جنوب افريقيا ، ان لم يكن أعظمهم على الإطلاق » .

لقد كان هنا رجل ، مثل موسى في العصر الماضي ، قاد شعبه خلال الأرض الموعودة بعد ستين عاما من التيه . وكان يملك الشجاعة والقوة اللازمة لاقامة جمهورية جنوب افريقيا ، وبهذا يقضى بقرار واحد على التراث القديم من الكراهية والتعصب الطائفي والولاءات الغامضة والضغائن القديمة ومظالم الماضي التي كانت تمنع جنوب افريقيا من ان تصبح امة واحدة (٦١) .

تسوية الخلاف : المنظمات اليهودية تدافع عن جنوب افريقيا في الخارج :

أيا كانت المخاوف التي أثارتهما ملاحظات الدكتور فيروورد ، فإن الطائفة اليهودية لم تقطع العلاقات الودية مع الحكومة . بل على العكس من ذلك ، عملت هيئة النواب اليهود والمنظمات الصهيونية ، اما بدافع الخوف من أحياء نزعة العداة للسامية أو الايمان بنظام جنوب افريقيا أو التصميم على مواصلة مساعدة اسرائيل بلا عائق ، على الابتعاد عن نقد جنوب افريقيا في الخارج بواسطة منظمات يهودية أخرى . وقررت هيئة النواب اليهود « ضرورة أن تتخذ الطائفة اليهودية خطوات لشرح موقف جنوب افريقيا لليهود في الخارج والداخل » (٦٢) .

وكانت هيئة النواب اليهود بجنوب افريقيا ، حتى قبل موقف اسرائيل المناهض لجنوب افريقيا في عام ١٩٦١ ، قد نصحت المنظمات اليهودية في الخارج بالامتناع عن التعليق على مشكلات جنوب افريقيا . فامتنعت المنظمات التي تتمتع بوضع استشاري بالنسبة للأمم المتحدة عن مناقشة مسألة التفرقة العنصرية في الأمم المتحدة ، ومن هذه المنظمات الاتحاد العالمي لليهودية التقدمية والمؤتمر اليهودي العالمي وهيئة تنسيق المنظمات اليهودية (وتشمل هيئة النواب اليهود البريطانية وهيئة النواب اليهود في جنوب افريقيا ومنظمة بناي بريث) والمجلس الاستشاري للمنظمات اليهودية (اللجنة اليهودية الأمريكية ومنظمة التحالف الفرنسية والاتحاد الانجليزي اليهودي) .

ولقد كان هذا النوع من عدم التدخل موضع اهتمام مستر فريتزفلسك من مدينة ديترويت الأمريكية واحد الضحايا اليهود للنازية بمعسكر اعتقال داتشاو فيما بين عام ١٩٣٨ وعام ١٩٣٩ . ولم تسجل عمليات الاستقصاء التي قام بها ، والتي شملت أكثر من عشر سنوات من النشاط ، موقف الطائفة اليهودية في جنوب افريقيا فحسب ولكنها كشفت أيضا على حد قول الحاخام أونجار ، النمط العام للعدو الذي قدمته الزعامة اليهودية العالية في استجابتها لمبادرة جنوب افريقيا (٦٣) . فعندما سأل فلكس المؤتمر اليهودي العالمي عن الامتناع عن التعليق على مسألة التفرقة العنصرية ، قال له الحاخام موديس برلزفايج :

« لقد امتنعت المنظمات اليهودية غير الحكومية عن التعليق على مشكلات جنوب افريقيا لأنها لا ترغب في تفاقم الموقف الصعب بالفعل الذي تواجهه الطائفة اليهودية . وهذه المنظمات تعلم أن هذا التحفظ من جانبها ، مهما

كان من أمر الحجج التي تعارضه ، يعتبر في غاية الأهمية من وجهة نظر الطائفة اليهودية في جنوب افريقيا .

وفضلا عن ذلك ، المؤتمر اليهودي العالمي ممنوع بحكم دستوره من الاضطلاع بأى نشاط فيما يتصل بأى بلد توجد به طائفة يهودية تستطيع أن تعبر عن آرائها بطريقتها الخاصة ، ما لم تطلب تلك الطائفة من المؤتمر ذلك أو تسمح به .

اننى أتجاوز حدود اللياقة بأن أشير بأنه قد يكون من المفيد أن توجه طاقاتك الموفرة الى مشكلات العنصرية في الداخل ادركا بأن أى تحسن في هذا المجال سوف يكون اسهاما فعالا في النضال في أى مكان آخر (١٤) .

ان الموقف في جنوب افريقيا لا يكاد يسمح بالخوف من تفاقم الموقف الصعب بالفعل « بل على النقيض من ذلك ، على حد قول مستر أهارون مندلو عضو اللجنة التنفيذية لهيئة النواب اليهود » : ان يهود جنوب افريقيا قد شاركوا أبناء جنوب افريقيا الآخرين في السراء والضراء ونحن فخورون بأننا كنا دائما بمثابة جزء لا يتجزأ من مجتمع جنوب افريقيا (١٥) . أما مقاومة المجلس اليهودي العالمي لأى هجوم على موقف الطائفة اليهودية في جنوب افريقيا ، فانه أمر يمكن ادراكه بسهولة على ضوء بيان كان قد اعلنه الدكتور اسراييل جولد ستاين رئيس اللجنة التنفيذية الأمريكية للمؤتمر اليهودي العالمي . فقد أعلن رسميا بعد زيارة قام بها الى جنوب افريقيا في اواخر ١٩٥٩ ان الطائفة اليهودية هناك هي « أكثر الطوائف اليهودية حيوية خارج اسراييل ... وهي جديرة بمكانتها .. اذا ماقيست بمقاييس الارتباط بالمعبد والتعليم اليهودي والاخلاص للصهيونية الذي لا يشمل استجابتها لطلبات جمع الاموال لاسراييل فحسب ، وانما يشمل ايضا الهجرة الى اسراييل واستثمار الاموال فيها » (١٦) . وقد نقلت ملاحظات الدكتور جولد ستاين في كافة المطبوعات الرسمية المختلفة التي أصدرتها وزارة الاعلام في جنوب افريقيا .

وقد صادفت الجهود التي بذلت لاقتناع المنظمات اليهودية الأمريكية بالعدول عن ادانة التفرقة العنصرية نجاحا محدودا . على سبيل المثال، أكد المجلس اليهودي الأمريكي في مناسبات مختلفة معارضته للسياسات العنصرية التي تنتهجها جنوب افريقيا . كما ان بعض النماذج البارزة من الأمريكيين اليهود - مثل مستر بيتر فايس رئيس مجلس ادارة اللجنة الأمريكية الخاصة بـافريقيا الذي كرس على امتداد سنوات جانبا كبيرا

من وقته وطاقته لمحاربة التفرقة العنصرية - تعارض جهود المنظمات اليهودية والصهيونية في جنوب افريقيا .

ومن ناحية اخرى فان البعض ، مثل صمويل ه . وانج ، يفسر صالح الطائفة اليهودية في جنوب افريقيا في المقام الاول ويقدر تأييدها لاسرائيل اكثر مما يقلل من شأن التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا . ومستروانج رجل واسع الثراء ، ويرعى بانتظام حملات اعلانية في صحيفة نيويورك تايمز يؤيد فيها اسرائيل ويهاجم « الهمجية العربية » . وقد هاجم وانج المجلس اليهودى الأمريكى لموافقته على اعلان نشرته اللجنة الامريكية الخاصة بافريقيا وينطوى على احتجاج على منح شركة طيران جنوب افريقيا حقوق الهبوط (١٧) . واتهم وانج المجلس بأنه - استنادا الى موقفه من التفرقة العنصرية « يتصرف على نحو يتعارض مع المصالح اليهودية » .

« ان جهودكم ضد شركة طيران جنوب افريقيا هو مثال يمت بصلة وثيقة للموضوع ويبرر هذا الاتهام .

ان حملتكم على جنوب افريقيا ، التى تتحدث باسم يهود امريكا ، تضع الطائفة اليهودية البارزة في جنوب افريقيا في مأزق خطير .

ولا ريب ان هذه الحملة سوف تثير شعور العداء لليهود بين اغلبية مواطنى جنوب افريقيا الذين يساندون حكومتهم ويؤيدونها . ولا ريب ان يهود جنوب افريقيا المعروفين باخلاصهم لقضية اليهود ، والذين هم في الطليعة بما أسهموا به من احتياجات العالم اليهودى ، يستحقون مزيدا من الاهتمام من المنظمات اليهودية المسئولة (١٨) .

وكان خوف جنوب افريقيا من الشيوعية بمثابة تكملة مبكرة للجهود الصهيونية . اذ ان القلق من تغفل محتمل للنفوذ السوفيتى داخل افريقيا والخوف من قيام الشيوعية بتدمير النظام السياسى والاجتماعى للبلاد قد ادى الى استجابة مشجعة لترتيبات الدفاع عن الشرق الاوسط التى اقترحتها الكتلة الغربية . وكانت جنوب افريقيا ، طبعاً لما اعلنه الدكتور مالان امام الجمعية التشريعية في ابريل ١٩٥٢ - على اهبّة الاستعداد للتعاون مع حلف شمال الاطلسى والكومنولث ، لانشاء قيادة للشرق الاوسط « لمنع العدو من التقدم عن طريق الشرق الاوسط ، ومن غزو افريقيا عن طريق مصر في حالة الحرب ... فما يحدث في اقصى شمال افريقيا لا بد أن يؤثر علينا بالضرورة (١٩) . وتوافقا مع هذا الاهتمام

ان لم يكن انعكاس له ، قام موسى شاريت وزير خارجية اسرائيل بزيارة جنوب افريقيا .

وقد ادت اطاحة العسكريين بالحكم الملكي في مصر في يوليو ومبادرات حكومة عبد الناصر بعد ذلك في مجال الوحدة الافريقية الى زيادة رعب جنوب افريقيا ، وزيادة اهتمامها بشئون الشرق الاوسط وشمال افريقيا . . واثناء أزمة السويس عام ١٩٥٦ امتنع الاتحاد عن ادانة الفزو الانجليزى الفرنسى الاسرائيلى لمصر على نحو ملفت للنظر . وقد علق جيتندرا موهان بقوله : « ان بعض أعضاء الحزب الوطنى من الافريكان وجد في أزمة السويس فرصة لتجديد ايمانه بالسياسات العنصرية التى ينتهجها الاتحاد . وقد تم هذا فى سياق ما كانت تتمتع به مصر عبد الناصر من تأييد عام بين غير البيض من شعوب افريقيا باعتبارها حاملة لواء تحررها من الاوربيين (٧٠) » . وظلت صحف جنوب افريقيا تتخذ طرزال أزمة السويس موقفا مؤيدا لاسرائيل .

وعلى الرغم من الهجوم الدبلوماسى الذى قامت به اسرائيل فى افريقيا السوداء فى فترة ما بعد عام ١٩٦١ ، فان بعض الأرقام الاقتصادية تكشف ان علاقات اسرائيل مع جنوب افريقيا لم تكن سيئة بالقدر الذى كانت الاتهامات الدبلوماسية المتبادلة ستحمل المرء على تصديقه . ففى الفترة بين عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٧ ازدادت الصادرات الاسرائيلية الى جنوب افريقيا من ١٤ مليون دولار الى ٤ ملايين دولار بينما بلغت الواردات ٣٣ مليون دولار فى سنة ١٩٦٧ (٧١) . ورغم ان تجارة اسرائيل مع جنوب افريقيا كانت جزء ضئيلا فقط من تجارتها الاجمالية ، فان جنوب افريقيا قد أصبحت فى سنة ١٩٦١ الشريك الرئيسى لاسرائيل فى افريقيا .

ويبدو انه كانت هناك جهود أخرى لاسترضاء افريقيا . فعلى سبيل المثال ، نشر بول جينيفسكى ، الكاتب الصهيونى الفرنسى الشهير ، كتابا بعنوان « وجها التفرقة العنصرية » فى سنة ١٩٦٥ قدم فيه نظرية جديدة تؤيد التفرقة العنصرية . واثبت جينيفسكى ان التفرقة العنصرية بمفهومها البانتوستانى ليست الا « صهيونية البانتو » التى تستطيع وحدها المحافظة على مصالح الافريقيين . وبعد ان اورد امثلة عديدة مشابهة للجهود الصهيونية فى فلسطين ، أكد جينيفسكى انه « لابد ان يظهر من بين صفوف شعب البانتو نفسه الحالمون الذين سيحلون بوحدة البانتو فى المستقبل وسوف يقودون الشعب نحو دولة تبعث من جديد ، مثل احلام هرتزل باقامة دولة يهودية وتحقيقه لهذه الاحلام » (٧٢) .

ومهما كان ما قد بقى من استياء جنوب افريقيا من اسرائيل - على المستوى الرسمي - حتى عام ١٩٦٧ ، فان حرب يونيو قد خففت من حدته . ففي فورة عاطفة التأييد لاسرائيل لم تسمح حكومة الدكتور فورستر للمتطوعين من جنوب افريقيا بالعمل في وظائف مدنية وشبه عسكرية داخل اسرائيل فحسب ، وانما أفرجت عن ٢٨ مليون دولار مرسلة من الجماعات الصهيونية الى اسرائيل (٧٢) . وبعد فترة قصيرة أعلن المفوض التجارى الجديد لاسرائيل لدى جنوب افريقيا توسيع البرامج القائمة ، وتعهدت مؤسسة جنوب افريقيا ، وهى اقدر المؤسسات الدعائية فى البلاد بتقديم العون المالى الانشاء لجنة مشتركة من اسرائيل وجنوب افريقيا تدعو الى البلاد رئيس تحرير صحيفة واسعة النفوذ ، واتخذت توصيات بتدعيم اواصر الروابط السياسية والاقتصادية بين اسرائيل وجنوب افريقيا (٧٥) . وبالإضافة الى ذلك ، قامت اسرائيل بتدعيم برامج التنمية التى تضطلع بها فى ليسوتو وبوتشوانا وسوازيلاند ومالاوى ، وهى دول كان نفوذ جنوب افريقيا مهيمن عليها تقريبا . وقد عقد الامل على أن تقوم هذه الدول بدور « ملطف » بين جنوب افريقيا وجيرانها السود فى الشمال فضلا عن تأييد السياسات الاسرائيلية فى مناقشات الأمم المتحدة .

قصارى القول ، ان جنوب افريقيا وجدت ما يدعوها الى تجاهل سياسات اسرائيلية معينة كما وجدت اسرائيل ما يدعوها الى رعاية صداقة جنوب افريقيا بوسائل عملية وان لم تكن مثيرة .

خاتمة :

ناقش مختلف الكتاب معضلة الطائفة اليهودية فى جنوب افريقيا باعتبارها صراعا بين الضمير والواقعية السياسية . ويرى البروفيسور ادوارد فايت أن من اليسير على الآخرين أن يطالبوا الطائفة اليهودية بالقيام بحركات بطولية ، وهى على بعد آلاف كثيرة من الأميال . ولكن هذه الطائفة هى التى قد تشعر بعداء الحكومة الصريح (٧٦) . وعلى الرغم من النواحي الأدبية ، يتبقى ان المرء لا يمكنه مناقشة المسألة وكأنه ينبغي اقرار سياسة بديلة وانه لو حدث أن نشب صراع ذو مفرى بين بين الضمير والواقعية السياسية ، لكانت المقاومة قصيرة الأجل تماما . وعلى حد قول الحاخام ميللر ، وهو حاخام امريكى للطائفة اليهودية الاصلاحية خدم فى ديربان ستة عشر عام ، كان أى حاخام يؤيد أو يشارك فى نشاط صريح يتعلق بالحقوق المدنية يفقد وظيفته بين عشية وضحاها .

وقد قال الحاخام ميللر : « لقد ذهبت الى جنوب افريقيا لى اخدم
الطائفة اليهودية ، لا لى استشهد . ان قوانين الولايات المتحدة وتفسيرات
المحكمة العليا تؤيد الاندماج العنصرى على قدم المساواة ، ولذلك فانه
لا يطيع المشتركون فى حركة الحقوق المدنية ضميرهم وتفسيرهم للديانة
اليهودية فحسب ، وانما هم فى الوقت نفسه مواطنون صالحون وهذا
الوضع غير موجود فى جنوب افريقيا لان قوانينها تؤيد التنمية المنفصلة» .
وعلق الدكتور ميللر ايضا بقوله انه يعتزم ان يعيش فى جنوب افريقيا
ثلاث سنوات اخرى ثم يرحل بعد ذلك الى اسرائيل (٧٧) .

الا انه من المشكوك فيه بصورة كبيرة ان يكون من الممكن ، بحسب
تفكير الأغلبية السوداء فى جنوب افريقيا ، ان تطفى المصالحة الشخصية
لاية طائفة بيضاء - ولا سيما المصالح التى تدار من الخارج وتنتج من
استغلال العمال السود فى البلاد - على القواعد الأدبية للحياة فى جنوب
افريقيا . بل انه مما يبدو أقل قبولا ان يصرف اليهود فى جنوب افريقيا
انظارهم عن الظلم العنصرى الصارخ فى البلاد وان عليهم بعد ذلك - اذا
ما تطلبت الضرورة - ان يهاجروا الى اسرائيل . فالطائفة اليهودية فى
جنوب افريقيا ، فى نظر السود من أبناء جنوب افريقيا ، تقاسم الجماعات
المهيمنة فى البلاد نفس العبء وسوف تشاركها بالتالى مصيرها . ومع
التسليم بالوضع الذى عبر عنه الحاخام ليفى ا. اولان ، رئيس المؤتمر
المركزى للحاخامات الأمريكيين ، من أن الكنائس المسيحية قد فشلت
فى القيام بواجبها الأدبى « لتأييد اسرائيل فى صراعها من أجل البقاء (٧٨) .
مع التسليم بذلك لن يكون من غير المعقول الاعتقاد بأن الافريقيين فى جنوب
افريقيا سوف يرفضون اطارا أدبيا للطائفة اليهودية التى تعمل دون
إشارة الى تصميمها على البقاء والمطالبة بما هو من حقها .

ويعنى أوسع ، تطرح العلاقة المتبادلة بين الصهيونية والتفرقة
العنصرية واسرائيل تطرح مشكلات الأخلاقيات الأساسية التى ستكون ذات
أهمية أكبر بالنسبة للأمريكيين السود ، لا عندما يفكرون مليا فى علاقاتهم
بالنواحى الأدبية والسياسية للعلاقات بين الاسرائيليين وعرب فلسطين
فحسب وانما عندما يؤكدون اهتمامهم بحرمان الأغلبية السوداء فى جنوب
افريقيا من حقوقها الأساسية .

ملاحظات

- (١) ا. كيبيل جوتز ، عندما يرحل سمطس (بيتر ماريتزبرج : شتروشوتر ، ١٩٥٠)
صفحة ٣١ .
- (٢) ليونارد م . طومسون ، السياسة في جمهورية جنوب افريقيا (بوسطن وتورنتو :
دار نشر ليتل وبراون وشركائهما ، ١٩٦٦) صفحة ١٥٧ .
- (٣) د.ج. وايسبور ، « ازمة يهود جنوب افريقيا » مجلة الدراسات العصرية ، المجلد
الخامس (سبتمبر ١٩٥٧) صفحة ٢٣٤ - ٢٣٥ .
- (٤) برنارد ساكس ، « جنوب افريقيا ، الحياة فوق بركان ، الطائفة اليهودية في مجتمع
الطبقة المفلقة مجلة كومنتراري المجلد التاسع (يونيو ١٩٥٠) صفحة ٥٢ .
- (٥) المرجع السابق ، صفحة ٥٣٢ .
- (٦) دان خاكوبسون « يهود جنوب افريقيا : صورة طائفة مزدهرة » مجلة كومنتراري
المجلد الثالث والعشرون (يناير ١٩٥٧) صفحة ٣٩ .
- (٧) المرجع السابق .
- (٨) اندريه اونجار « ننازل طائفة » ، افريقيا الجنوبية ، المجلد (يناير - مارس
١٩٥٩) صفحة ٢٩ - ٣٠ .
- (٩) ساكس ، صفحة ٥٣٣ .
- (١٠) اونجار ، صفحة ٣١ ، ٣٢ .
- (١١) ساكس ، صفحة ٥٣٣ .
- (١٢) ساره ج. ميلين ، شعب جنوب افريقيا (نيويورك : الفريد نويف ، ١٩٥٤)
صفحة ٢٣٦ .
- (١٣) رغم أن الحكومة البريطانية كانت قد وعدت بهجرة يهودية غير محدودة الى فلسطين
في تصريح بلفور الصادر سنة ١٩١٧ ، فانه في اواخر الثلاثينات ادى تناقض هذا الوعد
(اى « وليكن مفهوما بجلاء انه لن يتم شيء من شأنه الاخلال بالحقوق المدنية والدينية
للجماعات غير اليهودية المقيمة في فلسطين ... ») كما ادت متطلبات استراتيجية بريطانية
في الشرق الاوسط الى انقلاب هذه السياسة . فوعد الكتاب الابيض الذي اصدرته حكومة
ماكدونالد سنة ١٩٣٩ بهجرة يهودية محدودة مما يكفل اغلبية للعرب . قارن ريتشارد
ب. سنيفنس ، الصهيونية الامريكية والسياسة الخارجية الامريكية من ١٩٤٢ - ١٩٤٧
(نيويورك : بيجابت برس ، ١٩٦٢) صفحة ٧٨ .
- (١٤) ادوين س. مونجر ، « اليهود والحزب الوطنى » (نيويورك : دار فيلد للنشر
١٩٥٦) صفحة ٧٨ .
- (١٥) مجلة الترنسفالي ، عددها الصادر في ٣٠ اكتوبر ١٩٤٧ ، ما ترجمه الكسندر هيل
ونقله في كتابه : فيروورد (بالتيمور : دار بنجوين للنشر ١٩٦٧) صفحة ٢٢٦ .

- (١٦) لسلى روبين ، « قومية الافريكان واليهود » مجلة افريقيا الجنوبية المجلد الاول ،
العدد الثالث (ابريل . يونيو ١٩٧٢) صفحة ٢٩ .
- (١٧) وايسبورڊ ، صفحة ٢٣٥ .
- (١٨) كان الجنرال سمطس ، ممثل الاتحاد في المجلس الامبراطورى للحرب ، من
مؤيدى الصهيونية منذ سنة ١٩١٩ . وعلاقاته بوايزمان والصهيونية قد صورها جوستاف
سارين ولويس هوتز في كتابهما : اليهود في جنوب افريقيا (كيب تاون ولندن ونيويورك :
مؤسسة جامعة اوكسفورد للنشر ، ١٩٥٥) صفحة ٢٨١ وما بعدها . وقد هرع الى لندن
عشية الانتخابات العامة ليحضر الاحتفال بعيد ميلاد صديقه القديم الدكتور وايزمان .
قارن ووكر صفحة ٧٨٨ .
- (١٩) روبين صفحة ٣١ .
- (٢٠) الايك ا. ووكر ، تاريخ افريقيا الجنوبية (لندن ، دار لونجمان وجرين
وشركائهما ، ١٩٦٥) صفحة ٧٧٢ .
- (٢١) وايسبورڊ صفحة ٢٣٦ .
- (٢٢) هنرى كاتزو ، « اليهود في بلاد التفرقة العنصرية » مجلة ميد ستريم ، المجلد
الثامن (ديسمبر ١٩٦٢) صفحة ٦٨ .
- (٢٣) ا. فايت « طائفة في مازق : الطائفة اليهودية في جنوب افريقيا والتفرقة
العنصرية ، مجلة الجنس المجلد الثامن (ابريل ١٩٦٧) صفحة ٤٠٦ .
- (٢٤) ادين مونجر « الافريكان والقومية الافريقية : التماثل والتغير في جنوب افريقيا
(لندن ، مؤسسة جامعة اوكسفورد للنشر ١٩٦٧) صفحة ٢٠ .
- (٢٥) كيب تايمز ، العدد الصادر في اول يونيو ١٩٥١ .
- (٢٦) هيل ، صفحة ٢٢٧ .
- (٢٧) ووكر صفحة ٩٢٢ .
- (٢٨) جوليوس ليوين « التهذلة في جنوب افريقيا » مجلة الامة المجلد ١٨٢ (١٤
ابريل ١٩٥٦) صفحة ٢٩٤ .
- (٢٩) هيل ، صفحة ٢٢٧ .
- (٣٠) ساوث افريكان سكوب « المجلد الثانى » ، العدد السادس (يونيو ١٩٥٩) .
- (٣١) كاتزو صفحة ٦٨ .
- (٣٢) المرجع السابق صفحة ٦٩ .
- (٣٣) المرجع السابق .
- (٣٤) المرجع السابق صفحة ٧٠ .
- (٣٥) المرجع السابق .

- (٣٦) المرجع السابق صفحة ٦٨ .
- (٣٧) المرجع السابق صفحة ٧٢ .
- (٣٨) الحاخام م.سى. وايلر . من خطاب امام المؤتمر الدولى الثامن للاتحاد العالمى لليهودية التقدمية ، لندن ، سنة ١٩٥٣ . اورده فلسك فى مجموعة وثائقه صفحة ١٨٠ .
- (٣٩) جريس كرونيكل (لندن) ٢ سبتمبر ١٩٦٢ .
- (٤٠) سارون وهرتز ، المرجع السابق .
- (٤١) المرجع السابق ، صفحة ٢٨٣ وما بعدها .
- (٤٢) المرجع السابق .
- (٤٣) جاكسويسون ، صفحة ٤٣ .
- (٤٤) المرجع السابق .
- (٤٥) المرجع السابق صفحة ٤٥ .
- (٤٦) دان جاكويسون ورونالد سيجال « التفرقة العنصرية ويهود جنوب افريقيا : » مناظرة ، مجلة كومنترى المجلد ٢٤ (نوفمبر ١٩٥٧) صفحة ٤٢٥ .
- (٤٧) المرجع السابق .
- (٤٨) المرجع السابق صفحة ٤٣ .
- (٤٩) المرجع السابق صفحة ٤٢٩ .
- (٥٠) قارن : صمويل ديكالو ، « السياسة الخارجية الاسرائيلية والعالم الثالث » دورية اورييس المجلد الحادى عشر (خريف ١٩٦٧) صفحة ٧٢٤ - ٧٤٥ .
- (٥١) نقل هنرى كاتزو فى مقاله « جنوب افريقيا ، بلد بلا اصدقاء » المنشور فى مجلد ميدشرىم (بالعدد الصادر فى ربيع ١٩٦٢) صفحة ٦٣ عن مستر هارولد سورف ، الذى اوفد الى مجلس الرابطة الانجليزية اليهودية فى نوفمبر ١٩٦٢ : « لقد كان من سوء الفهم تماما . . اعتبار الاجراء الاسرائيلى موقفا ادبيا . ذلك ان الدبلوماسيين الاسرائيليين كانوا قد زاروا الدول الافريقية الناشئة ، وكانوا يسعون الى الحصول على تأييد هذه الدول ضد العرب فى الامم المتحدة . وكان من حقهم تماما ان يفعلوا هذا ، ولكن النظر الى هذا العمل على اعتبار انه يستند الى اسس ادبية كان محاولة لتلطيف اثره السيئ » . الجويش كرونيكل (لندن) ٣٠ نوفمبر ١٩٦٢ .
- (٥٢) المنقول عن المرجع السابق لصفحة ٧٢ .
- (٥٣) المنقول عن المرجع السابق صفحة ٧٤ .
- (٥٤) صحيفة راند ديلى ميل ، ٢٣ نوفمبر ١٩٦١ .
- (٥٥) كاتزو ، صفحة ٧٦ .

- (٥٦) كاترو ، صفحة ٧٤ .
- (٥٧) المرجع السابق صفحة ٧٤ - ٧٥ .
- (٥٨) المرجع السابق .
- (٥٩) ساوث افريكان جويش تايمز ، ٩ سبتمبر ١٩٦٦ .
- (٦٠) صحيفة راند ديلي ميل ، ١٢ سبتمبر ١٩٦٦ .
- (٦١) المرجع السابق .
- (٦٢) جويش كرونيكل (لندن) ديسمبر ١٩٦٢ .
- (٦٣) اندريه اونجار « لحظة عن حياة رجل عنيذ » مخطوطة لم تنشر أورها فلسك ضمن مجموعة وثائقه .
- (٦٤) رسالة من موريس ل. برلزفاج الى فريتز فلسك في ٥ ابريل ١٩٦٣ .
- (٦٥) صحيفة راند ديلي ميل ٢ يوليو ١٩٦٤ .
- (٦٦) ساوث افريكان سكوب المجلد الثاني ، العدد الثامن (سبتمبر ١٩٥٩) .
- (٦٧) صحيفة نيويورك تايمز ٢٨ مايو ١٩٦٩ .
- (٦٨) صحيفة نيويورك تايمز ٦ يونيو ١٩٦٩ .
- (٦٩) المرجع السابق ، قارن هيتندرا موهان ، جنوب افريقيا وازمة السويس انترناشيونال جورنال (خريف ١٩٦١) المجلد السادس عشر . صفحة ٣٣٣ .
- (٧٠) موهان صفحة ٣٣٣ .
- (٧١) اسرائيل ، المكتب المركزي للاحصاء ، فكرة احصائية عن اسرائيل ١٩٦٨ العدد التاسع عشر صفحة ٢١٢ .
- (٧٢) بول جينيفسكى ، وجهها التفرقة العنصرية (شيكاغو : دار هنرى ريجيزي للنشر ، ١٩٦٥) صفحة ٣٤٩ .
- (٧٣) ملخص تحقيق صحفي ، صحيفة جنوب افريقيا ، ١٥ اغسطس ١٩٦٨ الصفحة الثالثة .
- (٧٤) نيوزتشيك ، ٢٢ مارس ١٩٦٨ .
- (٧٥) المرجع السابق .
- (٧٦) ا. فايت « طائفة في مازق : الطائفة اليهودية في جنوب افريقيا والتفرقة العنصرية » مجلة الجنس المجلد الثامن . العدد الرابع (ابريل ١٩٦٧) صفحة ٣٩٩ .
- (٧٧) ناشيونال جويش فاكت اند اوبيشيون ، ١٥ يوليو ١٩٦٦ .
- (٧٨) نيويورك تايمز ١٧ يونيو ١٩٦٩ .

٣ - اسرائيل وجنوب افريقيا : نصج رابطة (*)

بقلم عبد الوهاب م . المسيرى

ان النظر الى اسرائيل فى سياق قاصر على العرب وحدهم هو اغفال لما خلفه قيام الدولة الصهيونية من اثر اوسع على المسرح الافريقى الاسيوى . فلقد كان بن جوريون ، أحد كبار الصهاينة واول رئيس وزراء لاسرائيل ، يؤمن ايمانا راسخا بأن ولاء اسرائيل ، من وجهة نظر بقائها وامنها ، يتطلب منها ان تضع « صداقتها للدول الأوربية » فى مكانة اسمى كثيرا من « العواطف المجردة التى تسود بين الآسيويين » (١) .

هذا الاعتراف الواقعى بتطابق المصالح يشكل الأساس للبيان الذى لخص فيه أشر بن حراى ، عضو الكنيست وعضو وفد اسرائيل فى الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٥٥ ، انجازات اسرائيل فى الأمم المتحدة ، حيث أكد ان : « التطور البالغ الأهمية الذى تم لمصلحة اسرائيل هو ما لحق بدول مؤتمر باندونج من هزيمة فى سنة ١٩٥٥ فى كل مسألة عرضت على الجمعية العامة » (٢) .

وانسجاما مع نظرتها الواقعية لولاءاتها الأساسية ازاء جيرانها الافريقيين والآسيويين اتبعت اسرائيل - بنشاط - السياسات الاستعمارية التى وضعتها أصلا من أجلها .

ومع ذلك ، من الممكن تبين أهداف الاستعمار الاستيطانى الصهيونى واهتماماته الأساسية تماما من انعام النظر بدقة فى الروابط القوية التى تربطه بجنوب افريقيا والتى يرجع عهدها الى بداية المشروعين الاستعماريين . فلقد كانت الشخصيات السياسية التى تبنت تصريح بلفور هى نفسها التى ساعدت على اصدار قانون اتحاد جنوب افريقيا . ولم يفت مؤرخو الصهيونية وكتابها ان يلاحظوا الصلة بين المفهومين . فيلاحظ كاتب مادة « جنوب افريقيا » فى الموسوعة اليهودية مثلاً ، ان « فكرة الصهيونية قد نالت ، منذ بدء ظهورها ، رضا وتفهما من الطوائف غير اليهودية فى جنوب افريقيا ، ولا سيما بعض السكان الناطقين باللغة الافريكانية » (٣) . وأن « جهود اليهود

(*) من كتاب يظهر قريبا للمؤلف بعنوان ، ارض الميعاد : نقد لفكرة الصهيونية .

للعودة الى ارض الميعاد » قد اثرت دائما في نفوس الافريكان الذين يتميزون بشدة نديتهم . اذ يميل الافريكان ، على حد قول اسحق اونا سفير اسرائيل في جنوب افريقيا بحكم اخلاصهم لمذهب كالفين وستغراقهم في قراءة « العهد القديم » ، الى تشبيه تجربة هجرتهم وتوطينهم فوق الارض الافريقية بخروج اليهود من مصر وتأسيسهم في النهاية لدولة صهيونية في فلسطين (٤) .

ان مثل هذه النظرة اللاهوتية التاريخية ذات مفهومات سياسية ضمنية تتجلى في حقيقة أن الأفريكان ، منذ أيام الاستيطان الاولى حتى الوقت الحاضر ، يرون أن أهدافهم السياسية والثقافية مماثلة تماما « لنضال اليهود من أجل البقاء » (٥) . وقد أكد مؤخرا رئيس الوزراء فورستر هذه النقطة واضحة عندما أعلن أن على كل من جنوب أفريقيا واسرائيل أن « تتعامل مع الارهابيين خارج الحدود » وأن « تقاتل اعداء مصممين على تدميرها » (٦) .

ويضرب المتحدثون الرسميون في كلا البلدين على وتر واحد دائما ويتمثل في موضوع « البقاء » ويؤكدون على ضرورة اتخاذ اجراءات « دفاعية » ، بينما يتجاهلون في الوقت نفسه الظروف التي كانت سببا في النزاع الذي يعتبرونه تهديدا لوجودهم . وتؤمن كلتا الدولتين الاستيطانيتين بأن بقاءهما مرهون بقدرتهما على تسديد ضربات انتقامية سريعة بحرا أو جوا أو برا على اتخاذ ما تعتبرانه ملامتا من اجراءات وقائية . فعندما هدد رئيس الوزراء فورستر بتوجيه ضربات «انتقامية» وقائية الى زامبيا وتنزانيا « نوه باسرائيل باعتبارها مثالا للتكتيكات التي قد تستخدمها جنوب افريقيا ضد جيرانها » (٧) .

ويرى الجنرال الاسرائيلي ماتياهو بيليد أن ادراك التشابه بين الدولتين يشغل فيما يبدو التفكير الاسرائيلي الى حد يميل معه كثير من الاسرائيليين الى المبالغة فيه . ومن المهم أن هذا التطابق في الموقعين ، الذي يمكن المبالغة فيه أو التهوين من شأنه ، قد اعترف به اعترافا رسميا تقريبا اثناء زيارة مستر فورستر لاسرائيل . فقد أشار رئيس وزراء جنوب افريقيا الى أن دولتي التفرقة العنصرية والصهيونية تتمتعان « بأوجه شبه في امثلة كثيرة تبدأ من الظروف المناخية فصاعدا » . وأكد رئيس الوزراء الصهيوني ذلك بأن « دعا الى الحاضرين الى شرب نخب مستر فورستر » ، كما أعرب عن تأييد اسرائيل « للجهود التي تبذلها جنوب افريقيا لتحقيق الوفاق في جنوب افريقيا بدون تدخل وتهديد من الخارج » (٨) . والامر الذي لم يرغب رئيسا حكومتى البلدين في أن يمعنا النظر فيه هو شبه التطابق الملحوظ في مسائل

تتصل بوجهات نظرهم الدينية والعنصرية او بتحديد الهوية ، وطرد السكان الوطنيين واغتصاب الارض ومختلف الأعمال الأخرى التى تعتبر من السمات المشتركة للدول الاستعمارية الاستيطانية المحاطة بأنظمة وطنية .

ان هذا الاعتراف بتطابق منشأهما وظروفهما قد حفز اسرائيل وجنوب افريقيا الى تنمية مختلف وسائل التعاون بينهما على المستوى السياسى والاقتصادى والعسكرى . وربما كانت روابط التعاون فى المجال الاول هى اقدم الروابط الثلاث وان لم تكون بالضرورة اقواها .

ففى مقالة نشرت بمجلة الشئون اليهودية ينوه . ن . كيرشنر ، أحد الصهاينة البارزين فى جنوب افريقيا ، بأن ابطال جنوب افريقيا الوطنيين من امثال الجنرال لويس بوتا والجنرال سمطس وهرتزوج ، من المؤيدين المتحمسين للقضية الصهيونية والمدافعين الغيورين عليها . وتوضح أيضا مقالة بعنوان « الصهيونية واتحاد جنوب افريقيا » ، أن تيلمان روس نائب هرتزوج قد بذل جهودا ناجحة من وراء الكواليس لتأييد « اعلان جنوب افريقيا الموالى للصهيونية » الذى صدر فى سنة ١٩٢٦ (٩) . ويقول كاتب المقال ان الجنرال جان كريستيان سمطس من أبرز الصهاينة غير اليهود وانه صديق العمر لوايزمان . ولقد ذكر وايزمان ، فيما بعد ، حماس سمطس للشروع الصهيونى والجهود التى بذلها لصالح الصهيونية ، وذلك خلال احدى اللحظات الجريحة فى تاريخ الصهيونية . ففى سنة ١٩٤٨ التمس الزعيم الصهيونى التأييد من سمطس . وكما هو متوقع ، اعترفت حكومة جنوب افريقيا بالدولة الصهيونية اعترافا على أساس الامر الواقع (١٠) . وعلى الرغم من أن سمطس استقال وحل محل حزبه فى الحكم ، نى نهاية الامر الحزب الوطنى المؤيد للنسازية والذى كان احدى المراحل بمنع اليهود من الانضمام الى عضويته ، على الرغم من ذلك استمرت جنوب افريقيا فى تأييد اسرائيل (١١) . فضلا عن ذلك ، منحت اسرائيل معاملة تفضيلية بمقتضى قواعد الرقابة على النقد الاجنبى المطبقة فى البلاد ، كما اعترفت جنوب افريقيا باسرائيل اعترافا قانونيا (١٢) . وعندما تقدمت اسرائيل بطلب للانضمام الى الأمم المتحدة اقترعت جنوب افريقيا بالموافقة على هذا الطلب ، مؤيدة اسرائيل « فى عدد من المسائل اللاحقة المطروحة فى تلك الساحة » (١٣) .

وفى سنة ١٩٥٠ ، بعد مرور عامين على قيام الدولة الصهيونية ، قام موسى شاريت رئيس وزراء اسرائيل فى ذلك الوقت بزيارة جنوب افريقيا .

وبعد مرور ثلاث سنوات على تلك الزيارة كان رئيس وزراء جنوب أفريقيا ، رانيل ف . ملان أول رئيس حكومة يقوم بزيارة اسرائيل وعاد الى بلاده حاملا معه رسالة بأنه من الممكن أن تكون اسرائيل مصدر الهام لدولة التفرقة العنصرية (١٤) .

وتوترت العلاقات نسبيا بين جنوب أفريقيا واسرائيل خلال فترة التودد بين هذه الأخيرة وعدد من الدول الافريقية . فائناء تلك المرحلة اقترعت اسرائيل عدة مرات ضد جنوب افريقيا في الأمم المتحدة . وقد انتهى هذا الجمود في العلاقات بين الدولتين تحت ضغط الواقع ، وهكذا شهدت السنوات العشر الأخيرة تحسنا تدريجيا في العلاقات بلغ ذروته برفع العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين الى مستوى سفارة (١٥) . فليس من المبالغة ان تؤكد أن الرابطة بين جنوب أفريقيا واسرائيل قد أصبحت عضوية تقريبا . اذ أنشئت لجنة « وزارية تمثل كلتا الدولتين » ، وسوف تجتمع سنويا « لمناقشة الاستثمار وزيادة التجارة والتعاون العلمي والصناعي والمشروعات المشتركة لاستغلال الطاقة البشرية الاسرائيلية والمواد الخام في جنوب افريقيا (١٦) » . وقد اشارت صحيفة الجيروزاليم بوست ان اسرائيل هي « أول دولة أقامت معها جنوب افريقيا لجنة وزارية مشتركة لتشجيع التعاون الاقتصادي (١٧) » .

ولقد ترجم التعاون السياسي الى أشكال اقتصادية وعسكرية أكثر مباشرة . فقدمت الطائفة اليهودية الضخمة في جنوب افريقيا - التي وصفها احدي الصحف الاسرائيلية بأنها « واحدة من أكثر الطوائف الميالة الى الصهيونية والمؤيدة لها نشاطا في العالم (١٨) » - مساعدات هامة للاستعمار الاستيطاني الصهيوني « ، وكانت مساعدتها المالية ذات قيمة كبرى لاسرائيل » فمنذ سنة ١٩٢٦ « احتلت جنوب افريقيا المكانة الثانية في العالم (بعد الولايات المتحدة) في جمع الأموال . . . وكانت تبرعاتها المالية ، على المستوى الفردي . . هي الأضخم الى حد بعيد (١٩) » . ولقد شعر وايزمان ، خلال الزيارة التي قام بها في الثلاثينات لجنوب افريقيا ، بالارتياح البالغ للنتائج التي حققتها هذه الزيارة والتي كانت على حد قوله : « كبيرة تماما من الناحية المالية (٢٠) » .

وفي سنة ١٩٦٢ تراخى تدفق الأموال الصهيونية ، اذ اقدمت حكومة جنوب افريقيا ، انتقاما منها من تصويت اسرائيل في الأمم المتحدة ضد التفرقة العنصرية ، على إلغاء الامتيازات الخاصة التي كانت قد منحتها قبل ذلك لتيسير تدفق الأموال الى اسرائيل الا أن هذا الحظر رفع بعد سنة ١٩٦٧ ووضعت من جديد قواعد خاصة تسمح للاتحاد الصهيوني في بريتوريا

بتحويل بعض الأموال التي يجمعها . ولا يزال هذا الاجراء نافذ المفعول ، ومن المعتقد انه قد حول الى اسرائيل خلال حرب ١٩٧٣ ما يقدر بثلاثين مليون دولار (٢١) . وقد أعلن السفير الاسرائيلي في جنوب افريقيا في هذا الخصوص أن يهود جنوب افريقيا يتمتعون بذلك « بامتياز » خاص لأن القواعد المنظمة للعملة تمنع مثل هذه التحويلات المالية بهدف منع هروب رأس المال (٢٢) .

وتؤثر أموال صهيوني جنوب افريقيا في كل مستويات المجتمع الاسرائيلي لأنها تصب في أماكن غير متصلة وغير متوقعة مثل معمل الطفيليات بالجامعة العبرية و « أول مدينة سكنية للطالبات بها (٢٣) » .

ومع أهمية التبرعات المالية المباشرة ، لا تقارن - في أهميتها - باستثمارات يهود جنوب افريقيا في اسرائيل . ففي سنة ١٩٢٢ أنشأ صهيونيون جنوب افريقيا شركة بنیان للرهن العقاري عملت على تزويد المستوطنين الصهيونيين من جنوب افريقيا بالمساكن وساهمت في تنمية حيفا بعد سنة ١٩٤٨ . وقد اندمجت الشركة بعد ذلك مع شركة مجدال للتأمين وتكونت منهما أكبر شركة للتأمين في اسرائيل . وقد ساهمت أموال صهيوني جنوب افريقيا أيضا في تنمية ميناء عسقلان الذي تم تسليمه حينذاك الى الحكومة الاسرائيلية . وقد نشأت شركة للاثاث وشركة اسرائيلية للشحن البحري ، وشركة العال الاسرائيلية عن مشروعات قامت بها جنوب افريقيا أو قام بتمويلها الصهيونيون في جنوب افريقيا (٢٤) .

وبالإضافة الى المساعدة التي تقدمها الطائفة اليهودية الصهيونية في جنوب افريقيا هناك علاقة اقتصادية مباشرة بين الصهيونية والتفرقة العنصرية على المستوى الحكومي . فقد أدت الحاجة الى تقوية العلاقات بينهما الى إنشاء « رابطة اسرائيل - جنوب افريقيا للتجارة في ابريل ١٩٦٨ لتنشيط التجارة بين البلدين » . وفي شهر يونيو من نفس السنة (٢٥) عين مفوض تجاري اسرائيلي في جنوب افريقيا .

وبتدعيم الروابط التجارية ، بدأت صادرات اسرائيل الى جنوب افريقيا في التوسع فزادت جملتها عن ٢٨٧ مليون دولار في سنة ١٩٧٤ . وخلال تلك السنة باعت جنوب افريقيا لاسرائيل سلعا بلغت قيمتها ٤٣١ مليون دولار (هي زيادة ضخمة بالنسبة لأرقام سنة ١٩٦٥ التي بلغت ٢٧ مليون دولار للصادرات ، ٤٣ مليون دولار للواردات) . وتستورد صناعة صقل الماس ، التي تمثل ٣٤٪ من جملة الصادرات الاسرائيلية ، المواد الخام التي تحتاج اليها من جنوب افريقيا والتي تجعل دولة التفرقة العنصرية « شريكة

اسرائيل الاولى فى التجارة (٢٦) . » ولا تتضمن احصائيات التجارة بين البلدين ارقام واردات وصادرات الماس لان المبيعات تتم عن طريق احدى الوكالات التى تتخذ لندن مقرا لها .

وقد ازداد التعاون الاقتصادى بعد زيارة فورستر الاسرائيل ، شأنه فى ذلك شأن كافة نواحي التعاون الأخرى بين البلدين . ومن المعتقد ان الدولتين سوف تشتركان معا فى بناء « خط حديدى ومصنع » لدقنة « الصلب ومحطة لتوليد الكهرباء بالطاقة المائية تستخدم مياه البحر الأبيض المحولة الى البحر الميت (٢٧) » . كما تقدمت اسرائيل بدورها بطلب لشراء كميات ضخمة من الفحم من جنوب افريقيا .

والمنتجات نصف المصنوعة التى تستوردها اسرائيل من جنوب افريقيا ذات أهمية خاصة اذ يتم تجهيزها فى اسرائيل لكى يعاد تصديرها الى الدول الافريقية التى تفرض حظرا تجاريا على جنوب افريقيا (٢٨) . وقد اشار بنيامين وبنستين رئيس وفد جنوب افريقيا فى مؤتمر اصحاب الملايين الى ان شركات جنوب افريقيا تستخدم اسرائيل « كقاعدة مفيدة للغاية » لتفادى العقوبات التى تفرضها الدول الافريقية . وبعد ان افصح عن خطة لانشاء مصنع للنسيج فى اسرائيل اضاف قائلا ان المشروع المذكور آنفا « كان خطوة أولى فقط من ست او سبع خطوات فى الطريق » . وربما كان لذلك السبب يتوقع ان يستثمر رجال الأعمال فى جنوب افريقيا أموالهم فى اسرائيل « حتى أقصى حد تفرضه حكومتهم (٢٩) » . وتؤكد أيضا صحيفة راند ديلي ميل الصادرة بتاريخ ١٤ ابريل ١٩٧٦ القصة الخاصة باقامة صناعات لانتاج سلع كاملة الصنع ، تضيف بدورها أنها ليست وسيلة لتفادى الحظر الذى تفرضه افريقيا فحسب وانما هى أيضا وسيلة « للاستفادة من اتفاقيات حرية التجارة المعقودة بين اسرائيل وكل من المجموعة الاقتصادية الأوروبية والولايات المتحدة (٣٠) » .

اما العلاقة العسكرية بين الدولتين ، وهى مجال آخر للتعاون ينمو نموا سريعا فيرجع تاريخها الى سنة ١٩٤٨ عندما قاتل المتطوعون الصهيونيون من جنوب افريقيا بجانب المستوطنين الصهيونيين فى فلسطين . ونقلا عن مصادر صهيونية واسرائيلية ، ساهمت الطائفة اليهودية الصغيرة فى جنوب افريقيا ، فى المجهود الحربى الاسرائيلى ، بلغة المتطوعين المهرة ، أكثر من أية دولة أخرى فى العالم (٣١) . ومن الجدير بالذكر فى هذا الصدد أن أول طيار يسقط فى المعركة فى سلاح الطيران الاسرائيلى كان متطوعا من جنوب

أفريقيا (٢٢) . ويصدق نفس القول بالنسبة لحربي عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ ، اذ تطوع خلالها عدد كبير من الصهيونيين من جنوب أفريقيا وقاتل عدد منهم بالفعل مع القوات الاسرائيلية .

وقد كتب سي.ل. سولزبيرجر في صحيفة نيويورك تايمز بعدها الصادر بتاريخ ٢٨ ابريل ١٩٧١ يقول انه علم بصورة غير رسمية ان بعثة من جنوب أفريقيا قد سافرت بطريق الجو الى اسرائيل اثناء حرب ١٩٦٧ ، « للدراسة التكتيكية واستخدام الأسلحة . » ونالت الحرب بعد ذلك اهتماما كبيرا في الأدب العسكري لجنوب أفريقيا . وقام كثير من القادة الاسرائيليين وكبار المسؤولين في وزارة الدفاع ، مثل الجنرال موردخاي هود قائد سلاح الطيران الاسرائيلي ووزير الدفاع شيمون بيرنز بزيارة بريستوريا . وألقى هود خطابا أمام نخبة من الضباط بكلية الطيران ، واجتمع شيمون بيرنز - وكان يشغل حينذاك منصب سكرتير حزب العمل الحاكم ، كما كان عضواً بلجنة الشؤون الخارجية والدفاع ، لوزير دفاع جنوب أفريقيا (٢٣) .

وشهدت حرب ١٩٧٣ تعاوناً أوسع مدى أيضاً - فقد اشترك ١٥٠٠ يهودي ممن ينتمون الى جنوب أفريقيا في القتال الفعلي ، وكان هناك ٨٠٠ من هؤلاء اليهود ضمن الوحدات التي عبرت قناة السويس (٢٤) . واسقطت طائرة مقاتلة واحدة ، على الأقل ، تابعة لجنوب أفريقيا فوق قناة السويس .

والتعاون في مجال صناعة السلاح قوى تماماً . ويبدو ان الدولتين اللتين تعتمدان اعتماداً كبيراً على المساعدات والتكنولوجيا الغربية ، تحاولان تنسيق جهودهما لتحقيق الاستقلال في مجال انتاج المعدات العسكرية (٢٥) . فجنوب أفريقيا ، على سبيل المثال ، تقوم « بصنع المدفع الرشاش من طراز عوزي ، من ابتكار اسرائيل ، بترخيص حصلت عليه عن طريق بلجيكا » . وتشير تقارير غير مؤكدة الى انه « بعد ان حصل الاسرائيليون على تصميمات محرك المقاتلة الفرنسية من طراز ميراج ، قدموا لجنوب أفريقيا نسخاً من التعديلات التي أدخلوها على هذه التصميمات (٢٦) » . وقد قام رجال أعمال وخبراء طيران اسرائيليين ، كانوا في رحلة الى جنوب أفريقيا في ديسمبر ١٩٦٧ ، بزيارة صناعات طائرات اطللس قرب جوهانسبرج وأعربوا عن أملهم في ان يقدموا الى جنوب أفريقيا طائرة من صنع اسرائيل ذات مدى قصير في التحليق والهبوط الاجراء سلسلة من التجارب عليها » . وقرر المسؤولون في جنوب أفريقيا بدورهم ، طبقاً لما ذكرته نشرة وكالة البرقيات اليهودية في

٢٦ يناير ١٩٧٠ « تنظيم تصدير الدبابات من طراز تشيفتين الى اسرائيل (٢٧) » .

وقد ظل تبادل المعونة والخبرة والاسلحة العسكرية يحتفظ بطابع السرية الى حد بعيد . فخلال زيارة رئيس الوزراء فورستر لاسرائيل في ابريل ١٩٧٦ وصف اى حديث عن « قرب عقد صفقة اسلحة » بأنه « هراء منطبق » ، وأوضح السفير الاسرائيلى في بريتوريا بأن « احتياجات اسرائيل وجنوب افريقيا الدفاعية مختلفة تمام الاختلاف » . إلا أنه مهما حاولت اسرائيل جاهدة ان تخفى هذه الرابطة ، فان الحقائق تتسرب بانتظام ، وفي النهاية تجد طريقها الى الصحف ، بل أنه يعترف بها في بعض الأحيان .

فعلى الرغم من انكار فورستر القاطع ، لم يمض وقت طويل حتى أصبحت أنباء صفقة الأسلحة معروفة . وأذاع راديو اسرائيل ما يتعلق بها من تقارير . ففي أثناء زيارته لاسرائيل قام رئيس وزراء جنوب افريقيا بمعينة مصانع الطائرات الاسرائيلية والمرافق البحرية واحدى القواعد الجوية وهى جولة حاول السفير الاسرائيلى في جنوب افريقيا ان يحول الانظار عنها بوصفها بأنها مجرد ارتياد لمواطن تستحق المشاهدة . فقد رأى فورستر ، على حد قول الدبلوماسى الاسرائيلى ، ان جيش اسرائيل أو بحريتها أو سلاحها الجوى مفاتن سياحية تقريبا « مثل الحائط الغربى وجبل صهيون (٢٨) » .

الا ان راديو اسرائيل اذاع تقريراً تضمن مزيداً من التفاصيل عن التعاون العسكرى بين اسرائيل وجنوب افريقيا . فقد كشف راديو اسرائيل في ٩ أغسطس ١٩٧٦ الستار عن ان اسرائيل تقوم ببناء زوارق مزودة بمدافع بغيدة المدى لحساب جنوب افريقيا . وسوف تسليح الزوارق بصواريخ بحرية بحز (وتحدد بعض التقارير عددها بصاروخين بينما تحدد تقارير اخرى عددها بستة صواريخ) . وربما كان من المفيد ان تشير الى أن هذه الزوارق من نفس طراز الزوارق الاسرائيلية التى اشتركت فى عملية الشراع « التى تمت فى نيويورك فى ٤ يوليو . ويجرى الآن تدريب الاطقم التى ستقوم بالعمل على هذه الزوارق فى حيفا . وينتظر ان يكون اول زورق جاهزاً للعمل فى يناير . وذكر راديو اسرائيل أيضاً انه « سيتم بناء زورق من تصميم اسرائيل للدوريات الشواطىء » فى جنوب افريقيا بمقتضى ترخيص (٢٩) ، وأنه يبدو ان كل هذه البنود تشكل جزءاً من « صفقة اسلحة » اضعف « تبلغ اربعاً وعشرين طائرة نفثة من طراز كفير الاسرائيلية الصنع » . وذكرت التقارير ان طلب جنوب افريقيا يشمل أيضاً معدات الكترونية عسكرية متقدمة (٤٠) .

لقد قاتل متطوعو جنوب افريقيا ، كما اشرنا قبلا ، الى جانب الاسرائيليين في حروب ، كثيرة . ونظرا لان حركة التحرير الوطنية السوداء يستند ساعدها في افريقيا ، فقد ينشأ وضع تجد اسرائيل فيه انها مضطرة الى رد الجميل بارسال « متطوعين » اسرائيليين ليقاتلوا جنبا الى جنب مع قوات جنوب افريقيا . وقد تجد نفسها ايضا ملزمة بوضع معرفتها وخبرتها تحت تصرف اصحاب الفضل عليها في جنوب افريقيا .

وربما يكون التعاون وفقا لهذه الأسس قد بدأ بالفعل توقعا لزيادة القلاقل في جنوب افريقيا . فثمة تقارير غير مؤكدة ، طبقا لما ذكرته صحيفة « وول ستريت » ، بأن اسرائيل تستعد لتدريب قوات من جنوب افريقيا على أساليب الأمن لاعدادهم للموقف المتفجر بصورة محتملة في جنوب افريقيا . فقد بدت بوادر الاضطراب بالفعل بعد أسابيع قليلة من عودة فورستر من اسرائيل (٤١) . وعلى الرغم من ان المسألة لا تزال حساسة على نحو مفهوم بالنسبة لكلا الجانبين ، بدأ مزيد من المعلومات المتعلقة بالتعاون في هذا المجال بين النظامين الاستيطانيين يظهر على السطح ومن السهل جمع بعض الحقائق من الملاحظات والتصريحات التي يدلى بها الاسرائيليون الذين يشغلون مراكز رفيعة . فقد أعلن الجنرال مائير أميت ، رئيس صناعات « كور » رئيس المخابرات الاسرائيلية السابق ، خلال زيارته لجنوب افريقيا في شهر يوليو من العام الماضي ان الضباط الاسرائيليين « يقومون بانتظام بالقاء محاضرات على ضباط جنوب افريقيا عن الحرب الحديثة وتاكتيكات حرب العصابات » (٤٢) . وقد عزز هذا التقرير ما صرحت به مارشيسا فريدمان ، عضو البرلمان الاسرائيلي ، من ان « مئات من الجنود الاسرائيليين قد الحقوا بوحدات جيش جنوب افريقيا كمدرين واشتركوا في مناورات تدريبية » . وقد نفت وزارة الدفاع الاسرائيلية ، بشدة هذا التقرير مثلما نفت تقارير كثيرة أخرى .

وعلى الرغم من نفى اسرائيل ، ليس من المخاطرة ان نقرر ايضا ان التعاون بين الدولتين المنظمتين على أساس عسكري ، يمتد الى أبعد من التعليم والتدريب . فقد نشرت الصحف البريطانية ، في تفطيتها لأحداث ثورة انجولا ، تقريرا يوضح ان « الضباط الاسرائيليين قد اشتركوا الى حد بعيد في تخطيط جيش جنوب افريقيا في حملة انجولا » . وفي نفس التقرير الذي نشرته صحيفة التلغراف البريطانية في ٣ ابريل ١٩٧٦ لمراسلها في جوهانسبرج ذكر احد جنرالات جنوب افريقيا ان السبب في قلة الخسائر التي منى بها جنوب افريقيا في القتال في انجولا يرجع الى ان « الاساليب

الاسرائيلية لاخلاء ومعالجة المصابين في الخطوط الامامية قد اتبعت بدقة » (٤٤) .

وبالإضافة الى ذلك ، تشير تقارير غير مؤكدة من افريقيا الى انه قد يكون ثمة ايضا تعاون مباشر بين اسرائيل وجنود جنوب افريقيا في مواقع القتال الفعلي . فقد ذكر ممثلو منظمة شعب جنوب غربى افريقيا ، الذين كانوا في مهمة في انجولا ، ان الجنود الاسرائيليين يشاركون الآن مشاركة فعالة في القتال ضد قواتهم . وقد ذكر احد التقارير الصحفية البريطانية ، نقلا عن المناضلين الانجلوليين ، ان « عددا من جرحى منظمة شعب جنوب غربى افريقيا ... قد أصيبوا في اشباكات مع الاسرائيليين . ويقال أن هؤلاء الآخرين يستخدمون جماعات من رجال الكوماندوز الذين تحملهم طائرات الهليكوبتر في الانقضاض على مقاتلى منظمة شعب جنوب غربى افريقيا ، ولا سيما في مناطق الحدود بين ناميبيا وانجولا . اذ يشتهر الاسرائيليون على وجه الخصوص بمهارتهم في استخدام طائرات الهليكوبتر في الهجمات الخاطفة .

وما يتردد من شائعات عن استعداد افريقيا « لتزويد اسرائيل بالاورانيوم ينذر بأخطار اكبر . ولو تأكدت هذه الشائعات فلا يمكن التنبؤ بالتهديد الناجم عن هذا التطور الخطير اذا ما وضعنا في الاعتبار الموقف اليائس للدواتين ، ونظرا لان ايا منهما لم توقع على معاهدة حظر انتشار الأسلحة الذرية . فربما بدا لهما ان الرادع النووي هو البديل الوحيد لاعتمادهما الكامل على الغرب ، وان في استطاعتهما مع ضمان الاكتفاء الذاتى من الناحية العسكرية ان يستمرا في سياساتهما دون ان يعوقها الراى العام العالمى أو اية ضغوط من الدول الغربية المساندة لهما » .

هذا التعاون السرى ، والسافر في بعض الاحيان ، متسق ومنطقى اذا ما نظرنا اليه في سياق موقف اسرائيل واتجاهها . فبعد أن انهيار المظهر الخادع الذى اعد بمهارة بالغة تلاشت الحاجة الى تقديم ذريعة ، واصبح من الممكن الآن أن يعبر صحفي اسرائيلى ، جوزيف لايد ، عن رايه بصراحة في مقاله نشرتها صحيفة معاريف قبل حرب ١٩٧٣ . اذ يعترف الكاتب بأن كان ممنوعا فيما مضى من مصارحة قرائه الاسرائيليين برايه في أغلبية دول افريقيا السوداء . واستطرد يقول انه لم يعد في حاجة الى الادعاء والتظاهر . ويصف الكاتب هذه الدول في مقالته بأنها « مشكلة تصيب المرء بالفشان » . يستخدم لايد نفس اللغة التى يستخدمها الاستعمار الغربى

فيذكر أن « الزنجى الذى يتعرض لأشد الاضطهاد في جنوب افريقيا لديه من الغذاء أكثر مما لدى ملايين الافريقين في الدول المتحررة » ، الأمر الذى يصدق أيضا على العرب في اسرائيل حيث يتوفر لهم أيضا الغذاء والملبس الجيد ولكنهم جاحدون ويعملون الى التنفيس عن غضبهم باثارة الشغب ، شأنهم في ذلك شأن معظم الشعوب الخاضعة للاستعمار ويكشف لايد عن عقلية الصهيونية والاستعمارية فيؤكد انه بفضل الصداقة مع دولة بيضاء ومنظمة وناجحة وتضم طائفة يهودية مزدهرة على الصداقة مع افريقيا السوداء (٤٧) .

وربما كان اجراء واحد فقط هو الذى يساعد في النهاية ، أكثر من أى اجراء آخر ، على رفع القناع الذى حجب ، لفترة طويلة ، الطبيعة الحقيقية للتعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا . فخلال زيارة فورستر لاسرائيل ، قام فورستر - وهو جنرال سابق في الحركة الوطنية الموالية للنازية في جنوب افريقيا ، والتي كانت تقاوم المجهود الحربى للحلفاء في محاربة المانيا النازية واعتقال لمدة عشرين شهرا بسبب مقاومته ، ولم ينكر موقفه الموالى للنازية (٤٨) - بوضع اكليل من الزهور على النصب التذكارى المقام في القدس للضحايا اليهود الذين ابيدوا على ايدى النازيين . حتى لقد شعرت صحيفة الجيروزالم بوست الموالية للحكومة بأنها مضطرة الى الاحتجاج ، ولو بصوت خافت ، بأنه ينبغي الا يرتبط اليهود بأحد المؤيدين السابقين للنازية (٤٩) . ومن المثير للسخرية ان هذه المسألة البديهة كان لابد ان تتكرر الدولة اليهودية .

ملاحظات

- (١) ج. ارتوسكى ، « مأساة المفالة في الوطنية الاسرائيلية » ، الصهيونية واسرائيل والعرب (بيركلى ، كاليفورنيا : دار نشر الكنب الاشتراكية ، ١٩٦٧) صفحة ١٩١ .
- (٢) ابراهيم العابد ، ١٢٧ سؤالا وجوابا عن النزاع العربى الاسرائيلى (بيروت ، مركز الدراسات الفلسطينية ١٩٧٢) صفحة ١٣ .
- (٣) « جنوب افريقيا » الموسوعة اليهودية ، اعداد سيسيل روث (القدس ، كيترهاوس ، ١٩٧٢) المجلد الخامس عشر .
- (٤) جويش برس ١٨ يونيو ١٩٧٦ .
- (٥) « جنوب افريقيا » الموسوعة اليهودية المجلد الخامس عشر .
- (٦) صحيفة نيويورك تايمز ٢٠ ابريل ١٩٧١ .

- (٧) إسرائيل وأفريقيا الجنوبية : مقارنة دور جنوب أفريقيا ودور إسرائيل في العالم الثالث (لجنة منطقة ماديسون الخاصة بأفريقيا الجنوبية) صفحة ١٢ .
- (٨) صحيفة دول ستريت جورنال ٢٣ أبريل ١٩٧٦ .
- (٩) ن. كيرشنر : « الصهيونية واتحاد جنوب أفريقيا » مجلة الشبثون اليهودية ، مايو ١٩٦٠ صفحة ٤٢ .
- (١٠) حاييم وايزمان : التجربة والخطأ (نيويورك : هاربر وراو ، ١٩٤٩ ، صفحة ٤٧ .
- (١١) جنوب أفريقيا « الموسوعة اليهودية » المجلد الخامس عشر .
- (١٢) المرجع السابق .
- (١٣) المرجع السابق .
- (١٤) كيرشنر « الصهيونية واتحاد جنوب أفريقيا » صفحة ٤٢ .
- (١٥) صحيفة واشنطن بوست ٨ أبريل ١٩٧٦ .
- (١٦) صحيفة كريستيان ساينس مونيتور ١٤ أبريل ١٩٧٦ .
- (١٧) صحيفة نيو تايمز ١٤ مايو ١٩٧٦ .
- (١٨) صحيفة واشنطن بوست ٨ أبريل ١٩٧٦ .
- (١٩) « الصهيونية » الموسوعة اليهودية المجلد السادس عشر .
- (٢٠) وايزمان ، التجربة والخطأ صفحة ٣٤٧ .
- (٢١) تقرير الأمم المتحدة عن العلاقات بين إسرائيل وجنوب أفريقيا صفحة ١٣ .
- (٢٢) صحيفة جوش برس ١٨ يونيو ١٩٧٦ .
- (٢٣) « جنوب أفريقيا » الموسوعة اليهودية المجلد الخامس عشر .
- (٢٤) « يهود جنوب أفريقيا في إسرائيل » موسوعة الصهيونية وإسرائيل ، المجلد الثاني .
- (٢٥) تقرير الأمم المتحدة عن العلاقات بين إسرائيل وجنوب أفريقيا ، صفحة ١٨ .
- (٢٦) إسرائيل وأفريقيا الجنوبية ، صفحة ١٣ .
- (٢٧) نيوزويك ٢٣ أغسطس ١٩٧٦ .
- (٢٨) صحيفة دول ستريت جورنال ٢٣ أبريل ١٩٧٦ .
- (٢٩) بيتر هلي « إسرائيل وجنوب أفريقيا : تطور العلاقات ١٩٦٧ - ١٩٧٤ » بحث مقدم في أكتوبر ١٩٧٤ إلى اللجنة الخاصة بالتفرقة العنصرية التابعة للأمم المتحدة وأدرج كوثيقة رسمية من وثائق الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٧٤ . صفحة ٢٣ .
- (٣٠) تقرير الأمم المتحدة عن العلاقات بين إسرائيل وجنوب أفريقيا صفحة ٢٠ .
- (٣١) صحيفة زاينست ريكورد ٢٢ مايو ١٩٥٩ .
- (٣٢) تقرير الأمم المتحدة عن العلاقات بين إسرائيل وجنوب أفريقيا صفحة ١٢ .
- (٣٣) الروابط المعاصرة بين جنوب أفريقيا وإسرائيل (لجنة ماديسون الخاصة بجنوب أفريقيا ، أورد ذلك العابد في كتابه ، ١٢٧ سؤالاً ، ، صفحة ١٣٤) .

- (٣٤) بيتر هالير ، اسرائيل وجنوب افريقيا صفحة ٢٦ .
- (٣٥) الروابط المعاصرة ، التي أوردتها كتاب ١٢٧ سؤالاً ... صفحة ١٣٥ .
- (٣٦) سولزبرجر ، صحيفة نيويورك تايمز ، ٢٠ ابريل ١٩٧١ .
- (٣٧) الروابط المعاصرة .. ، كتاب .. ١٢٧ سؤالاً صفحة ١٣٤ .
- (٣٨) صحيفة جويش برس ، ١٨ يونيو ١٩٧٦ .
- (٣٩) نشرة الانباء اليومية للوكالة اليهودية للبرقيات ، ١ اغسطس ١٩٧٦ .
- (٤٠) صحيفة نيويورك تايمز ، ١٨ اغسطس ١٩٧٦ .
- (٤١) ٢٣ ابريل ١٩٧٦ .
- (٤٢) التعاون العسكري ، والتعاون في انتاج الدفاع (مجلة العالم الثالث ، بون)
عدد خاص « اسرائيل - جنوب افريقيا : تعاون قواعد امامية استعمارية » ١٩٧٦ من صفحة
٦٤ الى صفحة ٦٦ .
- (٤٣) تقرير الأمم المتحدة عن العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا . صفحة ١٥ .
- (٤٤) المرجع السابق .
- (٤٥) صحيفة الجارديان ، ٧ ابريل ١٩٧٦ .
- (٤٦) صحيفة دول ستريت جورنال ، ٢٣ ابريل ١٩٧٦ .
- (٤٧) دوفلبير ، جنوب افريقيا ، دولة بغيضة بين الامم (لندن ، يونيفرس تاندم ،
١٩٧٥) من صفحة ٢٨ الى ٣٩ .
- (٤٨) فورسمر : رجل في قافلة ، مجلة تايم ، ٢٨ يونيو ١٩٧٦ .
- (٤٩) نيو تايمز ١٤ مايو ١٩٧٦ .

الجزء الثانى

قراءات لوثائق

القسم الاول

قراءات

ان قوة الصهيونية فى جنوب افريقية ترتبط ، بشكل مباشر ، بالقوة الاقتصادية للطائفة اليهودية . والقراءتان الاوليان (١ ، ٢) ترسمان مسار هذا التطور .

(١) اليهود فى ميدان التجارة والاقتصاد بجنوب افريقية (١)

اريك روزنثال

منذ الايام الاولى للاستعمار الاوروبى لجنوب افريقية واليهود يبرزون فى المؤسسات التى تعتمد عليها كفاءة التجارة ، والمال ، والصناعة اعتمادا كبيرا . ونجد اليهود ممثلين ، بدا بشركة الهند الشرقية الهولندية التى اتى جان فان ريبيك ، تحت رعايتها ، بحملته الشهيرة عام ١٩٥٢ ، لينشئ اول مركز تجارى على شطآن تيول باى ...

رواد تجاريون من اليهود :

وبالنسبة لجنوب افريقية نفسها لم يبدأ دور اليهود الا فى فترة لاحقة ، ذلك ان المستوطنين الاول كانوا قاصرين على اشخاص ينتمون الى العقيدة المسيحية . والواقع ان اليهود لم يبدؤوا فى الظهور فى الحياة التجارية للبلاد الا مع مطلع القرن التاسع عشر ...

ومن بين ال ١٨٢٠ مستوطنا نجد خمس اسر يهودية اسهمت كلها تقريبا - آخر الامر - فى تطور التجارة والصناعة ، وان بدءوا كمزارعين ، شأنهم شأن معظم المستعمرين فى ظل تلك التجربة وهكذا نجد ان موريس سلومان - الذى مر بكوارث بسبب اغارات الاكسوساس على الحدود ولقد قتلوا ولده الصغير مارك) - اصبح فى النهاية تاجرا فى مدينة الكيب وعضوا فى « التبادل التجارى » كذلك انتهى الامر ببنيامين نوردين الى ان يصبح تاجرا ناجحا فى مدينة الكيب . اما جون نورتون فاستقر فى جراها مزتاون ومارس عملا مماثلا .

أما عائلة كيليان فكانوا مسئولين ، بدورهم ، عن هجرة نفر ممن أصبحوا فيما بعد من أقطاب التجارة ، بما في ذلك ناتان بيركينروث ، وإبراهام هورن ، وأهم من هذا : جوزيف موزينثال ، وكانوا جميعا كتبة أساسا في مكاتب المحاسبة . ولا يقل عن هذه الأحداث في الأهمية قدوم ابن عم جبريل كيليان عام ١٨٣٤ ، واسم يوحنا بيرجتيل ، وهو إحدى الشخصيات القيادية أبان فجر استعمار ناتال ، ومنشئ صناعة القطن في البلاد .

بيت دى باس :

ومن أشهر البيوت في التبادل التجارى بالكيب في منتصف القرن الماضى بيت دى باس الذى أسهم فى أمور شتى من بينها أن كان رائدا فى صناعة الفوانى الهامة . وفى عام ١٨٥٩ حصلوا على أول براءة اختراع فى جنوب أفريقية لاصلاح السفن فى سايمونز تاون ، وكوفثوا على ذلك بأن صوتت لجنة التبادل على تهنئتهم وشكرهم ...

الغرفة التجارية :

وأهم من هذا كله ما حدث عام ١٨٦٠ ، فقد تقرر تحويل « التبادل التجارى » الى « الغرفة التجارية لكيب تاون » ، أما الاجتماع التاريخى الذى نوقش فيه هذا الأمر فقد رأسه يهودى ، وهو تشارلز مانويل ويجدر أن نسجل أيضا أن صول سليمان رأس الاجتماع الأخير للتبادل التجارى القديم .

وفى أواخر القرن التاسع عشر لمع فى شئون الغرفة التجارية لكيب تاون شخصى اعتنق اليهودية ، وهو لودفيج فانيار الذى كان عضوا فى البرلمان ورئيسا لمؤسسة فان ديربيل وشركائه ، وكان آنذاك المتحدث ، المعتمد ، باسم عالم رجال الأعمال بجنوب أفريقية . مما يذكرنا بأن الدعوة وجهت إليه - بوصفه الممثل الرسمى للغرفة التجارية لكيب تاون - لحضور افتتاح خط السكك الحديدية الى بلويمفونتين فى ١٧ يناير ١٨٩١ . كذلك كان فانيار مستشارا موثوقا به - للحكومة فى مسائل مثل أسعار السكك الحديدية وفى عام ١٨٩٢ أوفد الى شيكاغو بوصفه مندوب مستعمرة الكيب فى المعرض الدولى .

أما أول رئيس يهودى للغرفة التجارية بكيب تاون فكان ميار كاسيل ، وكان ذلك عام ١٨٥٣ ..

وعندما ظهرت غرفة ناتال التجارية الى حيز الوجود عام ١٨٥٦ كان بالبلاد عدد من التجار اليهود . كان هناك جوناس بيرجتايل وأدولف كوكي والثاني يهودي بلجيكي ، وكان على صلة وثيقة بعائلة فورتريكار ، ولعبوا دورا رئيسيا في مشروعات مثل « مصرف ناتال » و « شركة تأمين ناتال » وكذلك « شركة سكة حديد ناتال » الاصلية ، التي اكملت - عام ١٨٦٠ - اول خط في جنوب افريقية ، من ديربان الى بوينت ...

في الرائد :

خلال الايام الاولى ، ولفترة طويلة ، كان لجوهانسبرج غرفة تجارية ورابطة تجارية . وفي عام ١٨٩٣ انفصل ديفيد هولت من الغرفة التجارية واصبح نائبا لرئيس الثانية . وكان من بين أعضاء لجنة الرابطة التجارية ج.د. الياس ، ل. هارت ، ج. جاكوبسون ، ج.ه. اسراييل ، ا.ه. جيكونز (الذي اشترى ، عام ١٨٩٦ ، اول سيارة تستوردها جنوب افريقية) .

وفي عام ١٨٩٦ كانت لجنة الرابطة التجارية تضم مونس ديفير ، ج. كوينجز بيرج ، اما السكرتير - ل. ايزنبرج - فكان يهوديا المانيا معروفا . وبعد الحرب بين الانجليز والبوير تحولت الرابطة التجارية الى « غرفة جوهانسبرج التجارية » ، ودامت حتى عام ١٩١٠ ، وعندئذ بدا واضحا الآن وجود جهازين منفصلين ليس من الحكمة في شيء مما ادى الى اندماجهما . وبحلول عام ١٩٠٢ كان بعض أعضاء الرابطة التجارية قد عادوا بما فيهم ج. جاكوبسون وديفيد هولت . اما الفريد روجالي فكان عضوا قديما وشهيرا في لجنة الغرفة التجارية ، وانتخب نائبا للرئيس عام ١٩١١ . ولقد ظل الفريد روزينثال (لا يمت بضلة قرابة الى كاتب هذا المقال) لاعوام عديدة احد الاعمدة الاساسية لغرفة جوهانسبرج ، وكان في اللجنة التنفيذية . اما ج. رافايلى ، ب. جوند يلفينجار ، ج. هايلبرون ، س. م. اسمي ، كلود ه. ليون ، فكانوا من الشخصيات المعروفة التي تنتمى الى الجهاز ايضا وفي عام ١٩٢٢ انتخب سيليج هيلمان نائبا للرئيس .

ومنذ تأسيس رابطة الغرف التجارية لجنوب افريقية ظهر رؤساء يهود ، بدءا بلودفيج فاينسار الذي شغل ذلك المنصب منذ عام ١٨٩٤ حتى عام ١٨٩٩ . وفي عام ١٩٠٩ وعام ١٩١٠ شغله وولف اهرليخ ، في بلويمفونتاين ، وشغله عامي ١٩٢٨ و ١٩٢٩ كارل جسونديلفينجار ، من ديربان . فاذا انتقلنا الى تاريخ اكثر حداثة وجدنا هاري جولدبرج في جوهانسبرج وشغل

المنصب خلال الفترة ١٩٥٣ - ١٩٥٤ ، وشغله في الفترة ١٩٦٢ - ١٩٦٣
أ. ب. برادلو ، في جوهانسبرج أيضا .

أما مساهمة اليهود في صناعة التعدين فترجع الى عام ١٨٥٤ ، فقد حدث نتيجة لأول ازدهار هائل في صناعة النحاس في ناماكوالاند ، أن حدث في الكيب أن طرحت سندات مالية في السوق . وكان من بين مديري شركة جنوب افريقية للتعدين صول سليمان ، بينما كان ارنست لاندزبرج من بين مديري شركة تعدين رأس الرجاء الصالح . أمام بريوس فكان رئيس شركة تعدين المقاطعة الغربية ، وكان آرون دي باس مدير شركة تعدين وولويش باي ، وكان هـ. سليمان مدير شركة تعدين الكيب الاستعمارية ، واشترك يوليوس موزينثال وأج. لاندزبرج في ادارة شركة تعدين سبيكتاكيل .

ولم تستدع الظروف شكلا معينا من اشكال التنظيم الا عند اكتشاف حقول الماس في جريكوالاند الغربية في البداية كانت هناك « لجان الحفارين » البدائية عند المقال ، وضمت أناسا مثل ت. ب. كيش ، ومنها تطورت هيئة تعدين كيمبرلي ، ومن أعضائها ف. دي باس ، ر. هنريخس ، وغيرهما من اليهود .

غرفة المناجم :

وعندما ظهرت « غرفة مناجم فيتفوترسراند » بعد اكتشاف الذهب مباشرة ، دل تقريرها السنوي الأول الصادر (عام ١٨٨٨) على وجود عدد كبير من الاعضاء اليهود . ولم يقتصر الامر على وجود رجل الأعمال الكبير المهيّب ، كارل هانو ، كنائب للرئيس ورئيس للمجلس ، وانما ضمت اللجنة أيضا إدوارد ليرت ، ليونيل فيليبس . ومن بين الاعضاء كان هناك الممثلون جوستيف ايمروث ، عن منجم ذهب فلورا ، سايمون ساك (عن جيلد بنهوي مين ريف) ، ألفونس ليلينفيلد (عن لانجلاجتي بلوك ب) ، ريتشارد ليلينفيلد (عن مقاطعات لانجلاجتي) سيدني موريس (عن لانجلاجتي ويسترن) ، ل. لوفينثال (عن منجم الذهب القومي) ، جوستاف سون مؤسبة الترانسفال للفحم) ، وآخرون . وفي عام ١٨٩١ أصبح ليونيل السير ليونيل فيما بعد ، فيليبس أول رئيس يهودي للغرفة ، وقد منح هذا الشرف مرات عديدة . وكان من بين الاعضاء الجدد في الجهاز التنفيذي وولف جويل ، جورج (سير جورج فيما بعد) البو ، ادولف بارخان ، ج. ن. دي جونغ ، ادولف ايبلاز ، ك. س. جولدمان . ومن بين الرؤساء لويس ريرزباك عام ١٩٠٧ وماكس ايلكان عام ١٩١٢ .

وقبل أن تعرف جنوب افريقية سوقا منظمة للأوراق المالية بوقت طويل (وكان ذلك في خمسينات القرن التاسع عشر) ، مارس سماسرة يهود أفراد نشاطهم ، ومنهم م. ل. بنسوسان ، من كيب تاون لكن الازدهار الحقيقي ظهر في أعقاب تأسيس كيمبرلي . ومن بين الشخصيات الأولى الشهيرة : ن. أبراهام - ه. ج. كوهين - جالويسكي اندهارت - ب. هيرمان - ه. ا. جيكونز - برنارد كليسا - سيدني مندلسون - ب. أوبنهايم - فيليب آند ديتلباخ - ن. رافائيل - الفريد روجالي - رانخمان آند هارت - ا. سالفيلد - ب. سليمان - ا. سليمان - سوننج آند بولوك - س. سترانسكي - ج. سوايبي - تاليرمان آند انسيل - ج. واينبرج آند ا. يوكمونيتز . وانتقل كثيرون منهم الى باربورتون ثم الى جوهانسبرج . وهناك نجد ، في زمن مبكر جدا ، ا. بنيامين كوهين آند جراومان (صار سير هاري جراومان فيما بعد عمدة لجوهانسبرج) - ا. ه. ا. كوهين ولويس آند ماركس .

سوق الأوراق المالية :

نستطيع أن نتعرف بعض الشيء عن بروز العنصر اليهودي في سوق الأوراق المالية بجوهانسبرج في فترة مبكرة مما يلي : في عام ١٨٨٩ كانت هناك أكثر من ١٠٠ مؤسسة يهودية ، تمثل عددا من الأعضاء الأفراد يحتمل أن يبلغ ضعف هذا الرقم ! وكان من بين أعضاء اللجان الأولى جوستاف أمروت - ه. سليمان - ف. موزينثال - هارل هانو - ج. فريد لاتدار - ه. و. أدلر . أما السكرتير فكان ر. موسى . وفيما بعد كان من أعضاء اللجنة : يوليوس فريد لاندر - س. ب. جويل . وفي عام ١٨٩٤ كان هاري سليمان أول رئيس يهودي لسوق الأوراق المالية ، وثمة اسم آخر مألوف كان عضوا في اللجنة . وهو اوتوبيت (الذي أصبح سير اوتو فيما بعد) . وأصبح سولي جويل رئيسا عام ١٨٩٦ ، وصار فريش موزينثال نائبا . كذلك ضمت اللجنة جورج البو - ا. بيرالاندينا - ا. فريد لاندر - ل. جويل - برنارد أوبنهايمار . وفي العام التالي صار هاري سليمان رئيسا مرة أخرى ، وصار من بين أعضاء اللجنة : الفريد بنيامين - هيرتزبرج - الفونس سبرنتس . وربما لم يكن غريبا أن تفلق سوق الأوراق المالية أبوابها أيام العطلات اليهودية !

كذلك أسهم اليهود على نحو كبير ، في الأجهزة التي تهيمن على الصناعة بجنوب افريقية بدءا برابطة صناع الكيب القديمة ، والتي كانت تشكل

البداية لما يعرف اليوم بغرفة الصناعة . وهي ترجع الى اوائل القرن الحالى ، وكان من بين مؤسسيها م. روث كوجيل ، صانع الاثاث ، والسنتاتور فرانتس جينزبرج الذى من كنج وليامز تاون ، وموريس ايلينبرج الذى بدا صناعة انتاج الملابس بجنوب افريقية بانتاج المعاطف (الووتربروف) فى كيب تاون . وكذلك سايمون رويتويسكى (وري) الذى اقام ، فى عام ١٩١٠ تقريبا ، اول مصنع حديث للملابس ، وهيرمان آند كانارد الذى استج السجائر يدويا فى ثمانيات (القرن التاسع عشر ، ولويس ناثن رائد بروث اليزابيث فى حقل السجائر وكذلك ب . بارنيت وشركاه فى نفس المدينة ، الذين كانوا يعملون فى السراجة فى تسعينات القرن الماضى . وكان لويس بولكانسكى ، فى كيب تاون ، يلف السجائر باليد قبل الحرب بين الانجليز والبوير . اما ديفيد ، البرت ، وهيليار هولت فقد فتحوا اول مصنع للسجائر فى الترانسفال عام ١٨٩٥ ، واليه ترجع نشأة يونياتيد توباكو كامبانى التى اصبح ديفيد اول رئيس لها عام ١٩٠٥ . وفى البلاد ازدهر هيلمان اخوان - اصحاب المخازن فى نورفال بونت خلال الحرب بين الانجليز والبوير لسيطروا على ميدان الأخشاب ومصانع نشر الأخشاب . اما دكتور جاك شليزنجر فكان نائبا لرئيس غرفة الصناعات بالترانسفال ، وكان ذلك عام ١٩١٠ .

بعض الشخصيات القيادية :

فاذا وصلنا الى العصر الحالى وجدنا أن الاسهام اليهودى قد تعاظم . فعندما ننظر فى اسوكوم (رابطة الغرف التجارية) سنجد ان رئيسها هو ا.ب. برادلو ، من اكبر تجار الاثاث فى البلاد ، وثمة شخصية اخرى شهيرة جدا وهى س. ج. هورتيز التى برزت فى الادارة ، لكنها كانت الى جانب ذلك رئيسة لجنة الاسوكوم لشئون ائتمانات المستهلكين . وهناك ل. م. شير نائب الرئيس فى الترانسفال ، ا. جولد سميث ، نائب الرئيس لولاية اورانج الحرة ، ك. كار ، رئيس لجنة الاتصال البرلمانية ، ج. ه. ليفين ، رئيس لجنة الضرائب ، س. ب. كابلان ، رئيس لجان مجلس التجارة ، والتصدير ، ا. بيرنيتز ، رئيس لجنة التحكيم فى الواردات . وسنجد جولدمان رئيسا لغرفة ديربان ، ل. سالبار رئيسا لغرفة كيب تاون ، ج. باريس رئيسا لغرفة بورت اليزابيث وفى بيشال بالترانسفال يشغل ا. فيلدمان هذا المنصب ، ويشغله ، رانفونتين ج. شيت ، وفى فير ينيجنج ماكس شابيرو ، وفى مبسيناج كلاف ، وفى ليختنبورج ا. ميلمان وفى سومرست ويست ا. فريدمان ، وفى كيمبرلى ج. ب. هيسارفيلد ، وفى

كوينز تاون ب. ليفين ، وفي فريد ينبورج س. ج. ليفين ، وفي ليزلى ل. تيتز ، وفي راندبورج م. سكлар ، وفي رود يورت أ. سايمون ، وفي ويندهويك بارنى جامسوا ، وفي بوكسبورج ه. ريسنيك ، وفي بيلفيل س. ا. جافتس ، وفي جود وود و. فريدبرج . ان هذه القائمة مستقاة من نحو مئات من الغرف ، لكنها ليست شاملة بآية حال من الأحوال . وبالمثل نجد في اتحاد الغرف الصناعية بجنوب افريقية ان الرؤساء السابقين يتضمنون موريس كرامار فى كنج وليامز تاون ، رائد صناعة الدباغة ، الذى شغل المنصب خلال الفترة ١٩٢٤ - ١٩٢٥ ، وخلال الفترة ١٩٢٩ - ١٩٣٠ مرة أخرى . اما شياغلوا المنصب الحاليون فيشملون س. جودمان ، رئيس غرفة الصناعات بالترانسفال ، س. ر. بالك ، رئيس غرفة الصناعات فى الكيب ، وهو منتج القمصان الشهير ، وكذلك ل. داب ، الشهير فى صناعة الأحذية ، اما فى اتحاد الملابس الوطنى فنجد ه. ابراموفتيز . ويراس فيليب فريم ودكتور ج. هارت الرابطة الوطنية لصناع النسيج . ويتزعم ج. بلوم باوث أفريكان أويل (اكسبريس) لجنوب افريقية ، ورابطة صناع الصابون . هذا ويعمل ج. جرينشتاين مديرا لرابطة منتجى الملابس فى الترانسفال ، كما يعمل و. جولدبرج نائبا لرئيس غرفة الصناعة بالكيب .

والى جانب رئاسة ج. ه. هيمان للجنة سوق الأوراق المالية بجوهانسبرج فى الفترة ١٩٦٣ - ١٩٦٤ نجد ان اللجنة ضمت ا. مينيل ، ر. لورى ، ا. هيلبرومر .

وقد لعبت كل هذه الشخصيات دورها للارتفاع بالتجارة المنظمة بجنوب افريقية الى المستويات التى وصلتها اليوم .

(٢) اسهامات يهودية في التنمية الاقتصادية

بجنوب افريقية (٣)

لويس هوتير

مضى على جنوب افريقية قرن الا ست سنوات منذ ان قامت بـ « الانطلاقة » الأولى الى الطبقات العليا للاقتصاد الصناعى الحديث - اذا استعمرنا عبارة من عصر الفضاء ، ابتكرها الاقتصادى الأمريكى و. و. رستو لوصف - « فورة التصنيع المركز فى قطاعات معدودة نسبيا » ان هذا يصف بدقة ما حدث لجنوب افريقية فى مطلع سبعينات القرن التاسع عشر ، فلقد كان هناك حقا تركيز هائل على قطاعات قليلة لها أهميتها الهائلة فى تلك المرحلة . وخلال السنوات التى أعقبت مرحلة « الانطلاق » تعرضت جنوب افريقية لانتكاسات ووجوه فشل عديدة ، لكن كانت هناك سلسلة من عوامل الدفع « التى ساعدت البلاد على ان تدور بانتظام فى فلكك التنمية الاقتصادية لتبلغ مرتفعات لم يحلم بها أحد .

وخلال تلك الفترة ، وبفضل اكتشافات المناجم - الماس فى ١٨٧٠ ، الذهب بعد أكثر من عشر سنوات - تحولت جنوب افريقية من مجتمع زراعى ورعوى ، فقدت سياسيا ، الى دولة صناعية متقدمة وموحدة دستوريا . وعلى هذه الأسس نهضت جنوب افريقية المعاصرة بأكملها ، مجتمعا قويا راثقا بنفسه .

صحيح ان عوامل جديدة ظهرت نتيجة لدينامية « الانطلاقة » الأولى ، ولقد أسهمت فى توسيع رقعة ، وتقوية ، البناء الفوقى . وخلال النصف الاول من القرن الذى تلا ذلك كانت اكتشافات المناجم الأولى اى صناعة التعدين - ويعنى هذا أساسا صناعة الذهب - أهم عامل من عوامل الاسهام فى اقتصاد جنوب افريقية المزدهر . وخلال النصف الثانى من القرن - وكانت الحرب العالمية الأولى الخط الفاصل - لم يعد الأمر كذلك تماما .

الذهب كعامل رئيسى :

نما الاقتصاد القومى لجنوب افريقية الى أن اقترب اليوم من الرقم ٧٠٠٠ مليون روبية . انه رقم هائل (أكثر من ضعف الرقم منذ عشر

سنواته فقط) وقد أسهمت فيه مناجم الذهب بأكثر من العشر في مقابل حوالى الخمس إبان الحرب العالمية الأولى هذا الاسهام أكبر من أى اسهام لاية صناعة أخرى على حدة ، لكنه الآن اقل بكثير من اسهام الصناعات الثانوية مجتمعة . ان هذا يعطينا مقياسا نقيس به الثورة الصناعية الكبرى الثانية فى جنوب افريقية ، التى تتعاضد مع كل سنة تمر . لكننا اذا نظرنا الى النمو الهائل لانتاج مصانعنا فسيلفت نظرنا دائما ان المناجم لا تزال العامل الرئيسى فى اقتصاد جنوب افريقية الحديث ، وانها الدافع وراء كل تطور لاحق .

ان المناجم مصدر مباشر للثروة المادية ، كما أنها تؤدي الى نمو العديد من الصناعات الأخرى غير أنها تقوم الى جانب ذلك بمهمة تاريخية أخرى . لقد قامت بدور المغمطيس الذى يجذب ، بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، اعدادا هائلة من القادمين الجدد الوافدين من مختلف بقاع العالم ، والذين جلبوا معهم مهارات جديدة ، وطاقات جديدة ، وروح اريساد جديدة ، واحتياجات جديدة وطرائق جديدة فى العيش .

وقد اصاب البروفيسير د. هو رت هوتون ، وهو يصف قيام صناعة التعدين ، حين قال « كثيرا ما تركز الاهتمام على قدرة الذهب على اجتذاب رأس المال الأجنبى . لكن ثمة مظهر آخر لا يقل عن هذا أهمية . انها الطريقة التى جذب لها التنقيب عن الذهب اناسا من الخارج يتمتعون بالحماس والطاقة والرؤية وشجاعة التجربة . ولقد وجدوا فى فيتفوتر سراند مجالا لمواهبهم . ربما كان البعض مجرد مغامرين ، لكن الآخرين لم يكونوا كذلك . ولقد جلبوا معهم ، فى مجموعهم ، حيوية جديدة ، وقدرة على الارتياساد ، وأفكارا تقدمية . ولقد انتقلت هذه الخصال الى الجيل الحديث فى القيادة الصناعية بجنوب افريقية . ونشك فى امكانية ظهور هذه الروح بدون ذلك الحقن من الخارج » .

باختصار ، أن هذا يلخص فضل جيل « أبناء جنوب افريقية الجدد » على جنوب افريقية ، لقد ظهوروا على المسرح فى الجزء الأخير من القرن الماضى . وجنوب افريقية مدينة ايضا لمن انحدروا منهم وخلفوهم فى الجيل الحالى .

الدور اليهودى

وكان يهود جنوب افريقية من بين العناصر التى يعتد بها ، العناصر التى أسهمت فى اثراء الموارد البشرية بجنوب افريقية وتطوير رصيدها الطبيعى .

وبالنسبة للناحية العددية فإن الطائفة اليهودية لم تزد في يوم من الأيام عن ٤٪ من اجمالي سكاننا البيض ، غير أن اسهامها في التقدم الاقتصادي والثقافي لجنوب افريقية فاق بكثير حجمها العددي وليس هناك من فاق مؤرخا غير يهودي ، وهو ليو ماركار ، في تلخيص وبساطة سرده لما صنعه اليهود لجنوب افريقية . وجاء ذلك في عبارات قليلة كتبها منذ اعوام .

قال مستر ماركار في كتابه « جنوب افريقية شعوبها وسياساتها » The Peable and Policies of South African الأولى - حين كان البساعة الجبائلون اليهود يطوفون بالبلاد يحملون بضاعتهم على حصان او في عربة يجرها حمار - تفوق التجسار اليهود في ميدان التجارة وعندما اكتشف الماس والذهب أسهم يهود أفراد في تطوير هذه الصناعات ، وشرعوا بعد ذلك في اقامة صناعات ثانوية ، وفي التوسع في التجارة غير أن اسهام اليهود في الحياة بجنوب افريقية ليس قاصرا على الاقتصاد . لقد برز اليهود دائما في ميدان تشجيع الفنون ، والاسهام في قيام الجامعات ، وفي نشر الاستنارة . واذا كانوا يتشبثون بدينهم وبذلك يعزلون انفسهم عن باقي المجتمع ، فانهم ربطوا انفسهم تماما بالحياة في جنوب افريقية .

ثمة حقائق بارزة تظهر في هذه الصورة القلمية لارتباط اليهود بالبناء القومي لجنوب افريقية . ان هذه الصورة تسترجع دور البائع اليهودي الجوال - والتاجر اليهودي المتواضع ، الذي قبض له - بطريقة غير المقتحمة - ان يلعب دورا لا غنى عنه في مجتمع جنوب افريقية قبل قدوم وسائل النقل الحديث وصناعة عصر الآلة في هذا البلد . وهي تسجل كيف ان جنوب افريقية مدينة لليهود الذين كانوا من بين من خططوا وبنوا آفاقها الاقتصادية المتسعة ابداء، وحققوا انتصاراتها . كما انها تعترف بدور اليهود في صياغة شكل الصناعة التي أصبحت ترمز - اكثر من أى شيء آخر - الى جنوب افريقية في اقتصاد العالم .

ان الانتاج السنوي الحالي من مناجم الذهب لا يقل بكثير عن ٧٠٠ مليون روبية ، وهو يشكل صناعة بالغة الكفاءة والتقدم وهو ثمرة ابداع جماعي اشتركت فيه عقول عديدة وايداع عديدة ، لكنه لا يزال بحاجة الى الكثير ، والقمة تنتظر من يتمتع بخصال المبادرة الشخصية والقيادة . وعبر التاريخ المتنوع لهذه الصناعة ، وما حققته من انجازات هائلة ، نجد يهودا في قائمة من أسهموا في هذه الخصال كما نجد يهودا من بين العقول المنشقة والمنفردة .

ولا نستطيع أن نخص بالذكر هنا الا قلة من قائمة طويلة من الشخصيات القديرة ، الخلافة في كثير من الأحيان . واذا نظرنا عبر السنين فسنصادف في الصف الأول اسماء تاريخية مثل ب. ج. « بارنى » بارناتو ، هيرمان ايكشسقاين ، الفريد وأوتوبيت ، ليونيل فيليبس ، اخوان جويل (وولف سولى ، جاك) ، جورج البو ، صمويل ماركس وشيكه أسحن لويس ، ارنست أوبنهايمر . كان معظم هؤلاء معاصرين وشركاء خلال الأيام الأولى لاكتشاف الماس والذهب في جنوب افريقية .

والى اليوم فان مكان الصدارة من نصيب بارنى بارتو ، بتاريخه الذى يخطف الأبصار ، ذلك التاريخ المأسوى في مراحلها الأخيرة . ان لهذا التاريخ جانبه الانسانى ، مثلما ان له أثره في تطور صناعة التعدين . كان بارنى بارناتو اريبيا ولماحا ، نتاج رجل الشارع في لندن ، قادرا على المضاربة الجريئة ، والمغامرة ، خلق بارناتو لمسكرات المناجم الخشنة . ولم يمض وقت طويل حتى وصل الى القمة كأعنى منافس لذلك العملاق المارد الآخر في كيمبرلى : سيسيل جون روديس . وانتهى الصراع من أجل المستقبل الاقتصادي لمناجم الماس بتضافر روديس وبارناتو كي يضعوا الاسس الراسخة لصناعة الماس وأثرها في العالم كله ، على النحو الذى نعرفه اليوم .

وضع بارتى بارناتو ما صنعه روديس وآخرون من رواد كيمبرلى ، فانتقل من الماس الى مناجم الذهب المكتشفة حديثا في فيتفوتر سرائند . وهناك ايضا اتسعت مصالحه على نحو هائل ، ويفضل الخبرة التى اكتسبها أيام كيمبرلى ، أسهم في تحقيق النظام في صناعة قبض لها ان تجعل كيمبرلى في الظل غير ان بارنى بارناتو مات غرقا وهو في رحلة استشفاء الى انجلترا ، وكان ذلك حدثا ميلودراميا شأنه شأن باقى تاريخه الغريب . غير ان الطريقة التى رحل بها لا تغير من الحقيقة التالية شيئا : ان هذا الرجل ، رغم كل توهجه ومسرحيته ترك بصمة لا تمحى على مسرح جنوب افريقية .

غير ان الارتقاء بصناعة التعدين - سواء كانت الماس او الذهب او الفحم والثروات المعدنية الاخرى في سنوات لاحقة - لم يكن بالطبع من صنع رجال قلائل . وكان البعض - ممن سبق ذكر اسمائهم - على صلة وثيقة ببارناتو ، بينما أسهم آخرون على نحو مستقل . وبمرور الأيام قبض لرجل آخر ان يكرر القصة القديمة ، قصة الزعامة اليهودية في هذا المجال . في يوم من الأيام قدم الى جنوب افريقية شاب من اصل المانى

- يهودى ، فى وقت صسارت فيه اعمال روديس وبارناتو اقسرب الى الأسطورة . وقبض لهذا الشاب ان يقوم بدورهم ليصبح «باني امبراطورية» فى ميدان التعدين خلال الجيل التالى .

شخصية بارزة :

وصل أرنست (سير أرنست فيما بعد) اوبينهايمار الى كيمبرلى فى مطلع القرن الحالى ممثلا لمؤسسة لتجار الماس ، ليصبح العبقرية التى لا يخلف عليها أحد فى حقل صناعة الماس ، وليصبح ايضا - فى الوقت المناسب - القوة الدافعة وراء اهم أنشطة البحث عن الذهب . والمعادن غير الكريمة ، والتطورات الصناعية فى جنوبى واواسط افريقية .

وعند وفاته عام ١٩٥٧ لم يحظ سوى قلة من ابناء جنوب افريقية بما حظى به من اعتراف عالمى ، واحترام . بوصفه قائدا بعيد النظر فى حقل الاقتصاد القومى . ولا نستطيع ان نفعل ، فى معرض انتصاراته الأخيرة ، افتتاح مناجم الذهب الجديدة فى الدولة الحرة ، والتطورات البعيدة المدى والعميقة ، فى أقصى شرقى الترانسفال . كذلك سيذكر الناس سير أرنست بوصفه رائدا فى صناعة النحاس بشمالى روديسيا (زامبيا الآن) ، وأنشطة أخرى خارج جنوب افريقية ، وسيدكرونه ايضا باعتباره فى أقطاب الصناعة المستفيدين الذين يخدمون مجتمعهم .

ولقد واصل ابنه ، مستر هارى اوبينهايمار ، عمله بمقدرة ملحوظة . ووفقا لنفس التقاليد ، تقاليد النشاط الخلاق .

فاذا وصلنا الى فترة أكثر حداثة ، وجدنا اناسا ورثوا مباشرة الرجال الذين تركوا بصماتهم الأولى على صناعة التعدين وجعلوها صرحا من صروح النقدم فى جنوب افريقية . سنجد اناسا من معدن المرحوم مستر ا.س. هيرسوف ، مستر س.ج. مينيل ، مستر سيدنى سبيرو ، مستر ب.ل. برنشتاين . هؤلاء جميعا يشغلون ، او شغلوا ، مناصب رئيسية فى مراتب الصناعة العليا . ولقد مات مستر هيرسوف قبل الاوان ، وكان موته خسارة كبيرة لجنوب افريقية ، وكان هو ومستر مينيل مسئولين عر تشكيل مجموعة الأنجلورفال ، التى انتشر نشاطها التعدين والصناعى .

هؤلاء الرجال ممن ينحدرون من اصل يهودى اثبتوا على نحو بارز أن جنوب افريقية لا تزال البلد الذى يتيح الفرص لمن اوتوا الرؤية الشجاعة والحماس . انهم ، واسلافهم ، يشكلون عنصرا هاما من بين الذين كفلوا

— على حد تعبير البروفيسور هوتون — حيوية جديدة ساعدت على الاستغلال الفعال للموارد الطبيعية التي تزخر بها جنوب افريقية .

كانت صناعة التعدين ابرز تجسيد لرأس المال الضخم في جنوب افريقية ، وكان هناك من ينتقصون من قدرها او ينتقدونها هي وزعمائها ، يهودا كانوا او غير يهود . لكن ، لا مرأى في ان الذين سيروا مصائر الصناعة وسيطروا على « مركز توليد الطاقة في مشروعات جنوب افريقية الحديثة » — اذا استخدمنا عبارة البروفيسر هيربرت فرانكل — تركوا بصماتهم على تطورنا القومي على نحو لم يحققه سوى القلة . وكان يهود جنوب افريقية من بين رواد هذه الصناعة وبناتها ، كما كانوا من واضعي سياستها وقادتها فيما بعد ، وكان هذا من أهم اسهامات الطائفة اليهودية في تقدم جنوب افريقية ورخائها .

اما في ميادين التجارة والصناعة الثانوية ، فان الدور الذي لعبه رجال الأعمال ومقاولوا المشروعات اليهود شمل ، بالطبع ، رقعة ارحب . لكنه اسهم ايضا — كما عرضنا بايجاز آنفا — في تدعيم واستقرار البنيان الاقتصادي بجنوب افريقية .

رواد التجارة :

لعب اليهود دورهم في ظهور وتطوير صناعة التعدين ، وعلى نفس النهج سار التجار ورجال الصناعة اليهود ، فنشاطهم يذوب في التيار الرحب للنهضة القومية ، التي يساهم فيها رجال كثيرون ومصالح كثيرة . لكننا حين نقلب صفحات التاريخ الاقتصادي لجنوب افريقية ، وحين ندرس الصورة المعاصرة ، سنجد شواهد كثيرة تثبت كيف اسهم يهود افراد — بشكل كبير — في الوصول الى ما وصل اليه النظام الصناعي والتجاري بجنوب افريقية .

ولقد حدث مؤخرا ما ذكرنا بهذه الحقيقة ، فقد تواترت انباء باندماج بيتين من اقدم واكبر بيوب البيع بالجملة في جنوب افريقية . ولقد قام احدهما منذ اكثر من قرن مضى ، ويحمل اسما ظل لقرون متداولا في حقل التجارة والصناعة بجنوب افريقية . انه اسم المؤسسة التجارية الضخمة موزينثال ، وكان مؤسسها — جوزيف وادولف — وسائر افراد الأسرة من بين المهاجرين اليهود الذين قدموا اساسا من اواسط اوروبا واستقروا في الكيب في النصف الاول من القرن التاسع عشر .

وبالنسبة لما قدمه اليهود لجنوب افريقية فان قصة موزينثال تبرز كسجل هام لاسرة استمرت الى اليوم دون انقطاع ، اسرة تعددت خدماتها في حقل التجارة ، والمصارف ، والصناعة ، والزراعة والحياة العامة . ولقد بلغ من تقدير الاسم ان المؤسسة اصدرت « ينكنوت » خاصا - قبل قدوم النظام المصرفي المعتاد - كان يلقي قبولا في كافة انحاء مستعمرة الكيب وابعدها من ذلك .

ان « موزينثال اخوان » ، وذوي القربى ممن انضموا اليهم ، سرورة لجبل من اليهود المحترمين الذين ضربوا بجذورهم في غربي وشرقي الكيب ، ودولة اورانج الحرة واثري كثيرون وازدهروا كأعضاء في طبقة التجارة الراسخة في كيب تاون ، بورت اليزابيث ، ايست لندن ، جراهامز تاون ، بلويمفونتاين . وغامر آخرون وتوغلوا في الداخل حيث اصبحوا وجوها مألوقة تقابل بالترحيب في القرى النائية والمزارع المتناثرة ولم يكن مرجع هذه السلع التي يحملونها فحسب ، او لانهم وسيلة لحمل منتجات المزارعين الى الاسواق البعيدة . وانما يضاف الى هذا انهم كانوا يمثلون - لمناطق معزولة عديدة - بعض النعم الحضارية والاجتماعية للعالم الاكبر . كانوا يعيشون حياتهم ، ويكسبون قوت عيشهم ، لكن رسالتهم كانت رسالة تحضر ايضا ، بكل ما تحمله الكلمة من معنى .

وثمة عدد كبير منهم بدءوا حياتهم باعة جائلين ، ثم استقروا في القرى البعيدة وفي المحطات التجارية التي اصبحت مراكز اقتصادية ومالية للمجتمعات المنتشرة التي يخدمونها . والأمثلة لا حصر لها ، وهي اكثر من ان تسمع بقائمة مختارة ، غير ان من صورها عائلات كمائلات فريد لاندر في دي آر ، ايلينبرج وسوننبرج في فاماكوالاند ، بومان ايهرلينج في الدولة الحرة . فاذا حللنا عينة من السكان اليهود في الكيب منذ ستين عاما فسنجد انه بينما استقر الغالبية في المقاطعة الغربية فان المئات انتشروا في مجتمعات صغيرة او اسر وحيدة في حوالي ٧٠ قرية ، وكذلك في المزارع المنتشرة في انحاء المستعمرة .

اسسهام بارز :

مضى وقت طويل على عهد الباعة الجائلين والتاجر الصغير في الأرياف ، وكذلك عهد جفنة من التجار في المدن الاكبر ، اما اليوم فنحن في عصر المجمعات التجارية الهائلة ، والمال التجارية الضخمة ، والتجارة الحديثة بايقاعها السريع . واليوم يحسب عائد تجارة الجملة والتجزئة في جنوب

افريقية بالآلاف الملايين ، كما ان اسهامها في الاقتصاد القومي يبلغ حوالى ١٣٪ من الاجمالى .

وكما كان الحال في الماضي سنجد اليوم ان رجال الاعمال اليهود على كافة المستويات - بدءا من رؤساء الشركات التى تتكلف الملايين حتى ادنى مستوى - موجودون في المقدمة في حقل التجارة القسومية . ومن ابرز اسهاماتهم انشاء المتاجر المتعدده الوظائف والفروع التى غيرت العادات الشرائية للكثرة الغالبة من السكان وادخلت بعدا جديدا الى تجارة التوزيع . في البداية عرفت في اوساط الجماهير باسم « البازار » ، وانتشرت فروعا في كافة انحاء المدن وفي عديد من المدن الصغرى ، ولم تعد - منذ فترة طويلة - تمارس اساسا ذلك النوع من التجارة الذى توحى به كلمة « بازار » . لقد شكلت شبكة توزيع هائلة تتخدم كل قطاع من قطاعات من المجتمع وتلبى كل ذوق . وظلت تحافظ على سمة رئيسية تتمثل في انها تشترى بالجملة وتوفر الكثير من نفقات الوسطاء ، وهكذا لعبت دورا حيويا في خفض الاسعار وتكاليف المعيشة ، وارتفعت بمستويات معيشة اصحاب الرواتب والطبقات الوسطى . وهكذا قدمت للبلاد - ولا تزال تقدم - خدمة اجتماعية جلية .

هذه الثورة الحقيقية في تجارة القطاعى بجنوب افريقية تعود الى اكثر من ٤٠ عاما مضت ، غير انها تعاضمت في الآونة الأخيرة . وقد تثير مشاعر الحسد ان نحن انتقينا عددا من الاسماء ، في وقت اسهم فيه الكثيرون بالكثير لكى يحققوا الصبغة العصرية ويتوسعوا في هذا الجانب من جوانب العمل بجنوب افريقية . لكن ، ليس من شك في اننا يجب ان نخص بالذكر - في هذه القصة المثيرة - طاقات خلاقة وبعد نظر لرجال من امثال سام كوهين ، مايكل ميلر ، هارى هيرير ، ماكس سوننبرج ، موريس مووار بيرجر ، جوستاف اكيرمان ، ليون سيغال . لقد اتى هؤلاء الرجال بمفاهيم جديدة لتجارة المحال في جنوب افريقية ، ولا بد ان تدخلهم في عداد امراء التجارة اليوم ، وان نضعهم في مصاف الرواد في الحياة الاقتصادية للامة .

وثمة جانب آخر من القصة يتجلى في اضطلاع كبار رجال الاعمال اليهود بمسئوليتهم لامة فيما يمكن ان نسميه تسير دقة التجارة المنظمة ، وعلى هذا العنصر يتوقف قدر كبير من كفاية التجارة وحسن سيرها . وخلال ال ٧٠ سنة من عمر رابطة الغرف التجارية - وهى « برلمان » البلد في حقل الاعمال - جاء عدد من الرؤساء المرموقين من صفوف رجال الاعمال اليهود . وفي عام ١٨٩٤ كان لودفيج قايتار شخصية عامة بارزة في كينب

تاون ، وانتخب رئيسا ، ومنذ ذلك الحين ضمت القائمة أسماء بارزة مثل
وولف إيرلينج ، كارل جونديل فينجر ، إيفان هاربرجر ، هاري جولدبرج ،
إيمانويل برادلو . وإلى جانب ذلك دأب رجال الأعمال اليهود على المساهمة
بنشاط في الغرف التجارية المحلية والإقليمية ، وفي عدد لا يحصى من
اللجان . وندر أن سلطت الأضواء على مثل هذه الأعمال ، لكنها كثيرا
ما أثبتت أهميتها بالنسبة لطائفة رجال الأعمال ولجمهرة الناس .

أقطاب الصناعة :

ونلتقى بأقرانهم بين زعماء الصناعة ، ذلك الجانب الذي تتزايد أهميته
بالنسبة لاقتصاد جنوب أفريقية ، وهو يحقق اجمالى انتاج سنوى يقدر
بـ ٣٠٠٠ مليون روبية .

وفي جنوب أفريقية نجد أن الصناعة الثانوية المنظمة وقدت متأخرة
بعد التجارة ، والتعدين ، والزراعة . غير أنها انجبت ، خلال الـ ٥٠ سنة
الماضية ، عددا من الشخصيات القديرة ذات النظرة البعيدة ، ممن حققوا
لها وضعاً بارزاً في الحياة الاقتصادية للبلاد .

وثمة حقيقة يجدر ذكرها وهى أن المنظمة المركزية للصناعة بجنوب
أفريقية - ألا وهى غرف الصناعة الاتحادية - كان يرأسها في الفترات
الحاسمة رجال صناعة يهود كان عليهم ، بحكم منصبهم ، أن يواجهوا
مواقف جديدة وعسيرة في بعض الأحيان . كذلك كان الوضع ، على سبيل
المثال ، عندما رأس موريس كريمار غرف الصناعة الاتحادية عام ١٩٢٤ ،
ورأسها من جديد في الفترة ١٩٢٩ - ١٩٣٠ . وعندما رأس ج.ب. بيرلين
الغرف في الفترة ١٩٣٨ - ١٩٣٩ . وخلال السنوات القريبة برزت أسماء
س.ر.باك - ل.داب - م. بيرنتز - س. جودمان - ه.س. أبراموفتس -
ب. فريم - ا. فيليبس - ج. بلوم ، بين صفوف أقطاب الصناعة بجنوب
أفريقية على الصعيدين المحلى والإقليمى .

ولا نكاد نصادف فرعاً من فروع الصناعة بجنوب أفريقية إلا ونجد
دوراً لليهود من رجال الابتكار والمبادرة ، وليس من النادر أن نجد منهم
من يلعب دور الرائد والمجدد . وحتى قبل دخول جنوب أفريقية عصرها
الصناعى الراهن بالمعنى الحديث ، شهدت الكيب بداية المصانع الصغيرة
التي تخدم الأسواق المحدودة التي لم تتطلع الى المنتجات « الإستعمارية » .
وهكذا يضاف أن الاسم الشهير لـ د.ه. - اسحق بات مرتبطاً بصناعة
الاثاث ، وأن رجل صناعة يدعى اسحق صن يجرب صناعة الدباغة ، وأن

هيرمان وكانارد ، م. بفسنار ول . روبين يسهمون في ارساء اساس صناعة التبغ في جنوب افريقية

ومن قبل صنعت عائلة دي باس التاريخ بمغامرات رائدة في صناعة الأسماك في الكيب ، وصناعة السكر في ناتال . وفي ناتال ايضا فان جوناس بيرجتيل ، الرجل الذي لا يهدأ ولا يكف عن ابتكار الأفكار ، حلم او شك ان يحقق بداية صناعة العطن بجنوب افريقيه ، وكان ذلك في نيوجيرمانى، حيث بنى رجل صناعة يهودى معاصر - مستر فيليب فريم - صناعة نسج الصوف والقطن على نطاق كبير .

وفي جمهورية جنوب افريقية القديمة فان رجالا نشيطين من امثال « سامى » ماركس ، اسحق لويس ، وشركائهم ، وخاصة الويس نيلمايوس أدركوا بسرعة الافاق التى تفتحها مناجم الذهب امام التنمية الصناعية وبفضل معونات سخية من الدولة ، تسهّدف تحقيق مزيد من الاكتفاء الذاتى للجمهورية ، شارك لويس وماركس في البدء او التخطيط لعدد من الصناعات من اجل الترانسفال ، بدءا من صناعة الديناميت للمناجم الى تجهيز المواد الغذائية وتقطير المشروبات .

غير ان الحروب ، وغيرها من الملبسات ، وضعت نهاية لمعظم هذه المغامرات ، رغم أنه كتب لبعضها ان يبقى وان يتحول الى مكاسب دائمة لاقتصاد جنوب افريقيا . لكن ، كان هناك ما هو اكثر من ذلك ، لقد اثبت ماركس ورفاقه ان جنوب افريقية « قادرة » ، وهكذا مهدوا الطريق لما اعقب ذلك من تطورات في ظروف مواتية على نحو اكبر . ان اهم اسهام قدمه سامى ماركس الى التقدم الصناعى بجنوب افريقيا - رغم انه لم يكن في بريق عدد من مشروعاته التى حظيت بامتيازات - هو الدور الذى لعبه كى يثبت وجود موارد فحم بالبلاد ، وكذلك جهوده التجريبية الاولى لانشاء صناعة الحديد والصلب التى كانت ارهاقا لأسكور .

كسساء اممة :

- ان اصحاب المشروعات من اليهود قد تركوا ويتركون اليوم ابرز علامة على التنمية الاقتصادية بجنوب افريقيا في صناعات مثل صناعة الملابس ، والمنسوجات ، وتجهيز المواد الغذائية ، وصناعة الاثاث ، وتركوا بصماتهم في هذه الميادين اكثر مما تركوها في الصناعات الثقيلة . ومن نواح يجب ان يكون مكان الصدارة في الميدان لصناعة الثياب . كانت البداية ممثلة في محال متواضعة لتفصيل الثياب يعمل بها رجل واحد ، محال قائمة خلف المبانى ،

لكنها ازدهرت وتحولت الى صناعة تكفل اليوم عملا لحوالى ٥٠٠.٠٠٠ رجل وامرأة ويبلغ اجمالى انتاجها حوالى ١٣٠ مليون روبية . ونصادف اليوم مئات المصانع ، من مؤسسات ضخمة للانتاج الضخم الى مؤسسات صغيرة يقل عدد العاملين فيها عن ٢٥ . وهى تلبى الآن من ٨٠٪ الى ٩٠٪ من احتياجات البلاد من الملابس . يضاف الى ذلك - والفضل يرجع الى حد كبير الى نشاط الصناع والمصممين اليهود - ان الصناعة بجنوب افريقية اوجدت تجارة تصدير ضخمة ، لمنتجات استحوذت اكبر الثناء فى الاسواق العالمية المتنافسة .

ولقد اسهمت التعريفة الجمركية لحماية الانتاج المحلى ، اسهمت فى تطور صناعة الملبوسات ، كذلك فان ظروف الحرب خلال الخمسين عاما الماضية شجعت ايضا الانتاج المحلى . لكن هذا كله لم يكن ليجدى فتىلا لو لم يتوافر جنوب افريقية اناس بهم من المبادرة والتصميم ما يجعلهم ينتهزون الفرص الى اقصى حد انه تاريخ صناعة الملبوسات - وتاريخ قائمة طويلة من الصناعات الأخرى بجنوب افريقية - هو تاريخ رجال من هذا المعدن . وفى معظم الاحوال فان اصحاب الحرف او التجار ممن يملكون قدرا من الدراية والقدرات الضرورية فى ميدان العمل ، قد استشعروا ذلك بأن انشأوا المصانع ، وبذلك اسهموا - على المدى الطويل - فى الثروة الانتاجية بالبلاد .

وفى الترانسفال كان ه.ج. هينوخسبيرج من بين اول الرواد فى صناعة الملابس ، وكان قد قدم الى الرائد من ديربان بعد الحرب بين الانجليز والبوير بفترة وجيزة ، وانشأ مصنعا صغيرة واعقبه ، خلال سنوات قلائل س.وونش وآخرون . ثمة علامات بارزة على طريق التقدم فى مختلف فروع هذه الصناعة ، وتتمثل فى اسماء : برود - بينا شوفتز - جاكبسون - كالميك - كريمار - سليفار روزين - سفارتز - جاف ، وهم قليلون من كثيرين . ومع تطور الصناعة ارتقت بانتظام مستويات الصنعة بها ، وارتقت فى اسلوبها وكفايتها ، الى ان أصبحت تقارن بمشيلاتها من ارقى المصنوعات فى العالم .

وتكرر نفس النمط فى الكيب ، ديربان ، وغيرهما من المراكز الصناعية الأخرى الهامة . وفى الكيب تاون نجد موريس ايلينبرج - الذى اشتهر كتاجر ناجح فى ناماكولاند - قد فتح مصنعا للملابس الواقية من المطر قبل الحرب بين الانجليز والبوير وفتح الطريق امام ازدهار الصناعة . اما صناعة الملابس بمعناها الأشمل فتمت على نطاق واسع فى الكيب عام ١٩٠٧ ،

عندما اقام سايمون روى اول مصنع . ومنذ ذلك الحين والصناعة تتقدم بسرعة فائقة .

ان الصناع اليهود ، من طراز سايمون روى بيرنارد شوب - ريبوبيني باث - موريس مووير برجر كان في ركب كل حركة الى الامام . وتم الوصول الى القمة عندما حصل مصنع انشاه بيرنارد شوب منذ ما يزيد عن ربع قرن بجائزة دولية لأحسن تصميم للملابس الرجال .

وفي ناتال كان هارى ليندار ، ا. فيليبس من بين رواد صناعة الملابس ، وفي ناتال ايضا اسهم فيليب فريم في اقامة صناعة نسيج هائلة . وهكذا اضاف اسمه الى سجل رجال الصناعة اليهود ، من امثال وولف هاريس ، د. ا. فارم ، اللذين تذكر اسمائهما لاسهامهما في هذا القطاع الهام للتنمية الصناعية بجنوب افريقية .

صناعات اخرى :

اذا كانت المبادرات اليهودية بجنوب افريقية قد اقترنت بصناعاتي المنسوجات والملابس ، فانه يبدو ايضا ان صناعة الاثاث - سواء في مجال التوزيع او الانتاج - كانت تناسب المستثمرين اليهود . كانت صناعة الاثاث اساسا ، عملا يمارسه الحرفيون ، وكانت تتم بمنازل صغيرة ، واذا بها تتطور الى وحدة انتاج ضخمة يكفل عملا لحوالى ٢٠٠٠٠ صانع ، ويحقق انتاجا تربو قيمته ، في مجمله ، على ٥ مليون روبية في السنة . ولقد سبق ان ذكرنا اسم د. ه. اسحق ، في الكيب ، كواحد من الرواد الاول بجنوب افريقية في هذا المجال . فاذا وصلنا الى سنوات قريبة الفينا اسماء مألوفة مثل برادلو ، جولدبرج ، بلوخ ، ستيل ، لوبنر - ونعترف بأن القائمة تقصر كثيرا عن ذكر الكثيرين الذين يعزى اليهم الفضل حقا في هذا الصدد .

كذلك لعب رجال الصناعة اليهود دورا كبيرا في تطوير الصناعات الكيماوية (نذكر في هذا الصدد سليزنجر - ديلمور ، فرتيز جينزبرج ، سيفيز ، كارنوفسكي) ، وصناعة التبغ (آل هارتز خلال العصر الجمهوري القديم ، آل سوزمان ، آل بوليكانسكى ، آل بفزينار) ، وصناعة الجلود وكان موريس كريمار وفرتيز جينزبرج من بين روادها (زاول الاثنان نشاطهما في معقل الصناعة التقليدى ، الاقليم الشرقى) .

اما بالنسبة للشبكة الهائلة لصناعات تجهيز المواد الغذائية فان الفضل الأكبر يرجع فيها الى النشاط اليهودي ، والى مهارتهم في ميدان الأعمال ،

والى رأس مالهم . ومن الشخصيات الرئيسية في هذا المجال عائلات لويس وجاني ، وعائلة فرائكل ، هـ . بوجورلسكى ، اـ . ابو ابراهيم شايرو الذي اشتهر في ميدان التعليب .

ولبني ان هناك رابطة مباشرة بين صناعات انتاج المواد الغذائية ونتاج المواد الأولية . لذا قد يهم القارئ ان يعلم ان يهود جنوب افريقية رغم اشتغالهم اساسا بالتجارة والصناعات والمهن الثانوية ، قد لعبوا دورهم في حقل الزراعة وما يصل به من مجالات .

اليهود في الزراعة :

خلال فترة مبكرة في القرن الماضي لعب آل موزينثال - الذين سلفت الاشارة اليهم - دورا في تطور صناعات الصوف وصوف المرنبو . كذلك ارتبطت عائلة دي باس بباكورة زراعة قصب السكر في ناتال . اما صمويل ماركس ، هيلمان اخوان ، وآل جيفيسر فاسهموا بالكثير ، وبطرق عدة ، لتشجيع زراعة الغابات .

كذلك يعد ماركس من بين رواد زراعة الفاكهة في الترانسفال ، واعقبه فيما بعد - وفي نفس الميدان - جوزيف ساريمبوك ، من سيسريس ، في الكيب ، الذي اصبح احد رواد زراعة الاشجار النفضية في جنوب افريقية ممن طبقوا الوسائل العلمية الحديثة للانتاج على نطاق واسع . وفي شرق الترانسفال طورا اوستليزنجر زراعة الحمضيات التي يعتقد انها اُضخم زراعة في نوعها في عالم اليوم يقوم بها فرد واحد .

وجنوب افريقية مدينة بالكثير لمجموعة المزارعين اليهود في مثلث زراعة في الترانسفال الذين اسهموا الى حد كبير ، عاما اثر عام ، في موارد الامة الاساسية من الطعام ، كما اسهموا في صادراتها . ومن ابرز الشخصيات في هذا الصدد المرحوم اسرايل لازاروس ، الشهير على الصعيد القومي بـ « ملك ميلى » . من اسباب ذلك انه كان من ابرز المنتجين ، ومن اسبابه ايضا انه ضرب المثل في الزراعة العلمية ، الامر الذي كان له اثر كبير في انتاج جنوب افريقية من الذرة والانجازات التي حققها نظير في الدولة الحرة ، ذلك ان « ملك البطاطس » ، المرحوم ج. ب. لوري ، اثبت ان اساليب الزراعة المناسبة تستطيع ان تفعل الكثير .

ولا يسيطر اليهود خلافا للاعتقاد السائد - على الاعمال المصرفية والمالية، رغم ان يهودا افرادا ادخلوا الى البلاد - في حقل الشؤون الاقتصادية - دعاية بالمشاكل الاقتصادية ، وشؤون النفوذ وصوق رأس المال .

ويبرز اسم ا. و. شليزنجر من بين الذين أسهموا على هذا النحو في اقتصاد جنوب افريقية ، ولقد سبق أن اشرنا اليه كسراشد في صناعة الحمضيات . ان عبقرية المرحوم مستر شليزنجر المالية - ولقد اعتبرها البعض سحرا - لم تتجل فقط في ميدان انشاء الشركات ، والتأمين والاعمال المصرفية لقد كان رجلا لديه افكار خلاقة ، يتمتع بطاقة لا تفتقر ، ويعزى اليه أيضا فضل انشاء سلسلة من المسارح ودور السينما ، وادخال الاذاعة المنظمة ، وصناعة السينما في جنوب افريقية ، الى جانب التطورات التي تحققت في ميدان الفنادق والخدمات . وفي ظل ابنه ووريثه ، مستر جون شليزنجر ، ظلت « امبراطورية » قوة في النظام الاقتصادي لجنوب افريقية .

سجل يدعو الى الفخر :

وليست هناك ، لسوء الحظ ، احصائيات حديثة تحدد لنا صورة عامة للاسهام اليهودي في اقتصاد جنوب افريقية . ومنذ سنوات عديدة عام الكاتب بعملية استقصاء دلت على ان الجالية اليهودية تشكل ١/٧ سكان جنوب افريقية الذين يعملون بالتجارة ، وحوالي ٢٪ من المشتغلين في الصناعات الأولية والثانوية ، وحوالي نفس النسبة في قطاع المهنيين والمشتغلين بالخدمات العامة . وليس من شك في ان الصورة تغيرت كثيرا منذ ذلك الحين مع تطور الصناعة . وفي الماضي انتبهنا الى ان اليهود لهم نصيب وافر في النهضة الصناعية الجديدة بجنوب افريقية ، ولهذا الاستنتاج ما يبرره اليوم ، وعلى نحو اكبر . وواضح مما اوردناه ان قسما كبيرا من المبادرة والنشاط الصناعي مرجعه ، في الماضي والحاضر ، الجالية اليهودية .

ويرى يهود جنوب افريقية بثقلهم في هذه المهمة الجسيمة ، مهمة بناء ورعاية امة جنوب افريقية في شبه القارة الافريقية ، تلك الامة المزدهرة التي يشهد اقتصادها تقدما مطردا .

ووسط الضغوط العالمية والاحطار المهددة ، تزداد الحاجة - اكثر من اى وقت مضى - الى اقتصاد سليم و « دينامي » في جنوب افريقية ، فهذا شرط اساسي لبقائها . ان ذلك واحد من امضى اسلحتنا في الصراع من اجل الحفاظ على القيم التي لا يود احد منا ان يراها تضيع . ويحق للجالية اليهودية ان تشعر بالفخر ازاء الدور الذي لعبته ، وستظل تلعبه ، كي تظل جنوب افريقية قوية وآمنة .

ان اعلان بلفور ، المذكور أدناه ، والذي لعب دورا حاسما في تحقيق النجاح للصهيونية يرجع الى احد كبير للجنرال سميتس والى عدد من كبار

الشخصيات في جنوب افريقية والبند المأخوذ من « السجل الصهيوني » (٣) يلقى بعض الضوء على هذه الفترة التاريخية . ومنذ ذلك الحين واعلان بلفور يلقى تأييدا رسميا مستمرا في جنوب افريقية (٤) .

(٣)

اعلان بلفور

وزارة الخارجية البريطانية

الثاني من نوفمبر ١٩١٧

عزيزي لورد روتشيلد

يسعدني كثيرا ان انقل اليكم ، نيابة عن حكومة صاحب الجلالة ، اعلان التعاطف ، التالي ، مع الاماني الصهيونية اليهودية ، وهو الاعلان الذي رفع الى مجلس الوزراء ووافق عليه : « ان حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين الرضا الى قيام وطن قومي ، في فلسطين ، للشعب اليهودي وستبذل قصارى جهدها كي تيسر تحقيق هذا الهدف ، على ان يكون واضحا عدم الاقدام على ما من شأنه الاضرار بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين ، او بالحقوق والوضع السياسي لليهود في اي بلد آخر » .

واكون ممتنا لو اطلعتم الاتحاد الصهيوني على هذا الاعلان .

المخلص

ج.ا. بلفور

* * *

(٤)

احداث بحث يسلط الضوء على دور

الشخصيات من جنوب افريقية في اعلان بلفور (٣)

ان المقال الرئيسي في المجلد الاول لـ « كتاب هرتزل السنوي » (١) ، ويشغل مائة صفحة يستهدف اثبات ان الدكتور هرتزل هو الصانع الاول لوعده بلفور ، رغم انه مات قبل ظهور الاعلان بـ ١٣ عاما ، وفي وقت لم يكن يتسنى فيه ان تظهر ملامح الاعلان ، سواء في مضمونه او مجاله .

ومما يهم جنوب افريقية بصفة خاصة تلك الأهمية التي يعلقها كاتب المقال ، دكتور أوسكار ك. راينوفيتش ، على دور لورد ألفريد ميلر في التوصل الى وعد بلفور .

ويرتبط بميلر اسماء زعماء صهيونيين في جنوب افريقيا جعلوا من ميلر - في عصر هرتزل وبتعليمات منه - صهيونيا .

وكان لدى ماريثا جيتلين الكثير الذي تقوله - في كتابها «الرؤية المذهلة» - عن الرباط الذي يربط بين صهيونيين من جنوب افريقية (هاري سولومون - صمويل جولدريتش - ماكس لانجرمان) ولورد ميلر عندما كان مندوبا ساميا في جنوب افريقية .

وهي تذكر خطاب هرتزل الى جولدريتش عام ١٩٠٣ والذي جاء به « اذا استطعت ان تثير اهتمام ميلر بقضيتنا فستكون لهذا فائدته الجمة ... » .

وتصرف جولد ريتش وآخرون وفقا لتعليمات هرتزل . اوتى هرتزل هريزة الاتصالات العديدة ، وبوحى من هذه الفريزة ادرك الدور الذي قد يقتضى الأمر اضطلاع ميلر من أجل تحقيق الاهداف الصهيونية . ومن ناحية اخرى لمس الزعماء الصهيونيون في جنوب افريقيا الحاجة الى مصادقة ميلر ، فكانوا على اتصال وثيق به .

مكتب قنصلي :

وخول ميلر للاتحاد الصهيوني ان يمارس نشاط بدرجة « قنصلية نيابة عن اللاجئين اليهود من الترانسفال » ، الذي طفقوا - بعد حرب البوير - يعودون الى بيوتهم في فيتفاتيرسرايد ، وكانوا يصطدمون بعقبات تتصل بجوازات السفر .

وكان تعيين الاتحاد الصهيوني بجنوب افريقية كممثل رسمي لليهود حدثا له اهميته المحلية البارزة .

ولقد وصفت ماريثا جيتلين هذا الحدث في كتابها . غير ان دكتور اوسكار راينوفيتش يذهب الى أبعد من هذا ليصور كيف ان هذا الاختيار أحدث ضجة هائلة في الدوائر الصهيونية بالعالم واعتبر نصرا بارزا للقضية . . . وظهرت « دي فيلت » المتحدث الرسمي للمنظمة الصهيونية العالمية والانباء تحتل صفحاتها الأولى ، مضيئة السطور التالية . . .

« أن الاعتراف بالمكتب الصهيوني الرئيسي في كيب تاون كممثل لليهود
لحدث له أهمية بعيدة المدى » .

درس جنوب افريقية :

ونشرت « دى فيلت » في عددها الثاني مقالا رئيسيا بعنوان « ليعون من
جنوب افريقية » .

وكتب رئيس التحرير يقول « ان اصدقاء الصهيونية يرون في هذا
الاجراء تقدما طبيعيا ، مفرجا في تقويم المشكلة اليهودية ... واليهودي
الانجليزى لا يحتاج الآن الى تمثيل قنصلى في جنوب افريقية ، فالبلد كله
وطنه . واما فيما يتعلق بالبلدان الأخرى فان كل يهودى حر فى التقدم الى
قنصل بلده الأم . لكنه ليس بحاجة الى ان يفعل ذلك الآن ، فلدیه من
يمثله الآن ... » .

« لم بعد اليهود فكرة ، ولقد بات الشعب الانجليزى ينظر اليهم
باعتبارهم يتمتعون بشخصية دولية مستقلة ... » « لم يعد هناك اعتراف
بالصهيونية لحزب ، وانما اوضحت انجلترا بأنه اذا كان الميهود تنظيمهم
المناسب فان بإمكانهم ان يعيشوا كجماعة مستقلة لها كافة الحقوق . ان
انجلترا الحرة قد كفلت لليهود ، فى كافة انحاء العالم ، درسا عظيما » .

وفيما بعد ، وخلال انعقاد المؤتمر الصهيونى السادس (وهذا ما سجله
راينوفتش) حكى اوسكار مارموريك قصة جنوب افريقية من فوق
المنصة .

« كانت كل جملة يتفوه بها تقريبا تقاطع بتصفيق من الوفود ، وتحول
التصفيق الى تهليل للورد ميلنر وسام جولدريتش عندما وردت اسمائها .
وفى يناير ١٩٠٣ بعث سام جولدريتش بتقرير خاص الى هرتزل بشأن
« لجنة التصريحات » . وعندما تبرع اللورد ميلنر ، عام ١٩٠٢ ، بـ ٢٥
جنيها استرلينيا لصالح صندوق اغاثة اللاجئین الرومانيين نشرت « دى
فيلت » صورة للشيك احتلت الصفحة الاولى بأكملها ، كما بعثت برسالة
الى ميلنر . وفى مناسبة تالية ، عندما زار مستر تشمبرلين جنوب افريقية
تناولت « دى فيلت » فى افتتاحها موقفه وموقف لورد ميلنر المشايخ
للصهيونية .

سبل غامضة :

وتشير مس جيتلين الى خطاب بعث به جولد ريخ الى دكتور وولفسون
فى عام ١٩٠٥ ، وفيه اشار الى هذه الصداقة مع ميلنر وقال :

« ترى هل ستعود هذه الصداقة القائمة بيننا ، هل ستعود بالنفع على القضية الصهيونية ؟ ان العناية الالهية تعمل بسبل غامضة » .
والواقع ان العناية الالهية عملت بسبل غامضة ، ويمضى رابينوفيتش الى فصول اخرى في الرواية ليرينا كيف ان ميلنر ، وقد صار عضوا في وزارة الحرب البريطانية خلال الحرب العالمية الاولى ، لعب دورا كبيرا في التوصل الى اعلان بلفور . ووفقا لبعض المصادر المسئولة فان ميلنر هو الذي صاغ نص الاعلان .

غير ان رابينوفيتش يشكو من ان دور ميلنر لم يلق التقدير الكافي ممن جاءوا بعد ذلك من المؤرخين الصهيونيين ، بما فيهم دكتور وايزمان في كتابه « المحاولة والخطأ » .

وهو يورد ما جاء على لسان لويد جورج الذي ذكر ان ميلنر كان « متعاطفا من كل قلبه مع مثل الصهيونية الأعلى » وانه ، وبلفور ، كانا المنافحين « اللذين حثا الوزارة على اصدار اعلان يخدم المطلب الصهيوني » .
زراع البصرة :

غير ان مقال دكتور رابينوفيتش الرائع قد صحح خطأ المؤرخين . واهم حقيقة نخرج بها من مقاله هي ان قبل عام ١٩١٧ بأكثر من عشر سنوات زرع الصهيونيون في جنوب افريقية البصرة التي ساعدت على ظهور اعلان بلفور .

لذا فان دور جنوب افريقية في وعد بلفور ليس وقفا على سمطس وميلنر . فجولدريخ ، ولانجارمان الرجل الذي راس الاتحاد الصهيوني - فعلا الكثير لتحقيق الاعلان .

(٥)

قرار لوزارة اتحاد جنوب افريقية

في اجتماعها ببريتوريا في ٤ سبتمبر ١٩٢٦

« ان حكومة اتحاد جنوب افريقيا التي تابعت لسنوات عديدة ، وباهتمام وتعاطف ، جهود المنظمة الصهيونية لاقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، اذ ترى في هذا الهدف اسهاما هاما في السلام والمدنية ترجو كل النجاح لهذه المهمة ، وهي على استعداد - من خلال ممثليها في عصبة الأمم وغيرها - لان تفعل كل ما في مكنيتها للمساعدة على اقامة مثل هذا الوطن القومي » .

وهندما تصور وايزمان مستقبل التعاون بين جنوب افريقية واليهود (٦) اعترف بن جوريون فيما بعد بأهمية التأييد الصادر عن جنوب افريقية وذلك عام ١٩١٧ (٧) . ومما يؤكد هذا السند ايضا ذلك النداء الصادر عام ١٩٥٣ الى يهود جنوب افريقيا للمعاونة في تدعيم قوة اسرائيل الجوبة (٨) .

(٦)

مذكرة عن افريقية (٤)

(حاشية وايزمان : تستند قضية المذكرة التالية الى افتراض ان افريقية قد تصبح عصب الامبراطورية الاستعمارية لبريطانيا بعد هذه الحرب . والمشروع المفصل ادناه ذو أهمية سياسية بالغة ولا نعتقد ان هناك مشروعا آخر يجاريه في الأهمية بالنسبة لمستقبل الامبراطورية) .

١ - ان تطور الصناعة ، وبخاصة الصناعات الكيماوية ، عقب هذه الحرب قد يتخذ شكلا مختلفا تماما عن شكل تطورها من قبل . ان موارد المعادن الثقيلة ، اللازمة في الصناعات الكيماوية ، تستنفذ على نحو متعاضم كذلك جعلت السرعة التي تستغل بها آبار البترول الحالية ، جعلت هذه السرعة الجيولوجيين ينظرون الى المستقبل بعين التشاؤم . ولقد وضعت الولايات المتحدة الامريكية خططا للمحافظة على الزيوت المعدنية ، وان لم ينفذ هذا بطريقة متشددة بعد . ورغم هذا يسود الرأي بأن رصيد امريكا من البترول لن يعمر لأكثر من الخمسين سنة المقبلة . ايا كان الأمر فقد يحصل النقص قبل هذا الموعد . هناك ، بالطبع ، امداد من البترول من الشرق الأوسط ، ومن جزر الهند الشرقية الهولندية ، ومن جنوب افريقية لكن نظرا لان استخدام البترول سيتزايد بانتظام لا كوقود فحسب بل كنقطة بدء أيضا في عديد من الكيماويات التركيبية ، نظرا لذلك من المهم ان ندرك أننا باستخدامنا البترول لكل هذه الأغراض نستنفذ من رصيد محدود - دون شك - من ناحية الكم .

٢ - وإلى جانب الاعتبارات العامة الواردة في الفقرة السابقة ، تبدو الملاحظات التالية حول وضع الصناعة البريطانية بعد هذه الحرب ، تبدو ، لي وثيقة الصلة بالموضوع .

فخلال هذه الحرب ركزت الصناعة البريطانية اهتمامها في انتاج عدد محدود من مواد الحرب الهامة على مستوى جد رفيع ، مثل الطائرات ، والمدافع ، والدبابات ، لكنها لن تصبح مطلوبة بعد الحرب بنفس الكميات المطلوبة الآن . ولم تشجع الحكومة البريطانية مشروعات جديدة حتى لو

بدا انها قيمة من اجل تطوير الصناعة على نحو اكبر . بل على العكس دلت السياسة المعلنة على ترك الانتاج الكيماوى ، مثل وقود الطائرات ، والمطاط الصناعى ، والهيدروكربون العطرى ، والبلاستيك ، تاركة هذا للصناعة الأمريكية ، على اساس ان المادة الخام اللازمة بمثل هذا الانتاج ، وهى البترول ، متوافرة فى امريكا ، وان استيراد السلع الجاهزة سيكون ايسر من استيراد المواد الخام . وعلاوة على ذلك خلال الفترة الاولى من صفقات ليند - ليز ، دفعت الحكومة البريطانية ثمن الامدادات من ارصدة الرعايا البريطانيين فى المشروعات الامريكية . وهكذا اختفى اسبهم الصناعة البريطانية تماما ، ذلك الاسبهم الذى كان قائما فى عدد من القطاعات الهامة فى الصناعة الامريكية .

وبعد هذه الحرب ستواجه الصناعة البريطانية الموقف التالى : سيكون الأمريكيون قد ارسوا دعائم صناعة كيماوية وميكانيكية جد ضخمة ، وجد قوية ، وسيعجز البريطانيون عن منافسة هذا السلطان الصناعى المجهز تجهيزا جيدا . وليس من شك فى اننا سنفقد اسواق امريكا الجنوبية بعد هذه الحرب اذ ستقع تحت السيطرة الاقتصادية الامريكية .

بقى اعتبار هام : كان من اعظم ارسدة الامبراطورة ان كل المطاط الطبيعى تقريبا الذى يحتاج اليه العالم ينتج داخل الامبراطورية البريطانية . وليس من شك فى ان المطاط الطبيعى بعد هذه الحرب سيحل محله الى حد كبير انتاج مركب ، كذلك الاستثمار نفسه سيكون قد فقد الكثير من قيمته ٣ - ما هى اتجاهات التطور التى يمكن التكهّن بها الآن بالنسبة لمستقبل الصناعة الكيماوية ؟ ان اهمية المنتجات المصنعة ستزاد ، بل ستحل محل بعض المعادن ، وبالتدريج ، منتجات عضوية مصنعة مثل البلاستيك . لذا يتعين البحث عن مصدر لمادة عضوية يمكن ان تحل محل البترول . وليس من شك فى ان هذا المصدر يتمثل فى الكربوهيدرات - السكر ، النشا ، السليلوز . وهذا المصدر لا ينفذ بالفعل ، ذلك ان الكربوهيدرات تنتج من جديد فى عالم الخضروات مرة كل عام على الأقل .

ومن خلال التخمر ووسائل التحول الكيماوى البسيط نسبيا يمكن ان تتحول الكربوهيدرات الى المواد التى تحتاجها الصناعة . ولقد بات هذا معروفا منذ امد طويل فى حالة الكحول ، فلقد تم تحويله - على نطاق واسع - الى عدد من المنتجات الصناعية الهامة . لكن يبدو ان ثمة انماط أخرى من التخمر تكفل امكانيات اهم امام تركيب مواد صناعية مختلفة . وتتفوق بذلك على التخمر الكحولى المعتاد ، مثال تخمر الاسيتون - بوتيل

المتخول : وقد استخدم هذا الأسلوب على نطاق واسع في كثير من البلدان نظرا لأهمية الاسيتون وكحول البوتيل في حد ذاتها لكن حدث خلال السنوات الأخيرة ان تم استنباط وسائل لتحويل هاتين المادتين الى مجموعة ضخمة من الكيماويات ، وليس من شك في ان اجراء مزيد من الدراسات سيفتح المجال امام طرق جديدة .

٤ - وتعرض السطور التالية ، بإيجاز ، للامكانيات التركيبية لكحول الاسيتون والبوتيل .

ان كون كحول البوتيل يتحول - بعملية جد بسيطة الى بوتيلين يوضح الامكانيات المتاحة لكحول البوتيل . والبوتيلين اساس لوقود يحتوى على درجة عالية من الاوكتين ، الى جانب امكانيات المطاط الصناعي ، نمط بونا ، والى الآن والبوتيلين يتم انتاجه من الغازات التى تتألف من البترول عنصرا درجة حرارة عالية ، وهو يتكون من هذه الغازات باعتباره مكونا ضئيلا ، وعزله عملية شاقة ومكلفة . اما كحول البوتيل فيعطينا - مباشرة - بوتيلين نقيا من الناحية الكيماوية ، وكافة العمليات التى كانت تعتمد على اشتقاق البوتيلين تتم - او تتم على نحو افضل - تخمر البوتيلين . ويصدق هذا ، بالذات ، على التحويل الى مطاط البوتادين والمطاط الصناعي . لكن ، الى جانب وقود الطائرات ومطاط بونا وفي الامكان استنباط مواد هامة من كحول البوتيل . ويمكن تحويل البوتيلين ، بعمليات وسيطة ، الى هيدروكربون عطري ، يستقر - بدوره - عن اصباغ ومنتجات دوائية .

ويستخدم الاسيتون ، بكميات ضخمة ، في صناعة البارود الخالى من الدخان . لكن هناك استخدامات اخرى عديدة للاسيتون . فلقد نبت - ونحن نتحدث هنا عن بعض الامكانيات فقط - ان بالامكان تحويل الاسيتون الى ايسوبرين ، وهو المادة الانسانية للمطاط الطبيعى ، وقد قدر لها ان تلعب دورا هاما في استنباط مطاط صناعى يفوق المطاط الطبيعى . وبالامكان تحويل الاسيتون الى عدد من المواد مثل الكيتون التى تتميز بنسبة عالية من الاوكتين ، الى جانب تميزها بخصائص اخرى . لذا فقد يمثل الكيتون افضل حل لمشكلة التحويل الى وقود لاقوى طائرات المستقبل التى قد تحتاج الى وقود افضل من الوقود الحالى الذى يتألف من ١٠٠ اوكتين . وبالنسبة لكحول الاسيتون والبوتيلين وكذلك من منتجات التخمر التى تضاهيه في قيمتها - يمكن استنباط عدد من مواد البلاستيك ، وليس من شك في ان بالامكان استنباط انواع جديدة ايضا ، وبذلك يصبح بالامكان استنباط مواد مصنعة من منتجات التخمر ، تحتوى على الصفات الميكانيكية

المطلوبة ، على نحو كان قاصرا في الماضي على المواد المعدنية . أما الإحصاءات
الثقيلة مثل حمض الخل ، أو الحمض الزبدى ، والانهيدريد ، فبالإمكان
التوصل اليها بسهولة عن طريق الاسيتون .

٥ - والواقع اننا نستطيع ان نفترض ان الكربوهيدرات ستحل ، في
المستقبل القريب ، محل البترول (والفحم) كمواد افتتاحية لأهم متطلبات
حضارتنا .

فاذا اهتمت الامبراطورة البريطانية بالتطورات الممكنة ، كما عرضنا
لخطوطها العامة في الفقرات السابقة ، استطاعت ان تؤهل نفسها وضعا
يمكن الامبراطورية من منافسة الصناعة الامريكية . ان الاساس المادى
لمثل هذه الخطة متوافر داخل حدود الامبراطورية البريطانية ، حيث يجد
المرء الكربوهيدرات بوفرة . ان فائض انتاج القمح في كندا واستراليا ،
وفائض الحبوب في جنوب افريقية ، وقصب السكر في الهند وجزر الهند
الغربية ظل لسنوات عديدة مضت يمثل مشكلة اقتصادية جادة بالنسبة
لهذه الدول . وستختفى هذه المشكلة فورا اذا لم ننظر الى هذه المواد
كمواد غذائية وحسب ، بل نعتبرها ايضا مواد خام لصناعة ضخمة .
والواقع ان المجال امام التطورات التى ذكرناها آنفا هائل جدا لدرجة انه
يمكن استغلال كميات هائلة من الكربوهيدرات التى تنتجها القارة الافريقية
دون جهد بشرى بالمرء ، وهى كميات تضيع سدى اليوم ، ومن شأنها ان
تحقق تطورا منتظما في ميدان الزراعة بالقاهرة الافريقية .

٦ - ان الشرط الاكبر من المشروع المقترح هنا يستند الى عمل تم القيام
به في مختلف المعامل في فلسطين وفي الولايات المتحدة الامريكية وفي اجزاء
اخرى من العالم ، وثمة احتمال قوى بأن امكانية مثل هذا المشروع - فنيا
واقتصاديا - ستكون موضع اختبار في فلسطين اولا ، حيث الظروف مواتية
لتحقيق مثل هذا المشروع الضخم الذى - يجمع بين الزراعة والصناعة
وهكذا يمكن ان تصبح فلسطين المعمل او المصنع الرائد قبل المصنع الضخم
الذى سيتمثل في القارة الافريقية في النهاية بمقتضى هذا المشروع . وليس
من شك في ان مثل هذا المشروع سيتيح لفلسطين امكانية استيطان عدد
كبير من المهاجرين بشكل منتج ، وفي نفس الوقت فان الرابطة التى قسد
تقوم بين افريقية وفلسطين قد تقوى من وضع فلسطين وسط الجسران
العرب ، او قد يمكن فلسطين في النهاية من الانتماء - اقتصاديا وسياسيا -
الى كتلة افريقية ، بدلا من الدخول في اطار اتحاد عربي .

(٧) حقائق مثيرة يكشف عنها بن جوريون : التاريخ الرسمي

لحرب الاستقلال (٥)

القدس : ثمة اعترافات وكشف مثير على لسان رئيس وزراء اسرائيل ووزير داخليتها ديفيد بن جوريون وذلك في مقدمته الشخصية والفصل الافتتاحي لكتاب الجيش الاسرائيلي « التاريخ الرسمي لحرب الاستقلال "official History of the war of independence" التي نشرها قسم النشر (ماراهوت) التابع للقيادة العامة الاسرائيلية عشية احتفال اسرائيل بعيد استقلالها الحادي عشر .

ورغم ان حرب الاستقلال انتهت في ربيع عام ١٩٤٩ بتوقيع اتفاقيات الهدنة بين اسرائيل والاقطار العربية المجاورة (باستثناء العراق الذي رفض التوقيع على اتفاقية الهدنة) ، تأجل نشر كتاب الجيش الاسرائيلي التاريخ الرسمي لحرب الاستقلال (لعشرة اعوام .

واليوم فقط يعطى وزير الدفاع والقيادة العامة الضوء الأخضر ، لاماطة اللثام عن اسرار النضال الملحمي للشعب اليهودي من اجل استقلاله القومي .

وفيما يلي بعض الوقائع التي اماط مستر بن جوريون اللثام عنها :
— عندما بدأت الحرب لم يكن لدى اسرائيل سوى ١٠٠٠٠ بندقية ، ولم تكن لديها أية اسلحة ثقيلة .

— رغم ضالة الجالية اليهودية في جنوب افريقية فانها أسهمت في المجهود الحربي بعدد من المتطوعين المهرة يفوق أي عدد في سائر بلدان العالم الأخرى .

— تم تدريب فرق اسرائيلية كاملة من المتطوعين في المانيا ، والنمسا ، وفرنسا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وذلك في عام ١٩٤٨ ...

— لولا المتطوعون الأجانب لما أمكن ان تقوم قوة جوية ، ولا قوات بحرية ومدربة ، ولما أمكن تطوير الاسلحة وتطوير الصناعة العسكرية . ونظرا لانه بدون هذه القوات ما كان بمقدور اسرائيل الانتصار في الحرب — وفقا للتاريخ الرسمي — من المسلم به ان حرب الاستقلال انتصرت بفضل المتطوعين الأجانب الذين شكلوا خمس اجمالي القوة المسلحة لاسرائيل .

(٨) نداء الى يهود جنوب افريقية (٦)

منذ خمسة أعوام قضى قيام اسرائيل على عديد من الافكار الخاطئة والنظريات المسلم بها . حاربت اسرائيل وظهرها الى الحائط ، يحيط بها من كل جانب أعداء أشرار . ولولا الشريان الذى ظل يغذى قلب الشعب اليهودى فى اسرائيل ، ونقصد الاتصال الجوى ، لضعنا . ولولا الامدادات المحدودة التى جلبتها الى جبهة القتال ، وبشجاعة ، طائرات متنوعة ، لكانت القصة مختلفة . ان الجو هو الذى حرر اسرائيل ، ومن خلال الجو سيكتب لنا البقاء فى حالة وقوع مزيد من الأحداث .

وادرأكا لأهمية طيران مدنى قوى ومدرّب بالنسبة لاسرائيل ، حمل مستر مايكل كوى ، نائب مدير الخارجية الاسرائيلية ، ومستّر ل. ا. بينكوس ، مدير الخطوط الجوية الاسرائيلية (العال) ، رسالة الى جنوب افريقية من مستر ديفيد بن جوريون ، رئيس وزراء اسرائيل . أما فحوى رسالته فهو ان عالم اليوم فى أزمة مستمرة ، أزمة لا يستطيع امرؤ ان يتكهن بنتيجتها . والوقت قصير ، وكلما سارعنا الى تدريب طيارين مدنيين لصيانة جهاز الطيران المدنى فى اسرائيل وتحقيق استمراره ، كان ذلك افضل لاسرائيل خلال الأزمات التى قد تحل بها . من أجل هذا فانهم يلتزمون انشاء فرع للرابطة الجوية الاسرائيلية خاص بجنوب افريقية وذلك لتوفير الوعى الجوى لدى اليهود ، واتاحة الفرصة لهم كي يساهموا فى تدريب العاملين فى حقل الطيران المدنى ، الى جانب اتاحة الفرصة لهم كي يسهموا فى تحمل النفقات الهائلة التى يتطلبها مشروع كهذا .

وفى ظل العلاقات الدولية الراهنة ، التى يسودها عدم الاستقرار ، لا تستطيع اسرائيل ان تستمر فى الاعتماد على عاملين غير اسرائيليين ، كما كان الحال حتى الآن ، عاملين يسرون اتصالاتها الجوية المدنية ، عصب البلاد ، ذلك انهم قد يستدعون الى بلادهم الاصلية بسرعة .

والصفات الواجب توافرها فى طيار مدنى قادر على نقل المسافرين على الخطوط الدولية اضخم واعقد من الصفات اللازمة للقوات الجوية . وقد يقتضى الأمر احيانا عامين لتحويل طيار فى القوات الجوية الى قائد لطائرة من أربعة محركات مثل الكونستيليش . ومع توافر افضل الخامات البشرية فان اسرائيل تحتاج الى عامين على الاقل لاستكمال نصيبها من الطيارين المدنيين . وبسبب الظروف المناخبة لا تصلح جنوب افريقية واسرائيل لتدريب الطيارين . ذلك ان الطقس فى هذين البلدين صاف دائما وساطع

دالما لذا فان الظروف جد وموالية ومن ثم لا يتم التدريب على الوجه
الاكمل . لذا يجب ان يتم التدريب في بلاد مثل انجلترا واجزاء اخرى من
أوروبا حيث يتوافر الضباب ، الثلج ، والمطر المصحوب بثلج ، وبذلك يالف
الطيار كافة الظروف المناخية . وتمرين كهذا مكلف وباهظ النفقات . وسيكون
الواجب الأول الذي يقع على عاتق أعضاء الرابطة ان يسهموا في البرنامج
الضخم نيابة عن الطيران المدني في اسرائيل .

انا نناشدكم الانضمام الى عضوية هذه الرابطة ، وسيكون الاشتراك
جنيهين استرلينيين في العام . وسيكون من حق أعضاء الرابطة تلقي
مطبوعات الطيران المدني في اسرائيل . وستوجه لهم الدعوة الى المناسبات
والحفلات الشهرية في البلد ، وسيتلقون رسائل الطيران الاسرائيلي بصفة
خاصة والطيران عموما بصفة عامة . كذلك سيكون من حق الأعضاء
الاشتراك في الجائزة السنوية وهي تذكرة مجانية للسفر الى اسرائيل
والعودة منها ، وسيتم السحب على هذه الجائزة مرة كل عام في حفل
كبير . بجوهانسبرج أما اللجنة التي تشكلت لإدارة شئون هذه الرابطة
نيابة عن اسرائيل فتتألف من شخصيات بارزة ومعروفة جدا في انحاء
افريقية واسرائيل . ومن أعضاء اللجنة شخصيات جوية مثل ليفتنانت
كولونيل س. س. مارجو D.S.D., D.F.G. ، وهو رجل أثبتت وجوده
وتفوق في القوات الجوية لجنوب افريقية ، ومسترت. سوسمان D.F.C.
بالقوات الجوية بجنوب افريقية ، ومسترت جواده ، الذي كان رئيسا
للعمليات في القوات الجوية الاسرائيلية .

غير ان الرابطة لن تستطيع الاضطلاع بواجبها الملح الا اذا استندت الى
قاعدة عريضة من التأييد من جانب الجالية اليهودية بجنوب افريقية ،
ونحن نناشدكم ، وكلنا ثقة ، ان تنضموا الى عضوية هذا النشاط الجديد
الهام ، وذلك لضمان مستقبل اسرائيل .

الحاخام الأكبر ، البروفيسر ل. ا. رابينوفتش

المدير العام

وليام أرونشون

الرئيس

يائير مارشاك

سكرتير شرف

(عندما كفت القيادة الرسمية للجالية اليهودية وكف الحاخامات في جنوب افريقية - بعد عام ٤٧ - عن التنديد بسياسة العزل العنصرى التى تتبعها الحكومة ، ارتفعت اصوات مشيرة الى التناقض الاخلاقى المائل فى هذا الموقف . وكان من اشد النقاد مستر فريتز فليخ ، وهو أمريكى يهودى ، وكان سجيناً فى داشو فى يوم من الايام . وقد استمر يتهم الجالية اليهودية فى جنوب افريقية بأنها رضخت لاسلوب العزل العنصرى لحكومة جنوب افريقية) .

(٩) وثيقة فريتز فليخ

(١) من جافتز الى فليخ ، فى ٤ فبراير ١٩٥٨ .

مجلس الشيوخ الأمريكى

لجنة اللوائح والادارة

٤ فبراير ١٩٥٨

مستر فريتز فليخ

٨٠٩٤ هوبتكوم

٢٨ ديترويت ، ميتشيگان

عزيزى مستر فليخ

شكراً على استفسارك الأخير . ولقد أتيت لى فرصة تدبر الأمر الذى استسمرت عنه فوجدت أنه نظراً لأن اللجنة اليهودية داخل اتحاد جنوب افريقية نفسه تعترض ، على نحو فعال ، على سياسة العزل العنصرى ، رأى أن الأمر لن يؤدى الى تسوية مرضية اذا ما اسهمت المنظمات اليهودية خارج جنوب افريقية فى مداوالات الأمم المتحدة التى اشرت اليها .

كم كان جميلاً منك ان تتكرم بارسال هذه المواد ، وانا على يقين من انها ستكون خير عون فى عملى هنا .

المخلص

جيكوب ك . جافتز

مجلس الشيوخ الأمريكى

(ب) جهل مزعوم بشئون جنوب افريقية (٧)

سيدى ،

بوصفى زائرا لهذا البلد يدهشنى جهل الناس الذين التقيت بهم .
لقد ظلت مواطنا لجنوب افريقية لاكثر من خمسين عاما وتهمنى الى حد
كبير الحياة الاجتماعية لبلدى ، وبخاصة ما يمس الشئون اليهودية .

ولقد ظلت نائبا في هيئة النواب اليهود بجنوب افريقية لاكثر من ثلاثين
عاما ، وعضوا في اللجان في جوهانسبرج ومختلف المؤسسات اليهودية ،
ونشطت في حملة التبرعات الصهيونية . ولدينا حكومة جد صديقة
لاخواننا في الدين . ولقد قام المرحوم الدكتور مالان ، وكان رئيسا لوزراء
الاتحاد ، بزيارة لاسرائيل ، كذلك قام عديد من رجال الكنيسة وغيرهم من
الشخصيات البارزة بزيارة اسرائيل وادهشتهم الانجازات الهائلة للشعب
اليهودى خلال ال ١٢ سنة الماضية .

ويتمتع يهود جنوب افريقية بتنظيم جيد ، اما هيئة النواب - وهى
لسان يهود اتحاد جنوب افريقية الوحيد - فليست سياسية .

والكثرة الغالبة منا تساند سياسة حكومة الاتحاد بالنسبة لاسلوب
العزل العنصرى . ولدينا حوالى ١٣ مليوناً من غير البيض ، اما عدد البيض
فلا يعدو أن يكون ثلاثة ملايين ، و ٧٠٪ من بين غير البيض اميون ، وتحاول
الحكومة قصارى جهدها كي تجبرهم على الحاق ابنائهم بالمدارس ،
والتعليم بها بالمجان . ويبلغ عدد اليهود في جنوب افريقية حوالى ١٢٠.٠٠٠
ولدينا عدد من القضاة والقضاة الجزئيين ، وعدد كبير من اليهود في سلك
الوظائف المدنية . وفي الآونة الأخيرة فقد سمحت حكومة الاتحاد لكافة
اللاجئين البيض القادمين من الكونغو بدخول الاتحاد ، وكان من بينهم
١٥٠٠ يهودى .

الرئيس هوبينشتاين

(ج) ردود فرتيز فليخ :

انهم ليسوا يهودا « على الهامش » ، وانما هم اكبر ممثلين لليهودية في
جنوب افريقية . انهم يقومون بالدور الذى قام به « المسيحيون الالمان »
في ظل عصر هتلر ، لكنهم لم يلقوا معارضة في صحافة العالم اليهودية لقد
حظوا بالتأييد بسبب امتناع كل المنظمات اليهودية لدى الأمم المتحدة .

وبالنسبة لهذا الطراز من اليهود هناك عضو مجلس الشيوخ عن نيويورك ، جافتز ، ومجلس الجالية اليهودية بديتريوت ، والحاخامات دكتور أيزندرات ، جولد شتاين ، بيرلز فاريج .. الخ ... (١٩٦٣) الحقيقة غير ماثلة في خطاب العضو جافتز ... وإنما في خطاب هوبينشتاين ... وليس هناك زعيم للكاثوليكين في جنوب افريقية ، والمنهجين ، والانجيليين ... الخ عبر عن آراء كتلك التي عبر عنها هوبينشتاين . ورغم آل هوبينشتاين ، الذين يهيمنون على مجلس النواب اليهود . بجنوب افريقية وجد العضو جافتز أن من المناسب ارسال هذا « الرد » . لصالح من ؟

عندما حققت الأمم المتحدة في السياسة العنصرية لحكومة جنوب افريقية امتنعت كل المنظمات اليهودية في الأمم المتحدة (بما فيها مجلس النواب اليهود لجنوب افريقية) عن التعاون مع الأمم المتحدة ... لصالح من ؟ ولم تذكر المنظمات اليهودية بالولايات المتحدة الأمريكية لماذا حدث هذا الامتناع . لصالح من ؟ ١٩٦٤

(د) من موريس ل . بيرلز فاريج الى مستر فريتز فليخ :

المؤتمر اليهودي العالمي .

15 East 84th street _

New York 28, N Y _

٥ ابريل ١٩٦٣

مستر فريتز فليخ

8094 whitcomb offjireman _

De troit 28 _

عزيزي مستر فليخ :

ان الاجابة على سؤالك عن جنوب افريقية ، الوارد في الخطاب الذي تسلمته اثر عودتي مؤخرا الى نيويورك ، بسيطة جدا ، ولقد ظننت ان هذه الاجابة واضحة .

ان المنظمات اليهودية غير الحكومية قد امتنعت عن التعليق على مشاكل جنوب افريقية لأنها لا تريد أن يتفاقم الوضع الصعب الذي تجسد فيه الجالية اليهودية نفسها فيه الآن . وهم يعلمون ان هذا التحفظ . رغم الاعتراضات المثارة ضده - امر هام بالنسبة للجالية .

وبعبارة أخرى نحن لا نعجب بالبطولة بالتوكيل .

إن الجالية اليهودية في جنوب افريقية قد تكون على صواب أو خطأ في موقفها ، لكن من حقها أن تصوغ موقفها مثلما أن من حقك أن تنتقد هذا الموقف .

وعلاوة على ذلك فإن المؤتمر اليهودي العالمي ممنوع ، بحكم دستوره ، من ممارسة أى نشاط يتعلق بأى بلد به جالية يهودية تستطيع أن تتحدث عن نفسها ، اللهم إلا إذا طلبت الجالية ذلك أو سمحت به . وقد لا تروق لك هذه الاعتبارات ، غير أن الحقوق الديمقراطية للجاليات اليهودية سليمة سواء راقى لك ولى النتائج أو لم ترق . واجد لزاما على أن أقول ، أنه قد أحزنتنى اللهجة التى تشيع فى كثير مما كتبتة . ليست هناك أدنى بادرة تعاطف مع يهود جنوب افريقية الذين تعذبهم المصاعب التى وجدوا فيها انفسهم ، ولا يبدو أنك تقدر ليهود أفراد ، وحاخامات سواء من الأرثوذكس أو الاصلاحيين ، الدور الجرىء الذى لعبوه - وهو دور أضخم من عددهم - فى نضالهم ضد سياسة العزل العنصرى ...

لقد اقتصروا على الخروج بالجالية من حلبة الصراع ، وهم قد فعلوا ذلك لأن المسألة صارت ، فى جنوب افريقية ، موضع جدل سياسى حزبى وذلك الحق كل الحق فى أن تعتبر هذا الموقف خاطئا ، اذا كان هذا رأيك ، لكنى لا أرى أى مبرر للتنديد الشامل للمجتمع اليهودى بأسره - وهو ما فعلته - خاصة أنك فعلت هذا من مكانك الآمن فى ديترويت .

وأخيرا ، لست على يقين من كون هذه التنديدات تتم بدافع من نوايا حسنة من أى بلد ، خاصة الولايات المتحدة ، التى لا تزال العنصرية تمارس فيه نفوذا قويا تشهد عليه الحوادث اليومية . إن الواجب الأول على أى مواطن أن يعالج الشر المائل عند عتبة بيته قبل أن يصدر حكما على جاره . وسيحكى لك أى مندوب أمريكى فى الأمم المتحدة عن عظم العبء الذى يتعين عليه أن يحتمله وهو يواجه تهكم البلدان المعادية التى يكفيها أن تقرا ما ترويه الصحف والكتب الأمريكية وانى لأسمح لنفسى بأن اقترح عليك أن توجه طاقاتك العظمى الى مشاكل العنصرية فى الوطن ، ذلك أن أى تحسين فى هذا الميدان سيخدم المعركة فى الخارج وأختم رسالتك مذكرا إياك بنصيحة الحاخام هيليل . « لا تحكم على جارك الا بعد أن تضع نفسك فى موضعه » .

المخلص

موريس ل. بيرزفاج

وحتى عام ١٩٦٠ - كما يذكر ن. كيرشستار - نعت الصهيونية
بخمسين عاما من الصداقة والتفاهم (١٠) .

ولم تتأثر هذه الصداقة بالوضع الجمهورى (١١) ، رغم ان تصويت
اسرائيل فى الأمم المتحدة عام ١٩٦١ كانت له اصداء غير مستحبة (١٢) .

(١٠) الصهيونية واتحاد جنوب افريقية

خمسون عاما من الصداقة والتفاهم (*) (٨)

ن. كيرشستار

(تقديم المؤلف : دعت مجلة « جويش أفيروز » المستر ن. كيرشستار -
الزعيم الصهيونى المحتل بجنوب افريقية والرئيس الأسبق للاتحاد
الصهيونى بجنوب افريقية - الى دراسة ازدهار الصهيونية فى جنوب
افريقية منذ قيام الاتحاد . ولقد ركز على موضوع هام : التشابه بين
تطور جنوب افريقية والنهضة القومية اليهودية) .

خلال الخمسين عاما الماضية سارت قصة الحركة الصهيونية بجنوب
افريقية فى خطوط متوازية مع تطور اتحاد جنوب افريقية كدولة ، وتطور
شعبه كأمة . وبعد حرب الانجلو - بوير لجأت بريطانيا الى الصداقة
تداوى بها جراح الحرب . وهكذا شرعت فى اتخاذ تلك الخطوات التى أدت
الى اعادة جنوب افريقية الى اهل البلاد ، وذلك من خلال قيام الاتحاد
عام ١٩١٠ . واذا كان الافريكانيون قد خسروا جمهورياتهم من خلال حرب
الانجلو - بوير ، الا ان قطاعى الشعب توصلا من خلال الاتحاد - الى
الوحدة التى تجمع صفوفهم اليوم فى شكل أمة .

وبفضل هذه التجربة التاريخية استطاع اهل جنوب افريقية أن يقدرُوا
اهداف ومقاصد الحركة الصهيونية . ومنذ بداية الاتحاد أبدى زعماء
أمة جنوب افريقية الجديدة تفهما عميقا للمغامرة الهائلة التى خاضها
الشعب اليهودى كى يبنى أرضه . كان هناك بوتاً ، أول رئيس وزراء فى
اتحاد جنوب افريقية ، والذين عاصروا منا السنوات الأولى للاتحاد عرفوا
كيف انه خلال لحظة خطيرة من لحظات الحرب العالمية الأولى ، عبر عن مساندته
لتحرر الشعب اليهودى . وكان هناك سمطس ، الذى لعب دورا فى
التوصل الى اعلان بلفور ، والذى صار اسمه محفورا فى التاريخ الصهيونى
بفضل كل ما قدمه من مساعدات للشعب اليهودى . وكان ضابطه ، تيلمان

روس ، الذى كان المهندس الرئيسى للاعلان الموالى للصهيونية ، وهو الاعلان الذى أصدرته حكومة الجنرال هرتزوج عام ١٩٢٦ هـ هذا الى جانب مالان ، اول رئيس وزراء فى الكومنولث يزور دولة اسرائيل الجديدة والذى عاد وهو يحمل رسالة مؤداها ان اسرائيل تستطيع ان تكون مصدر الهام لجنوب افريقية .

هؤلاء الرجال قد ارسوا دعائم التفليد القائل بأن ثمة رباطا وثيقا بين امانى اليهود وامننى شعب جنوب افريقية . ان مسار التاريخ فى جنوب افريقية قد منحهم الشعور بالمشاركة فى نضال شعب آخر من أجل تحقيق قومية . وبفضل هذا التقليد ارتبطت كل حكومات اتحاد جنوب افريقية بما حققته الصهيونية - وذلك خلال سننى النضال الاول ، وفى النتائج التى تحققت اليوم ، اذ تقف اسرائيل ، فى امان ، وسط امم العالم .

يجب الا تفهم من هذا انه منذ البداية والصهيونية فى جنوب افريقية زهرة ترويتها - متضافرة الجالية اليهودية الموجودة بالاتحاد كلها . كانت الحقيقة أبعد من هذا ، كان النضال شاقا يستهدف تنوير الجالية اليهودية بجنوب افريقية بالأهمية الحيوية للحركة الصهيونية . لقد شب اعضاء الجالية اليهودية وسط النعمة ، وكان لابد من اعلامهم بأن هناك من لا ينعمون بهذا ، ومن يستحقون العون والتأييد فى الكفاح من أجل اعادة بناء الأرض اليهودية . والذين لم يريدوا أن يعكر أحد صفو حياتهم اليومية - وفرص التقدم والثروة والراحة - كان لا بد ان يتعلموا الدرس الأساسى ، وهو ان من حق الشعب اليهودى ان تكون له ارضه الخاصة به . غير ان يهود جنوب افريقية لم يكونوا شواذا فى هذا الصدد - ففى كل بلد دارت نفس المعركة فى صفوف الجالية اليهودية .

كان عدد المؤمنين قليلا فى البداية . كان الذين يتذكرون القدس دائما معدودين - مجموعات صغيرة لم تكف قلوبها عن الحنين الى صهيون ، مجموعات تفكر دائما فى الشعب اليهودى . كان هناك من يؤمنوا بأن بقاء اليهود عبر ٢٠٠٠ سنة يعطيهم الحق ويلزمهم بأن يعملوا من أجل اعادة ارض اسرائيل الى شعب اسرائيل ، وانه لا يمكن لشعوب اخرى ان تجنى من ارض اسرائيل الصلبة ما ورد فى الانجيل عن جمالها ، ومجدها وتراثها .

وكان ثمة قطاع قوى فى كيب تاون . كان هناك جيكونب جيتلين الذى وقف صامدا فى وجه رياح تهب . ان اسمه يبرز بصفة خاصة فى الحركة الصهيونية بجنوب افريقية ، يراوده حلم ليل نهار كان على استعداد

الاسهام في كل شيء من شأنه أن يحمل الى يهود جنوب افريقية رسالة الصهيونية .

وكان هناك لينوكس لويوى في جوهانسبرج ، وهسايمان موريس ، وصمويل جولد ريخ . وكان هناك ليوبولد كيسلر الذى استقر فيما بعد في لندن وأصبح صديقا لهيرتزل وقاد الحملة التى بعثت بها المنظمة الصهيونية العالمية لدراسة امكانية استقرار اليهود في العريش . وكانوا هم وغيرهم نشطين خلال السنوات السابقة على قدومى الى جنوب افريقية ، ووضعوا أسس الصهيونية في الرائد . وكان هناك المبجل . ا . كوهين من بولاوايو ، الذى غرس راية صهيون ، بثبات ، في نفوس روديسيا وكان هناك رجال شرفنى ان اعمل معهم في الحركة . وهنا يبرز فوراً اسما برودو ، جانوار - ولكن يجب الا اعد قائمة هنا ، فلا شك أن القائمة ستغفل أناسا لا يقلون استحقاقا عن اناس وعتهم ذاكرتى اخذنا نعمل كى نقضى على اللامبالاة في صفوف الجالية اليهودية ، وننشر الوعي بمشكلة الشعب اليهودى وحاجته الى أرض خاصة به . وكنا نعمل وسط الصعاب ، ونكافح من أجل تحقيق التقدم .

كان هذا هو الوضع عندما نشبت الحرب العالمية الاولى . وفي عام ١٩١٧ رحل جنرال سمطس الى انجلترا لينضم الى وزارة الحرب في الامبراطورية البريطانية . وعقد اليهود اجتماعا في جوهانسبرج اصدروا فيه قرارات تسال جنرال سمطس بأن يساعدهم في خدمة قضية صهيون . كان المناخ مواتيا ، وسواء ادركنا ذلك او لم ندرك فلقد كان توقيت طلبنا في محله . ثم اقبل اليوم العظيم يوم ان اعترف الحلفاء بما قدمه لهم ويزمان خلال الحرب ، وتم اعلان بلفور . وفي المدينة التى تطل على ضفاف التيمز اجاب التاريخ على الاغاني التى غناها اليهود على ضفاف انهار بابل .

وليست مهمتى كتابة التاريخ ، وما انا بقادر على ذلك . يكفى ان اقول ان وعد بلفور احيا الامل في قلب الشعب اليهودى الذى لم يجرؤ - منذ ايام سيروس - على ان يرفع قامته كاملة . وكان على يهود العالم ان يواجهوا التحدى - وكان على يهود جنوب افريقية ان يشاركوا الباقين في ذلك . كانت نقطة تحول للحركة الصهيونية . وهنا ، في جنوب افريقية ، لا يسعنا الا ان نعترف بالجميل للجنرال سمطس للدور الذى لعبه . وبفضل افعاله سجل اسمه في تاريخ اصغر الشعوب ، كما حفر اسمه في قلوب كافة اجيال اليهود التى انت بعد ذلك . كذلك حمل شعبه معه فيما حققه من اجل الشعب اليهودى . وايا كانت رياح التغير التى هبت على هذه الارض -

ولقد كانت هناك رياح تغير اكسبت بعض القمصان اللون الرمادي واكسبت اخرى اللون الاسود ظل شعب جنوب افريقية صديقا مخلصا وصادقا .

وفي مطلع الحرب العالمية الاولى تم الاكتتاب في جنوب افريقية لصالح ضحايا الحرب اليهود . وكان بيرنارد الكسندر رئيس الصندوق . وكانت اول مسؤولية كبرى يضطلع بها يهود جنوب افريقية تجاه اخوتنا في بلاد فقدوا فيها كل شيء بسبب الحرب ، بلاد لم يعودوا مطلوبين فيها . وتعهد يهود جنوب افريقية برعاية بعض اليتامى في بلاد حل بها الدمار ، وكان هؤلاء اليتامى قد قدموا الى فلسطين (اسمها آنذاك) . اما اسحق اوحنيرج من الكيب تاون ، فقد جلب بعض اليتامى الى جنوب افريقية بدافع من انسانيته الدافئة . وتم ايواء بعضهم في ملجأ يهودى للايتام في كيت تاون ، بينما تم ايواء البعض الآخر في جوهانسبرج ، حيث أسهم صندوق الاغاثة في شراء دار سير ليونيل فيليب « اركاديا » ، وهناك اقمنا دارا للأطفال الذين فقدوا كل شيء وافتتح جنرال سمطس تلك الدار ، واذ افتتحها تفوه بهذه الكلمات « من الصائب ان يدخل الاطفال الى حيث عاش الاقرباء يوما ما » .

وازداد نشاط يهود جنوب افريقية داخل الحركة الصهيونية ، ورغم صغر عددهم اضطلعوا بمسؤوليات لم تقتصر نتائجها على الحركة هنا وحسب وانما اثرت في الشعب اليهودى بأسره ، ايا كان المكان الذى يعيش فيه هذا الشعب . وكان الاتحاد الصهيونى قد تألف آنذاك ، واخذ ينظم التأييد اليهودى بجنوب افريقية على نطاق واسع .

ولم يكن الامر سهلا امام الذين اضطلعوا بالمسؤولية غير عابئين بالمصاعب . والذين تزعموا الحركة الصهيونية رفضوا ان يتركوا المتاعب تصرفهم عن هدفهم . فالمتاعب تقتضى التغلب عليها . ولقد تعثرنا ، ولقد دميت اصابع اقدامنا وهى ترتطم بحجارة الطريق ، لكن ذلك لم يشننا عن عزمنا . وحملنا باعتزاز ، الخرقة التى تحولت فى ايدينا الى علم ، ذلك اننا كنا نؤمن ، فى اعماق قلوبنا ، بأن الشعب اليهودى لا يمكن ان يحرم من حقه التاريخى .

وقدم متحمسون كثيرون يد المساعدة . ان ذلك اليهودى العظيم العلامة ، دكتور لاندو ، الذى تحول فى اواخر اعوامه الى قديس ليهود جنوب افريقية ، قد لعب دورا هاما . كذلك فان موريس الكسندر ، ثم موريس كينتريدج ، اللذين تلمع اسمائهما وسط نواب جنوب افريقية ، اسهما بثقلهما فى مساعدة الصهيونية فى رسالتها . ووقف القاضى جرينبرج بجانبنا فى ثبات . ومنذ

اليوم الذي قال فيه « ان هذه الرسالة مهمتى ايضا » ظل في قلب الحركة ، يقدم النصيح ، ويرشد ، ويتقبل في سرور ذلك العبء الذي يوائم مركزه المرموق .

ومضت السنون سراعا ، الى ان وقفنا امام الامم المتحدة . باسم من وقف زعمائنا امام منصة الامم المتحدة ؟ - باسم شعب مكسور ، شعب طحن حتى صار ترابا ، شعب تم تدمير الملايين منه فلم تبق سوى حفنسة انتابيتها الاحداث . غير ان زعماءنا طالبوا بحقوق لهذه الحفنة . وهم قد حركوا ضمائر من جلسوا حول مائدة الامم المتحدة . وحانت «لحظة السبت» فاليهود هم اهل السبت عند سائر امم العالم ، وعندما اجتمعت هذه الامم وكشفت عن صدورها ، استجابت لمطلبنا ، اعترفت بحق شعبنا - الذي كاد يلحق به التدمير الكامل - في ان يبنى اسرائيل من جديد .

واعلن قيام دولة اسرائيل في ١٤ مايو من عام ١٩٤٨ . وكانت امريكا اول من اعترف بهذه الدولة . وقد فهمت ان الرئيس ترومان استيقظ في منتصف الليل كي يذيع اعتراف الولايات المتحدة باسرائيل . وتبعته روسيا فورا وكان هناك اعتراف آخر جاء في اعقاب هذين الاعترافين : لقد بعثت مصر بطائرة لضرب تل ابيب بالقنابل . وبعدئذ ، وبينما الجيوش العربية تنقض على اسرائيل ، شرعت امم اخرى ، من بينها جنوب افريقية ، تعلن اعترافها بالدولة اليهودية .

وعندما اعلنت اسرائيل عن حرب التحرير لم يتقاعس الشباب اليهودي في جنوب افريقية وابدى ادراكا واستعدادا للخدمة . وذهبوا ، سعداء ، يشاركون في القتال داخل اسرائيل ومن اجل اسرائيل . وهنا ، مرة اخرى ، نجد ان الجو الذي تربوا فيه بجنوب افريقية جعلهم يدركون الحاجة اليهم . ان اسم جنوب افريقية يحتل مكانة سابقة في تاريخ الصهيونية ، لا بفضل ما حققه اليهود وحسب ، وانما لان الذين كانوا يرأسون حكومة جنوب افريقية اتاحوا كل الفرص لليهود كي يقدموا كل ما في وسعهم من اجل النضال الصعب لتحرير اسرائيل .

وكانت زيارات زعماء الصهيونية القادمين الينا من الخارج خير سند لنا . رحب بهم شعب جنوب افريقية ، ورحبت بهم الطائفة اليهودية ، خير ترحيب . زارنا فيلسوف اليهودية العظيم ، ناحوم سوكولوف . وزارنا حايم وايزمان وكان من عادة سمطس ان يتحدث عن « وايزمان وموسى » - وكان يضع وايزمان قبل موسى . وعندما تسلم وايزمان درجة فخرية من جامعة فيثفاتر سرائد ، كانت الجامعة العبرية بالقدس قد خطت خطوات

صغيرة منذ ان وضع هو ولورد بلفور لم يكن يحمل معه غير خطط البناء
الذى سينهض في القدس ، ومع ذلك وجه الدعوة الى جامعة فيثفاتر سرائد
لكى تكون ضيفا على بيت العلم الذى لم ينهض بناؤه بعد في اسرائيل ...
ومنذ ذلك اليوم الذى لا ينسى على عدد كبير من علماء جنوب افريقية ضيوفا
على الجامعة العبرية في القدس ، وراوا بعيونهم حلما للشعب اليهودى يتحول
الى حقيقة واقعة ...

وقبل قدوم سو كولوف ووايزمان قدم شماريا ليفين ، ذلك الرجل
الذى تشبع بالحياة والثقافة اليهودية . ليست هناك قرية في جنوب
افريقية لا تتذكره . ذلك ان شماريا ليفين ، بقصصه التى تتحدث عن الحياة
اليهودية ، ترك في كل بيت يهودى ذكريات لا تمحى ابدا .

جاء الينا العون من جهات عدة . كانت هناك شخصيات مسيحية مرموقة
ايدت الصهيونية ، الى جانب الاسماء التى ذكرتها - اناس مثل ادجار
بروكس ، البروفيسور دينجمانز ، كولين شتاين . واذكر جيدا خلدنة
قدمها كولين . كل ذلك خلال الحرب العالمية الثانية . تلقينا برقية من
كوبى ، فى اليابان ، مؤداها ان حوالى ٨٠ لاجئا من اوروبا لديهم تأشيرات
دخول فلسطينيين ، لكن عليهم ان يسافروا عن طريق جنوب افريقية ،
ولست معهم تأشيرات مرور بالاتحاد . فى تلك الايام الخطرة كان الحصول
على تأشيرة مرور امرا صعبا للغاية . وذهبنا الى كولين شتاين ، وحصل
لنا على تأشيرات مرور لهؤلاء الثمانين كى يصلوا الى فلسطين خلال الحرب .
هكذا كان كولين شتاين ، بورككت ذكراه ...

ونذكر ايضا جان هوفمير طيلة حياته العامة وهو يقدم لنا الخدمات ،
ويشجعنا ، ويبدى تفاهما . كان يتحدث منافحا عن اليهود ، وكان يلجأ
الى صورة الشحيرة التى احترقت لكنها لم تحتف من الوجود ، وكان يقول
ان النار المقدسة هى الروح التى حركت اليهود عبر العصور ، ورفعت
الروح المعنوية لدى الجالية اليهودية فى جنوب افريقية ، فى وقت بدا فيه
ان الظلام يغلف كل شىء .

ثمة صفحة مشرفة فى تاريخ جنوب افريقية ، صفحة تسجل ان الذين
قدموا لجنوب افريقية اجل الخدمات حملوا فى قلوبهم تعاطفا وتفهما لشعب
صغير يحتاج الى سند .

ونحن الآن فى عام ١٩٦٠ ، نصف قرن على قيام الاتحاد فى جنوب
افريقية ، ١٢ عاما فى حياة دولة اسرائيل .

ويقع العيدان في نفس الشهر ، ويشهدان أيضا مضي . ه عاما على جهود اليهود بجنوب أفريقية من أجل القضية الصهيونية . واليوم فان الطريق الذي يتعين على جنوب أفريقية واسرائيل أن تسيرا فيه محفوف بالمشاكل الجسام لكن ثمة نجم يستطيع شعبا البلدين ان يستهديا بنوره . انه يتألق في وضوح من خلال كلمات النبي الذي أهاب بنا أن نكون عادلين في أفعالنا، وان نحب الرحمة وان نسير مع الرب في تواضع . فليمر هذا النداء طريقنا لأجيال مقبلة .

(١١)

جمهورية جنوب افريقيا (٩)

سيطراً التغير التاريخي على طبيعة دولة جنوب افريقية في ٣١ مايو فالبلد الذي عاش للحادي والخمسين سنة الماضية في شكل اتحاد جنوب أفريقية سيصبح : جمهورية أفريقية ، ويوم أن يصبح جمهورية سيكشف عن عضوية لكومنولث الأمم .

لم تكن جنوب أفريقية راغبة في الخروج من الكومنولث . وعندما ذهب رئيس الوزراء الى مؤتمر الكومنولث في مارس ، ذهب يحمل تفويضا بالسعي للحصول على موافقة الدول الاخرى الاعضاء كي تصبح جنوب افريقية جمهورية داخل الكومنولث لم يكن هناك اعتراض على أن تتحمل جنوب افريقية الى الحكم الجمهوري : فلقد كان هذا شأن الهند ، وغانا ، والملايو قبل أن يقرر الاتحاد أن يحدث تغييرا مماثلا . لكن ، كان ثمة اعتراض في أن تستمر جمهورية جنوب أفريقية في انتهاج سياسة الفصل العنصري التي ظلت حتى ذلك الحين البنيان الاساسي لدولة جنوب افريقية وعندما بات واضحا أن الانضمام لن يلقي موافقة دون تصويت ، وعندما بدا أن التصويت سيحدث انقساماً ، سحب دكتور فير فورد طلب جنوب افريقية، اما روابط الصداقة بين جنوب افريقية وبريطانيا والدول القديمة الاعضاء في الكومنولث فباقية ، لكنه يتعين الآن ان تستمر هذه العلاقات على اساس من اتفاقيات ثنائية ، وهي اتفاقيات يحتاج معظمها الى تجهيز . ولقد صدقت بريطانيا على مشروع « تجميد » ، مشروع يجمد العلاقات القائمة بينها وبين جنوب افريقية ، وبذلك تسمح بصياغة هذه الاتفاقيات خلال عام .

وستصبح جنوب افريقية جمهورية في وقت تتعاضد فيه الاختلافات بين ناخبها ازاء السياسات القومية ، وهذه الاختلافات تنعكس على العلاقات بين الاحزاب ، بل تنعكس داخل الاحزاب نفسها . فهناك أفراد يشعرون

ان الوقت قد حان كي تكف جنوب افريقية عن مقاومة تطبيق مزايا الديمقراطية بالنسبة لكل اجناسها ، هذا التطبيق الذى يشكل تحديا .
بينما يشعر آخرون بوجوب حماية وضع الاوربيين ، على ان يتم التوسع - فى نفس الوقت - فى حقوق غير الاوربيين داخل مجتمع مشترك ويشعر فريق آخر ان الحل لا يتمثل فى مجتمع مشترك ، وانما فى توفير مناطق منفصلة يحصل فيها غير الاوربيين على حق التصويت والادارة الذاتية ، على اساس يفضى الى اتحاد فدرالى بين الاقاليم الاوروبية والاقاليم غير الاوروبية، على ان يتمتع كل اقليم بالحكم الذاتى اللهم الا فى المسائل التى يقتضى فيها الصالح العام مظلة الحكومة المركزية .

تلكم هى السياسات التى يحق للأحزاب والأفراد أن تختلف حولها داخل الجمهورية مثلما كان من حقها أن تختلف حولها داخل الاتحاد ، على أن يؤخذ فى الاعتبار عامل هام جدا : ان الاجراءات التى يعبرون بها عن خلافاتهم يجب الا تعرض امن الدولة للخطر . غير ان قضيه ما من شأنه تعريض او عدم تعريض امن الدولة للخطر هى جزء من النقاش السياسى ، وذلك امر حتمى فى ظل ظروف جنوب افريقية . وفى داخل الحزب الحاكم ، وكذلك داخل المعارضة ، سيكون من واجب السياسة المحكنة أن تضمن الوقار وقلة الانفعال فى التعبير عن الاختلافات ، وهو ما يقتضيه وضع جنوب افريقية الصعب .

وما ينبطق على المواطنين ينطبق على الطائفة اليهودية . ان الـ ١٠٠٠٠٠ يهودى فى جنوب افريقية جزء مستقر ودائم بين السكان الاوربيين ، وهم يتمتعون بنفس الحقوق ويضطلعون بنفس الواجبات شأنهم شأن غيرهم من المواطنين ، وهم سيظهرون للجمهورية نفس الولاء الذى اظهروه للاتحاد . والتاريخ يقدم لنا امثلة عديدة على هذا الولاء الذى عبر عن نفسه فى كل ميدان من ميادين الحياة بجنوب افريقية : ولقد تتبعنا الجوانب البارزة فى هذا السجل على هذه الصفحات منذ عام مضى ، عندما احتفلنا باليوبيل الذهبى للاتحاد . وفى المهن والفنون ، فى التجارة والصناعة فى التعليم فى العلوم والخدمات الاجتماعية ، اسهم اليهود - على نحو هائل - فى رفاهية جنوب افريقية وتقدمها . ان اليهود يمارسون حقهم كمواطنين يعتنقون معتقداتهم السياسية الشخصية ، دون ما توجيه او تدخل من المنظمات الطائفية اليهودية (التى لا تشترك فى النقاش السياسى اللهم الا المسائل التى تهم الطائفة اليهودية مباشرة ، وهكذا نجد ان اليهود من بين اعضاء ومؤيدى كافة الاحزاب السياسية فى البلاد ، بل وداخل مجالسها الحاكمة فى بعض الاحيان) .

وسيستمر هذا الوضع في ظل الجمهورية ، واننا لعلنا يفهم من أن اليهود سيسهمون في تقدمها مثلما أسهموا في تقدم الاتحاد . ان الولاء للدولة ، بالنسبة لليهودي ، مفهوم تطالبه به اليهودية ، فالتلمود يذكر أن « قانون البلاد هو القانون » ، وكل يهودي مطالب بأن يصلى من اجل رفاهية الدولة ، تأكيداً لهذا المعنى . وكل يوم سبت وفي كل معبد يهودي ، تقام الصلوات كي - يحمى الرب ، ويرشد ، الاتحاد وحكامه . ولقد أجرى حاخاماتنا التعديلات الضرورية كي تنطبق هذه الصلوات على الجمهورية . كذلك ستقام في المعابد اليهودية صلوات خاصة ، احتفالاً بمقدم الجمهورية ، مع الأمل المخلص في أن يقود الرب جنوب أفريقية الى بر الأمان وسط أية عواصف قد تتهددها ، وأية متاعب قد تنتظرها . فليرفع الرب شأن جمهورية جنوب أفريقية ، وليقدها الى انجازات جديدة على الصعيد القومي ، مما يفتح مسالك أمام التعاون الذي يمكن كل الأجناس ، والألوان ، والعقائد ، من أن تعيش معا جنباً الى جنب ، في ظل من الاحترام والثقة المتبادلين يساعد الواحد الآخر من اجل تقدم البلد الذي يعتبر اما لنا جميعاً .

(١٢)

تصويت اسرائيل في منظمة الأمم المتحدة

اصداؤه في جنوب افريقية (١٠)

ادجاريير نشتاين

صدم مواطنو الجمهورية للنقاش الذي دار حول جنوب افريقية بالأمم المتحدة هذا العام . ولم يكن مبعث الصدمة ما قاله منتقدو جنوب افريقية وحسب ، وانما كان مبعثه أيضاً مسلك الدول التي شاركت في الانتقاد . وتضمنت القائمة بلادا كانت تمتنع عن النقد في الماضي او كانت معتدلة او متحفظة في بياناتها الخاصة بسياستنا . وكان من بين هذه البلاد اصدقاء قدامى لجنوب افريقية مثل بريطانيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، هولندا ، بلجيكا ، اسرائيل .

وربما كان اكثر ما اقلق جنوب افريقية قرار اللوم الذي اقترحه دول افريقية وآسيا ضد وزير خارجية افريقية ، مستراريك لو ، بسبب الخطاب الذي ألقاه امام الجمعية العامة ودافع فيه عن سياسة جنوب افريقية

الخاصة بـ « التنمية المنفصلة » . ووقف وراء القرار ٦٧ صوتا في مقابل صوت جنوب أفريقية الوحيد المعارض وامتنعت بريطانيا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، والدومينيون ، ودول أوروبا الغربية (باستثناء هولندا) . وأيد قرار اللوم الدول الأفريقية - الآسيوية ، الكتلة السوفيتية الأرجنتين ، بوليفيا ، البرازيل ، شيلي ، أكوادور ، هايتي ، هندراوس ، اسرائيل ، المكسيك ، هولندا ، بناما ، بيرو ، أوروغواي ، فنزويلا .

أما تأييد هولندا لقرار اللوم فآثر جنوب أفريقية ، ذلك ان العلاقات التاريخية والثقافية مع شعب هولندا ولفته كانت ضخمة وعميقة . وظهرت تعليقات مرة على موقف هولندا ، وذلك على لسان رئيس الوزراء ، دكتور فير فورد ، ووزير الخارجية ، مستر لو ، والصحافة الافريكانية .

كذلك كان هناك انتقاد لموقف اسرائيل التي أيدت قرار الادانة وفي نفس الخطاب الذي ندد فيه رئيس الوزراء موقف هولندا ، أشار الى موقف اسرائيل اشارة موجزة لكنها مشحونة ، اذ قال « امتنعت دول اخرى في أوروبا عن التصويت ، اما ممثل حكومة هولندا فآثر ان يصوت . اما الحليف الوحيد لحكومة هولندا في هذا الموقف فكان حكومة اسرائيل » .

واذاع وزير الخارجية حديثا موجهها الى جنوب أفريقيا من نيويورك ، حيث كان يرأس وفد جنوب أفريقية في دورة الأمم المتحدة ، وأفاض في الاشارة الى موقف جنوب أفريقية ، بعد ان انتقد بشدة السياسة التي انتهجتها هولندا . قال انه لم يكن يتوقع ان تساند اسرائيل جنوب أفريقية ، وانما توقع ان تمتنع عن التصويت مراعاة للصدقة والعون الذي قدمته حكومة جنوب أفريقية ، ووزراء في الوزارة ، لاسرائيل ، مما في ذلك التسهيلات الخاصة لتحويل كميات ضخمة من المال الى اسرائيل عن طريق يهود جنوب أفريقية . وعبر عن ايمانه « اهالي جنوب أفريقية الذين تربطهم باسرائيل روابط عنصرية ودينية ، جنبا الى جنب مع اهل هولندا ، ان يوافقوا على التصرف العادي الجاحد الذي أقدم عليه الوفد الاسرائيلي في الأمم المتحدة » .

أما المهاجرون الهولنديون الى جنوب أفريقية فقد عبروا عن انتقادهم واحتجاجهم العنيف على تصويت وطنهم السابق ، وفكروا في ارسال التماس الى حكومة هولندا .

وكان لتأييد اسرائيل لقرار اللوم ردود فعل مختلفة داخل الطائفة اليهودية . واستاء معظم اليهود اذ وجدوا اسرائيل من بين الدول التي صوتت ضد جنوب افريقية وسعى البعض الى تفسير او تبرير موقف اسرائيل ، وانتقد آخرون تصويتها بصراحة .

اما « زاينيس ريكورد » لسان حال الاتحاد الصهيوني بجنوب افريقية، فنتقدت موقف اسرائيل ، وذكرت ان من المؤسف له ان تصوت اسرائيل الى جانب الدول المؤيدة لقرار اللوم ، بدلا من ان تمتنع مع المجموعة الغربية « وفي وقت حرمت فيه جنوب افريقية من حقها في ان تعرض وجهة نظرها امام الجمعية العامة للأمم المتحدة » . وازافت المجلة تقول انه سواء اعجبت الوفود او لم تعجب بتعليقات ستر لو « فان ثمة خيانة كاملة لكافة المثل العليا التي يمكن ان تحقق مقاصد الأمم المتحدة وتتمثل هذه الخيانة في محاولة منعه من ممارسة حرية التعبير ، وذلك باستخدام التصويت كسلاح للسلطة الفاشية » .

اما « جويش هيرالد » ، لسان حال المعدلين الصهيونيين ، فكانت اكثر صراحة ، اذ انتقدت موقف اسرائيل التي صوتت « ضد واحدة من اول واخلص اصدقاء اسرائيل » ووصف هذا الموقف بأنه « غريب ، لا مبرر له، يفتقر الى الواقعية السياسية » . وشعرت الصحيفة ان هناك تركيزا ، اكثر من اللازم ، على الصداقة التي يقل ان عددا من دول افريقية وآسيا يبديها لاسرائيل ، وفي مقابل هذا تجيز اسرائيل على التصويت مع هذه الدول . فاذا سلمنا بأن اسرائيل تواجه مصاعب في وضع حساس كهذا ، فاننا لا نقلل من شأن هذه المتاعب ونؤمن بأنه لم يكن هناك من الاسباب الوجيهة ما يمنعها من الامتناع عن التصويت « ان حق الامتناع عن التصويت توافر من أجل مواجهة مثل هذه المواقف الصعبة بالفعل » .

اما « ساوث افريكا جويش تايمز » فاتخذت اتجاها مغايرا ، فقالت ان اسرائيل كانت تجاهد كي تعزل الدول الافريقية الجسدية عن مجال نفوذ ناصر ، وانه على ضوء هذا الجهاد صوتت اسرائيل - على كره منها - ضد جنوب افريقية ، وفالت الصحيفة ان هذا - رغم انه ضد جنوب افريقية - سيفيد في النهاية جنوب افريقية واسرائيل ، اذا ما نجحت محاولة الحيلولة دون سياسة ناصر في التغفل .

وشعرت صحيفة « افريكانار بيديشي » زيتيونيغ ان التصويت يعكس صراعا بين حقيين ، بين سياسة جنوب افريقية ومبادئ اسرائيل ، وانه ازاء موقف كهذا لم يسع اسرائيل الا ان تنتهج السبيل الذي انتجته .

وأبدت الصحافة العامة ضبطاً - محموداً - للنفس ازاء هذه القضية الشائكة ، وتجنببت التسرع في التعليق ، سواء بمهاجمة اسرائيل أو التماس العذر لها . غير ان الصحف افاضت في نشر انباء القضية ، واتصلت بهيئة النواب ، باعتبارها المنظمة التي تمثل يهود جنوب افريقية ، طالبة منها التعليق . واستجابة لهذه الطلبات ذكر المتحدث باسم الهيئة ان كثيرين من يهود جنوب افريقية انتقدوا بشدة تصويت اسرائيل لصالح قرار اللوم . وقال المتحدث باسم الهيئة « من المسلم به ان اسرائيل ، في رسمها لسياستها الخارجية ، يجب ان تأخذ في اعتبارها عوامل حساسة ومعقدة هي وحدها القادرة على الحكم عليها . ومع ذلك كان ثمة احساس باننا هنا امام قضية بسيطة : حرية التعبير امام محفل دولي . وفي ظل هذه الظروف كان حرياً باسرائيل ان تنضم الى الأمم المتحدة الغربية الاخرى وتمتنع عن التصويت في قرار اللوم الافريقي الاسيوى » .

ومضى البيان يقول « ان المواطنين اليهود في جنوب افريقية يقدرّون بعمق مظاهر حسن النوايا العديدة ، التي أبدتها جنوب افريقية تجاه اسرائيل ، ويأملون - مخلصين - أن تستمر العلاقات بين البلدين في المستقبل على نفس الاساس الودى » .

وبينما رحبت جنوب افريقية بتعليق « زاينيست ريكورد » وبيان هيئة النواب انتقدتهما اسرائيل بشدة ، وفي اسرائيل رأت كبريات الصحف انه ليس من اللائق ان يحاول يهود جنوب افريقية أو طائفة يهودية أخرى خارج اسرائيل ، التأثير على سياسة الحكومة الاسرائيلية . وقالت الصحف ان هذه السياسة لا بد ان تقوم على مبدأ عدم التمييز ، حتى لو كان ذلك غير مستساغ لطائفة يهودية كطائفة جنوب افريقية . غير ان بعض الصحف شعرت انه كان يتعين على اسرائيل ان تراعى ، على نحو اكبر ، وضع جنوب افريقية ووضع طائفاتها اليهودية ، بعد سجل الصداقة الطويل بين البلدين . وكانت أكبر صحيفة معارضة « حيروت » هي التي عبرت عن هذا الرأي بقوة . وردت عليها صحف موالية للحكومة قائلة ان تصويت اسرائيل ضد التفرقة العنصرية في جنوب افريقية لم يكن تصويتاً ضد جنوب افريقية ، التي تعترف اسرائيل بصداقتها ، فاسرائيل تسعى الى مصادقة كل البلاد ، لكنها في سعيها الى هذه المصادقة - لا تستطيع ان تضحي بالمبادئ الاساسية .

واعقب ذلك ان بدأت ، في اوساط الطائفة اليهودية بجنوب افريقية ، مناقشة للقضية العريضة التي تقتصر على التصويت لصالح قرار اللوم ،

وانما تعدتها الى موقف اسرائيل العام تجاه جنوب افريقية في الأمم المتحدة، وما اذا كان من حق يهود جنوب افريقية أن يعبروا عن آرائهم بالنسبة لموقف اسرائيل . ولا يزال هذا الجدل دائرا ، وهو يعكس وجهات نظر متباينة . فبعض اليهود ينددون باسرائيل تنديدا تاما بسبب موقفها ، ولقد بعثوا برسائل الى مستر لو يؤيدون موقفه . وآخرون يؤسفهم أن اضطرت اسرائيل الى التصويت ضد جنوب افريقيا ، لكنهم يشعرون أنها اضطرت الى ذلك بسبب نضال الحياة والموت الذي تخوضه في الشرق الأوسط ، وحاجته الملحة الى كسب اصدقاء من بين الدول الافريقية كي تبعدهم عن ناصر ، غير أن نفرا يؤمن بأن من واجب اسرائيل أن تتصرف بوحى من المبادئ ، حتى لو ضايق هذا يهود جنوب افريقية . انعكست كل هذه الآراء في رسائل الى المحرر ، وفي الاجتماعات التي انعقدت للمناقشة . وهدد قلة من اليهود بوقف مساندتهم المالية لصناديق الإكتتاب الصهيونية اذا ما استمرت اسرائيل في التصويت ضد جنوب افريقية ونادى آخرون بعدم وجوب الزج بقضية التبرعات الصهيونية في هذا الجدل .

ونستطيع أن نتفهم بسهولة البواعث وراء الذين انتقدوا مسلك اسرائيل في تصويتها ضد جنوب افريقيا ، ايا كانت تحفظاتها ازاء سياسات جنوب افريقية وايا كانت مشاعرهم الصهيونية الا أنهم كانوا يعبرون عن الملم – باعتبارهم من جنوب افريقية – اذ يرون اسرائيل تضم صوتها الى الاصوات المناهضة لجنوب افريقية بعد كل هذه الصداقة الحميمة بين اسرائيل وجنوب افريقية . واعتبر هذا رد فعل حى وسليم من مواطنى جنوب افريقية تجاه موقف من هذا النوع . ولقد عبرت « دى بيرجر » عن تقديرها لهذا في افتتاحية رحبت فيها بالموقف ، كما رحبت برد فعل المهاجرين الهولنديين ، وأضافت في صدق « لاتظنوا أن اتخاذ موقف كهذا أسهل على من اتخذه . ان حب الوطن يولد مع كل انسان . ان الهولنديين واليهود الذين احتجوا على موقف هولندا واسرائيل – بدافع من حبهم لوطنهم الجديد – سيهبون غدا ويحتجون ضد أية دولة عظمى اذا تلطخت سمعة هولندا أو اسرائيل بنفس الطريقة الماكرة التى لا تليق . ولا يستطيع امرؤ ان يأخذ عليهم ذلك » .

بيد ان الامر يقتضى ، فى نفس الوقت ، توضيح كثير من الحظ . أن وضع يهود جنوب افريقية ليس مماثلا لوضع المهاجرين الهولنديين الذين يستطيعون – بشكل مباشر أو غير مباشر – ان يمارسوا حقهم فى الاحتجاج

على حركة هولندا . أما يهود جنوب أفريقية فليسوا مواطنين لاسرائيل ولم يكونوا في المائى ، وعلاقتهم باسرائيل لا تشبه علاقة المهاجرين الهولنديين بهولندا ، لذا فليس من حقهم ، قانونا ، أن يتخذوا اجراء مشابها . اما حقهم فهو حق أى مواطن من جنوب أفريقية فى انتقاد اسرائيل أو أى بلد آخر ، وليس لهم أكثر من هذا الحق .

ولقد سألنى بعض الأصدقاء من غير اليهود : « لماذا صوت اليهود ضدنا فى الأمم المتحدة ؟ » وكنت حريصا على أن أبرز أنه « ليس اليهود هم الذين صوتوا على القضية ، وانما حكومة اسرائيل ، وهى دولة ذات سيادة مسئولة أمام مواطنيها ، مواطنيها فقط » .

أما يهود جنوب أفريقية فليسوا مواطنين لاسرائيل وليس لهم دور فى صياغة سياستها . ويهود جنوب أفريقية مواطنون لجنوب أفريقية ، وولاؤهم هو ولاء لجنوب أفريقية وحدها . وروابطهم باسرائيل دينية وثقافية ، وهم يقدمون العون لمساعدة الوكالة اليهودية على توطين اليهود فى اسرائيل ، وهم يساندون المؤسسات الدينية والثقافية والانسانية فى اسرائيل ، لكنهم لا يقدمون مساهمات مالية لحكومة اسرائيل ، كما انه ليس لهم دخل فى أى شىء تفعله حكومة اسرائيل . وينطبق هذا على اليهود فى كافة انحاء العالم . ولقد حدد رئيس الوزراء ، مستر بن جوريون ، حدد هذا الوضع بوضوح عندما رد - منذ سنوات - على أسئلة عن وضع اليهود الأمريكيين تجاه اسرائيل . فقد قال ان اليهود الأمريكيين مواطنون للولايات المتحدة الأمريكية لا لاسرائيل ، وان ولاءهم كمواطنين هو الولايات المتحدة تماما ، وولاؤهم ليس لاسرائيل .

وتنطبق هذه الاعتبارات أيضا على قضية تأييد اسرائيل لمشروع قرار العقوبات ضد جنوب أفريقية فى اللجنة السياسية الخاصة بالأمم المتحدة (والقرار نظر الآن - وأنا اكتب هذه السطور - فى الجمعية العامة) . ومهما بلغ شعور مواطنى جنوب أفريقية بالآلم (وفى رأى أنهم محقون فى هذا الشعور) اذ يرون اسرائيل تساند قرار العقوبات (وان كان لها تحفظات ، فقد عارضت الفقرة الخاصة بالطرد وامتنعت عن التصويت بالنسبة لفقرة البترول وفقرة السلاح) ، فانه يجب ان يكون واضحا ان موقف اسرائيل فى الأمم المتحدة تقرره الحكومة الاسرائيلية ، التى لم تطلب - ولا تفكر فى - ان تطلب التوجيه من يهود جنوب أفريقية . وبالمثل فان يهود جنوب أفريقية يصوغون مطالبهم وسياساتهم دون املاء من اسرائيل ، التى تحترم تماما وضعهم ككيان مستقل ، يدينون بولائهم - كمواطنين - لجنوب

أفريقية إيا كان التزاوج فى الأفكار ، والدين ، والثقافة ، بين يهود جنوب أفريقية واسرائيل .

كان اغتيال الدكتور فيرفورد عام ١٩٦٦ مناسبة لهيئة النواب اليهودية كى تعلن عن تقديرها لموقفه الايجابى من التفرقة العنصرية (١٣) . وفى العام التالى ، ورغم استمرار قدر من الخلاف الرسمى ، أبدت جنوب أفريقية تعاطفها مع اسرائيل فى حرب يونية ١٩٦٧ (١٤-١٥-١٦) .

(١٣)

هندريك فريش فيرفورد (١١)

واجهت جمهورية جنوب أفريقية - تجارب الاسابيع القليلة الماضية بقدر كبير من الهدوء الظاهرى ، والفضل فى ذلك يرجع الى استقرارها الأساسى والى التعقل وحسن النوايا التى تتسم بها كافة قطاعات السكان . ان المأساة التى حلت بالبلاد ، والتى تمثلت فى الاغتيال الوحشى لرئيس الوزراء الدكتور فيرفورد فى قلب البرلمان ، جعلت الحزن يشمل كافة المواطنين ، على اختلاف اتجاهاتهم السياسية او العرقية كما ان الحادث كشف عن وحدة روحية هائلة وتسلم رئيس الوزراء الجديد ، مستر ب.ج. فورستر ، مهام منصبه فى هذه الظروف غير المتوقعة ، وقوبل فى كل مكان بالمشاعر الطيبة، مما يبشر بمستقبل مشرق .

ان الحزن الفياض على وفاة دكتور فيرفورد المأساوية ، وحرارة تأبينه، كل هذا كشف عن مدى تغيير صورته من سياسى حزبى الى زعيم وطنى محنك . ان ابعاده عن قيادة السفين كان مأساة قومية كبرى . لقد قاد سفينة الدونة - خلال سنوات حرجة - بيد ثابتة ورؤية واضحة ، وبث الثقة من خلال تكامل شخصه ، وصدقه ، واخلاصه الكامل لمنصبه الكبير . واحس كثيرون انه كان بسبيل فتح فصل جديد فى تطور جنوبى أفريقية ، واعداد بعلاقات افضل مع الدول الافريقية المجاورة ، مع التوسع فى حريات الشعوب غير البيضاء بالجمهورية .

فترة مشار جدل :

ومما يدل على سمو منزلة دكتور فيرفورد فى نظر الطائفة اليهودية ان المتحدثين والصحفيين ، حين اثنوا عليه ، لم يغفلوا انه كان مشار جدل بين

اليهود في مطلع حياته العملية . فاذا نظرنا الى الوراء الآن وجدنا انه كان يعكس - في تلك الفترة - المواقف السائدة لحزبه ، ذلك الحزب الذى كان يمر بأزمة ايدلوجية كبرى وعندما طهر الحزب نفسه في النهاية من المؤثرات الأجنبية وعاد الى طريق جنوب افريقية التقليدى ، طريق التسامح الدينى ، احترم دكتور فيرفوورد تعهد الحزب بأن يحرر الحياة العامة من السياسة المناهضة لليهود .

صحيح انه منذ سنوات قليلة ، عندما وقفت اسرائيل بجانب الأمم الافريقية الآسيوية منددة بسياسة جنوب افريقية العنصرية ومحجبة عقوبات من شتى الأنواع ، لم يخف دكتور فيرفوورد احساسه بخيبة الأمل والحنق . ولكنه أوضح الطريق لبلده في الوقت المناسب ، اذا أصر على ان سياسة اسرائيل يجب ألا تكون سببا في إثارة مشاعر العداء ضد الطائفة اليهودية في هذا البلد . وقال « ان اليهود مواطنون في جنوب افريقية ولقد عبروا ، بطرق شتى ، عن وطنيتهم تجاه جنوب افريقية . ويجب الا نسمح بإثارة مشاعر ضد اليهود في جنوب افريقية .. ومما لا شك فيه ان الحكومة لن تنتهج مثل هذا الموقف تجاه السكان في جنوب افريقية .

رؤية متحدة :

لعب دكتور فيرفوورد دورا كبيرا في اعطاء مفهوم الفصل العنصرى (الذى اكتسب - بحق او عن غير وجه حق - معانى من التمييز غير العادل) تفسيرا جديدا ، متحديا ، ايجابيا . وأعلن عن رؤيته بصوت مجلجل في آخر خطاب كبير له عند الاحتفال بالعيد الخامس للجمهورية هذا العام فقد قال : -

« لسنا غير عابئين بمطامح على العكس ، فقد كان علينا كأمة أن نناضل من اجل ما نملك ، ولقد حققنا هذه الحرية ، ولذا نفهم كيف تشتعل هذه المطامح في صدور الآخرين . والذين يؤمنون بأمتهم وبوجودها المستقل أقدر الناس على تفهم رغبات الآخرين في تحقيق نفس المصير .

نحن نقدر قومية كل دولة منفصلة في دول افريقية ونقدر المطامح المماثلة لمختلف الأمم والمجموعات القومية القائمة حاليا داخل حدودنا . ومن واقع تجربتنا لا نقدر مطامحهم وحسب بل نود أيضا أن نساهم في الآخذ بيدهم من اجل تحقيق مطلبهم بطريقة سليمة . ان الحسرة يجب ألا تتحقق للقلة المختارة وحسب ، لدكتاتور او اثنين ، وانما للجماهير ، من اجل تقدمهم وسعادتهم » .

كانت هذه رؤية دكتور فيرفورد . وحالت يد قاتل دون اثبات ما اذا كان قادرا على وضع الرؤية موضع التنفيذ .
فرصة مستر فورستر :

وفاز مستر فورستر برئاسة الوزارة باجماع مؤتمر حزبه ، كما حظى بأطيب تمنيات الجمهورية ككل ولقد اعلن عن عزمه على الالتزام بسياسات سلفه كل الالتزام . وان مهمته لثقيلة ، فهي تجيء في وقت تتعرض فيه الجمهورية للهجوم من جهات عديدة . ودوره الجديد يتطلب ما هو اكثر من الالتزام التام بالمبادئ التي أعلن عنها الحزب الوطني . وهو مطالب لا بضمان امن الجمهورية واستقرارها الداخلي وحسب ، وانما هو مطالب بأن يثبت للعالم أن هجماته على السياسات العنصرية للجمهورية لا مبرر لها .

والتحدى الذى يواجهه هذا البلد هو أن تقنع العالم ان التنمية المنفصلة سياسة عادلة تعد بفرص أعظم وحریات أوسع لكل من يقطنون هذه الأرض . وليكن من نصيب مستر فورستر وحظه السعيد ان يسهم فى تحقيق ذلك .

(١٤)

الهام للرجال فى كل مكان ردود فعل صحافة جنوب افريقية (« مراقب ») (١٢)

ثمة سمة تلفت النظر فى الطريقة التى عالجت بها صحافة جنوب افريقية أزمة الشرق الأوسط ، لقد بدأ الاهتمام الشديد بالازمة من قبل الصحف الانجليزية والصحف الافريكانية (ركزت اكثر عاطفية) . وانعكست الاحداث فى عناوين الصحف ، واتخذ ذلك طابع المأساة الحتمية ، أو الكابوس السريع . وكان واضحا ان التوتر أخذ فى الازدياد يوما بعد يوم ، وذاب الأمل واضمحل فى الصفحة الأولى ، فقد تعدت الامور نقطة الكارثة ، فقوات الأمم المتحدة انسحبت ، وخليج العقبة قد أغلق ، وناصر يتحدى وجود اسرائيل نفسه .

وطبيعى ان الشاغل الأكبر لصحافة جنوب افريقية هو ان التصاعد قد يوقع العالم كله فى الحرب وتجلى هذا لا فى التعبير عن القلق مباشرة وحسب ، وانما فى تقدير كل قوة فى مقابل القوى الأخرى ، وكون امريكا وروسيا مستعدين - الى اى مدى - لتطويق الصراع ، وإلى اى مدى يود ناصر ان يذهب ، وإلى اى مدى تسمح اسرائيل بذلك .

واصبحت الأمم المتحدة هدفا لصحف كثيرة وقابلوا بين انسحابها فى وجه العدوان بالشرق الأوسط واستعدادها للتدخل فى جنوب غربى افريقية

المسألة وفي أسلوب لاذع قالت صحيفة « ذا فولكسبلاد » ان اوثانت استجاب لطلب ناصر كي يتخلص دون شك من عبء اقرار السلام في الشرق الأدنى بينما تتشاور الجمعية العامة عن كيفية تعكير صفو السلام في جنوب غربى افريقية . . وليس معنى هذا ان الأمم المتحدة كانت محرومة من مدافعين . فقد أشارت « ذا ستار » الى ان السكرتير العام كان امام احترام الميثاق او خرقه . ولاحظت « دى بيرجر » ان المنظمة لاتزال قادرة على ان تحفظ للمنازعين مركزهم . لكن ، ما أن وصلت الازمة الى ذروتها حتى ظهر الانتقاد المستمر لدور المنظمة العالمية ، وبخاصة في الصحف التى تساند الحكومة .

تعاطف مع اسرائيل :

واتسمت التطورات بظهور تيار قوى من التعاطف مع اسرائيل التى تعاظمت قوتها مع تحرك الازمة نحو الحرب ، رغم ان الخوف من انتشار الاشتباكات كان قائما منذ زمن . وعندما أصبحت الازمة على شفا الحرب لم تكن كل الصحف واثقة بمصير اسرائيل ، وبدا واضحا انها تعتقد ان امام اسرائيل مهمة صعبة . وثمة بند يصور هذا ، قوامه تقرير من لندن برز فى معظم الصحف وظهر التقرير فى « بريثو ربانيوز » تحت عناوين لها مغزى « تغيرات عديدة منذ ١٩٥٦ - الطريق الى النصر ليس مباشرا وسهلا امام اسرائيل هذه المرة » . اما « راند ديلى ميل » فكانت اكثر تشاؤما : « اذا اخذت اسرائيل زمام المبادرة وقامت بالهجوم فان هذه الانقسامات (بين الدول العربية) ستزول مؤقتا ، وستجد اسرائيل نفسها نحارب فى كافة الجهات ضد أعداد يفوقونها عددا وان قلوا عنها فى الكفاءة العسكرية وستكون حربا يصعب على اسرائيل ان تأمل فى حلها » . وكانت « دى اوسترليج » اكثر تشاؤما ، وكانت شديدة التعاطف مع اسرائيل منذ البداية حتى النهاية ، اذ قالت « مهما بلغ حظ اسرائيل من الاستعداد والشجاعة الا اننا لا نستطيع ان نتوقع من اسرائيل الصغيرة ان نصر امام مثل هذا الهجوم الضخم ، المتعصب دينيا » .

وباندلاع الحرب أصبحت الصفحات الاولى وقفا على انباء القتال ، وامتلات الصحف بصور المبادئ ومقالات عن مختلف جوانب الصراع ، ونبت عن الزعماء . ولا جدال فى ان الجنرال ديان كان محط الاهتمام ، ونشرت الصحف عددا من المقالات والخطابات عن حياته القامية .

وبالنسبة لقضية تحديد المعتدى لم تخف صحافة جنوب افريقياتعاطفها . كان ثمة ميل الى القول بان اسرائيل كانت المعتدى من الناحية الفنية ،

اما المعتدى الحقيقى فكان الرئيس ناصر الذى سلك سلوكا استفزاريًا . وكان واضحًا أن ثمة شعورًا بأن اسرائيل محقة اذ شنت الهجمات الأولى . وأعلنت (ستار) « باتت حاجة اسرائيل الى التصرف من أجل خلاصها حقيقية وملحة واذا أغلق ناصر خليج العقبة وسد الطريق أمام ايلات ، ارتكب عملاً عدوانياً يستحيل على اسرائيل أن تتجاهله » وساد الشعور بالحاجة الى حصر الصراع فى نطاق محلى على أن تمارس الدول الكبرى نفوذها كى تضع خاتمة سريعة للقتال . وأكدت « كيب أرجوس » : « ليس هناك ، بالمرّة ما هو أهم من حصر الحرب فى نطاق محلى » ، وقالت « ناتال وتينس » : أن المهمة العاجلة هى أن تثوب مصر واسرائيل الى رشدّها وأن يوقف إطلاق النار » .

واذ بات واضحًا أن اسرائيل فى طريقها الى النصر السريع ، بدأ الاهتمام يتركز - على نحو أكبر - على اعقاب الحرب . وكتبت (راند ديلى ميل) تقول « بالنسبة للغرب فانه سيتنفس الصعداء بانتصار اسرائيل السريع ، وسيبدو ان الأحداث بررت حيادهم المحير » . وبدأت دروس الأزمة والحرب تظهر ، كما ظهرت نقاط تشابه ، عديدة بين وضع اسرائيل ووضع جنوب افريقية .

الجمهورية تساند اسرائيل :

لم يكن وجود طائفة يهودية محلية مهتمة هو السبب الوحيد وراء اهتمام صحافة جنوب افريقية بالحرب ، وانما السبب أيضا شعور بأن اسرائيل تحارب بلادًا من بين البلاد الرئيسية التى هاجمت الجمهورية . كان رد فعل يهود جنوب افريقية اول نقطة اتصال ، وسرعان ما بات واضحًا ان غير اليهود يشاركون اليهود رد الفعل هذا على نحو لم يسبق له مثيل . وقالت « ايفيننج بوست » ثمة روابط جد قوية بين يهود جنوب افريقية واسرائيل ، وهو البلد الذى اغدقوا عليه ، بسخاء ، بالمال والرجال والنساء ، واذا تفجر الموقف واندلعت الحرب فسيحارب جنود كثيرون ولدوا فى جنوب افريقية وعندما تفجر الموقف بالفعل ونشبت الحرب اشارت الصحيفة الى رد فعل اليهود المحليين و اضافت ان كثيرين من غير اليهود سيرغبون فى ان تتاح لهم فرصة الاسهام ايضا » .

واسهمت الصحف ، بالكلمات والصور ، فى عرض نشاط اليهود فى ارجاء البلاد ، من جمع للتبرعات والتبرع بالدم ، وارسال متطوعين الى اسرائيل . وكانت هناك ايضا انباء بمواطنين من غير اليهود تقدموا عن

طواعية وفدسوا العون لاسرائيل في كافة اشكاله وفي (بيلد) كتبت ريكي فان رينين « في عمودها » اوب دى رنداكار « بدفع وود وهي تصف الطريقة التي التفت بها يهوديات جوهانسبرج لمساعدة اسرائيل كتبت تقول « دع النمل جانبا ، ايها الملك سليمان ، هنا حقا الموعظة الحديثة لنشاط انعدم له نظير . انا ، الافريكانية ، اخذت ارقب ذلك باعجاب واضح . وهمست فيما بيني وبين نفسي : آه لو توافرت قضية ضخمة وواضحة تقضي ، مرة واحدة ، على كل الخلافات الشخصية ، والشحناء ، والاطماع ، وسوء الفهم ، والاختلافات في الراى : اعلم انها مهمة خطيرة ان يفتش المرء دائما عن نظائر في التاريخ . لكن من الصعب ان نتجاهل تشابها بين حماس وقلق يهوديات جنوب افريقية من اجل اسرائيل ونشاط الافريكانيات(والمتمحدثات بالانجليزيات من المواليات للبوير) في الكيب عندما نشبت حرب البوير في الجمهورية ، نفس ، نفس الارتباط بمن تربطهم بك علاقة دم ، نفس القتال الدموى من اجل الحق في البقاء ودعونا لا ننسى من كان اكثر حماسا من تلك المرأة اليهودية اوليف شرانيار ، التي تحدثت باسم هذه الحرية » .

العون المالى :

ومع ذلك كانت هناك فترة عابرة صارت فيها قضية معاونة اسرائيل محل نكهن . بدأ ، بصفة عامة ، ان السماح بهذا العون امر مفروغ منه . غير ان عددا من الصحف اوحى بأن الحكومة ستفرض قيودا على المبالغ التي ستسمح بتفديمتها . من هذا ان ديلي نيوز نشرت ان ملايين الراندات تنجم في كافة انحاء البلاد بيد ان لم يتضح بعد ما اذا كانت الحكومة ستسمح بتحويلها الى اسرائيل .

وأومات « ترانسفالير » الى ان المبالغ الضخمة بشكل غير عادى لن يسمح لها بالخروج من البلاد واعادت الصحيفة الذكرى الى المعاملة التفصيلية التي حظيت بها الاكتتابات لصالح اسرائيل في الماضى وسحب هذا الامتياز بعد ان صوتت اسرائيل ضد الجمهورية في الأمم المتحدة . . . وقالت الصحيفة انه ليس للجمهورية مصالح في المنطقة مضيفة ان طرفي النزاع ننافسوا في اتخاذ موقف غير ودى تجاه الجمهورية ، كانت جنوب افريقية تتوقع من كافة المواطنين ان « تعلق » مصالح الجمهورية على اية مصالح اخرى .

لكن ، سرعان ما اعقب ذلك اعلان رسمى مؤداه ان الحكومة ستسمح بتحويل الاعتمادات لاغراض انسانية محضة « داخل حدود » ، فالاكنتتابات

تستغل « عن طريق منظمات خيرية غير حكومية في اسرائيل لأغراض انسانية .. اما المبالغ التي سيسمح بخروجها من حين لآخر » فستحدد على ضوء الوضع الاقتصادي لجنوب افريقية ، ومصالحها » .

والواقع ان « ترانسفالير » وفقت وحدها ، من بين الحكومات المساندة للحكومة ، في انتهاج هذا الموقف الانتقادي (رغم أن تناوواها العام للوضع في الشرق الأوسط شاعت فيه نفمة أكثر تعاطفا) . ورات « فاديرلاند » في قرار الحكومة دليلا على موقفها الذي لا يستطيع احد ان يلومها عليه . وقالت « استنادا الى هذا الاساس القائم على المبادئ اتيح لنا ، نحن المتحدثين بالافريكانية ، ان نبدي تعاطفنا مع روديسيا في قتالها . ونحن نرحب بالقرار . وهكذا نجد الحكومة الوطنية - التي توحد بين المبدأ والانسانية - تحقق التوازن الوطني في بلادنا ، كما تحقق هذا التوازن في علاقاتها مع العالم الخارجي » .

وكتبت « دي بيلد » تقول : « ان ردود الفعل المتمثلة في التعاطف الجياش مع اسرائيل - والذي وضع في جنوب افريقية خلال الاسابيع الماضية - شيء طيب ، سليم ، انساني . لكن ، ألم يكن هذا التعاطف ليقوى لو لم تقف اسرائيل - الى حد كبير - مع اعداء جنوب افريقية ؟ » .

صور من التعاطف مع اسرائيل :

ورغم أن « دي فاديرلاند » محايدة ، الا انها خففت من هذا الموقف بأن اعترفت بأنها متعاطفة مع اسرائيل وفي هذا الصدد قالت : « ان المبدأ الاساسي للسياسة الخارجية لجنوب افريقية جد معروف بحيث لا يحتاج الى مزيد من التكرار - اذ يتمثل في احترام ، وعدم المساس بشخصية وسيادة الأمم الحرة » . ومضت الصحيفة تعبر عن لومها لاسرائيل بسبب موقفها الأخير من الجمهورية - ولقد كانت هذه هي النفمة السائدة في الصحف المساندة للحكومة ، رغم انها لم تظهر بشكل صارخ ، « ظلت جنوب افريقية لسنوات تعترض على الخطر الذي يهدد السيادة الاقليمية لاسرائيل ، ولم نحصل من اسرائيل على الكثير في مقابل هذا . غير أن هذا لا يغبر بحال موقفنا من حيث المبدأ . وليس من الضروري أن نسأل مع من تتعاطف ، بيد أن هناك في بلادنا طوائف تنتمي الى أمم أخرى ، مثل مسلمي الكيب » ...

وعلى نقيض من الموقف المتحفظ نسبيا لهذه الصحف ، نلمس تعاطفا وديا وصريحا من قبل أجهزة مجموعة ناسيونال بريس . وقالت (بيرجر) :

« ان الأبيض في جنوب افريقية المعاصرة يلمس وجوه شبه مذهلة بين بلده والوطن اليهودي المستعاد » . بل لقد ابدت جنوب افريقية تفهما لمشاركة اسرائيل في المواقف المناهضة لجنوب افريقية بالأمم المتحدة بدافع من مصالح اسرائيل في افريقية السوداء « ولا يقلل هذا من القلق الذي نتابع به ، في بلدنا ، الازمة الراهنة . ان اسرائيل ، شأنها شأن جنوب افريقية ، ومعقل ونقطة سند للغرب ، سواء راق ذلك للغرب ام لم يرق » .

تصويت اسرائيل في الأمم المتحدة :

كان واضحا ان التحفظ في التعاطف لا يرجع الى سياسة الحياد الرسمية وحسب ، وانما يرجع ايضا الى سلوك اسرائيل تجاه جنوب افريقية في الأمم المتحدة . ورات الصحف المساندة للحكومة عبث خطب ود الأمم الافريقية - الآسيوية ، وكان على اسرائيل - شأنها شأن باقى دول الغرب - ان تتعلم درسا . وكتبت (فاديرلاندا) تقول « رغم ان اسرائيل تعرضت لخطر خارجي يهدد سيادتها القومية من الدول المجاورة المعادية ، خطر يماثل او يفوق الخطر الذي تعرضت له الجمهورية ، الا انها عزلت نفسها لأعوام عن جنوب افريقيا لانها كانت حريصة وتواقة الى خطب ود الدول الافريقية المستقلة كي يقفوا معها في مواجهة الضغط العربي » . والآن ، وفي ساعة الازمة ، وقفت الدول الافريقية الأعضاء في مجلس الأمن ضد الغرب » . ومن حقنا ان نسأل اسرائيل - اذا نجحت في نضالها من اجل الخروج من المتاعب الحالية - هل ستعيد النظر في موقفها السابق » . واثنت (داجريك) على رفض اسرائيل وساطة الأمم المتحدة واصرارها على مفاوضات صلح مباشرة مع العرب ، وقالت : « ان هذا مطابق لموقفنا بالنسبة لجنوب غربى افريقية . واننا على يقين من ان الحكومة الاسرائيلية ستكون اكثر واقعية في نظرتها الى الشؤون العالمية . ومن قبل وقفت موقفا عنيفا من جنوب افريقية في الأمم المتحدة ، كي تخفف من عداء العرب . ومن واجب القيادة اليهودية المحلية ان تذكر حكومة اشكول بما ابدته اسرائيل في الماضى من عدم صداقة » .

مزايا للجمهورية :

وفي نفس الوقت بدا واضحا ان موقف اسرائيل في الشرق الاوسط حقق فوائد عديدة للجمهورية . واوضحها ، بالطبع ، انها ابرزت اهمية الطريق البحرى حول راس الرجاء . واعلنت (كيب ارجوس) : « ان الرياح الخبيثة في الشرق الاوسط جعلت نسائم طيبة تهب على جنوب

افريقية ، مبددة الضباب المعتم وموضحة ضالة شأن (هكذا) جنوب غربى افريقية ، واهمية الطريق البحرى . حول رأس الرجاء الصالح . وكانت صحف مثل (ترانسفالير) اكثر حدة فى صراحتها « ان امام الجمهورية عملا هاما بعد ان فقدت قناة السويس اهميتها . ويهم الدول الكبرى ان تتوافر عند الطرف الجنوبى لافريقية دولة توفر موانئها لمراكب الدول الكبرى ، دولة تحمى أمن الطريق البحرى حول رأس الرجاء اذا ما اندلعت الحرب . ومن المفارقات ان بعض الدول الكبرى التى يهملها هذا الطريق البحرى لن تزود الجمهورية بالاسلحة » .

لكن ، كانت هناك مزايا اخرى . فحتى قبل نشوب المعارك تساءل داوى فى عموده بصحيفة (بيرجر) : « الى اى حد جنت جنوب افريقية من حدة الصراع بين اليهود والعرب منذ ١٩٤٨ ؟ من الصعب تقدير هذا ، لكن مع الواضح ان وجود اسرائيل كمشكلة تواجه ناصر قد اوقف اتجاهه الى الشرق فى الجنوب . لقد تزعم الفتنة ضد الرجل الابيض فى افريقية . غير ان الأخطار القريبة من وطنه حالت دون ان يلعب الدور الذى كان يرغب دون شك فى ان يلعبه . ان مصر تلى جنوب افريقية والجزائر كأعلى قوة عسكرية فى افريقية . وتملك اسرائيل الوسائل - دعائية ، اقتصادية وعسكرية - التى تساعد على الاطاحة بأشياء كانت ستستغل فى حملة دعاة الوحدة الافريقية ضد جنوب افريقية » .

واذ اصبح الانتصار قاب قوسين ، ازداد الاحساس بالانتماء ، وسادت روح العرفان . واعلنت (فولكسبلاد) « ان الانتصار الاسرائيلى الكبير يستطيع ان يجعل السياسة الدولية والعلاقات الدولية اكثر موثاقاة لجنوب افريقية من عدة نواح ولا بد الآن من تأجيل غزو جنوب افريقية الى اجل غير مسمى . ان اقوى حليف للسود - وهو مصر - يرقد الآن جريحا » . وتلت ذلك افتتاحة تحذر الذين ارادوا القضاء على البيض فى افريقية الجنوبية « ان يفكروا مليا فيما حدث للعرب الذين ارادوا تدمير اسرائيل ... ونحن ، شأن اسرائيل ، على استعداد للذود عن اراضينا - ويشمل هذا جنوب غربى افريقيا - بنفس التصميم » .

وتجلى هذا الاحساس بالتشابه بطريقة بليغة ، واكثر درامية ، فى عناوين صحيفة (ناتال ميركورى) وهى تعلن النصر « لقد ضربوا الضربة القاضية » .

ومقالة اخرى لها دلالتها ظهرت فى (بيلد) تحت عنوان « اليهود علمونا درسا » . وجاء فيها ان اعضاء البرلمان الوطنيين اخذوا يرددون « اننا

نحن البوير مدينون الآن ، بالكثير ، لليهود ، وان انتصار اسرائيل الساحق يتيح للجمهورية خمس سنوات اخرى تدعم فيها نفسها وتثبت حسن نوايا سياستها .

وعبر كبار رجال الحكومة عن تقديرهم لعدد من « المزايا الجديدة » التي عادت على جنوب افريقية وذلك في مقال ب (ستار) . من هذه المزايا صرف انظار العالم عن جنوب غربى افريقية ، ومنها ايضا اثبات قيمة طريق رأس الرجاء الصالح ، وعدم فعالية جهاز الأمم المتحدة لحفظ السلام . اما دوائر الدفاع فعبرت عن اغتباطها للطريقة التي صمد بها العتاد الفرنسى لاسرائيل فى البر والجو .

وظهر دراسة سياسية فى (كيب تايمز) وصحف اخرى تصف كيف استحوذت ازمة الشرق الاوسط على اهتمام اعضاء البرلمان والشيوخ الذين تعاطفوا « كل التعاطف مع اسرائيل المجهزة للحرب » .

اعجاب :

ان رد الفعل العام لنجاح اسرائيل تمثل فى الاعجاب ، والذهول احبانا ، للسرعة التى تحققت بها الانتصارات ، واكتمال هذه الانتصارات . ذهل العالم للحرب الخاطفة التى قضت على اسطورة القوة العسرية وبددت الأوهام الشيوعية فى أيام قلائل . لاحظت هذا صحيفة (فاديرلاند) . اما (فولكسيار) فعادت بالذاكرة الى نضال البوير « الذين حققوا مجد لا ينمحي بفضل بسالتهم ، وشجاعتهم ، واصرارهم » . وحثت الصحيفة اهل جنوب افريقية على ان يستعدوا « مثلما استعد يهود اسرائيل الذين استحوذوا على خيال العالم بنجاحهم فى الاسبوع الماضى » . وقالت (اوسترليج) ان اسرائيل اذهلت العالم بانتصاراتها ، وبرزت ذلك برسم صورة مقابلة : « حدث هذا فى وقت اغمض فيه الملايين عيونهم واغلقوا اذانهم كيلا يروا بلدا صغيرا يباد وشعبا يهوديا بأكمله يمحي » .

اما باب « فان آل كانتى » فى (بيرجر) فحمل العناوين التالية « الروح المناضلة لليهود تذهل العالم » . وكتب المحرر فيه يقول أن الناس لم يكونوا يرون اليهود على هذا النحو « ففى عصر الانجيل كان الآخرون يزيحونه بالقوة . واذا ظهرت دولة اسرائيل ، دولته ، شرع اليهودى الحديث يقاوم مهاجميه مقاومة فعالة . فحتى قبل ١٩٥٦ ، وفى خلال الاشتباكات الدموية (١٩٤٧ - ١٩٤٨) السابقة على قيام الدولة ، اذهل اليهود العالم ، فجأة بدوا جد مختلفين عن الكتلة المجهولة التى اسلمت نفسها بلا ارادة ، وبلا رد

فعل ظاهر ، لمجازر الحرب العالمية الثانية » . وعلى ضوء ادائهم الاخير يكاد المرء يؤمن بأن هذه الروح النضالية صارت سمة قومية دائمة .

وفي (راند ديلي ميل) عبر لورانس جاردنر عما يجيش في صدور الكثيرين حين كتب ان بالامكان أن نقول ان اسرائيل « بعملها الذي قامت به وحدها ، قد انقذت الغرب من هزيمة دبلوماسية ضخمة على يد روسيا ومن تحميمهم من العرب » . وختم مقاله بقوله « ان اسراع اسرائيل الى الذود عن حقوقها وانتقامها من الذين سعوا الى محاربتها ، كان الهاما للرجال في كل مكان . وبدا جميلا ان يعيش الانسان في مثل هذا الزمان المثير حين انتصر الحق هذا الانتصار الحاسم على القوة الظاهرية » .

* * *

(١٥)

المؤتمر الوطني الخامس والعشرون

٢٣ - ٢٦ نوفمبر ١٩٦٧

دور الهيئة اليوم (١٣)

موريس بورتير

تقديم :

عنوان هذا الحديث « دور الهيئة اليوم » يذكر المرء فوراً بأن لهيئة النواب اليهودية ، بجنوب افريقية ، تاريخاً طويلاً - فلقد قامت في الترانسفال منذ أكثر من ٦٤ عاماً ، واتخذت شكل المجلس القومي لأكثر من ٥٥ عاماً . كذلك نتذكر انه اذا كانت وظائف واغراض الهيئة قد ظلت كما هي اساساً عبر هذه السنين ، فان المشاكل التي شغلتها اختلفت من حين لآخر . . .

العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقية :

فاذا انتقلنا الى مجال آخر وجدنا ان العوامل الدولية كان لها اثرها المباشر جداً ، والمستمر على علاقات اليهود ، العامة ، بالجمهورية . انما اشير هنا الى دولة اسرائيل - الى وجودها نفسه ، تأثيرها ، سياستها . ان موضوع العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقية من الضخامة بحيث لا تتسع له دقائق قليلة . بيد انه ينبغي التأكيد على عدد من النقاط الهامة ، ولو بإيجاز .

١ - بجنوب افريقية تاريخ طويل مشرف من التعاطف والتأييد للاماني القومية اليهودية في الأرض المقدسة . واتجهت نفس النوايا الطيبة الى دولة اسرائيل في اشكال عدة ، وحظيت بتقدير كبير .

٢ - فعلت دولة اسرائيل الكثير كي ترفع من شأن اليهود في انحاء العالم وترسم صورة مستحبة للشعب اليهودي .

٣ - ان الطائفة اليهودية في هذا البلد قد تفهمت وقدرت صداقة جنوب افريقية نحو اسرائيل وانها حريصة جدا على استمرار هذه الصداقة .

٤ - ان الروابط الدينية والتاريخية والثقافية التي تربطنا باسرائيل يجب الا تؤثر على ، او تضعف ولاءنا لجمهورية جنوب افريقية . ويؤسفني حقا ان ارى شبح « الولاء المزدوج » يحيا من جديد على يد بعض الناس من جديد .

هذه الروابط مع اسرائيل لا تتأثر بأية طائفة او حزب يحكم اسرائيل في زمن معين . وايا كان الامر فان حكومة وشعب اسرائيل وحدهما هما اللذان يقرران سياسة بلدهما ، وليس ليهود الشتات اى سلطان على هذه السياسة .

٥ - علينا جميعا - يهودا وغير يهود - الا نسعى الى تهويل حجم الخلافات الاخيرة بين اسرائيل وجنوب افريقية ، وهى خلافات منشؤها اختلاف الزاوية التي ينظر منها كل طرف الى مشاكله واوضاعه . وانما يتعين علينا ان نقلل من هذه الاختلافات ، بأن نضع في اعتبارنا دائما النقاط العديدة التي يشترك فيها البلدان ، نقاط المصالح المشتركة والتفاهم المشترك .

تعاطف اسرائيل في الداخل :

فاذا كان ثمة حاجة الى التعرف على ضخامة رصيد النوايا الطيبة التي يحملها هذا البلد تجاه الاماني القومية للشعب اليهودي فقد برزت بصفة خاصة في شهرى مايو ويونية عندما تعرض وجود دولة اسرائيل نفسه للخطر . وما اكثر ما اهتز يهود جنوب افريقية لصور التعاطف والتأييد ، العديدة ، التي عبرت عنها قطاعات الشعب ، واهتزوا بصفة خاصة للبادرة الودية لحكومة جنوب افريقية التي نحت الخلافات القديمة جانبا ولم تفرض اية شروط وسمحت بتحويل مبالغ ضخمة اسهمت بها الطائفة اليهودية بجنوب افريقية (وشاركها في ذلك ايضا كثيرون من غير اليهود) .

وليس من شك في أن إسرائيل قدرت هذا التعبير عن حسن التمنيات الطيبة والصداقة . غير أن النظرة والواقعية تقتضى أن تتبع كل من إسرائيل وجنوب افريقية سياستها الخاصة بها - في عالم اليوم المعقد على ضسوء مواقفها المتشابكة .

العلاقات داخل الطائفة :

وتسير حياة اليهود بجنوب افريقية سيرها المعتاد ، فالطائفة اليهودية جد مترابطة ، والمواطن اليهودى يتمتع بفرص كاملة ، في كافة المجالات . وبوصفنا جزء لا يتجزأ من اهالى جنوب افريقية نواجه نفس الازمات والمشاكل التى تواجه كل من يعيشون في هذا البلد . اننا نشارك في الحياة السياسية للجمهورية لا كطائفة وانما كأفراد ، ويجب الحسكم على دورنا كأفراد ، ويسعدنى ان ادراك هذه النقطة آخذ في التزايد .

اليهود والسياسات العنصرية :

ومع ذلك لا نزال نجد ، من حين لآخر ، اصواتا ترتفع من بعض الجهات تطالب الطائفة اليهودية كمجموعة ، بأن تعلن عن موقفها ، وبخاصة ما يتعلق بالسياسة العنصرية للجمهورية . هذا الطلب يميظ اللثام عن سسوء فهم اساسى يتعلق بطريقة اليهود في التفكير والتصرف السياسى . كما انه يعكس الصورة النمطية التقليدية للطائفة اليهودية ككيان منعلق على نفسه ، وهذه الصورة النمطية لا تزول بسرعة .

وكل من يعرف طبيعة الموقف في جنوب افريقية - او في اى بلد آخر - يجب ان يدرك ان اليهود لا يتفقون حول وجهة نظر سياسة موحدة ، وأن في صفوفهم مؤيدين لكافة الاحزاب السياسية . وينتج عن هذا انه ليس هناك ، ولا يمكن ان يكون ، موقف يهودى موحدا او جماعى تجاه قضايا سياسية كبرى مثل مبدأ التنمية المنفصلة ، او تطبيقها . واعتقد ان الآراء بالنسبة لهذه الامور تتباين في اوساط الطائفة اليهودية تباينها في اوساط سكان جنوب افريقية ككل .

العلاقات بين جنوب افريقية واسرائيل (١٤)

لويس هوتز

قام عضوان في برلمان جنوب افريقية - والاثنان ينتميان الى الحزب الوطنى - بزيارة اسرائيل مؤخرا ، وقد عرضا لانطباعاتهما في صحف جنوب افريقية ، ولقد وجد الاثنان الكثير مما يستحق الثناء على البلد وعلى الشعب وبخاصة روح الاخلاص ، والارادة الرائعة ، ارادة العمل والابداع وليس معنى هذا انهما لم ينتقدا شيئا غير ان نقدهما اضاف الى قيمة مدحهما .

واكد الاثنان - مستر م.ج. فاندنبرج ودكتور جاك لوك - نقطتين . وهى نقطة سيوافقهما عليها . وبشدة ، كثيرون من جنوب افريقية . لقد استنكر عضوا البرلمان عدم وجود تمثيل رسمى - على مستوى الحكومة - فى اسرائيل . ولقد اشار الى ان هذا تسبب فى عدم وجود من يستطيع ان يتحدث من واقع المسئولية - باسم جنوب افريقية ، او يطلع الراى العام المسئول فى جنوب افريقية على الظروف فى اسرائيل ، وكذلك - وهذا هو الاهم - المزاج السيكلوجى والمناخ السائدان فى اسرائيل .

ليس هناك من يدافع عن جنوب افريقية من وجهة نظر القسوى التى ستمسك بأعنة الأمور فى جنوب افريقية وليس هناك من يصحح الهواجس التى لا مفر من وجودها فى بلاد متباعدة وتعيش فى ظل ظروف متباينة لكنها تواجه مشاكل مشتركة ، ان الامر يقتضى اطلاع الناس الذين يعيشون فى المنطقتين .

ويهتقد مسنر فاندنبرج ودكتور لوك ان بعض المتاعب التى نشأت بين جنوب افريقية واسرائيل فى السنوات الاخيرة كان بالامكان تجنبها ، مع اتصالات اوثق وارتفاع صوت جنوب افريقية فى اسرائيل . وطبيعى انه طريق من اتجاهين ، ذلك ان وجود مراقب رسمى فى اسرائيل ، مطلع باستمرار وبطريقة مباشرة على ما يقول الناس وما يفكرون فيه هناك ، يمكنه تنوير جنوب افريقية . ومن شأن هذا ان يسهم فى زبداد وجوه سوء الفهم التى عكرت صفو العلاقات بين البلدين .

واكد مستر فاندنبرج ، بصفة خاصة ، على هذا الراى ، وان بدا انه تكونت لديه فكرة مبالغ فيها عن مدى جهل اسرائيل وسوء فهمها للمشاكل الانسانية الخطيرة التى تواجه جنوب افريقية ذلك ان هناك العديد من

المتحدثين غير الرسميين ، والعديد من « سفراء » جنوب افريقية في اسرائيل . ومعظمهم لديه المام كبير بالموقف هنا ، ويستطيع ان ينقل الصورة الى الدوائر التى يتحرك فيها . . غير ان مستر فاندنبرج كان مصيبا تماما في التركيز على الحاجة الى تمثيل دبلوماسى او قنصلى لجنوب افريقية في اسرائيل اكثر من اى مكان آخر ، فى الشرق الاوسط بالذات .

الحاجة الى تمثيل دبلوماسى فى اسرائيل :

لم يخف مواطنو جنوب افريقية ، على اختلاف اتجاهاتهم ، انهم يعتبرون اسرائيل عنصرا حيويا بالنسبة لمقتضيات الأمن الدولى لجنوب افريقية . وقد وضع هذا ، بشكل كبير ، فى ردود الفعل العامة بجنوب افريقية ازاء الصراع فى الشرق الاوسط وما اعقبه من توتر مستمر . ومما اكده هذه النقطة احتمال تغير الموقف الاستراتيجى بعد انسحاب بريطانيا من شرقى السويس . فمن شأن هذا ان يعزز من اهمية اسرائيل بالنسبة لافريقية كلها والبلدان المطلة على المحيط الهندى .

ولقد رد مستر فاندنبرج بشدة على انتقادات ، مجهولة ، لما اعلنه من ضرورة توفير « وجود » رسمى لجنوب افريقية فى اسرائيل ، فعبر عن اسفه لعدم وجود « ادنى شكل » من التمثيل الرسمى لجنوب افريقية فى الارض المقدسة . بيد انه يجدر بنا ان نسجل انه كان لجنوب افريقية منذ سنوات عديدة ، نوع من التمثيل الرسمى فى اسرائيل (او فلسطين كما كانت تعرف آنذاك) وتمثل ذلك فى تواجد مستر م . هاسكل كمبعوث تجارى وقنصل فخرى لجنوب افريقية وليس من شك فى ان تلك الخطوة ساعدت ، الى حد ما ، على تشجيع التجارة وغيرها من اشكال العلاقات بين البلدين . غير ان الاساليب تتغير بتغير الأزمنة . . .

وربما كانت هناك اسباب وراء عدم وجود علاقات دبلوماسية منتظمة - حتى فى ايام الصفاء بين جنوب افريقية ودولة اسرائيل الجديدة على اساس مبدأ المعاملة بالمثل ، وعلى اساس ان التمثيل ظل اجراء من طرف واحد . وفى مرحلة من المراحل وجه سؤال بالبرلمان فى هذا الصدد الى وزير خارجية جنوب افريقية ان الظروف - حجم التجارة وغير ذلك - لم تبرر تواجد ممثل لجنوب افريقية فى اسرائيل ، رغم تواجد مثل ذلك التمثيل ، آنذاك ، فى القاهرة . لكن ايا كان الوضع فى بريتوريا آنذاك فان الظروف تغيرت تغيرا ملموسا بمرور السنين . فعدد الافريقيين الجنوبيين (ولا يقتصر هذا على الطائفة اليهودية) الذين يزورون اسرائيل يتزايد ، كذلك تزايد حجم التجارة وتنمو الروابط المالية .

موجز القول انه رغم التطورات الاخيرة - وربما بسببها - توجد حاجة ملحة الى تمثيل رسمي لجنوب افريقية في اسرائيل ، حتى لو كان ذلك على مستوى قنصلية كما طالب مستر فاندنبرج ودكتور لوك واذا اخذنا في اعتبارنا تمثيلا قنصليا حديثا لجنوب افريقية في الشرق الاوسط ، فقد يكون من حقنا ان نسأل : لماذا بيروت وليس القدس ؟...



(ا) في اواخر الستينات لوحظ ان السياسة الافريقية (المفتوحة) للدكتور فورستر واكبت اهتمام اسرائيل بالقارة (١٧) . وصاحب هذا التلاقى ازدهار تجارة الماس ، وهي تجارة لا تتضمنها الاحصائيات الرسمية عادة (١٨) .



(١٧)

جنوب افريقية واسرائيل تلتقيان في افريقية (١٥)

لويس هولتز

حاول رجال الدعاية العرب ان يكسبوا تأييدا لقضيتهم في الأمم المتحدة فحاولوا استغلال الشعور المعادي لجنوب افريقية في بعض الدول الافريقية بأن قالوا ان اسرائيل وجنوب افريقية مرتبطتان في « حلف غير مقدس » لخدمة الامبريالية الغربية . وهم يقولون ان البلدين يتبادلان العون المادي والأدبي وان قضيتهما مشتركة بالنسبة للصراع من اجل السيطرة في افريقية . ان النوايا الكامنة وراء هذه الادعاءات واضحة ، الا وهي استعداد حكومات افريقية السوداء على اسرائيل من اجل الحصول على مزيد من التأييد في أروقة الأمم المتحدة ، رغم تعدد الأسباب الكفيلة بجعل كثير من هذه الحكومات صديقة للدولة اليهودية .

الى اي حد ستنجح محاولتهم هذه ؟ انه امر مشكوك فيه ، ومما يضاعف من هذا الشك ان هناك من الدلائل الواضحة ، في الأسابيع الماضية ، ما يثبت ان الراي العام المسئول في افريقية بدأ يبدى المزيد من النوايا الطيبة تجاه جنوب افريقية . والدعاية العربية تحرف الجدل كي تخدم اغراضها ، غير أن هذا الجدل الذي يشير الى اهتمام جنوب افريقيا واسرائيل المشترك بالشرق الاوسط واقصى الجنوب ، ينطوي على حقيقة .

ليس في الامر ما هو سر او ما هو بشع . ان الروابط القسوية بين البلدين . والتي تزداد قوة منذ حرب ١٩٦٧ - جزء لا يتجزأ من وضعهما الجغرافي والاستراتيجي ، ونظرتهم المعادية للشخصية ، وكل وقائع وجودهما القومي . وبالنسبة لجنوب افريقية فان الشرق الاوسط - الذي تقف اسرائيل فيه كحارس صغير ، لكن لا يعوض ، للعالم الحر - يقف في الخط الاول من خطوط امنها او النقل ، بعبارة اخرى ، ان اسرائيل تصون الممر الذي يجب الذود عنه لاطول فترة ممكنة حتى لا يصبح طريقا لعدوان محتمل يشنه عدو مشترك ان مستقبل الممر بين البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي ، وهو حيوى لاسرائيل ، لا يقل حيوية لجنوب افريقية عن حماية طريق راس الرجاء الصالح فاذا ما وقع في ايدي اعداء ، اعداء لاسرائيل وجنوب افريقية ، فان طريق راس الرجاء البحري سيصبح محاصرا من الجانبين بالفعل وتزداد مشاكل امن جنوب افريقية .

وبالنسبة لاسرائيل ثمة رصيد استراتيجي قوى عند بابها الخلفي ، ويتمثل في وجود دولة صديقة ، كافحت وجنت ونعمت باقتصاد قوى ، دولة تربض عند الطرف الجنوبي لافريقية بينما تمسك اسرائيل نفسها بمفتاح الطرف الشمالي .

موجز القول ان مصائر البلدين - اللذين يختلفان كثيرا في نقاط عدة لكنهما يتشابهان في الظروف الجوهرية لوجودهما - متشابكة بشكل مفيد لا تتصوره اية دعاية ، او لا تود ان تراه . غير ان القصة لا تنتهي هنا . ان المصالح الاسرائيلية ومصالح جنوب افريقية لا تتلاقى عند الحافة الشرقية للقارة الافريقية وحسب وانما تتلاقى - وبشكل اكثر ايجابية - في قلب القارة نفسها .

فالاثنان يتشاركان في الاهتمام بالتطور المادي والاجتماعي للذين يريدون من بين ال ٢٠٠ مليون افريقي - طلب العون والتعاون منهما . ولدى البلدين ، وبطرق مختلفة ، ما يقدمان لافريقية المتخلفة - في تقدمها تجاه القرن العشرين . وفي بعض البلدان المستقلة حديثا ، وبخاصة في غربي آسيا واجزاء من شرقي واواسط افريقية ، وكذلك في المستعمرات البريطانية سابقا ، نجد ان اسرائيل قد اسهمت ، بالفعل ، بالكثير . ولم يكن هذا في شكل استثمارات براس المال - وهو ما لا تستطيعه اسرائيل هذه الايام - وانما في شكل تقديم الخبرة ، وتوفير التدريب ، وتقديم ثمار تجربتها الفريدة في مجال الاستخدام الامثل للموارد الطبيعية المحدودة .

اما علاقات جنوب افريقية بزميلاتها من الدول الافريقية فقد سارت على نفس الخطوط تقريبا وان كانت جنوب افريقية قد واجهت مشاكل عملية ينبغي حلها ، مشاكل لم تعترض اسرائيل واذا كان العون الاستراتيجي قد صادف ، على العموم ، ترحيبا كبيرا ، فان جنوب افريقية اصطدمت - لسنوات عديدة - بموانع ايدولوجية وسياسية واقتصادية بدات تزول الآن هناك بالتدريج . هذه عقبات فعلية غير ان النقطة الرئيسية هي ان الطريق الى افريقيه يشكل جزءا هاما من مصيرها ، اكثر مما يشكل بالنسبة لاسرائيل .

ادوار متكاملة :

رغم ان القضايا الحيوية تتباين في الحالتين الا انه من المؤكد ان الارض الافريقية هي التي ستشهد تلاقى اسرائيل وجنوب افريقية في السبعينات ، وفي المستقبل البعيد بدرجة كبيرة . ولم تكن المسألة ، في اى يوم من الايام ، مسألة تنافس وانما كل طرف يكمل الآخر عندما يتلاقيان . وفي اجزاء من القارة لا تصطدم فيها جنوب افريقية بعداوات قديمة ، تستطيع بلا شك ان تلعب دورا اكبر من الدور الذى تستطيع اسرائيل ان تلعبه . انها اقرب الى مسرح العمليات ، واهتمامها اكبر ، ومواردها المادية ستتيح لها مركزا لا تأمل اسرائيل فى الوصول اليه ومع ذلك فستتاح لاسرائيل الفرصة وهي فرصة انتهزتها الى حد ما - كى تقطع لنفسها مكانا واضحا تحت الشمس الافريقية .

وسنجد ، آخر الأمر ، ان الاسهام الذى تستطيع اسرائيل وجنوب افريقية القيام به فى افريقية سيتوقف على حل مشاكلها الخاصة ، مشاكل التعايش فى المجموعة الدولية . لابد لاسرائيل من السلام والامن ، ومع السلام والامن تزول العقبات السياسية والمادية التى احاطت بها من البداية . واذا لم تكن افريقية مخرجها الطبيعي الوحيد فانها احد المخارج الهامة بكل تأكيد . ان آمال اسرائيل فى نفوذ دائم متطور ، واواصر صداقة فى افريقية لن يتحقق الا عندما ينتهى صراعها الحالى (ذلك الصراع الطويل المبدد للقوى) من أجل البقاء واعتراف جاراتها العربيات بها . ويمكن ان تندفق المعارف الاسرائيلية والريادة الفنية - على نحو معتاد ومتزايد - الى مناطق كثيرة بافريقية جنوبى الصحراء اذا لم يخنقها - عند المنبع - ذلك التبيد الدائم للموارد الثمينة لمواجهة مقتضيات الأمن . ان العداء العربى يسد الطريق سواء بطريق مباشر او غير مباشر .

وجنوب افريقية ، التى تسعى - دون هوادة - وراء الاتصال والتعاون المثمر مع باقى افريقية واجهت مشاكل مماثلة داخل اطار مختلف . هنا أيضا نجد صورة للعداء النشط ، أو الرفض السلبي صورة لمحاولات مزمنة لفرض العزلة ، تفسر بأنها تعبر عن روح العزلة الذاتية ، أنها عقلية « المعسكر المعزول » التقليدية المتوارثة من عصر آخر . ولكن ، ايا كان الوضع فى الماضى ، هناك من الدلائل ما يشير الى ان جنوب افريقية تحاول ان تجد طريقها الى افريقية الجديدة ، لا بالاكراه وانما استنادا الى الحق .

العودة الى جنوب افريقية ، عودة الى الوطن :

قد يحسن بنا ان نذكر انفسنا أنها - تاريخيا - اقرب الى العودة الى الوطن منها الى قدوم غريب فى ارض غريبة . فلقد كانت جنوب افريقية موجودة ، موجودة جدا ، فى حربين عالميتين ، فى رحلات المبشرين والمستكشفين ، وفى المكانة التى حظيت بها جنوب افريقية فى ايام الاستعمار وشبه الاستعمار على يد ساسة مثل الجنرال سمطس الذى يعتبر اليوم رائدا لسياستنا المنفتحة على العالم لكن ، تلكم كانت افريقية القديمة ، التى كانت ملحقا لأوروبا قبل ان تكون اى شىء آخر . وفى النصف الثانى من هذا القرن تغيرت افريقية تغيرا تاما ، واصبح من الضرورى ان تتجدد جنوب افريقية حتى تجد لنفسها مكانا هناك .

ان هذا التأقلم - وان كان اكثر سلما وان لم يكن اقل صعوبة - لا يختلف كثيرا عن تجربة اسرائيل فى ظل ظروفها الخاصة بها . ومما له دلالة ان هدوء الحرب فى المنطقة التى يلتقى فيها الشرق الاوسط بشمالى افريقية واكب بوادى تحول ايجابى عن الحرب الباردة التى شنتها افريقية السوداء على جنوب افريقية التى يهيمن عليها البيض .

وقد يكون الامر محض مصادفة ، غير ان ثمة قوى تاريخية وانسانية عميقة تعمل عملها عند طرفى القارة ، مما قد يشكل حركة ستؤثر على هاتين الأمتين - المشكلة - فى تلك الرقعة الشاسعة ان الاتحاد العربى الافريقى الجديد الذى يضم مصر وليبيا والسودان ، والذى قام لمواجهة اسرائيل ، يؤكد على الحقيقة التالية : ان مصالح اسرائيل وجنوب افريقية تتلاقى فوق ارض مشتركة هى افريقية . وهناك نجد المواجهة بين الدول السوداء وجنوب افريقية ، من خلال منظمة الوحدة الافريقية ، حقيقة من حقائق الحياة منذ زمن طويل .

الماس

(١) اسرائيل تسعى الى الزيادة في تجارة الماس (١٦)

تسعى اسرائيل كي تصبح البلد رقم واحد في صادرات الماس المصقول، وينتوقع مدير صناعة الماس بالبلاد ان يتحقق ذلك عام ١٩٧٥ .
وقد تنبأ بهذا موشى شنيتزر ، وهو في نفس الوقت رئيس الرابطة الدولية لبورصة الماس .

وفي مقابلة مع شنيتزر صرح بأن مبيعات اسرائيل في اربعة اعوام تصل على الأقل الى ٢٥٠ مليون دولاراً سنوياً ، مما يساعد اسرائيل على ان تسبق بلجيكا التي كانت البلد رقم واحد .

وقال مستر شنيتزر ان الهدف سيتحقق باجذاب مزيد من المستثمرين اليهود في حقل الماس ، والتوسع في اختيار المجهودات الاسرائيلية، وادخال تكنولوجيا جديدة في الصناعة ، وفتح أسواق جديدة .

والماس هو اكبر مصدر للنقد الاجنبي لاسرائيل .

وقد كان عام ١٩٧٠ عاما سيئاً بالنسبة للصناعة وذلك بسبب الكساد الذي اصاب السوق الأمريكية الضخمة . غير ان الانخفاض الذي عانت منه اسرائيل (٦٤٪ انخفاض في المبيعات في مقابل كسر الرقم الدولي عام ١٩٦٩) كان اخف من الانتكاسة التي عانت منها الأمم الأخرى المتصدرة للماس .

وكان العائد لاسرائيل خلال العام الماضي ٢٠٢ مليون دولار في مقابل ٢١٥ مليون دولار عام ١٩٦٩ . وكان الانخفاض العام - على الصعيد الدولي - حوالي ٢٧٪ .

وقال مستر شنيتزر « اذا اخذنا في اعتبارنا ما حدث في الولايات المتحدة وما عاناه المنتجون الآخرون فسنجد ان عام ١٩٧٠ كان عام نجاح كبير لنا » .

ويبدو ان خلاص اسرائيل مرجعه تخصصها في الأحجار متوسطة الحجم فقد كانت المبيعات على ما يرام بالنسبة لهذا الحجم المطلوب ، اما منتجو الأحجار الضخمة فتعرضوا لصدمة كبيرة بسبب الضعف الذي طرأ على سوق الأوراق المالية وسوء الأحوال المالية بالنسبة للاقتصاد الأمريكي

الذى اخذ يعانى من الكساد . ووفقا لمستر شنيتزر تنتج اسرائيل ٨٥٪ من ماس العالم المصقول ذى الحجم المتوسط - وهى احجار تتراوح بين ١/٢ الى ١/٢ قيراط .



(ب) الشارع السابع والاربعون : حيث الماس (١٧)

بناء كئيب فى منتصف مانهاتان ، يميزه اساسا جمهور يتطلع بنهم على معروضات مبتذلة فى واجهات المحال المتربة ، وهمسات اناس متحوتين يساومون بلا انقطاع على الطوار . ويتدافع شبان مصقواون يرتدون حملا فاقعة الالوان ويضعون فى اصابعهم خواتم من الصغير النجمى القرنفلى المون مارين على رجال تقدموا فى السن ، ملامحهم جدية ، معظمهم يرندى معاطف سوداء متهدلة ويضعون على رؤوسهم قبعات يهودية . والضجة والحركة تشيع فى كل مكان . ويشقى خدم من الصبية طريقهم خلال حلقات من الرجال الذين يابحون بأيديهم ويحركون قسما وجوههم بحدة ، يمارسون تلك الطقوس العريقة ، طقوس المساومة على السعر . ويتحرك الزبائن من واجهة متجر الى واجهة اخرى لينظروا اكثر مما يشتررون ذلك ان الجزء من الشارع السابع والاربعين الغربى بين الشارع الخامس والشارع السادس هو شارع الأحلام الغالية .

وهذا البناء بنيويورك مخصص للماس ، وهو يتعامل مع ٨٠٪ من الماس الذى تتداوله الولايات المتحدة ، ويشكل ذلك ما يزيد على ٦٠٪ من اجمالى السوق العالمية . وهنا ، وبأساليب فى العمل توارثها الزمن والتقاليد ينعامل ٨٠٠ تاجر واكثر من ١٥٠٠ من قاطعى الماس ، ومصنفيه ، ومنخصصين فى المجوهرات ، ومثمنين ، ومحامين فى شئون الماس ، ورجال تأمين ، يخدمون حوالى ٢٣٠٠٠ متجر امريكى لتجارة القطاعى وبيع ما قيمته اكثر من ٧٠٠ مليون دولار من الماس .

النازى : وبخلاف مراكز الماس الاخرى ، مثل انتويرب او بومباى ، لم تتوافر لنيويورك خدمات حقيقية لمعالجة الماس قبل الحرب العالمية الثانية . ويسترجع احد كبار تلك الايام قائلا : « فى تلك الايام كان هذا المكان يغشاه الباعة الجوالون » . وما ان اجتاحت القوات النازية اوروبا حتى اختطف نجار الماس - وجلهم تقريبا من اليهود - بضاعتهم وهربوا

بها . : والواقع ان الشارع السابع والاربعين يردد حكاية من قديم مؤداها ان بعض تجار اليوم قد استطاعوا الهرب من معسكرات الاعتقال ببيع ماسات استطاعوا اخفاءها في اجسادهم) .

والنتيجة مفارقة من اكبر مفارقات التجارة الامريكية ، طائفة جد مترابطة تشربت التقاليد ، تشيع فيها السخرية من النفس وذلك المزاج اليهودي المشهور بعثية . والشارع السابع والاربعون ، شأنه شأن موروثات اخرى - عديدة يتغير ببطء لتحل محل متاجرة نجارة الاسواق الضخمة والاقتصاديات الهائلة . وبما ذلك - وفقا لما لاحظته جين فريدمان ، من النيوزويك ، خلال جولة للمباني استغرقت اسبوعا - يعيش مجتمع الماس ويصمد ، معتمدا اساسا على الثقة المطلقة .

ويقول الين جينبرج ، رئيس القسم الدولي للماس بمؤسسة زيل « لم تكن بمستطيعين ان نمارس عملنا . من الاهمية بمكان ان يثق كل منا بالآخر » . ثمة تاجر قد يبعث بما قيمته آلاف الدولارات من الأحجار للفحص ، مرفقا بها مجرد ورقة من زبون . وعند عودة الماس الزبون سيفترض ان الورقة قد تم الفاؤها ، هذا هو مبلغ ثقته بالتاجر .

ويسير النظام بنجاح ، وينطبق هذا ايضا على طريقة عقد صفقات الماس يجلس البائع عادة في مواجهة المشتري ، في غرفة اختيرت بسبب الضوء الذي ينبعث من الشمال . ويفتح المشتري لفافة من الورقة فضم ماسا مصقولاً ، ويلنقط الحجر بعد الحجر بملقاط صغير ويتمخض بدقة من كافة الزوايا مستعينا بمنظار الجواهرجي حتى يستطيع رؤية ادق التفاصيل . ويظل المشتري ينتقد الاحجار ، ويضر البائع على انها جميلة وانها تستحق هذا السعر . واخيرا قد يعترف المشتري بأنها وان لم تكن افضل احجار في العالم ، الا انها اذا بيعت بثمن ... فانه قد يفكر في الامر ويتنهد البائع نهيدة عميقة ويهز كتفيه في استسلام ويوافق على البيع . ويتم هذا كله بثتى اللغات ويقول البرت ج. لوبين ، السكرتير التنفيذي لنادى تجار الماس « قد تستطيع ان تبدأ كلامك باللغة البيدية ، ثم تنحول الى الفرنسية البواندية ، الروسية ، الفلمية ... وقد تنتهى اخيرا بالبيدية مرة اخرى » وعند اتمام اية صفقة فان اللغة البيدية هي اللغة التى تبرم هذه الصفقة وتربط بين الطرفين ولتوثيق الصفقة لابد وان يعطى البائع المشتري ما يسمى بالحظ السعيد والتبريك . يقول البرت لوبين « لقد جرى العرف بذلك ، واصبح قانونا . وهى تنهى الصفقة ولا يمكن لاي طرف ان يتراجع » .

افريقية : وفي معظم الحالات تبدأ ماسات الشارع السابع والاربعين رحلتها من المناجم الافريقية في دي بيرز ، وهي المجمع البالغ الثراء ، القوى جدا ، الذي يسيطر على ٩٠٪ من موارد العالم من الماس غير المصقول تملك دي بيرز الاحتكار الفعلي ، ومن خلال هذا الاحتكار يستطيع ان تنفى الفلاء من خلال منظمة البيع المركزي التي تقول « ان تكون زبونا لمنظمة البيع المركزي ميزة في حقل هذه التجارة العالمية » . وكل خمسة اسابيع يطير عشرات من ارستقراطي الشارع ٤٧ الى لندن ليحضروا « مشاهد » او مبيعات منظمة البيع المركزي . وينضم التجار الامريكيون الى حوالي ٢٠٠ تاجرا آخر من انحاء العالم ، ويشاهدون الأحجار في مكتب منظمة البيع المركزي ويشتررون اذا احبوا - « صناديق » الماس التي تحوى احجارا تزن ١٢٠٠ قيراط ثمنها على الاقل ٢٥٠.٠٠٠ دولارا » .

واذ يعود ارستقراطيو الماس الى نيويورك يبادر معظمهم الى ارسال مشترياتهم الى متعاقدين لقطعها وصقلها . وماكس روينزين من هؤلاء المتعاقدين ، وقد هرب من بلجيكا عام ١٩٤٠ وبدا حياته العملية كقاطع احجار . ويقوم روينزين بعملياته في حجرة صغيرة معتمة ، يتراكم عليها السخام واللون الرمادي بفعل السنين ، وملأتها أصوات المشاقب وهي تعمل وثمة عامل من بويرتو ريكو ، وعدد من بلجيكا ، وهولندا ، والمانيا . لكن معظمهم يبدوون متمائلين ، بلحاهم وغطاء رأسهم الصغير .



(ب) التحالف الغربي يزدهر على غنائم الماس (١٨)

تعتبر جنوب افريقية اضخم منتج في العالم للماس اما اسرائيل فأكبر مركز في العالم لصقل الماس . وتعتبر الولايات المتحدة الامريكية اضخم سوق في العالم للماس .

وتسيطر مؤسسة دي بيرز ، ل.أ.ف. اوبنهايمر ، على صناعة الماس في جنوب افريقية ، ولقد انتجت ما يزيد على ١٤٠ مليون دولارا من الصادرات عام ١٩٦٩ . وفي ذلك العام صادرات اسرائيل من الماس المصقول تعدت ٢٠٠ مليون دولار ، فالماس اكبر مصدر للنقد الاجنبي للدولة اليهودية وتعتبر صناعة الماس ثانيا صناعة في اسرائيل من حيث الضخامة ، اذ يعمل فيها اكثر من ١٥٠٠٠ من اليهود الاوروبيين المهرة .

وتستهلك الولايات المتحدة اكثر من ٢٣.٠٠٠ متجر لبيع الماس بالقطاعي، وهم يبيعون من المجوهرات الماسية ما تزيد قيمته على ٧٠٠ مليون دولار في العام . لكن المبيعات اخذت في الانخفاض لان الشباب الامريكي ، وبخاصة السلالة الجديدة من النساء المحررات ، ضاقوا بالطابع التجاري التقليدي الذي ساد عادات الزواج ، التي تقتضي شراء الماس بصفة خاصة .

وتحتكر مؤسسة دي بيرز انتاج وبيع الماس على نطاق عالمي ، وذلك من خلال منظمة البيع المركزية في لندن . وتهيمن المنظمة على بنيان السعر الهش في ميدان الماس ، وذلك بقبضتها الحديدية على مبيعات الماس في جنوب افريقية ، نامبيا (جنوب غربى افريقية) انجولا . ويخشى الصهيونيون اماطة اللثام عن التواطؤ الاسرائيلى مع جنوب افريقية في سياسة الفصل العنصرى .

وكثير من كبار المساهمين في صندوق الاكتاب اليهودى والمشتريين للسندات الاسرائيلية من كبار تجار الماس والممولين الذين استثمروا الكثير في اقتصاديات اسرائيل وجنوب افريقية .

وفي المؤتمر الوطنى الاسود الذى انعقد مؤخرا في جارى ، انديانا ، تم اتخاذ قرار يطالب بحل دولة اسرائيل الصهيونية ومساندة حركات التحرر الافريقية والفلسطينية . وفيما بعد عمد المتعاطفون مع اسرائيل الى اجبار بعض اعضاء هيئة الترشيح للكونجرس المؤلفة في السوء كى يخففوا من نص القرار .

ان « عدم التحالف » الغريب الذى لاحظته س.ل. سلزبرجر عام ١٩٧١ (١٩) ازدهر بشكل بارز خلال حرب اكتوبر ١٩٧٣ وفي اعقابها (٢٠) .

* * *

(١٩)

لا تحالف غريب (١٩)

س.ل. سلزبرجر

جوهانسبرج ، جنوب افريقية . ثمة رباط وثيق جدا - وان لم يكن معروفا على نطاق واسع بين - اسرائيل وجنوب افريقية . وهذه العلاقة ، بين الأمة التي تتحكم في الطرف الجنوبي لافريقية والأمة التي لا تزال تمسك البداية المفضية الى الطرف الشمالى لافريقية ، تؤثر على الشؤون السياسية، والاقتصادية والعسكرية .

ولهذا اهميته النفسية ، من وجهة النظر اليمينية في البلاد . ومن بين المنتقدين الأجانب لسياسة جنوب افريقية نجد كثيرا من الاصوات اليهودية وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لذا تشعر جنوب افريقية انه اذا ما تعاطفت اسرائيل فان هذا سيخدم مركزها الدولي .

وعلاوة على ذلك فان اغلاق اسرائيل لقناة السويس يكفل لهذا انبلد مزايا عارضة . وخلال العام الماضي مرت براس الرجاء حوالي ٢٠ الف سفينة ، في مقابل ثمانية آلاف سفينة سنويا قبل اغلاق القناة . واخيرا فان اغلاق القناة يخدم الوضع الاستراتيجي لجنوب افريقية اذ يركز الانظار على محورها وقاعدتها الجنوبية لنصف القارة .

لقد ظهرت جنوب افريقية الافريكانية واسرائيل اليهودية عام ١٩٤٨ ، عندما سيطر الحزب الوطني على البلد ، وقسمت فلسطين . وكانت جنوب افريقية من اولى الدول التي اعترفت باسرائيل وكان ورئيس الوزراء د. ف. مالان اول رئيس دولة اجنبى يزور اسرائيل .

ويرى الافريكانى اسرائيل امة صغيرة اخرى يحيط بها الاعداء ، امة يلعب فيها الانجيل واللغة التى بعثت من جديد - دورا كبيرا . وكما كتبت جاني كروجر رئيس تحرير (دى ترانسفالير) سابقا « ان الافريكانيين ... فى الدرجة الاولى ، اهل الكتاب » فالبور ، من اتباع مذهب عصمة الكتاب المقدس ، ساروا شمالا يحملون البندقية بيد والانجيل بيد اخرى .

وتشعر جنوب افريقيا واسرائيل بأنهما معزولتان فى الأمم المتحدة ، لكنهما لا تريان فى ذلك حكما نهائيا للتاريخ . وتشعر جنوب افريقية ان اسرائيل - مثلها - فخر امامى للغرب . وعلاوة على ذلك فانها ترى اسرائيل تواجه اليوم ضغطا سوفيتيا فى حوض البحر الابيض المتوسط ومنطقة البحر الاحمر قد تواجهه جنوب افريقية غدا بعد ان تدعم روسيا وضعها فى المحيط الهندى وتعتقد جنوب افريقية ان اسرائيل تؤجل الضغط السوفيتى جنوبا .

وتشعر جنوب افريقية ، شأنها شأن اسرائيل ، بدور اللغسة والدين واهميتها بالنسبة لبقاء الامة . بل ان رئيس الوزراء فورستر يذهب الى حد القول بأن اسرائيل . تواجه الآن مشكلة فصل عنصري : كيف تتعامل مع سكانها العرب . ولا تريد اى من الدولتين ان تضع مستقبلها تماما فى يد الغالبية التى تحيط بها ، وتفضل ان تقاتل .

ويمكن القول بأن افريقية واسرائيل بلدان تم اقحامها . فقد بناهما رواد جاءوا من الخارج واستقلوا فى مناطق جزء منها مسكون . وعندما قدم

الهلنديون لم يكن هناك غير البوشمن والهوتينتون ، وكان بالامكان تواجد الزولو في جوهانسبرج لولا اتجاه البوير شمالا .

ويقول فورستر « اننا ننظر الى وضع اسرائيل ومشاكلها بنفهم وتعاطف وهم - مثلنا - مضطرون الى مواجهة تسليح اربابى عبر الحدود ، كما انهم - مثلنا - يواجهون اعداء يودون تدميرهم » .

ولا يعد اى طرف من الطرفين - لاسباب دبلوماسية - الى الافراط في تأكيد الرباط الذى يربط بينهما . كذلك فان الرباط الاقتصادى ليس جوهريا رغم ان اسرائيل تتاجر مع جنوب افريقية وتتلقى اسهامات ضخمة من الطائفة اليهودية هنا .

لكن هناك ، فوق هذا كله ، تفاهم عسكرى كبير . فالحملتان الوحيدتان اللتان تحظيان بالاهتمام في مدارس المناورات بالبلاد هما : طريق ، حيث انهزمت احدى وحدات جنوب افريقية خلال الحرب العالمية الثانية ، وحرب الستة ايام لاسرائيل ، عام ١٩٦٧ .

وتنتج جنوب افريقية المدفع الرشاش اوزى بالاتفاق ، والاوزى اختراع اسرائيل ، ولقد تم الترخيص بالانتاج عن طريق بلجيكا ، ولقد قيل لى بصفة غير رسمية - ولم استطع ان اتأكد من ذلك رسميا - ان بعثة من جنوب افريقية طارت الى اسرائيل خلال حرب الستة الايام لتدرس التكنيك واستخدام الاسلحة .

كذلك تتردد شائعات . ام نتأكد تماما ، نفسد بأن الاسرائيليين حصلوا على نماذج محرك الميراج ، المقاتلة الفرنسية ، عن طريق عملائهم في سويسرا ، وانهم ادخلوا عليه تحسينات ووضعوا تصميمات له هنا . غير ان كافة هذه التقارير غير مؤكدة ، ولا تداع للدواعى الأمن .

ونبقى الحقيقة الاساسية ، ان هذا البلد له قلة من الاصدقاء في الخارج ، وهو يعتبر اسرائيل واحدا من هؤلاء القلة . ولقد ضاقت جنوب افريقية ، لفترة ، من سياسة اسرائيل الرامية الى كسب اصدقاء من بين امم افريقية السوداء . لكن جنوب افريقية نسيت هذا الآن ايمانا منها بأن وقوف اسرائيل في وجه روسيا ووكلاء روسيا عند اقصى الطرف الشمالى للقارة يساعد على الاستعداد لموقف مماثل - اذا اقتضت الظروف - عندما يحين وقت هذا في اقصى الجنوب .

حرب اكتوبر ١٩٧٣

(١) تأييد ادبي لاسرائيل (٢٠)

صرح مستر ب.و. بوتو وزير الدفاع ، صرح في جورج ، باقليم الكيب ، بأن جنوب افريقية ستقدم لاسرائيل السند الادبي في حرب الشرق الاوسط وانه لا يشك في انه سيتم التوصل الى الطرق والوسائل الكفيلة بابداء تعاطف الجمهورية بطريقة عملية - عدا الدخول في حرب . جاءت هذه التصريحات نقلا عن ساوث افريكان برس اسوسييشان .

وكان ثمة شعور عميق بالتعاطف من جانب جنوب افريقية تجاه اسرائيل في نضالها ضد القوى التي تساندها « العسكرية الشيوعية » . جاء ذلك على لسان مستر بوتو .

ومضى الوزير يقول « ورغم اننا نرجو الا تشعل هذه الحرب النار في العالم ، لا اشك في اننا سنجد الوسائل والطرق لابداء نوايانا الطيبة تجاه اسرائيل » .

وقال مستر بوتو ان اسرائيل تخوض الآن معركة حياة وموت ، وتحمل قناة السويس . اما جنوب افريقية فتحمل حرية مرور العالم الغربي - حول راس الرجاء الصالح .

وتحدث رئيس الوزراء ، مستر ب.ج. فورستر ، في كيتمان شوب ، فقال ان الحرب في الشرق الاوسط ، والتي تستهدف اسرائيل ، لا تشنها سورية ومصر وانما روسيا ، واذا ما اطلق العنان للروس فستكون لهذا اثاره الكبيرة على جنوب افريقية .

وأعلن رئيس الوزراء « ان النشاط الارهابي لا يستهدف اساسا روديسيا او الاقاليم البرتغالية وانما يستهدف انذاك جنوب افريقية حتى يستطيعوا (الشيوعيون) السيطرة على طريق راس الرجاء . ولقد ظل ذلك هدفهم واستراتيجيتهم الرئيسية » .

(ب) نفثة من جنوب افريقية تسقط في مصر (٢١)

ذكرت الصحيفة البريطانية المحافظة ذا ديلي تلجراف : « ان القوات المصرية اسقطت نفثة من جنوب افريقية فوق قناة السويس . ويشير ريتسارد كوكس . المراسل العسكري للتلجراف ، الى ما وضعه « تقارير موقوف بها » مؤداها ان المصريين اسقطوا نفثة من مراح مجهولة (مير - ازه) في اواخر اكتوبر ، وانها احدى الطائرات التي بعثت بها قوات جنوب افريقية الجوية الى اسرائيل . وجدير بالذكر ان طائرات المراح ، الأمريكية ف-١٠٥ والميج السوفيتية .

وتقول التلجراف ان وجود طائرة من جنوب افريقية في سماء مصر قد حير المراقبين ، ذلك ان اسرائيل ، خلال قتال السويس ، اعتمدت على طائراتها الحديثة المانوم والاسكاي هوك المصنوعة في امريكا . اما نفثات المراح ٣٥ في السلاح الجوي الاسرائيلي فمن بين اقدم الطائرات التي تملكها اسرائيل .

اما جنوب افريقية فتملك اكثر من ٤ نفثة من مراح ، بعضها انتاج اكثر حداته مما يملكه الاسرائيليون ، وهذه النفثات عصب سلاحها الجوي . ولقد باعت فرنسا هذه النفثات الى جنوب افريقية رغم الحظر الذي فرضته الامم المتحدة على ارسال اسلحة الى الحكومة البيضاء بالبلاد .

وتتكهن (ديلي تلجراف) بأن جنوب افريقية بعثت بعدد من الطيارين المتطوعين ، والطائرات ، الى اسرائيل كي يكتسبوا خبرة بالمعارك ، وهذا مطلب هام جدا بالنسبة لهم . وتخشى حكومة جنوب افريقية ان يضطر سلاحها الجوي يوما الى الاشتباك مع طائرات سوفيتية الصنع وطيارين مدربين في روسيا في بلاد مجاورة لجنوب افريقية .

ويساعدنا نبأ (الديلي تلجراف) على فهم الباعث وراء تحذير الرئيس المصري اسادات حين قال ان بلده سيمنح وضع « أسير حرب » للاسرى من المواطنين الاسرائيليين فقط . لذا فان اي طيار من جنوب افريقية يقبض عليه المصريون لن يتم تبادله بمقتضى برنامج تبادل الاسرى .

ورغم ان اسرائيل لم توافق ابدا على وجود علاقات دبلوماسية كاملة مع جنوب افريقية ، الا ان الروابط بين البلدين نمت بشكل مطرد . ولقد عبر رئيس وزراء جنوب افريقية ، فورستر ، عن هذه المشاعر عندما قال « انهم مثلنا ، قد اضطروا الى مواجهة التسلل الارهابي عبر الحدود . وهم ، مثلنا ، يواجهون اعداء عقداوا العزم على تدميرهم » .

ومرى جنوب افريقية في اسرائيل حليفا يواجه نفس المشاكل ، بل نفس الاعداء أيضا . فالحكومة البيضاء بجنوب افريقية ، التي يفوقها السود - الذين تحكمهم - عددا (٥ الى ١) ، تجد نفسها موضع نقد عنيف من الأمم الافريقية التي يحكمها سود .

كذلك فإن افريقية السوداء متحدة تماما في وقوفها وراء القضية العربية . خلال العامين الماضيين قطعت ٢٦ دولة افريقية علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل ، منها ١٨ دولة قطعت علاقاتها منذ ان نشب القتال الأخير .

ويظن تقرير (الديلي تلجراف) ان الطريق الذي سلكته نفاثات جنوب افريقية كان في اتجاه الساحل الغربي لافريقية ، مع التزود في القواعد البرتغالية بأنجولا وغينيا بيساو . ومن هناك يعتقد انها انضمت الى الطائرات الأمريكية التي طارت بأسلحة بديلة الى اسرائيل من الازور ، الجزر البرتغالية في المحيط الأطلسي .

وفي مقابلة بالاذاعة البريطانية اصر ريتشارد كوكس ، كاتب مفسال (التلجراف) ان مصدره موثوق به لكنه توقع ان تنكر جنوب افريقية النبأ . وهذا ما حدث . فقد قال فورستر رئيس الوزراء ان قصة كوكس « غير صحيحة بالمرّة » . و اضاف ان حكومته غير مشتركة في القتال الدائر في الشرق الأوسط .

* * *

(ج) تعاطف جنوب افريقية مع اسرائيل (٢٢)

لويس هولتز

عبرت جنوب افريقية ، وبشكل كبير ، عن نواياها الطيبة تجاه اسرائيل في محنتها الأخيرة وقليلة هي الدول ، خارج اسرائيل نفسها ، التي فاقت جنوب افريقية في تتبع مصر اسرائيل في الحرب بكل هذا التعاطف . ولقد كانت هناك نفمة سادت معظم الصحف ، والاذاعة ، والمنابر ، الا وهي ادراك الناس - على اختلاف ميولهم - بأن قتال اسرائيل من اجل البقاء والأمن هو قتال يؤثر بشكل مباشر او غير مباشر - على مستقبل هذا البلد .

كان هناك اعجاب بموقف اسرائيل ، وكان هناك رغبة جياشة لنجاح اسرائيل ، واقترن هذا بشعور للمصلحة المشتركة بين الشعبين . وفي

الفترات المعادية لكل شعب مشاكله واسلوبه في الحياة غير ان مثل هذه الخلافات كانت تتبدد في الازمات ، وادراكا من جنوب افريقية بأن النضال في الشرق الاوسط يؤثر على مصيرها ، بل وقد يؤثر على سلام العالم بأسره .

كان هناك من جنوب افريقية من يرون هذا الرأي ، وكان هناك - بصفة خاصة - من تتلخص مهمتهم في التفكير والتخطيط سلفا من اجل وضع الاستراتيجية وتوفير الامن القومي . ورأى هؤلاء في اسرائيل الحصن الشمالي في مواجهة معتد قد يكون اكثر خطورة من العرب ، اما جنوب افريقية فكانت الحصن الذي يواجه نفس العدو في الجنوب .

ان اسرائيل التي تقف عند ملتقى آسيا وشمال افريقية ، وجنوب افريقية التي تقف عند ملتقى المحيطين في أقصى الجنوب ، يكفل لهما وضعهما الجغرافي الهيمنة على ممرات عالمية بالغة الأهمية ولقد باتت جنوب افريقية تسلم ، في تفكيرها ، بأن البلدين يتكافلان حول هذه النقطة . وخلال اسابيع التوتر وتقلبات المعركة كنا نسمع المرة بعد المرة انه اذا ما سقطت اسرائيل او تعرض وضعها لضرر كبير فان دور جنوب افريقية قد يحين فورا ، او بعد فترة .

وقد تكون هذه المخاوف مبالغاً فيها . وقد لا تكون اسرائيل راغبة الى هذا الحد في لعب دور الشرطي في ذلك الجزء من العالم ، اللهم الا فيما يتصل بأمنها ، بينما تود جنوب افريقية ان تحمي الطريق حول راس الرجاء . كذلك فان اسرائيل لا يشغلها ما يشغل جنوب افريقية من اعتبارات ايدولوجية .

وسط الجو العاطفي لهذه المعركة يتعين علينا ان نتذكر هذه الحقائق . كما يتعين علينا ان نتذكر ان جنوب افريقية ، التي لا تتعرض لخطر مادي مباشر ، تنظر الى اخطار المستقبل من زاوية تختلف عن زاوية اسرائيل . ان شغل جنوب افريقية الشاغل هو الخوف من التسلل الشيوعي التدريجي الى قلب افريقية ، الى ان يضرب جنوب افريقية نفسها من الداخل . وقد يكون هذا الخوف ايضا مبالغاً فيه ، وايا كان الامر فان اخطار هجوم مباشر كالذي تعرضت له اسرائيل قد تكون بعيدة جدا عند هذه المرحلة ، رغم ان هذا لا يعني ان تقلل من استعدادها ويقظتها .

ورغم هذا كله ثمة شاغل مشترك يوثق عرا الروابط بين جنوب افريقية واسرائيل ، وان مستقبل جنوب افريقية يتوقف - الى حد كبير - على نتيجة الصراع في الشرق الاوسط والتسوية التي يتم التوصل اليها في

النهاية ان مصر قناة السويس وحده يشكل قضية تربط بين جنوب افريقية واسرائيل ، كما وضع ذلك تماما منذ اغلاق الممر المائى .

غير ان مواقف جنوب افريقية من الحرب لم تحلها فقط الجوانب العسكرية او المدلولات الاستراتيجية الاكبر . ان العقلاء من جنوب افريقية الذين رحبوا باسرائيل كعقبة فعالة امام المطامع الشيوعية ، توصلوا ايضا الى استنتاج هام من هذا الوضع .

وقفت اسرائيل امام عدو قوى ، وبدا ان كل الظروف غير مواتية لها ، مثلما كان الحال فى الماضى . ووجدوا فى هذا تحذيرا بأن جنوب افريقية بحاجة الى شعور اكبر بالوحدة الوطنية وثمة تحذير آخر ، ان جنوب افريقية تختلس من الزمن . وبعبارة اخرى ان امام جنوب افريقية فترة لالتقاط الأنفاس ، لا يعرفون الى متى ستطول لكنهم يأملون فى ان تتسع بحيث يجمعون صفوفهم ويضعون حدا للانقسامات التى لا يستطيعون الاستمرار فيها وسط عالم محفوف بالمخاطر .

كانت تلك احدى الاستنتاجات التى فرضت نفسها على المسؤولين بجنوب افريقية وهم ينظرون الى صورة الشرق الأوسط . واوجزت فى بيان نسمعه كثيرا هذه الأيام ، مؤداه ان الاستعداد العسكرى رغم انه ضرورى فى حد ذاته لا يعدو ان يكون نصف المعركة . فمن الضرورى ان تقف وراء القوات المسلحة قوة ادبية مصدرها التضامن ، وروح التضحية ، وتلك من امضى اسلحة اسرائيل .

وثمة درس آخر من احداث الشرق الاوسط ويتصل بالمدرس الاول ، وهو انه يتعين على جنوب افريقية ان ترتب بيتها اذا كانت لا تريد ان تفاجأ بالقوات التى تبني نفسها فى اماكن اخرى بافريقية بمساعدة نفس الدولة التى تشكل فى النهاية خطرا على اسرائيل . ربما كانت هذه هى النقطة التى وضحت اكثر ما وضحت خلال تأملات جنوب افريقية الخاصة بالحرب . تعرضت اسرائيل لهجوم تسانده روسيا ، هجوم نشب (هذا ما يجب ان نتذكره) فوق ارض افريقية ، واعقبته الصدمة الخاطفة المتمثلة فى المراجعة العابرة - لكن المخيفة - بين واشنطن وموسكو . وكانت تلك اشارة خطر لا تستطيع جنوب افريقية ان تتجاهلها .



قررت جنوب افريقية ان تستغل مفهوم البانتوستان كمدخل الى العلاقات الدولية (٢١) ، ورغم ان السود نددوا بهذا القرار بشدة الا ان الحكومة الاسرائيلية تعاطفت معه (ا ، ب ، ج ، د) .

* * *

(٢١)

البانتوستان وسياسة جنوب افريقية الخارجية **(١) البانتوستان كاسلوب للسياسة الخارجية (٢٢)**

كما سبق ان ذكرنا آنفا فان تحول برنامج البانتوستان في مطلع الستينات من حكم محلي محدود الى برنامج يستهدف الاستقلال قد فرض نفسه على حكومة جنوب افريقية بسبب عزلتها الجديدة في فترة تصفية الاستعمار . وكان هناك اندفاع الى تنفيذ هذا البرنامج في السبعينات ، وظهر في العزلة المتزايدة (وكان ايضا نتيجة لها) لنظام الفصل العنصرى الناجم عن عدوانيتها لا في مجال السياسة العنصرية المحلية وحسب وانما في الاحتلال غير المشروع ايضا لنامبيا وامتداد نظام البانتوستان الى نامبيا ، ومساندة جنوب افريقية للنظام المتمرد غير الشرعى في روديسيا (زيمبابوى) .

وحاولت حكومة جنوب افريقية الخروج من عزلتها في القارة الافريقية، سعت في السنوات الاخيرة الى جعل سياستها « طبيعية » مع البلدان الافريقية المستقلة كخطوة اولى لجعل افريقية ترضى باستمرار سياسات الفصل العنصرى وفي نفس الوقت سعت حكومة فورستر الى التوسع في ارتباط الدول الغربية الكبرى باقتصاديات الفصل العنصرى ، وجعلها اكثر ارتباطا في مجال العلاقات الاستراتيجية ، وبذلك تتغلب على القيود السياسية التى تجعل من الصعب بالنسبة للدول الغربية ان تدخل في تحالف وثيق وسافر مع جنوب افريقية ، وهو ما يفضل نظام الفصل العنصرى دون شك وبالنسبة لمجالات السياسة الخارجية في افريقية والدول العربية صورت حكومة جنوب افريقية برنامج البانتوستان على انه بديل للسياسات التى تحبذها حركات التحرر ، ومنظمة الوحدة الافريقية والامم المتحدة والحركات المناهضة للفصل العنصرى ، والمنظمات التقدمية الاخرى في انحاء العالم .

واذ فعلت بريتوريا ذلك ، وجدت حلفاءها التقليديين على استعداد للمساعدة - وذلك بالاعتراف الرسمى والاعلام عن الشخصيات التى وضعتها بريتوريا في موضع المسئولية في البانتوستان وفي السنوات الاخيرة

كانت اول بادرة لها دلالتها في هذا الصدد توجيه الدعوة من حكومة الولايات المتحدة الامريكية الى الرئيس بوثليدي لكي يطوف بالولايات المتحدة شهرين من ابريل حتى يونيه ١٩٧١ ، ولما يمض عام على تعيين الرئيس بوثليدي رئيسا تنفيذيا لاقليم الزولو . وفي اكتوبر من نفس العام امضى الرؤساء مانتاتزوما ، بوثليدي ، مانجوبي ثلاثة اسابيع ونصف اسبوع في بريطانيا ضيوفا على الحكومة البريطانية ، ثم فضاوا بعد ذلك اسبوعين في المانيا الغربية ضيوفا على الحكومة الاتحادية . ومنذ ذلك الحين ومعظم زعماء البانتوستان قد اتفقوا على الاقل شهرين او ثلاثة في زيارات للولايات المتحدة وجمهورية المانيا الاتحادية ، وبريطانيا ، وسويسرا ، وهولندا ، والدول الغربية الاخرى . يضاف الى هذا ان الرئيس بوثليدي زار عددا من الدول الافريقية بما فيها الدول التي شغلها الصراع في جنوب افريقية ، وبعض الدول الأكثر تعاطفا مع سياسة نظام فورستر ، الخاصة بالحوار والوفاق .

توافر زعماء البانتوستان كمبعوثين جوالين لبرنامج البانتوستان الذي وضعته حكومة جنوب افريقية . وخلق هذا بعدا جديدا للسياسة الخارجية لجنوب افريقية . فلاول مرة يسافر متحدثون سود الى الخارج لينادوا بالسياسة العنصرية لنظام الفصل العنصري ، وعسلاوة على ذلك هؤلاء المتحدثون قادرون في دخول الدوائر المؤثرة في الغرب - مسيحية ، مالية ، تجارية ، فكرية - دوائر عجزت حكومة جنوب افريقية نفسها ، ولوقت طويل من ان تؤثر فيها بالاساليب الدبلوماسية التقليدية .

وعلاوة على ذلك ، في هذه الدوائر الهامة التي تصنع الراي ، يستطيع المتحدثون ان ينشدوا المساهمة في التنمية الاقتصادية لـ « اوطانهم » وان يعارضوا السياسات التي تستهدف جنوب افريقية « العنصرية » على اساس ان هذه السياسات ستؤدي الذين نريد مساعدتهم وفي مثل هذه الدوائر يقل او ينعدم ادراك ان هذه البانتوستان ، ليست ولا تستطيع ان تكون ، دولا مستقلة تقارن حتى بدول افريقية مستقلة مثل بوتسوانا ، ليسوتو ، سوازيلاند (التي يعقدون معها احيانا مقاسرات مضللة) ان البانتوستان قطع من الارض تجمع بينها فكرة وكلها تشكل جزءا من ارض جنوب افريقية ، وتخضع لاقتصاد جنوب افريقية . لكن هذه الحقيقة كثيرا ما تغيب عن الأفكار والنتيجة ان مشكلة التنمية الاجتماعية والاقتصادية لهذه المناطق كثيرا ما ينظر اليها على انها في جوهرها - مشابهة لاحتياجات التنمية العامة في العالم الثالث ، لكن الواقع ان جنوب افريقية بلد صناعي وان تخلف « الوطن » يرجع ، بطريقة مباشرة ، الى سياسات العزل العنصري التي سارت عليها حكومات جنوب افريقية المتعاقبة .

وكما رأينا فإن تخلف الممارك مرجعه التوزيع الفج غير العادل ، والذي يتم في جانب واحد وعلى أساس عنصري ، مع استبعاد كافة المراكز الصناعية الرئيسية ومراكز التعدين ، في هذا التوزيع . كما يرجع الى اعادة توطين ملايين الافريقيين - رجال ونساء واطفال - من « جنوب افريقية البيضاء » - موجز القول انها مستودعات من الايدي العاملة الرخيصة التي تخدم اقتصادا عنصريا . وعلى ضوء هذا فان من باب النفاق الصارخ ان يصور نظام فورستر نفسه على انه مشغول بأكثر برنامج للتنمية في العالم الثالث ان لم يكن في العالم كله . ومما هو اكثر من النفاق ان يتظاهر النظام بأنه يسعى الى جمع الموارد الحكومية وغير الحكومية ، في العالم المتقدم ، من اجل هذه المهزلة ، مهزلة برنامج التنمية . ان تحمس حكومة جنوب افريقية لهذه السياسة بين عشية وضحاها مرجعه انها ادركت ان تصدير البانتوستان امام العالم سيكفل لها وسيلة جديدة تضي بها الشرعية على تدفق راس المال الاجنبي الذي تحتاج اليه جنوب افريقية بشدة ، على الصعيد الاقتصادي والصعيد السياسي خلال العشر السنوات الماضية . كان هذا هو الاعتبار الاستراتيجي الاول الذي حفز حكومة جنوب افريقية الى تغيير سياستها القديمة عام ١٩٧٣ لكي تفتح « بانتوستان » للاستثمار الاجنبي .

واذ واجه المجتمع الدولي هذا التطور الجديد فانه بحاجة الى الاطلاع على واقع البانتوستان وان يكون في منتهى البقظة حتى لا يتقبل سياسة عنصرية - على صورتها الحالية - ندد بها الرأي العام بشدة في مظاهرها السابقة . وتتعين على المنظمات والهيئات ، التي تشعر بمسئولية ادبية خاصة تجاه الافريقيين المضطهدين والتي تبحث عن طرق عملية للتخفيف من عذابهم بتعين عليها ان تتجنب من الخطوات ما قد يشجع حكومة جنوب افريقية على الاستمرار في موقفها من اراضي الوطن ، ويعفيها من المسؤولية الكاملة التي تحملها لتحقيق رفاهية كافة الاجناس في جنوب افريقية . وعلاوة على ذلك ، وعلى الصعيد الحكومي ، بات لزاما على الأمم المتحدة ان تستجيب لطلب الدول الافريقية الذي قدم في الدورة غير العادية لمجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية الذي انعقد بدار السلام في ابريل ١٩٧٥ ، وتكرر في مؤتمر القمة المنعقد بكامبالا في أغسطس ، لرفض برنامج البانتوستان كله . وجدير بالذكر ان الجزء الخاص بجنوب افريقية في القرار الذي انعقد اتخذ آنذاك بهيب بالدول الاعضاء في الأمم المتحدة الا تقيم اية اتصالات مع « زعماء » البانتوستان .

ان هذا الاتجاه - الذى يعد جزءا من حملة اكبر لعزل نظام الفصل العنصرى فى كافة المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والعلمية والرياضية - يصلح اساسا واقعيا ومعقولا لحل مشكلة الفصل العنصرى ، وللتضامن مع نضال شعب جنوب افريقية ضد هذا النظام .

* * *

(ب) ثناء من الجنرال دايان (٢٤)

بعد زيارة طويلة لجمهورية جنوب افريقية قال الجنرال موشى ديان وهو يستقل الطائرة الى تل ابيب من مطار جان سمطس ، جوهانسبرج .

« ان جنوب افريقية تنتمى الى العالم الحر . ويهم اسرائيل جدا ان تتوثق الصلات مع حكومة جنوب افريقية . ان جنوب افريقية بلد متقدم ، والعمل قائم فى مشروعات تنمية هائلة ، غير ان عليها ان تأخذ مشاكلها العسكرية مأخذ الجد » .

وقال الجنرال دايان « وانا على يقين من انكم لا تريدون مستشارين وحسب ، وانما تشعرون ايضا بما اشعر به عندما ينصحنى الناس بما يجب ان افعله فى اسرائيل » .

وكان قد اجرى مباحثات مطولة ومثمرة مع رئيس الوزراء ، مستر ب.ج. فورستر ، كذلك عقد مباحثات مع الرئيس جاتشا بوئيليدى (كوازولو) .

* * *

(ج) طبق تايوكا الدسم فى ناتال (٢٥)

لورانس مورجان

تأكدت الامكانيات الاقتصادية الهائلة لمنطقة ماكاتينى ، فلاتس نباتال ، أكدت ذلك منظمة استشارية اسرائيلية للتنمية الزراعية ، وهى منظمة معروفة دوليا .

وبعد امكانيات هائلة مستفيض فى ماكاتينى تحدثت عن وجود امكانيات هائلة لانتاج المحاصيل بما فى ذلك الكاسافا (تايوكا) .

وقامت مجموعة (تايجار اوتس) بتكليف المكتب الاستشارى الاسرائيلى لقاء مبلغ كبير ، وذلك للبحث فى امكانية انتاج الكاسافا على نطاق واسع فى ماكاتينى ، حتى طاقة ٢٠٠٠٠ .

كذلك تنظر تايجار اوتس في امكانية توفير خدمات للشحن والتفريغ على نطاق واسع وذلك في ريتسارد باي ، بغرض تصدير كميات ضخمة من المحصول وقد اهتمت بالمشروع شركة المانية لها مركزها في تجارة الكاسافا الدولية الآخذة في الاتساع السريع .

* * *

لكن حدث توقف كبير فالحكومة لم تتخذ قرارا بعد ، ولا يحتمل ان تتخذ القرار قبل ان تعرض على البرلمان كافة الخطط الخاصة بتدعيم كوزولو ، وقد يكون ذلك في اواخر العام .

والى ان يتم ذلك لم يتضح بعد من الذى سيملك او يشغل الارض .

و (تايجار اوتس) تعد الآن واحدة من المنظمات الضخمة التى اخذت تدرس مآكاتينى وكوازولو بصفة عامة بهدف الاسهام فى تنمية البلاد على اساس التوكيل الرسمى .

* * *

(د) معونة اسرائيلية للبانتيستان (*) (٢٦)

تستطيع اسرائيل ان تسهم فى تنمية المواطن الافريقية (البانتويستان) هذا ما نشرته (ها ارنس) الصحيفة الاسرائيلية ذات النفوذ - فى مقال خاص .

وبقول مساعد رئيس التحرير - مستر ا. شفاتيزر - ان اسرائيل تستطيع تعليم اهالى المواطن الاساليب الزراعية الحديثة وكيفية التغلب على تفتت التربة .

ولقد نجحت اسرائيل فى الماضى فى مساعدة دول سوداء اخرى . هذا ما كتبه شفاتيزر ، الذى اورد مثال الترانسكى التى ستحصل على استقلالها قريبا والتى يمكن ان تتلقى عوناً كهذا . بل لقد تنبأ بأن روابط اسرائيل بجنوب افريقية سترفع شأنها وسط افريقية السوداء . وهو يقول انه على ضوء العلاقات التى تحسنت فمن المسلم به ان جنوب افريقية ستسمح لاسرائيل بأن تشترك فى مشروعات التنمية .

ويضيف الكاتب ان اسرائيل ترفض انتقاد الاجانب لزيارة مستر فورستر ومستر مولر لاسرائيل ، ذلك ان البلد المستقل يستطيع ان يوجه الدعوة الى اى اشخاص يساء . ومن يريدون ان ينددوا بجنوب افريقية على اسس

اخلاقية يجب ان تكون ايديهم نظيفة اولا . وقليلة هي البلاد التي تستطيع ان تثبت هذا بالنسبة لنفسها وضيوفها .

* * *

(بعد حرب ١٩٧٣ وعزلة اسرائيل في افريقية ازداد تقارب البلدين على نحو سافر (٢٢) ، (٢٣) .

* * *

(٢٢)

التعاون العسكري و « الخطر الاسود » (٢٧)

شهد الشهر الماضى تصعيدا جديدا للروابط بين اسرائيل وجنوب افريقية في الميادين السياسية ، والعسكرية ، والتجارية . ولا يزال البلدان - على الصعيد الرسمى - يهونان من تصوير اهمية العلاقات ، لكر اهمية كل بلد بالنسبة للآخر في كافة المجالات آخذة في التزايد .

وفي مطلع ديسمبر كشفت صحيفة لندنية ان بحرية جنوب افريقية ستشترى صواريخ جبريل من اسرائيل . ولقد تم تطوير هذا الصاروخ في اسرائيل ، وهو صاروخ بحر - بحر ، ومداه حوالى عشرين ميلا ، ولقد اثبت فعالية خلال حرب اكتوبر العام الماضى ، عندما استخدم ضد البحرية السورية ، وفي هجمات على ميناء اللاذقية . وقد اهتمت به الاسلحة البحرية في عدد من الدول الغربية وبالنسبة لجنوب افريقية سيشكل هذا الصاروخ اضافة هامة الى قوتها في مجال الصواريخ . وهذه اول مرة تبرز فيها الى السطح ، ولفترة من الزمن ، ادلة دافعة على الروابط العسكرية بين البلدين ، رغم ان القيادة العليا للقوات المصرية المسلحة اعلنت خلال حرب اكتوبر انها اسقطت نفثة ميراج من جنوب افريقية على جبهة السويس ، وفي مارس من هذا العام اتهم كاوندا ، رئيس زامبيا ، اتهم اسرائيل بانها اوفدت الى جنوب افريقية ضابطا برتبة بييجور جنرال لتدريب قواتها على مواجهة عمليات العصابات والتعرد .

وفي اواخر اغسطس واوائل سبتمبر ذهب ضيفان اسرايلىان هاما الى جنوب افريقية كان احدهما هو الجنرال مير اميت ، وكان فى الماضى الثانى فى القيادة بعد موشى ديان ، ابان ان كان ديان رئيس الاركان عام ١٩٥٣ . اما الضيف الثانى فكان ديان نفسه ويراس اميت الآن (كور) ، وهى الشركة الصناعية التى يملكها الهستادروت ، اتحاد نقابات العمال الاسرائيلية . والفت (كور) شركة مشتركة مع عملاق الصلب الافريقى

(اسكور) لاستيراد وتوزيع الصلب في اسرائيل ، كما اعلنت هذا العام عن صفقة جديدة مع شركة جنوب افريقية (ادكوك انجرام) للاشتراك في تمويل مصنع ضخمة في ايسرلاند ، بجنوب افريقية . وتعد (كور) الآن قاسما مشتركا اعظم في الروابط الاقتصادية المزدهرة التي تربط بين البلدين . ولقد اثارت زيارة اميت تكهات باحتمال عقد صفقة جديدة .

اما ديان ، الذي صحبته زوجته ، فكان بجنوب افريقية ضيفا على مؤسسة جنوب افريقية (وهي مجموعة رجال الأعمال التي تشكلت اساسا لتحسين صورة جنوب افريقية في الخارج ، والساسة الاسرائيليون الذين يذهبون الى جنوب افريقية يكونون عادة ضيوفا على احدى الهيئات الصهيونية في الطائفة اليهودية بجنوب افريقية ، مما يخفى - ولو الى حد ضئيل - الحقيقة المحزنة ، حقيقة وجودهم . غير ان ديان اختار قبول دعوة الاتحاد ، وكانت معظم ايام بقائه تسير وفقا لبرنامج معد . اما زوجته فسبقته الى جنوب افريقية للعلاج في عيادة بجوهانسبرج ولم يتضح تماما لماذا اختار الاتحاد ديان ضيفا عليه . لكن قد يكون في الامر ما هو اكثر من المصادفة حين نرى ان دكتور شلوموبير - وهو اسرائيلي ساعد ديان وبن حوريون على تشكيل حزب رافي في مطلع الستينات - هاجر بعد ذلك الى جنوب افريقية حيث اصبح احد كبار المحركين لرابطة التجارة بين اسرائيل وجنوب افريقية ، وعضوا في لجنة الاتحاد .

وخلال مقام ديان بجنوب افريقية تحدث امام المؤتمر السنوي للاتحاد الصهيوني بجنوب افريقية وقال ديان ان اكبر مشكلة تواجه اسرائيل اليوم لا تتمثل في الميادين العسكرية او الاقتصادية وانما في الحقيقة التالية : ان المهاجرين من اليهود الشرقيين يفوقون في العدد المهاجرين من اصل اوروبي وحث ديان ان يفكر مزيد من يهود جنوب افريقية في الهجرة . وانا نقطة « الخطر الاسود » خمس وترا في قلوب سامية بجنوب افريقية ، وكثيرون منهم مخلصون في تأييدهم لـ « الفصل العنصري » .

* * *

(٢٣)

الرباط الاسرائيلي بجنوب افريقية (٢٨)

ستانلي اويس

كيب تاون . يقوم عدد من كبار العسكريين الاسرائيليين بزيارة جنوب افريقية بصفة منتظمة ليحاضروا ضباط جنوب افريقية في اساليب الحرب الحديثة ، واساليب مواجهة التمرد والعصيان .

ونشكل هذه العلاقة واحدة من العلاقات الهامة المتعددة التي تربط بين اسرائيل وجنوب افريقية في المجالات العسكرية والصناعية .

وثمة مشروعان آخران ، احدهما اشتراك سكك حديد جنوب افريقية - التي تملكها الدولة في مد خط حديدى باسرائيل ، وانشاء مصنع اسرائيلى في جنوب افريقية لازالة ملوحة البحر لأغراض الشرب والرى .

ونؤكد هذان المشروعان على لسان جنرال ميراميت في مطلع هذا الأسبوع بجوهانسبرج . وجدير بالذكر ان اميت كان رئيس المخابرات الاسرائيلية في الماضى وهو الآن مدير صناعات (كور) العملاقة .

وتضم صناعات (كور) ١٥٠ شركة مستقلة ، ٧٥ منها للإنتاج الضخم ، ولها صلة باسكور ، مؤسسة الحديد والصلب بجنوب افريقية التي تملكها الدولة ، وخمس مؤسسات صناعية اخرى في جنوب افريقية .

وقيل لاميت خلال مقابلة انه الى جانب المشروعات الصناعية الضخمة هناك روابط عسكرية طيبة بين اسرائيل وجنوب افريقية ، فكان رده «هناك ما هو اكثر من هذا» .

واشار اميت الى مشروعى السكك الحديدية وازالة الملوحة قائلا « ان دقائق المشروع لا تزال موضع دراسة على اعلى مستوى حكومى وهناك ايضا اعتبارات تتعلق بالامن واعتبارات سياسية ، مما يقتضى عدم اذاعة كافة التفاسيل الآن » .

واماط اميت اللثام عن الآتى : سيتم تشغيل مشروع مشترك بين اسرائيل وجنوب افريقية لصناعة الكيماويات الزراعية ، بما في ذلك المبيدات الحشرية ، وان هذا المشروع سيبدأ في اقليم الكيب العام التالى .

واماط اللثام ايضا عما يلى : يتم الآن بناء خزانات ما في اسرائيل لتخزين البترول وسط ترتيبات امن مشددة ، وان هذا المشروع مشترك . وقد قامت شركة بجنوب افريقية بصنع خزانات البترول التي يتم جمعها في اسرائيل .

ووفقا لنبا من لندن اهديت احدى الجامعات الاسرائيلية مجموعة من الكتب القيمة عن بترول جنوب افريقية قيمتها ٢٣ مليون دولار على شريطة ان تنشئ الجامعة قسما يتخصص في تطوير العلاقات التاريخية ، والثقافية والسياسية بين الاسرائيليين والافريكانيين .

هذا وقد قام دكتور دانييل مالان ، رئيس الوزراء الافريكاني السابق، بزيارة اسرائيل بعد ان تقلدت الحكومة الوطنية الحالية مقاليد السلطة . وكثيرا ما اكد الافريكانيون تشابههم للاسرائيليين متحدثين عن التماثل بين اسرائيل وجنوب افريقية كأمم صغيرة تناضل من اجل البقاء وسط جيران معادين .



(ابدت الاقلية البيضاء بجنوب افريقية ، وزعامتها ، تعاطفا كبيرا تجاه المتل الصهيوني الاعلى والنشاط الصهيوني في مجال الاستيطان ، واعتبرت ذلك تعبيرا مشروعا عن « الأمة اليهودية » في فلسطين ، مشابها تماما لجهودهم الرامية الى تحقيق « امة بيضاء » في افريقية . وعندما صدر قرار الأمم المتحدة الذي يندد بالصهيونية كشكل من اشكال العنصرية رأوا في ذلك فرصة لتأكيد نفس النقطة) .

« ملاحظات الجزء الثاني »

1. South African Jewry 1969 Ged. Leon Feldperj, Tohannesburj, 1965. pp. 141 — 153.
2. South African Jewry 1965, pp. 51—59.
3. Herzi year Book, Voll, السجل الصهيوني ١ مايو ١٩٥٩
4. Edited by Raphael pata, with a preface by Emanuel Neumann (Herzl Bess, New York).
- من وايزمان الى صمتس ٢٦ فبراير ١٩٤٣ .
5. Zionsit Record, May 22, 1959.
6. The Judean, September, 1953, P. 32.
7. Jewish Chronicle, September 2, 1960.
8. Jewish Affairs, May 1960 PP. 42 — 46.
9. Jewish Affairs, May 1961, pp. 2 — 3.
10. Jewish Affairs. November 1961, PP; 15—18.
11. Jewish Affairs, September 1966, PP. 465.
12. Jewish Affairs, june 1967, PP. 12 — 17.
13. Jewish Affairs, November 1967, PP. 7—9.
14. Jewish Affairs. January 1968, pp. 6—7.
15. Jewish Affairs, November 1970, PP. 6—7.
16. كريستيان سانيس مونيتور ٦ يناير ١٩٧١

17. نيوزويك ، ٨ مايو ١٩٧٢
18. Contrast"
91. ٢٠ اكتوبر ١٩٧٧
20. South African Digest. نيويورك تايمز ٨٢ ابريل ١٩٧١
- الاسبوع المنتهى فى ١٩ اكتوبر ١٩٧٣
21. Africa News, Volum eI, Number 39, Thursday, November 8, 1973.
22. Tewish Affoits, November 1973, PP. 14—15.
23. The South African Bantustan Bogramme: Its Domestie and Interna-
tional in Plications. Xprinted from Cobjective Justic) Vol. 8, No. 1,
Spring 1976(PP. 9—10.
24. South African Digest, September 15, 1974.
25. South Arrica Finnuncial Gozette, May 17, 1974.
26. South African Digest, April 30, 1976.
27. Third Wold Reports, Vol. 5, No. 7, September 1974.
28. نيويورك بوست ، ١٤ يولية ١٩٧٥ .

* * *

قرار الأمم المتحدة المناهض للصهيونية

(أ) ازمة الأمم المتحدة (١) :

انتهت عشرات السنوات من التساهل والضعف في الأمم المتحدة ، بالوصول الى لحظة الحقيقة الحتمية .

فقرار الجمعية العامة الصادر بأغلبية الأصوات وينص على وصف الصهيونية - رأى القومية اليهودية - بالعنصرية ، يعرض المنظمة الدولية للخطر .

وقد نجح أعداء اسرائيل العرب في رفع مناهضتهم للسامية الى مستوى « الراى العام العالمى » . وبالمثل وهم مضطهدو جنوب افريقية ، أهدافنا المثالية للمحافظة على بقاء دولة بيضاء حرة في افريقية ، بالشر المتناهى وذلك على المستوى الدولى .

وأصبحت الكرة الآن في يد الدول الغربية ، التى لابد أن توازن الآن بين خوفها من الانتقام العربى وبين الضمير والأخلاق . وكانت الولايات المتحدة بالذات هى التى اتاحت إمكانية القيام بشئ أكثر من مجرد الاحتجاج الشفوى .

وجدير بالذكر أن المتنبئين من جنوب أفريقيا منذ أيام الجنرال سمطس، لم يكفوا أبدا عن التحذير من أن الأمم المتحدة بأجرائها غير الشرعى ضدنا ، إنما تضع قبلة زمنية في جوفها ، إذ أن العادات أصبحت الآن تنحول الى عرف . وقد انفجرت القبلة بالفعل . ومن الواضح أن هذا يعتبر بداية لفصل جديد في تاريخ الأمم المتحدة . وربما أصبح أيضا الفصل الأخير .

(ب) الأمم المتحدة والصهيونية (٢) :

لا يستطيع أحد أن يلوم جنوب أفريقيا إذا ما نظرت بشئ من الابتهاج الخبيث الى رد الفعل العنيف ازاء قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بمساواة الصهيونية بالعنصرية .

لقد ظلت جمهورية جنوب أفريقيا طوال سنوات عديدة مجرد صوت يتردد في الفضاء وأن ما تردده من أن مهاجمة الشيوعيين والعالم الثالث لسياسة جنوب أفريقيا العنصرية بتأييد العناصر الغربية اليسارية والليبرالية

قد يؤدي الى انهيار الهيئة العالمية هذا الذي تردده لم يحظا على اذن صاغية .

غير ان جنوب افريقيا لا تسعى لتبرير سياستها عن طريق النقد السلبي لاسرائيل وكل ما تأمل فيه هو ان يدرك الغرب في نهاية الامر ان الخطوة الاولى في الطريق نحو تدمير الذات تعقبها حتما خطوة ثانية ، ويتم بلوغ نهاية الطريق بأسرع مما يتوقع المرء .

(ج) العنصرية (٣) :

اذا نظر المرء الى السيل المتدفق من ردود الفعل الغاضبة على آخر قرارات الامم المتحدة الا وهو وصم الصهيونية بأنها نوع من العنصرية ، نكان عليه ان يدرك مدى اهمية تعليقات كبار المسؤولين في الهيئة العالمية . وكان رد فعل د . فالدهايم موجزا ومباشرا : ان الامم المتحدة في وضع حرج . اما تعليق مستر جاستون تورن ، رئيس الجمعية العامة ، فهو ان المتطرفين قد ذهبوا الى ابعد مما يجب في هذه المرة .

وقد شعر المراقبون منذ فترة ، ان الامم المتحدة قد فقدت هدفها الحقيقي كأداة لحل الخلافات بين الدول وتدعيم المصالح المشتركة . غير انها أصبحت في المجال السياسي - وفقا لأقوال السفير الأمريكي - مجرد الاداة التي تستغلها الاغلبية التي تتضمنها الهيئة العالمية من الدكتاتوريات المستبدة في املاء ارادتها على باقى العالم .

وكانت افريقيا هي الدولة التي تحملت على مر السنين هذا العبء . ونظرا لأن جمهورية جنوب افريقيا لم تكن قادرة على ممارسة اى نفوذ دولي ذي مغزى ، فانه حتى الدول الغربية الصديقة اضطرت للسكوت على تحريف ميثاق الامم المتحدة حتى يمكن اساءة تفسير سياسات جنوب افريقيا ولم تقرر اللجنة السياسية الا مؤخرا عدم الاعتراف باستقلال الاوطان وعلان عدم شرعية حكومة جنوب افريقيا .

وكانت العصا الملائمة لضرب جنوب افريقيا ، هي اتهامها بالعنصرية وكان هذا اعتقادا عاطفيا جعل التفكير السليم وقبول الحقائق الفعلية امرا لا داعى له وجعل النقاد يحصلون على التعاطف التلقائى الذى يسعون للحصول عليه . وكان من الطبيعى ان تقوم محاولة لضرب اسرائيل - وهى هدف آخر في صراع القوة مع الغرب - بنفس الاسلوب الذى ثبت نجاحه . ولكنهم في هذه المرة بالغوا في اعمالهم . فان مهاجمة الصهيونية يعتبر امرا لا يمكن ان تقبله اى دولة غربية . وهذا هو السبب في ان الحديث

يتردد الآن عن وصول الأمم المتحدة الى نقطة تحول ، بينما كان هناك من يتحدث في الكونجرس الأمريكى عن انتهاء عضوية أمريكا .

وينطوى هذا الوضع على بعض المزايا بالنسبة لجنوب افريقيا . برنامج عمل الأمم المتحدة ضد العنصرية قد تم فضحه الآن ، على أنه لا يزيد عن كونه حملة سياسية لا علاقة لها بالعنصرية وان الغرب لم يعد يؤيده . بيد أن احتمالات التفكك بالنسبة للأمم المتحدة لم تكن واقعية فى أى وقت مضى كما هى الآن .

(د) استعداد العجلة للدوران (٤) :

من المحتمل أن يكون بدء التحرك الذى طالما تأقت له جنوب افريقيا من جانب أعضاء الأمم المتحدة الاذكياء والذين يشعرون بالقلق ، قد بدأ يتحقق بالفعل بموقف هؤلاء الأعضاء ضد حملة مناهضة السامية التى تشنها الاغلبية . وعندما تنضم الدول الاسكندنافية وكندا ونيوزيلندا الى الولايات المتحدة وبريطانيا والدول الأوربية فى التصويت ضد القرارات التى تصف جنوب افريقيا بالعنصرية ، يبدو عندئذ ان العجلة تستعد للدوران . وكما يتضح من التصويت فى الجمعية العامة نرى الشقاق حول الصهيونية ، يجتاح افريقيا السوداء كلها .

ويبدو ايضا ان هناك شكوكا متزايدة حول مدى صدق اهداف الدول المناهضة للفصل العنصرى ، والتى ذهبت الآن الى حد وصف الصهيونية بالعنصرية . ومن المنطقى ان ينظر أعضاء الأمم المتحدة الذين خاب املمهم ، الى اوجه التشابه والفرق بين الصهيونية ، التى لا يرغبون فى أن يمسها احد ، وبين التنمية المنفصلة ، التى نددوا بها هم انفسهم لمدة سنوات طويلة الى درجة انهم وصفوها مع الآخرين ، بالعنصرية الملونة .

عندئذ سيجدون أن هناك قدرا من التشابه أكبر من الاختلاف . فان الصهيونية تقوم أساسا أيضا على الحق فى الحصول على اقليم تقيم عليه وطنا قوميا لها ، والحصول على دولة مستقلة . وقد تم اقامة مثل هذا الوطن لليهود بمباركة الأمم المتحدة . ويريد العرب وغيرهم الآن تدمير هذه الدولة وهم يستخدمون نفس الأمم المتحدة لتحقيق اهدافهم وقد تمتعت جنوب افريقيا ، بصفتها عضوا مؤسسا ، بالعضوية الكاملة فى الأمم المتحدة ويريد الشيوعيون وغيرهم تدميرها كما يريدون استغلال الأمم المتحدة لتحقيق هذا الهدف .

وبالنسبة لقضية جنوب افريقيا ، تغاضى الغرب عن عمليات التدخل فى الشؤون الداخلية لتلك الدولة ، خروجاً على ميثاق الأمم المتحدة ، لأن

الغرب كان يريد الاحتفاظ برضاء العالم الثالث ، يتكلم عن العنصرية في جنوب افريقيا . وعندما تم تأكيد سابقة التدخل ، بدىء في التصدى للهدف التالي ، الا وهو اسرائيل ، والآن أصبح بإمكان عدد كبير من أعضاء الأمم المتحدة ان يروا انى اين ينقادون .

ومما يبعث على الأمل انهم سيدركون الآن ان الحملة ضد جنوب افريقيا ليست موجهة ضد اقامة وطن منفصل للبيض فحسب ، بل انها موجهة أيضا ضد قيام دول مستقلة منفردة للسود اى ان الامر الذى يضايق الأغلبية في الأمم المتحدة ليس هو العنصرية في جنوب افريقيا ، بل ان اكثر مشرى الشغب نفوذا بينهم يريدون انتزاع جنوب افريقيا من الغرب واثارة الفوضى والصداخ الداخلى هنا ، كما هو الحال في أنجولا ، حتى يمكن استغلال ثروة هذا الاقليم وموقعه الاستراتيجى في المعركة العالمية ضد الغرب الحر .

كانت صحافة جنوب افريقيا ترى ان الموافقة على اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في مناقشات مجلس الأمن ، مع معاملتها معاملة الدولة الكاملة العضوية ، بمثابة سابقة خطيرة للغاية . وقد أجرت صحيفة « ذى ميزند » مقارنة بين منظمة التحرير الفلسطينية ورجال العصابات وحركات التحرير في جنوب افريقيا .

* * *

(٢٥) مجلس الامن يسمح بانضمام

منظمة التحرير الفلسطينية

(١) استرضاء (٥)

تفكر الدول الغربية من جهة في اتخاذ عمل مشترك ضد الارهاب المتمثل في الاختطاف والهجوم بالقنابل واختطاف الطائرات الذى هز العالم في سنة ١٩٧٥ . ومن جهة اخرى يستمر في حماس ترضية الارهابيين ، او على الاقل ترضية اخوانهم الروحيين .

فقد سمح لمنظمة تحرير فلسطين اثناء مناقشة مجلس الأمن لمستقبل الشرق الأوسط ، بالاشتراك في المناقشات . والوصف الادق لهذه المنظمة هو « المنظمة الارهابية » . فان كثيرا من الجرائم البشعة التى ارتكبت سنة ١٩٧٥ كانت من أعمال الجماعات الارهابية الفلسطينية التى تعتبر منظمة التحرير بمثابة الهيئة المنظمة لها .

وآخر مثال على محاولات الترضية هذه هو تأجيل اجتماع لليونسكو
(منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة) في باريس لتجنب حدوث
مواجهة متوقعة حول قرار الجمعية العامة الذى سوى بين الصهيونية
والعنصرية وهذا يحدث فيما يفترض أنها منظمة غير سياسية .

ومن الواضح أن نية الكف عن استرضاء الارهابيين وأولئك الذين
يساندونهم ليس من بين أقوى نوايا العام الجديد عند الدول الغربية .

(ب) سابقة خطيرة للغاية (١)

فقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة مؤخراً كثيراً من التقدير العالمى
لها نتيجة للتصرف غير المسئول من جانب الدول النامية والذى يعتبر
انتهاكا للمواثيق وتقاليدها . وأصبح مجلس الأمن ، وهو أهم هيئات المنظمة
العالمية معرضاً الآن لنفس الخطر . ومن الممكن أن يؤدي سير ونتائج مناقشة
مسألة الشرق الأوسط التى استغرقت عشرة ايام والتى تعتبر اخطر برمبل
بارود فى العالم ، الى اصابة مجلس الأمن بأضرار بالغة لا يمكن اصلاحها .

وقد توالى الأخطاء . وكان الخطأ الأول هو استقبال ياسر عرفات ،
زعيم منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٧٤ فى الأمم المتحدة وكأنه بطل ،
بل لقد سمح له حتى بتوجيه كلمة فى الجمعية العامة . ومن الواضح أن
أعضاء حركة ارهابية أقسمت على تدمير اسرائيل - وهى دولة تتمتع
باعتراف الأمم المتحدة الكامل - كل هذا التقدير والمكانة ، يعتبر عملاً
عدوانياً بالنسبة لاسرائيل .

وتزايد الاضطهاد العربى لاسرائيل داخل الأمم المتحدة . ولم تسفر
المحاولات التى بذلت لطرد اسرائيل من المنظمة الدولية عن الشيء الكثير ،
ولكنها طردت من بعض المنظمات مثل اليونسكو ومنظمة العمل الدولية .
وبلغ الأمر ذروته فى نوفمبر من العام الماضى عندما قررت الجمعية العامة
أن الصهيونية مساوية للعنصرية . وقد رفضت اسرائيل والدول الغربية
هذه المقارنة فى سخريه دفعت باسحاق رابين رئيس وزراء اسرائيل الثائر ،
الى اعلان أن هذا القرار جرد الأمم المتحدة من كل سلطة معنوية وسياسية

وبالرغم من المعارضة القوية من جانب اسرائيل والولايات المتحدة ،
وتوصل مجلس الأمن ، ازاء اصرار سفير روسيا لدى الأمم المتحدة ، الى
تفاهم « يؤدي الى السماح لممثل منظمة التحرير الفلسطينية بحضور
الجلسة الخاصة بالشرق الأوسط . واعلنت اسرائيل فوراً انها ستقاطع
الاجتماع .

وفي يوم الاثنين ، وهو اليوم الأول للمناقشة ، صوتت الولايات المتحدة بمفردها ضد اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية . وامتنعت عن التصويت ثلاث دول غربية أخرى هي بريطانيا وفرنسا وإيطاليا . وقد ندد مستر ايفور ريتشارد ، السفير البريطاني ، بشدة ، بكلمة القاها السفير الروسي . ولكنه قال انه لا يريد أن يصوت على مسألة اجرائية بحتة .

واذا كان مجلس الأمن يريد القضاء على سلطته وعلى التقدير الذي يتمتع به فان عليه أن يستمر في تجاهل الكلمات الحكيمة كتلك التي أدلى بها مستر دانيال مونيهان . فقد حذر من ان الاعتراف بحركة التحرير الفلسطينية ، التي لا تمثل دولة ، قد يؤدي الى ضرورة ترحيب الأمم المتحدة فيما بعد بحركات المقاومة من « نصف دول العالم » .

وهذه السابقة تحمل في طياتها مخاطر تكاد تهدد كل الدول التي تعاملت مع جماعات المقاومة والارهاب ، أو التي ما زالت تتعامل معها .

(ج) سلاح ذو حدين (٧)

وقع حدثان خلال الأيام القليلة الماضية يبينان مدى قدرة الناس على نصب الفخاخ التي قد توقع بهم الكوارث .

ففي أوائل هذا الاسبوع حصلت منظمة التحرير الفلسطينية على حق حضور مناقشة بمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة - مع مساواتها في المعاملة من حيث المكانة والسلطة بالعضو الكامل - وذلك بموافقة ١١ صوتاً في مقابل صوت واحد . وكانت الدولة المعارضة الوحيدة (حيث قاطعت اسرائيل الجلسة) هي الولايات المتحدة .

غير أن ثلاث دول أعضاء ، هي بريطانيا وفرنسا وإيطاليا ، امتنعت عن التصويت الأمر الذي يعتبر بمثابة موافقة ضمنية على هذا التشويه المتحيز والصارخ لاجراءات الأمم المتحدة وبذلك تكون هذه الدول قد وافقت ضمناً على الاعتراف بجماعة تتناقض سياستها الارهابية كلية مع الأهداف المحدودة للأمم المتحدة .

(ربما لم يكن من المستغرب أن يحاط مبنى الأمم المتحدة في نيويورك في هذه اللحظة بحراسة مشددة لمنع تكرار حوادث القنابل الارهابية التي وقعت في أوائل هذا الاسبوع) .

واليوم نشر نبأ قيام حزب العمال الحاكم في بريطانيا بدفع مبالغ من المال « للفدائيين وحركات التحرير » في جنوب افريقيا . وبطبيعة الحال

ان هذا يعد وفاء لتعهد سابق من جانب مستر ويلسون ، رئيس الوزراء .
وتعتبر المنظمة الشعبية لجنوب غربى افريقيا (سوابو) وحركات التحرير
فى روديسيا هما المنظمتان المستفيدتان من هذه الأموال .

ولا يمكن التنبيد بدرجة كافية من القوة بالاضرار التى تنطوى عليها
هذه المبالغ مهما كانت ضآلتها . فان المفاوضات تجرى الآن فى كل من
روديسيا وجنوب غرب افريقيا حول التوصل الى حل دستورى لا ينطوى
على استخدام العنف لمشاكلهما كل على حدة .

وليس هناك شىء يمكن أن يقوض هذه المفاوضات وأن يشجع على
تحقيق الحل البديل الذى يتمثل فى استخدام العنف أكثر من ايماءة حزب
العمال .

وجدير بالذكر ان المملكة المتحدة قد خسرت بالفعل ما يزيد على ١٤
ألف رجل وامرأة وطفل خلال الست السنوات الماضية على يد الارهاب فى
شمال ايرلندا .

فكم عدد مئات الارواح الأخرى المطلوب دفعها ثمننا لادراك حقيقة ان
الارهاب امر لا يمكن تجزئته ؟

* * *

زيارة رئيس الوزراء فورستر

لاسرائيل فى ابريل سنة ١٩٧٦

(١) زيارة تلقى ترحيبا واسعا (٨)

استقبل مستر ب.ج. فورستر ، رئيس وزراء جنوب افريقيا ،
استقبالا رسميا حافلا هذا الاسبوع عندما هبطت طائرته ، التابعة لشركة
العال ، بمطار بن جوريون القريب من القدس .

وقد تم اضطحابه من باب الطائرة الى ساحة المطار حيث كان فى انتظاره
مستر اسحاق رابين ، رئيس وزراء اسرائيل مضيفه خلال زيارته التى
تستغرق ٤ أيام ، وكذلك مسز رابين والشخصيات الهامة الأخرى ، التى
كانت تنتظره للترحيب به .

وقد اصطحب مستر فورستر معه ، مسز فورستر ، ووزير الخارجية
الدكتور هيلجارد مولر ، ومسز مولر ، ومستر براند فوري ، سكرتير
الخارجية وقد رافقه أيضا فى رحلته وفد صحفى يضم ١٢ صحفيا من
جنوب افريقيا .

وقد بدأ رئيس وزراء جنوب افريقيا اليوم الأول من زيارته لاسرائيل ،
بزيارة الاماكن المقدسة بالبلاد . ووضع اكليل من الزهور على نصب
« يادفاشيم » التذكارى .

ثم أجرى مستر فورستر بعد ذلك محادثات مع مستر رابين وبعض
وزرائه . وتضمنت المحادثات غداء عمل حضره مستر بيجال آلون ، وزير
خارجية اسرائيل ، ود . مولر ، ومستر فورى . كما قام بزيارة ودية
للبروفيسور افرايم كاتزير ، رئيس اسرائيل وفي المساء استضافه مستر
يتدى كولىك ، عمدة القدس .

وقد أجرى خلال أربعة أيام مشحونة ، اتصالات شخصية مع كثير من
الشخصيات الاسرائيلية الهامة فى جميع أنحاء البلاد .

وقد نشرت الصحف الاسرائيلية الرئيسية الثلاث ، مقالات افتتاحية
ترحب بزيارة مستر فورستر . ونشرت احداها تعليقا تحت عنوان « زيارة
على الرحب والسعة » . وقالت صحيفة جيروساليم بوست ، واسسعة
الانتشار ، فى تعليقها « لقد اثبت انه تلك الشخصية النادرة الوجود - اى
الزعيم السياسى الذى علم نفسه كيف يواجه الحاجة لاعادة تخطيط سياسة
بلاد العنصرية والخارجية استجابة للحقيقة المتغيرة » .

ويعتبر مستر فورستر ، ثانى رئيس وزراء من جنوب افريقيا يقوم
بزيارة لاسرائيل . فقد زارها سنة ١٩٥٣ المرحوم الدكتور ف.مالان -
وكان أول رئيس وزراء أجنبى يزور اسرائيل منذ انشائها سنة ١٩٤٨ .
هذا ، ويشترك البلدان فى عدد من المشروعات المشتركة كما يتم توسيع
حجم التبادل بينهما . وقد تم رفع مستوى العلاقات الدبلوماسية بين
البلدين الى مستوى السفارة ابتداء من يناير الماضى .

وقد قام مستر فورستر منذ سنة ١٩٧٠ بزيارة عشر دول اخرى فى
افريقيا واوروبا وامريكا الجنوبية ، وتقوم سياسته على اساس تطوير
العلاقات لتصبح طبيعية بين جنوب افريقيا وجميع الدول غير الشيوعية
والمعادية للشيوعية .

وقد كتب اورماند بولك يقول ان مستر فورستر ومستر رابين ، رئيسى
وزراء جنوب افريقيا واسرائيل ، قد اكدا تمسكهما بالعمل من أجل اقرار
السلام فى منطقتيهما .

وقد ورد هذا التأكيد فى الكلمة التى القاها كل من الزعيمين فى المائدة
التي اقيمت فى القدس عشية مفادرة رئيس وزراء جنوب افريقيا لاسرائيل
بعد انتهاء زيارته الناجحة التى نزل خلالها على مستر رابين .

وقد حضر المأدبة حوالى نصف أعضاء مجلس الوزراء الاسرائيلى . وقال مستر رايبين فى كلمته ان مواطنى جنوب افريقيا يستطيعون فهم المغزى التاريخى والروحانى لنضال اسرائيل من أجل الاستقلال . غير ان اسرائيل لم تكسب بعد معركة السلام ، ولن تستسلم اسرائيل ابدا .

وقال مستر فورستر ردا على هذه الكلمة : « ان السلام هو ما نسعى جميعا الى تحقيقه . . لقد كرست نفسى للعمل من أجل السلام فى افريقيا . وربما حدثت بعض النكسات المؤقتة ولكننى واثق من ان الذين يسعون لتحقيق السلام سيبدلون فى نهاية الامر اقصى الجهود فى سبيل الوصول لهذا الهدف » .

وأشار مستر رايبين بتبرعات يهود جنوب افريقيا لاسرائيل وقال ان اسرائيل كانت تحظى دائما منذ عهد الجنرال سمطس (وهو رئيس وزراء سابق) بتعاطف جنوب افريقيا ازاء عودة الشعب الاسرائيلى الى ارض صهيون .

(ب) مد الايدى عبر افريقيا (١)

اعلن مستر فورستر ، رئيس الوزراء ، فى الاسبوع الماضى نبأ ابرام اتفاق اقتصادى وعلمى وصناعى مع اسرائيل عن طريق انشاء لجنة مشتركة بين البلدين على مستوى مجلس الوزراء .

وعال مستر فورستر ضيف اسحاق رايبين ، رئيس وزراء اسرائيل ، فى المؤتمر الصحفى الذى عقده بالقدس فى نهاية زيارته التى استغرقت اربعة ايام لاسرائيل والذى اعلن فيه هذا النبأ قال : « لقد قررنا انشاء لجنة وزارية مشتركة تضم وزراء جنوب افريقيا واسرائيل . »

واضاف ان اللجنة ستجتمع مرة على الاقل سنويا لاجراء استعراض شامل للعلاقات الاقتصادية بين البلدين ولمناقشة اساليب ووسائل توسيع النطاق الاقتصادى وحجم التبادل التجارى .

وسيتم تشكيل مجموعة ارشادية لتنظيم تبادل المعلومات والآراء . وأعلن ان من بين أهداف اللجنة السعى لتوسيع نطاق الاستثمار وتنمية التبادل التجارى والتعاون العلمى والصناعى وانشاء مشروعات مشتركة تستغل المواد الخام من جنوب افريقيا والايدى العاملة الاسرائيلية .

ويقول سابا ان القدس تعتبر تشكيل اللجنة على المستوى الوزارى لتدعيم الروابط بين البلدين بمثابة توثيق للزيارة التى تعد ناجحة من جميع النواحي .

ويضيف سابا ان صادرات جنوب افريقيا من الحديد والصلب الى اسرائيل تتزايد بسرعة . فقد زادت هذه الصادرات من ٣٠ ألف طن سنة ١٩٧٣ الى ما يقدر بـ ١٧٠ ألف طن ، وتنوي اسرائيل زيادتها الى ٢٠٠ ألف طن سنويا .

هذا ويتم أيضا تدعيم الروابط الصناعية بين البلدين . فان سكة حديد جنوب افريقيا تساهم بعدة ملايين راند في سكة حديد اسرائيل ، بينما تقوم اسرائيل ببناء مشروع لازالة الملوحة من مياه البحر في جنوب افريقيا . وقد أدت حملة التصدير الاسرائيلية الى وصول أول شحنة من موالح يافا الى مدينة الكاب في فبراير من العالم الحالى .

وصرح مندوب تصدير الموالح الاسرائيلية في ذلك الوقت ان هذه الفاكهة ستعزز المعروض من الفواكه محليا وتساعد على تدعيم العلاقات التجارية القائمة بين جنوب افريقيا واسرائيل .

(ج) فورستر يزور جنوب سيناء (١٠) :

مسادا ، اسرائيل ، في ١٠ ابريل (ي.ب.١) - قام اليوم مستر جون فورمستر رئيس وزراء جنوب افريقيا ، بجولة في قلعة « المسادا » الجبلية، حيث صعد بالتليفريك والسلالم الخشبية الى آخر المعقل اليهودية ابان الثورة ضد حكم الرومان في الفترة من ٦٦ : ٧٣ بعد الميلاد .

وكان مستر فورستر قد زار في وقت سابق من نفس اليوم الطرف الجنوبي لصحراء سيناء المحتلة وصرح بان هذه المنطقة لها أهمية استراتيجية بالنسبة لاسرائيل . وجسدير بالذكر انه قام بالجمع بين الجولات السياحية والمحادثات الرسمية وذلك اثناء زيارته التي استغرقت أربعة أيام لاسرائيل وقد قام بجولة في مدينة أوفير عند شرم الشيخ وقاعدة بحرية قريبة تحمي مضيق تيران .

وأعلنت اذاعة اسرائيل « ان فورستر ابلغ الصحفيين ان العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل لم تكن على هذه الدرجة من المتانة في أى وقت مضى . وقال انه لا يعتقد ان هذا سيؤثر على علاقات جنوب افريقيا بالعرب الذين يمدونها بالبتروول » .

(د) زيارة فورستر لاسرائيل تثير النقد (١١)

بقلم تيرانس سميث

القدس في ١٧ ابريل - اسفرت زيارة مستر جون فورستر ، رئيس وزراء جنوب افريقيا ، هذا الاسبوع لاسرائيل عن سسيل من العناوين

الرئيسية ، وأربعة أيام من الخطاب حول العلاقات بين إسرائيل وجنوب أفريقيا ، كما أسفرت في نهاية الزيارة عن معاهدة جديدة للتعاون الاقتصادي الشامل .

غير ان الزيارة اثارت أيضا بعض التساؤلات ، سواء كان ذلك بين الاسرائيليين أو في الخارج ، حول حكمة وجدوى هذه العلاقة الأخيرة في النمو بسرعة بين القدس وبريتوريا . وقد تعرضت للنقد في الداخل على أسس معنوية وعملية ، أما في الخارج فقد تعرضت الزيارة للنقد من جانب الدول الغربية الصديقة مثل هولندا ، التي أعربت رسميا عن قلقها ازاء هذه الزيارة .

ووفقا للمصادر الدبلوماسية ، نصحت الحكومة الهولندية الحكومة الاسرائيلية بأن الزيارة ستعقد من الجهود التي يبذلها اصدقاء اسرائيل في الخارج لاقتناع العالم بعدم وجود أى صلة بين الصهيونية والعنصرية .

وكما كان متوقعا ، تعرضت الزيارة لهجوم من جانب منظمة الدول الافريقية ومتحدث باسم الجامعة العربية بالقاهرة . وقد تردد مدى هذا النقد في تعليق صحيفة برافدا لسان حال الحزب السوفييتي ، حيث نددت الصحيفة بالتحالف « الصهيوني العنصري ضد حركات التحرير العربية والافريقية » .

وبالرغم من ردود الفعل السلبية يبدو ان المسؤولين الاسرائيليين راضون الى حد بعيد عن الزيارة والعلاقات المتطورة بين البلدين التي تنص عليها المعاهدة الجديدة ومن المتوقع أن تسفر الاتفاقية عن توسع مباشر في حجم التجارة المتبادلة واستغلال المواد الخام لجنوب افريقيا والأيدى العاملة الاسرائيلية الماهرة ، في مشروعات مشتركة وزيادة تقدم العلاقات العلمية والودية فعلا .

وربما تضمنت نتائج الزيارة زيادة كبيرة في مجال امداد الأسلحة وذلك بالرغم من أن حكومتى البلدين انكرتا ان هذا تم بحثه . وترددت أنباء ملحة تفيد أن جنوب افريقيا مستعدة لتمويل عملية توسيع امكانيات اسرائيل في مجال انتاج الأسلحة وانها مهتمة بشراء المقاتلة النفاثة من طراز كفير التي تنتجها اسرائيل .

وقد وصف مستر فورستر مثل هذه الأنباء بأنها « هراء تام » ، غير ان زيارته المطولة لمصنع كفير ساعدت على زيادة التكهّنات بأن ثمة حقيقة هامة تلوح في الأفق .

وقد ترددت تكهنات أيضا - وتم نفيها أيضا - بأن جنوب افريقيا وافقت على تزويد اسرائيل باليورانيوم كجزء من اتفاق التبادل التجاري .

ومهما كانت التفاصيل الفعلية للاتفاقية ، فان الزيارة أبرزت العلاقة النامية بين هاتين الدولتين اللتين تجدان نفسيهما في عزلة دبلوماسية وقد أحاطتهما دول معادية . وتقوم هذه العلاقة على أساس التشابه في وضعيهما والاعتبارات الاقتصادية والعسكرية والسياسية العملية على السواء .

وترجع العلاقة الرسمية بين البلدين الى سنة ١٩٤٨ ، عندما كانت جنوب افريقيا من أوائل الدول التي اعترفت باستقلال اسرائيل . غير ان العلاقة استمرت فترة طوال الخمسينيات والستينيات ، عندما هاجمت اسرائيل بعنف العزل العنصرى ، وأقامت حملات وثيقة بدول افريقيا السوداء .

ولكن كل هذا تغير بعد الحرب سنة ١٩٧٣ . اذ قطعت جميع الدول الافريقية باستثناء ثلاث دول - وهي ملاوى وسوازيلاند وليسوتو - علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل وبدأت في التصويت ضدها في الأمم المتحدة . وأصبحت جنوب افريقيا هي المؤيد الوحيد في القارة ، وواحدة من الحكومات القليلة التي لا تطالب بانسحابها من الاراضى العربية المحتلة .

وفي الوقت نفسه ، قدمت اسرائيل خدمة عملية لجنوب افريقيا . اذ فتحت لسلعها سوقا لا يؤمن بالتمييز كما ساعدت أحيانا على اخفاء علامة جنوب افريقيا فمثلا لا يتم شحن المنسوجات المنتجة في جنوب افريقيا والمخصصة للتوزيع في دول افريقيا السوداء ، الى اسرائيل حيث يتم تكميلها ثم تسوق وهي تحمل علامة « صنع في اسرائيل » .

(هـ) جبل الزيتون وشرم الشيخ :

رابين يشيد بمساعي جنوب افريقيا من اجل الوفاق (١٢)

اشاد رابين ، رئيس وزراء اسرائيل ، في حفل العشاء الذي اقامه مساء الاحد بالقدس تكريما لرئيس وزراء جنوب افريقيا ، جون فورستر ، الذي يزور اسرائيل حاليا ، بجهود بريتوريا من اجل الوفاق الافريقى والتعايش المثمر بدون تدخل .

وبعد الحديث عن « تأييد جنوب افريقيا الطويل لاسرائيل بصفقتها دولة يهودية حرة ومستقلة ، قال رابين : « انى اعتقد ان بلدنا يشترك في مشكلة كيفية اقامة حوار اقليمى واستقرار وتعايش سلمى في مواجهة عدم الاستقرار والتهور الناتج عن الايحاء الخارجى » .

واستطرد يقول في كلمته الموجهة الى المستر فورستر : « وهذا هو السبب الذى جعلنا نتابع هنا بشعور من التعاطف ، جهودكم التاريخية من اجل تحقيق الوفاق فى قارتكم وبناء الجسور نحو مستقبل آمن وافضل ، وتحقيق التعايش السلمى الذى من شأنه ان يضمن سيادة جسو من التعاون من اجل رفاهية جميع الشعوب الافريقية بدون تدخل او تهديد خارجى » .

وكان المسئولون فى القدس ، قد نفوا قبل هذا ، ان فورستر جاء لشراء اسلحة او لاقامة « حلف مناهض للشيوعيين » . وكانت بعض الاتباء الصحفية الواردة من بريتوريا قد تضمنت ، تكهنات بهذا المعنى .

وقد اعلن مستر فورستر بنفسه يوم الجمعة على الصحفيين ان اى كلام عن قرب عقد صفقة اسلحة يعتبر « هراء تاما » . وصرح اسحق اونا سفير اسرائيل لدى بريتوريا ، والموجود هنا لفترة الزيارة ، فى حديث ادلى به الى مراسل اذاعى ، ان احتياجات اسرائيل وجنوب افريقيا تختلف تماما .

وقال مستر اونا ان الزيارة ليس لها « هدف سياسى محدد » . وانها تعتبر رمزا لتطور العلاقات بين البلدين . واثار السفير الى ان جنوب افريقيا تعتبر واحدة من الدول التى لم تول ظهرا لاسرائيل بعد حرب « يوم كيبور » ، وان العلاقات بينهما اصبحت طبيعية بعد ان رفعا مستوى التمثيل بينهما فى اعقاب الحرب الى مستوى السفارة .

وقال ان مواطنى جنوب افريقيا يعتبرون اسرائيل بمثابة القلعة الامامية فى وجه التوسع السوفيتى . و اضاف مستر اونا ان توجيه الدعوة لمستر فورستر لا يعنى باى حال الموافقة على نظام الفصل العنصرى المتبع فى جنوب افريقيا . وتحتفظ اسرائيل بعلاقات طبيعية مع كثير من الدول التى لاتوافق على نظمها الداخلية - والعكس بالعكس .

وقد نقلت اذاعة اسرائيل تعليقا للمستر فورستر ادلى به اثناء زيارته لشرم الشيخ يوم السبت حيث وصف العلاقات مع اسرائيل بأنها اصبحت افضل مما كانت فى اى وقت مضى . وذكرت الاذاعة انه لا يعتقد ان زيارته لاسرائيل سنضر بعلاقات جنوب افريقيا بالعرب الذين يزودونها بالترول .

وتعتبر الزيارة التى قام بها مستر فورستر لشرم الشيخ هى اول زيارة يقوم بها رئيس حكومة زائير للمنطقة . وقال معلقا امام مرافقيه الاسرائيليين انه يستطيع ان يدرك تماما الاهمية الاستراتيجية للمكان .

وقام مستر فورستر ، بمصاحبة قائد البحرية بزيارة « الوف بنيامين
تيليم ، القاعدة البحرية القريبة وتجول فيها على ظهر زورق صاروخي من
طراز رشيف » .

وهذا وقد طار مستر فورستر والوفد المرافق له الى شرم الشيخ في
طائرة من طراز اركيا هيرالد ، وحلق على مستوى منخفض فوق دير سانت
كاترين الذي يقع في الطريق المؤدى الى شرم الشيخ ومن شرم الشيخ اتجه
الزوار بالطائرة الى قلعة ماسادا ، حيث استمعوا الى قصة الصمود الاخيرة
للطائفة اليهودية القديمة « الزيلوت » في مواجهة السيطرة الرومانية على
فلسطين ، والتي رواها عالم الآثار ، جدعون فيرستر .

وقد بدأ مستر فورستر ، الذي وصل الى اسرائيل في وقت متأخر من
مساء الخميس مع وزير خارجيته ، هيلجارد مولد ، وزوجتيهما و ١٢
مستثولا و ١٤ صحفيا - بدأ زيارته صباح الجمعة بحضور الصلاة في نصب
يادفاشيم هولوكوست التذكاري . وقد ابدى بصوت منخفض اعجابه
بالمعروضات بينما كان مدير المعرض التذكاري ، اسحاق آراده يقوم
بالشرح .

وكان فورستر نفسه قد عرض اشتراك بلاده في الحرب العالمية الثانية
الى جانب الحلفاء ، واعتقل للقيام بنشاط مناهض للحلفاء .

وقد استمع في خشوع بينما كان احد قساوسة جنوب افريقيا يرتل
الترانيم باللغة الافريكانية ويتلو الصلاة على روح الموتى : ثم وضع اكليلا من
الزهور يضم ألوان علم بلاده واشعل « الشعلة الأبدية » .

واتجه لركب من يادفاشيم الى المتحف الاسرائيلي حيث قامت مسز
هاداساه لفين ، أمينة المتحف المولودة في جنوب افريقيا ، بمصاحبة فورستر
والوفد المرافق له في جولته حول « مقام الكتاب المقدس » . وقد تبسادل
رئيس الوزراء الزائر الذي كان من الواضح انه انبهر بمخطوط **Isaiah!**
الأثرى ، تلاوة الأبيات من الكتاب المقدس مع مسز لفين باللغة الافريكانية .

وزار الوفد بعد ذلك بيت لحم حيث استضافه الياس فريج عمدة
البلد . وقام مستر فورستر بعد ظهر الجمعة بزيارة ودية للرئيس كاتزير .
وامضى المساء في ضيافة العمدة تيدي كولييك بمنزله .

وامضى مستر ومسز فورستر يوم احد الزحف في زيارة المواقع المسيحية
المقدسة بالقدس والجليل .

وقد حضرا في بداية اليوم الصلاة في ضريح الحديقة في طريق نابلس ،
ثم زارا جبل الزيتون .

وبينما كان مستر فورستر وحرمة يشاهدان المنظر تحتكما وصلت
سيارة تحمل مجموعة من السياح . من اقليم ناتال بجنوب افريقيا وعندما
اكتشفوا وجود رئيس وزرائهم بدات المجموعة تنشد سلام جنوب افريقيا
باللغة الأفريكانية .

والتفت رئيس الوزراء نحو السياح وخلع قبعته ووقف في صمت ثم
سار اليهم وصافحهم وقال لهم بلغة بلاده « ان هذه لحظة مؤثرة جدا
بالنسبة لى وانا اقدرها حق التقدير » .

وصرح احد اعضاء وفده فيما بعد لصحيفة الجيروسالم بوست ان
الوفد المرافق لفورستر قد تأثر جدا بروعة الأماكن المقدسة واعجب بالحالة
الطيبة جدا التى تتميز بها تلك الأماكن .

وقد غادر وفد جنوب افريقيا اسرائيل امس بعد زيارة قاعدة جوية
ومصنع الطائرات الاسرائيلية .

* * *

(و) روابط اسرائيل بجنوب افريقيا (١٣)

بقلم : بنجامين بوجراند

(بعث بنجامين بوجراند من جنوب افريقيا بأنباء التكهات والدهشة
التى احاطت بزيارة رئيس الوزراء جون فورستر الأخيرة لاسرائيل ومعاودة
التعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا التى اعلنت فى ختام زيارته) .

اصيب أهالى جنوب افريقيا بالدهشة ازاء المعاهدة الاسرائيلية لجنوب
افريقيا التى ابرمت اثناء زيارة مستر جون فورستر . وقد فاقت التفاصيل
والمفزى البعيد المدى للمعاهدة ، التى حظيت بترحيب واسع النطاق فى
التعليقات ، كل ما كان متوقعا من الزيارة .

بيد ان هناك تعبيرا عن شىء من القلق حول احتمال ان يؤدي « العناق
المبهم » كما وصفته احدى الصحف ، الى تصعيد للهجمات ضد كل من
جنوب افريقيا واسرائيل .

وحقيقة ان مستر فورستر سافر الى اسرائيل . هذه الحقيقة ذاتها ،
جاءت كمفاجأة تامة . ذلك ان عددا قليلا من دول العالم على استعداد

لاستقبال زعماء من جنوب افريقيا في زيارة رسمية ، وكالت آخر زيارة قام بها مستر فورستر في الخارج ، هي التي قام بها منذ اكثر من عام الى باراجواى .

وقد حظيت الزيارة الى اسرائيل ، عندما اعلنت ، بالترحيب هنا على أساس انها مرغوب فيها من وجهة نظر جنوب افريقيا ، لمساعدة البلد على الخروج من عزله الداخلية واثاحة الفرصة لمستر فورستر للتعرف على وجهات نظر مختلفة ومشاهدة اماكن جديدة .

وشعر مواطنو جنوب افريقيا بحماس خاص ازاء الزيارة . فلكونهم من الكالفانيين الذين يؤمنون بأن قدر الانسان محدود من قبل مولده ، ولكونهم شعبا ذا ميول دينية عميقة ينظرون الى اسرائيل على أساس انها « ارض الكتاب المقدس » . وفوق هذا فانهم يرتبطون باسرائيل ارتباطا وثيقا نتيجة لتشابه مصالحهما كدولتين من البيض ، عند قمة واسفل القارة الافريقية تناضلان بمفرديهما من اجل البقاء في مواجهة تفوق عددي ضخم من السود الذين تساندتهم الشيوعية الدولية . وهم يشعرون ان العالم يسىء فهمهم - ومنهم اسرائيل - وانهم ضحايا خيانه من جانب اولئك الذين يتعين ان يكونوا اصدقاء لهم .

ومع كل هذا ، فان اعلان نبأ ابرام معاهدة تعاون اقتصادى وعلمى وصناعى ، وانشاء لجنة على المستوى الوزارى بين الحكومتين ، مما كشف عن قيام درجة من التعاون والصدافة لم يسبق تصورها ، كان امرا مذهلا . وكان هناك رد فعل حار من جانب البيض بغض النظر عن الفوارق السياسية واللغوية ، وكما هو متوقع كانت الصحف المؤيدة للحكومة اكثر مساسا ، في تعبيرها عن الرضا والثناء من مثيلاتها الصادره باللغة الانجليزية والتي اشادت تماما بالانتصار الشخصى « لمستر فورستر » .

بل ان الصحف الصادرة بالانجليزية ، حتى اثناء تقديم التهنئة لمستر فورستر على المعاهدة ، كانت تميل الى الاعراب عن القلق من احتمال ان تسفر الاتفاقية عن نتائج عكسية ، فتدفع اعداء كل من جنوب افريقيا واسرائيل الى مضاعفة الجهود ضدهما . وأشارت الى ان الاتفاق المعقود بين البلدين يساعد على ذر الرماد فى العيون لاختفاء الفصل العنصرى ، وتساءلت عن الدوافع القوية التى شجعت على هذا الارتباط فى حين ان كل الشواهد تدل على انه قد يسفر عن كثير من الاضرار الواضحة ، خاصة بالنسبة لاسرائيل .

ومن المعتقد هنا أن الرد على التساؤلات هو أن الرغبة المشتركة في البقاء قد أملت على كل من جنوب افريقيا واسرائيل الطريق الذي سلكاه معا من جهة ، ومن جهة أخرى هناك أمل في أن تستخدم اسرائيل النفوذ الاقتصادي الذي توفره الاتفاقية في محاولة لاقتناع جنوب افريقيا بتغيير أساليب التفرقة العنصرية التي تتبعها .

وقد استعرضت بعض الصحف الصادرة باللغة الافريكانية ، المشاكل التي قد تثيرها المعاهدة . غير أن الخلاصة هي أن كلا البلدين سيستفيد من ارتباطهما ، وسيزداد قوة ، ومن ثم يصبح في موقع أفضل لمواجهة أعدائه .

وليس لدى الجالية اليهودية في جنوب افريقيا ، التي عبرت عن رأيها من خلال زعمائها ، أية تحفظات على المسألة . ويلخص أحد العناوين الرئيسية في إحدى الصحف الوضع فيقول : « اليهود يحبون فورستر » . وقد وصفت الصحف اليهودية المعاهدة بأنها « عمل ذكي يدل على فن الحكم من جانب كلتا الدولتين » مع إبراز حقيقة أن يهود جنوب افريقيا « سيتخذون موقفا إيجابيا للغاية من الاتفاق بسبب روابطهما مع كلا البلدين » .

غير أنه يجب قبول حقيقة أن بعض البيض من سكان جنوب افريقيا ، سواء كانوا يهودا أو غير يهود الذين يعتنقون اتجاهات ليبرالية ، وإن كانت هذه الحقيقة غير معلنة صراحة . لهم رأي مختلف نوعا فأن وجهة نظر هؤلاء الأفراد هي أنهم صدموا ازاء ابداء اسرائيل أي درجة من درجات القبول لجنوب افريقيا التي تمارس الفصل العنصري ، مهما كان السبب الذي يدعو لذلك ، وهو الأمر الذي لم تقبله أي دولة أخرى من دول العالم .

ومن المؤكد أيضا أن رأي السكان السود في البلاد ، سيكون أكثر عداءا نحو اسرائيل لمساندتها لنظام الحكم في جنوب افريقيا . وبالطبع ، ستحظى وجهة النظر هذه ، بمشاركة تامة من جانب دول افريقيا السوداء المستقلة ومن المعتقد أنه عامل أخذه حكومة اسرائيل في اعتبارها عندما قررت إقامة مثل هذه العلاقة الوثيقة مع جنوب افريقيا .

وليس هناك شك في أن مستر فورستر قد أحرز نصرا باهرا كما أن سعيه لإقامة علاقات ودية مع اسرائيل يعكس خيبة أمله في الغرب ، وخاصة الولايات المتحدة - نتيجة لعدم تأييده لجنوب افريقيا في مغامرتها في انجولا .

ويعتبر تحدى مستر فورستر للرأي العام العالمي عن طريق التفاهم مع اسرائيل محاولة لاثبات استقلاله وعدم اعتماده على الغرب .

(٣) سياسة اسرائيل غير المتبصرة الخاصة بجنوب افريقيا (١٤)

بقلم : نعوض تشاران

تعتبر رابطة اسرائيل بجنوب افريقيا واحدة من اكثر الموضوعات حساسية في سياسة اسرائيل الخارجية . وقد ظهر في هذا الصدد مدرستان فكريتان رئيسيتان .

الاولى : وهى المدرسة الاخلاقية ، تعارض العلاقات مع جنوب افريقيا على اساس معنوى ويزعم مؤيدوها ان اقامة روابط مع نظام حكم يتمسك بتفوق البيض يعتبر امرا بغيضا يتنافى مع المبادئ الانسانية الاساسية التى قامت اسرائيل عليها . اما المنهاج الثانى فيبرر روابط اسرائيل بجنوب افريقيا على اساس المصلحة الوطنية .

ويقول مؤيدو سياسة التقارب الحالية ان المصالح العسكرية والسياسية والاقتصادية العلمية ، تفوق كثيرا الاعتبارات الاخرى فى المرحلة الحالية . وهم يثبتون وجهة نظرهم بالاشارة الى العائدات غير المثمرة التى اسفرت عنها جهود اسرائيل فى افريقيا السوداء ، ويشيرون الى ان قيام روابط اقوى مع جنوب افريقيا انما هو نتيجة طبيعية لقطع العلاقات الجماعى بين دول افريقيا السوداء واسرائيل .

واذا القينا نظرة اعمق على جوهر العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا وانعكاساتها فلا بد ان يشير ذلك شكوكا خطيرة حول مدى تدعيم هذه الروابط لصالح اسرائيل الدولية . وفى الواقع الايام قد تثبت ان العواقب الطويلة الاجل للسياسة الحالية قد يكون لها مدمر على مصالح اسرائيل الخارجية والداخلية .

ويتردد ان عددا من المصالح الاسرائيلية القصيرة الاجل هى الاساس الكامن وراء العلاقة مع جنوب افريقيا . واول هذه المصالح هى مصلحة اقتصادية فان جنوب افريقيا تعتبر واحدة من اكبر الدول المنتجة للمواد الخام - خاصة الماس - المطلوبة فى اسرائيل . وقيل ايضا ان جنوب افريقيا توفر سوقا جاهزة للبضائع المصنعة فى اسرائيل . غير ان السجل التجارى لا يمكن وصفه الا بأنه مؤسف . فان التجارة مع جنوب افريقيا لا تشكل اكثر من ٣٪ من مجمل تجارة اسرائيل . وكان الميزان التجارى لاسرائيل مع جنوب افريقيا سلبيا على الدوام حيث تستورد اسرائيل ثلاثة اضعاف ما تصدره اليها . وبالإضافة الى ذلك فان حجم التجارة مع افريقيا السوداء حتى بعد قطع العلاقات الدبلوماسية ، يزيد كثيرا من حجم التجارة مع جنوب افريقيا .

وثمة مصلحة اسرائيلية اخرى تشار فيها يتعلق بجنسوتوب افريقيا وهي خاصة بالجمالية اليهودية هناك . فان اسرائيل كانت تنظر دائما الى لوجيا المائة والعشرين الف يهودى فى جنوب افريقيا على انها امر يهمها . وبهذا الاهتمام ليس مجرد اهتمام اخوى . فالجمالية اليهودية فى جنوب افريقيا تعتبر اغنى جمالية فى العالم ، من حيث دخل الفرد . وكانت تبرعاتها لاسرائيل سخية دائما . وتعتبر الاموال التى يقدمها يهود جنوب افريقيا لاسرائيل ثابتة (باستثناء فترة قصيرة فى سنة ١٩٧١ عندما اوقفت حكومة جنوب افريقيا سيل هذه التبرعات الى اسرائيل مؤقتا ردا على المنح التى قدمتها اسرائيل لحركات التحرير الافريقية) ، وذلك بالرغم من التغيرات التى تطرأ على العلاقات الرسمية بين البلدين .

وبالرغم من انه يجب الا نقتل من شأن الجمالية اليهودية فى جنوب افريقيا ، ثمة مجال للتساؤل عما اذا كان يجب على اسرائيل ، او حتى اذا كان فى مقدورها ، القيام بدور الوصى على يهود جنوب افريقيا . وتوجد امثلة كثيرة على عدم تأييد اسرائيل لانظمة حكم دول يقيم فيها اليهود ، وليس من الضرورى ان تكون جنوب افريقيا هى الاستثناء .

والعنصر الثالث فى العلاقة الاسرائيلية بجنوب افريقيا ، هو العنصر العسكرى . فبالرغم من انه من الطبيعى ان تكون التفاصيل المعروفة عن هذا العنصر ضئيلة ، هناك دلائل تشير الى ان لهذا العنصر ثقلا اكبر من المزايا القليلة التى تعود على اسرائيل من روابطها الاخرى مع جنوب افريقيا .

وخلال السنوات القليلة الاخيرة اضيفت الى شبكة العلاقات الاسرائيلية مع تلك الدولة العلاقات الثقافية والسياسية مع جنوب افريقيا . ومهما كانت المزايا المباشرة التى عادت على اسرائيل من هذه الروابط ، انه يمكن وصف نتائج هذه السياسة العملية ، بالنسبة لاسرائيل بأنها سلبية تقريبا . فان تدعيم العلاقات مع جنوب افريقيا اصبح عقبة حقيقية فى سبيل محاولات اسرائيل لاستئناف العلاقات الدبلوماسية مع افريقيا السوداء . كما ان الصلة بجنوب افريقيا قد زادت من عداء العالم الثالث لاسرائيل وجعلت احتمالات التقارب مع هذه الدول واهية .

وفضلا عن ذلك ، التحالف مع جنوب افريقيا ربط اسرائيل ، حتى لو كان بطبيعة الخطأ ، مع اكثر القوى رجعية ومحافظة فى المجال الدولى . وربما قال اصحاب النظرة العملية ان مثل هذه الصورة لا يجب ان تصبح فى حد ذاتها ماثرا للقلق . غير ان وجهة النظر هذه لا يمكن تأييدها الا اذا امكن تعزيزها بالعلاقات السياسية الملموسة . ولكن هذه العائدات لا توجد

في هذه الحالة . فقد تم طرد جنوب افريقيا فعلا من الأمم المتحدة وغيرها من المحافل الدولية ولم يعد لها مكان في التجمعات العالمية . ويعتبر قرار الجمعية العامة الذي يدين الصهيونية بأنها شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري وانها لا تختلف عن الفصل العنصري ويعتبر اخطر نتيجة حتى الآن للميل العام نحو وضع اسرائيل وجنوب افريقيا في صف واحد .

ومن ثم هناك احتمال خطير من ان تدفع الدول الأفرو آسيوية التي لم تصوت ضد اسرائيل في الأمم المتحدة الى ان تفعل ذلك نتيجة للصلة مع جنوب افريقيا . كما ان الدول الافريقية قد اعترفت بالجيش الشعبي لتحرير موزمبيق في أنجولا كرد فعل لتدخل جنوب افريقيا في صالح الـ UNITA.



(ح) اسرائيل تتخذ لنفسها حليفا جديدا غريبا (١٥)

بقلم : فيلكس كيسلر

القدس - تساءل السكرتير الاسرائيلي الشاب « ما هو الشيء المشترك بيننا وبين جنوب افريقيا ؟ » ثم قال « حسنا ، ان جيرانها يريدون ايضا ان يلقوا بها في البحر » .

ويتزدد هنا تساؤل حول ما تسمى اليه اسرائيل من توثيق علاقاتها بجنوب افريقيا بشكل متزايد ، وذلك بعد زيارة فورستر ، رئيس وزراء افريقيا ، الأخيرة وعلان ان كلتا الدولتين عملتا على دعم التعاون والروابط التجارية بينهما .

انه تساؤل يثير قلق كثير من الاسرائيليين على اساس معنوي وعملي . ويكشف أحد كبار المسؤولين الرسميين عن لمحة عاطفية من خلال هذه الشكوك الذاتية عندما تكلم بعصبية عن « النفاق » و « التناقض المعنوي » لكثير من الدول خاصة الدول الأوروبية ازاء مثل هذه المسائل .

فقد قال « هاهم البريطانيون والفرنسيون بل وحتى الايطاليون ، يتصارعون على بيع مزيد من الأسلحة للعرب ، ثم يبدأون بعد ذلك في القاء المحاضرات علينا عن فورستر » .

ومع ذلك فلا يمكن انكار انه يشعر بالقلق مثله مثل كثير من الاسرائيليين غيره ازاء بعض نواحي ارتباط اسرائيل المتزايد بجنوب افريقيا . فيقول ان سياسة جنوب افريقيا « ليست سليمة معنويا .. ونحن لا نوافق على الفصل العنصري ونشعر بدهول تام » ازاء مفزاة الاجتماعى وهناك خلقية

سياسية وراء شعوره بالفضب فانه تأثر بشسكل خاص نتيجة لبرنامج
تليفزيونى أمريكى صور مؤخرا معاملة اسرائيل للاقلية العربية الكبيرة لديها،
كشكل من اشكال « الفصل العنصرى غير الرسمى » .

وبالطبع اسرائيل لا تنتهج رسميا (او بصفة غير رسمية) سياسة
تشبه من قريب او من بعيد القوانين والعادات العنصرية المتشددة القائمة
فى جنوب افريقيا .

ومن الناحية القانونية يتمتع السكان العرب فى اسرائيل بنفس الحقوق
التي يتمتع بها اليهود . الا انه من الناحية العملية ، وفر هذا المجتمع
اليهودى العرب فرصا اقل فى المجالات التعليمية والاقتصادية والسياسية .
ويعترف معظم الاسرائيليين بهذا ، وان كان هذا الامر يشير بالضرورة
قلقهم . وتؤكد احدى وجهات النظر ، وفقا لاحد كتاب الجيروزاليم بوست ،
« انه يجب ان يتذكر عرب اسرائيل ان امامهم ما لا يقل عن عشرين دولة ذات
ميول سياسية مختلفة تكرر جهودها لخدمة الأهداف العربية . اما اليهود
فليس لديهم سوى دولة واحدة تعبر عن كيانهم القومى » . وبمعنى آخر
فهو يقول ، ان اسرائيل دولة يهودية - اقبلها او اتركها .

وبالطبع فان هذه ليست وجهة النظر الاسرائيلية الوحيدة . فان هناك
آخرون يجدون ان اثاره عداة السكان العرب الذين يسعون للاستفادة من
مزاي الاندماج الكامل داخل الدولة اليهودية لا لابطادتها ، يعتبر بمثابة انتحار
لاسرائيل التي تحيط بها الدول العربية المعادية . ويقول ماتياهو بيليد
وهو جنرال اسرائيلى سابق وناقد من الحمايم لسياسة الحكومة « انه من
حسن حظنا انهم يريدون مشاركتنا فى مزاي التمتع بالجنسية الاسرائيلية » .
ويشعر مستر بيليد بسخرية ازاء « الحب المفاجىء لجنوب افريقيا
الذى يبدية كثير من الاسرائيليين وتبدية الحكومة ايضا على ما يبدو ويعيد
الى الأذهان ان اسرائيل كانت فى الماضى تصوت دائما فى الأمم المتحدة ضد
السياسة العنصرية لجنوب افريقيا . اما اليوم فان الاسرائيليين كما يقول ،
يميلون الى المبالغة فى ايجاد اوجه شبه بين البلدين ، ربما كان ذلك لأن
كلاهما تبدو محاصرة وبلا اصدقاء .

ويستند كثير من النقد الموجه هنا ضد التقارب الجديد مع جنوب
افريقيا الى الخوف من ان يساعد على زيادة تثبيت اسرائيل فى عزلتها
السياسية ويرى بعض النقاد ان مثل هذه الصداقة تعتبر نوعا من التظاهر
بالشجاعة السياسية وربما كان ذلك ناشئا عن عقلية اسرائيل المحاصرة ،
حيث تدخل فى هذا التحالف بكل ما يتضمن من نتائج ضارة متوقعة ، ثم
تثور على النقد الدولى الموجه اليها .

هذا ولم يتم اعلان تفاصيل معاهدة التعاون الاقتصادي الجديدة المقودة بين اسرائيل وجنوب افريقيا . وبالرغم من ان مستر فورستر قام بزيارة مصانع الطيران والسفن في اسرائيل ، نفى الأنباء التي ترددت بأن الزيارة تعتبر بشرا لقيام علاقة هامة على اساس التزود بالسلاح . كما ترددت ايضا انباء عن استعداد جنوب افريقيا بمد اسرائيل باليورانيوم . وان اسرائيل تدرب رجال جنوب افريقيا على اساليب الامن .

ويقول احد الاسرائيليين من اصل امريكي - « ان اسرائيل تتخصص في كيفية المحافظة على الوجود ان المحافظة على الوجود عملية شاقة . فليس الجميع اصدقاء لنا ، ونحن نعيش في نوع من العزلة ونجد انفسنا الآن في مأزق وهذا يؤدي الى نوع من تحديد الأولويات » .

والاسرائيليون الذين يخلقون المبررات لنمو العلاقات مع جنوب افريقيا ، يفعلون ذلك بناء على اساس طويلة الأمد عملية . ومسع ذلك تكن مزايا من التجارة مع جنوب افريقيا ، كبيرة بشكل واضح في الماضي . فان ١٤ دولة اخرى - بما في ذلك سويسرا والدنمارك والسويد ورومانيا - كانت خلال السنوات الاخيرة ، شريكا تجاريا اكثر اهمية من جنوب افريقيا ، التي لا يزيد حجم تجارتها مع اسرائيل عن ٣٪ من مجمل تجارة اسرائيل (وان كان يتعين هنا الإشارة الى ان اسرائيل تزود جنوب افريقيا بسوق ما كما في حالة صناعة تكميل المنسوجات ، حيث كثيرا ما يعاد تصدير السلع الى دول افريقيا السوداء . كما ان مبيعات الأسلحة ليست مدرجة في الجداول التجارية) .

ان العلاقة مع جنوب افريقيا تبعث على السخريّة وخاصة بعد الغضب العام الذي ابدته الحكومة (ومعظم الاسرائيليين) ازاء تنديد الأمم المتحدة بالصهيونية كشكل من اشكال العنصرية الشبيهة بالفصل العنصرية . وفي هذا الضوء ، لا يمكن النظر الى المزج السياسي بين سياسة البلدين اليوم اليه ، الا على اساس انه في صالح جنوب افريقيا وحدها وعلى حساب اسرائيل .

وقد حاول مستر فورستر ابراز هذه النقطة عندما اشار في مؤتمر صحفي - تهرب فيه من معظم الاسئلة الموجهة اليه - الى ان اسرائيل وجنوب افريقيا تربطهما « اوجه شبه كثيرة جدا ابتداء من الاحوال الجوية الى اعلى » .

ولسبب ما ذهب اسحاق رابين ، رئيس وزراء اسرائيل ، الى ابعده من هذا في اكتشاف اوجه الشبه بين البلدين ، وذلك اثناء شربه نخب مستر فورستر في مأدبة العشاء التي اقيمت لوداع رئيس وزراء جنوب افريقيا .

اذ قال راين « ان اسرائيل تتابع بعطف جهودكم التاريخية لتحقيق الوفاق في قارتكم ، ولبناء الجسور نحو مستقبل آمن وافضل ، ولخلق وفاق يقضمن سيادة جو مزدهر من التعاون بين جميع الشعوب الافريقية بدون تدخل او تهديد خارجي » .

وربما ترجع بعض الاسباب وراء الارتباط بين اسرائيل وجنوب افريقيا الى رد فعل تدهور العلاقات مع الولايات المتحدة ويكاد السياسيون الاسرائيليون لا يحاولون في هذه الايام التقليل من شأن الخلاف مع امريكا او يحاولون عدم تأكيد استيائهم ازاء اقتطاع الرئيس فورد ما قيمته ٥٥ مليون دولار من المعونة الامريكية . غير ان الذين ينتقدون الحكومة يقولون ان هذا يعتبر تظاهرا لا معنى له بالاستياء على المستوى السياسي ، ولن تكون له الا مزايا مؤقتة في افضل الاحوال .

ويرد على هذه الاتهامات احد المسؤولين الاسرائيليين - فيقول ان هذه الدولة اجبرت خلال الاشهر الاخيرة على اتخاذ هذا الموقف المتناقض . ويضيف « لقد ارغمنا على التصرف بشكل لا يرضينا » .

(ط) تحالف سياسي على « مستوى متوسط » (١٦)

يبدو ان الفوائد العائدة على جنوب افريقيا والناجمة عن زيارة فورستر لاسرائيل تزداد اهمية . فان نظام الحكم القائم على الفصل العنصري يتوقع ان تؤدي معاهدة التعاون الاقتصادي والصناعي والعلمي المبرمة . مع اسرائيل الى تمتع سلع جنوب افريقيا باعفاء جمركي في السوق الاوريسية المشتركة وفي الولايات المتحدة . فان اسرائيل ترتبط باتفاقيات مع السوق المشتركة والحكومة الامريكية تمنح اسرائيل حق المعاملة على اساس «الدولة الاولى بالرعاية » . ووفقا للمعاهدة الجديدة يستطيع نظام الفصل العنصري ارسال سلع نصف مصنعه الى اسرائيل ، حيث يتم « اكمالها » ، ويوضع عليها ختم « صنع في اسرائيل » . وتباع الى المستهلك الاوربي والامريكي . وعلى هذا فان هذا الاتفاق سيمكن جنوب افريقيا من التغلب على اي مقاطعة اقتصادية تفرض ضدها وبالإضافة الى ذلك اعلن مجلس جنوب افريقيا للبحث العلمي والصناعي ، انه سيتم عقد مؤتمرات جنوب افريقية - اسرائيلية مشتركة سنويا لبحث الموضوعات العلمية . (سستار ، جوهانسبرج ١٧ ابريل سنة ٧٦) .

وفي الوقت نفسه فان احباب جنوب افريقيا المعن بتكتيكات اسرائيل العسكرية ضد حركات التحرير الفلسطينية قد اثار كثيرا من التكهّنات بان جيش اسرائيل يقدم للعسكريين في جنوب افريقيا فرصة التدريب على اساليب مقاومة التمرد . وقد ذكرت مسز مارسيا فريدمان عضو الكونغرس

عن الحركة الإشرائية المستقلة ، ان مئات من الجنود الاسرائيليين ملحقون بوحدة هامة وقواعد رئيسية في جنوب افريقيا وانهم اشتركوا في المناورات التدريبية مع جيش جنوب افريقيا وقد اعلن المؤتمر الوطنى الافريقى « ان التعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا يهدف الى شن حرب عدوانية ضد الدول المجاورة وضد حركات التحرير . (نيويورك تايمز ، اول يونيو سنة ١٩٧٦ ، نوتيكياس ، مابوتو ، ١٤ ابريل سنة ١٩٧٦) .

ان هذا النجاح الاقتصادى والسياسى والعسكرى الذى اسفرت عنه زيارة فورستر لاسرائيل دفع الحكومة العنصرية الى انتهاج استراتيجية جديدة للبقاء فى السلطة . ذلك انها سوف تسعى الآن الى عقد تحالفات مع القوى العالمية من « المستوى المتوسط » . وقد اعلن فورستر فى البرلمان فى ٢٢ ابريل عن اعتقاده « بأن الدول غير الشيوعية والمناهضة للشيوعية يمكنها ان تتعاون مع بعضها فى المجال الاقتصادى ، وذلك بالرغم من الاختلافات فى السياسات الداخلية والاختلافات فى وجهات النظر ، وانه من الضرورى ان تتعاون القوى من « المستوى المتوسط » . وبالإضافة الى دول وسط اوربا هناك احتمال ان تسعى الحكومة العنصرية الى اقامة تحالف رسمى مع الدول البوليسية اليمينية (التى تدعمها المعونة العسكرية الأمريكية) والموجودة فى الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية وآسيا . وفى الواقع مثل هذه الانظمة الحاكمة تشارك نظام حكم الفصل العنصرى فى جنوب افريقيا فى الكثير ، فهى جميعا تلجأ الى العنف للقضاء على المعارضة الديمقراطية ومنع اعادة توزيع الثروة على الشعب . وتعتبر تايوان من امثلة هذه القوة « ذات المستوى المتوسط » التى رفعت مستوى التمثيل الدبلوماسى مع جنوب افريقيا الى مستوى السفارة وتعتبر النمسا من الدول الاوربية المرشحة للدخول فى التحالف الجديد ، وقد اعربت مؤخرا عن اهتمامها بمقايضة الحديد الخام من جنوب افريقيا بالخبرة الفنية النمساوية . وفى ابريل الماضى قامت مجموعة تضم ٧٠ فردا من الاساتذة والباحثين والطلبة النمساويين التابعين للمدرسة التكتيكية ، فى جامعة جراز ، بزيارة مشروعات مؤسسة الحديد والصلب بجنوب افريقيا ، ونتيجة للزيادة اعلن رئيس المجموعة - وهى البروفيسور والدينمارفيسد وهو من كبار رجال الصناعة النمساويين - ان النمسا تريد المشاركة فى مشروع سالداتبا - سايجن وفى الوقت نفسه اعلنت فنلندا - وهى دولة اوربية اخرى تتطلع جنوب افريقيا الى ضمها للتحالف الجديد - انها تقوم بإعادة النظر فى روابطها التجارية مع جنوب افريقيا .

(ستار ، جوهانسبرج ، ٢٤ ، ٢٦ ابريل و ١٥ ، ٢٢ مايو سنة ١٩٧٣) .

(ي) الاحتجاج على التحالف الصريح مع حكومة جنوب افريقيا العنصرية (١٧)

عزيزى رئيس الوزراء راين - ان الموقعين ادناه ، من اعضاء واصدقاء مؤسسة جيفات هافيفا التعليمية بالولايات المتحدة ، يعربون عن الشغور بالصدمة والانزعاج ازاء انباء زيارة رئيس الوزراء فورستر لاسرائيل بهدف الترتيب لصفقة اسلحة اسرائيلية كبيرة لحكومة جنوب افريقيا ، وذلك وفقا لما تردده الانباء . وليس هناك شىء يزيد من الضرر الناجم عن قرار الامم المتحدة الخاص بالصهيونية - والذي يستحق الشجب - اكبر من ان تدخل اسرائيل فى تحالف صريح مع حكومة جنوب افريقيا العنصرية . وبصفقتنا صهيونيين نحثك بشدة على اعادة النظر فى هذا الشأن - ارسلت البرقية بتاريخ ٤ ابريل سنة ١٩٧٦ وبتوقيع ١٦ من مؤيدى جيفات هافيفا .

« بالرغم من الاحتجاجات الافريقية (الفصل ٢٧) ، ظلت العلاقة بين اسرائيل وجنوب افريقيا قائمة (الفصل ٢٨) » .



(٢٧) رد الفعل الافريقى

(١) كاوندا وماتشيل يحذران من الصراع (١٨)

لوساكا - ندد رئيسا جمهوريتى زامبيا وموزمبيق ، بالروابط الجديدة بين جنوب افريقيا واسرائيل على اساس انه « تحالف عنصرى فاشستى » يستهدف استمرار السيطرة والضغط على شعبى جنوب افريقيا وفلسطين »

واعلن الزعيمان فى البيان المشترك الذى صدر فى ختام الزيارة الرسمية التى استغرقت خمسة ايام ، والتى قام بها كاوندا - رئيس زامبيا - لموزمبيق ، استمرار معارضتهما للفصل العنصرى على اساس انه نظام « عنصرى فاشستى » يشجبه العالم بأسره .

وقال الرئيسان ان انتصارات الفريليمو ، والجيش الشعبى لتحسين موزمبيق ، حطمت الاسطورة التى تقول انه لا يمكن لشعب افريقى مضطهد ان يحمل السلاح وان يصيب القوى الاستعمارية والامبريالية والعنصرية والفاشية بهزيمة منكرة .

وقال الرئيس ماتشيل ان البيان « اكد ان وحدة القسوى التقدمية والثورية ، تشكل قاعدة متينة ومنيعة لتوجيه ضربات مدمرة ضد العدو المشترك » .

وأكد الرئيسان بحرة أخرى عزمهما على إقامة لجنة دائمة مشتركة للمع
التعاون الاقتصادي وغيره بين زامبيا وموزمبيق .

هذا وقد حذر الرئيس كاوندا في خطاب القاء في بيرا في نهاية الأسبوع
من أن جنوب افريقيا على وشك التردى في صراع سيؤدي الى خسائر كبيرة
في الأرواح .

ووفقا لنبا ورد في الصنداي تايمز التي تصدر في زامبيا قال أن
الافريقيين السود لن يكونوا هم المسئولين عن هذا الصراع العنصري ، لأنهم
لم يختاروه بل انه فرض عليهم .

(ب) بيان المؤتمر الوطني الافريقى لجنوب افريقيا الموجه

الى الاجتماع الدولى حول الصهيونية والعنصرية

المنعقد في طرابلس - فيما بين ٢٤ ، ٢٧ يوليو ١٩٧٦

ان هذا الاجتماع الدولى حول الصهيونية والعنصرية منعقد في الوقت
الذى بينت فيه حكومة فورستر العنصرية بجنوب افريقيا للعالم طبيعتها
الفاشستية الحقيقية وذلك بقتلها الوحشى لأفراد الشعب العزل ، وكثير
منهم من الأطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ١٣ ، ١٦ عاما . وينعقد هذا
الاجتماع ايضا في الوقت الذى يناضل فيه الشعب الفلسطينى البطل ، تحت
قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، ضد عدوه وعدو البشرية ، اى
الصهيونية : وهو منعقد في الوقت الذى يحاول فيه الصهاينة والذين
يعارسون التمييز العنصرى اضعاف حركات التحرير بأى ثمن ...

وكما تعرفون ، يشن شعب جنوب افريقيا منذ عدة سنوات نضالا
مريرا ضد الحكومات البيضاء العنصرية المتتالية في تلك البلاد ، وهو صراع
مرير من أجل الاستيلاء على السلطة السياسية التي جعلها العنصريون ملكا
خاصا لهم عن طريق استخدام نفس الأسلوب الذى اتبعه الصهليون في
فلسطين . وقد سلبت حكومة الأقلية البيضاء المتتالية في جنوب افريقيا ،
الأرض المملوكة لشعبنا ، واليوم ، تنشئ ما يعرف باسم « النانتوستانان »
أو الأوطان وقد تم اجبار الآلاف من افراد شعبنا - نتيجة لمعارضتهم
للسياسات العنصرية للحكومات - على مغادرة وطنهم الأصلي ليعيشوا
في بلاد اخرى كلاجئين أو مواطنين من الدرجة الثانية ، وهذا هو نفس
ما فعله الصهاينة باخواننا الفلسطينيين : وهذا يعد محاولة واضحة من
العنصريين لاضعاف حركات التحرير عن طريق خلق بانتوستانات قبلية .

وقد خلقت الحكومة العنصرية البانتوستانات التي تضم حوالي ١٣٪ من مجموع مساحة الأرض في البلاد ليشغلها ما يزيد على ٧٠٪ من سكان البلاد الأصليين ، وذلك حتى تظل الأغلبية العظمى من الشعب معتمدة الى الأمر على الأقلية البيضاء ، بينما تظل هذه الأغلبية منقسمة على نفسها وهذه البانتوستانات ، هي مناطق قاحلة جدداء متفرقة وقد فشلت بالفعل في اعاشة سبعة ملايين شخص نقلوا بالقوة اليها . والعمل غير متوفر في هذه المناطق ، ومن ثم يضطر المقيمون بها الى العودة الى جنوب « افريقيا البيضاء » للعمل بأجور غير انسانية واثناء وجودهم هناك ، يعاملون على اساس انهم مقيمون مؤقتون في بلدهم الأم . وداخل البانتوستانات ذاتها ، تختار الحكومة البيضاء ، وليس افراد الشعب ، هم الذين يختارون - تختار الحكومة الزعماء المزعومين الذين يؤدون اليوم « الأعمال القذرة » نيابة عن العنصريين . وقد ندد المؤتمر الوطني الافريقي بانشاء هذه البانتوستانات على اساس انها عملية احتيال ومحاولة « لتفتيت » بلادنا من اجل راحة الاقلية البيضاء والاحتكارات الدولية التي تحقق ارباحا ضخمة عن طريق استغلال شعبنا الى اقصى حد .

وتقع السلطة السياسية والاقتصادية في البلاد في ايديهم تماما ، بينما تعامل اغلبية الشعب - وهم السود - وكأنهم من ادوات العمل في المصانع والمناجم والحقول والمنازل التي يملكها البيض وقد تم منذ سنة ١٩٦٠ تحريم التنظيمات السياسية الخاصة بالسود وتم الحكم بالسجن المؤبد في جزيرة روبن على زعمائهم من امثال نيلسون مانديلا والتر سيسولا وجوفان ميكي وذلك لمجرد انهم تجرأوا وعارضوا السياسة العنصرية غير الانسانية التي تتبعها الحكومة والتي تقوم على اساس ان البشرة البيضاء نعتى التفوق والامتياز اما البشرة السوداء او البنية فتعنى الرضاعة ، والاضطهاد ، والحرمان . غير أن تحريم التنظيمات الشعبية لم يقض عليها بل جعلها تنتهج اسلوبا اكثر عنفا وتشددا واكثر اصرارا من اجل تحقيق اهدافها اي تحرير شعبها وبلادها .

ويناضل المؤتمر الوطني الافريقي - شأنه شأن منظمة التحرير الفلسطينية - من اجل حقوق شعب جنوب افريقيا المشرد والذي يتعرض للاضطهاد والاستغلال في الوطن ونحن نقول ان بلادنا من السعة بحيث يمكنها ايواء الجميع سواء سودا كانوا ام بيضا . ولو كنا نهدف الى القاء البيض في البحر لكان ذلك يعتبر عنصرية من جانبنا ، ولهذا فاننا نقول ، فلنمش معا كأفراد منساوين امة متماسكة متينة .

وقد رفضت الحكومة العنصرية هذا وهي مصممة على استخدام كل
عتادها العسكري لحماية مصالح الأقلية البيضاء والاحتكارات الدولية ،
مثلما فعلت مؤخرا في سويتو وغيرها من المدن .

ومنذ اشهر قليلة فقط قام فورستر ، رئيس وزراء جنوب افريقيا
المزعوم ، بزيارة اسرائيل وبصحبته القادة العسكريون وقادة الأمن في
الدولة ، مما يكشف عن الروابط الوثيقة بين الصهيونية والعنصرية . وقد
بدات نتائج هذه الزيارة بالفعل : فبينما غزا الصهيوونيون اوغندا قامت
العناصر العنصرية بغزو انجولا وزامبيا . وبينما يشر الصهيوونيون الشقاق
بين الحلفاء والانصار الطبيعيين لمنظمة التحرير الفلسطينية بهدف اضعافها ،
فان العنصريين يتصرفون بنفس الأسلوب في افريقيا ومن واجب القوى
التقدمية الديمقراطية في العالم ان تكون متيقظة تماما وان تقدم كل مساعدة
الى حركات التحرير ، تماما كما تقدم القوى الامبريالية مثل الولايات المتحدة
وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية التأييد للعنصريين في جنوب افريقيا
وللصهاينة في صورة اسلحة وهذه الاسلحة لا تستخدم فقط ضد قوى
التحرير بل تستخدم ايضا ضد الدول المستقلة ذات السيادة .

واليوم ، ونحن نجتمع هنا ، تم التصديق على الميثاق الذي يعتبر الفصل
العنصري جريمة ضد البشرية تستحق العقاب ، ومع ذلك فان الفرنسيين
يساعدون جنوب افريقيا على التطور لتصبح قوة نووية على نحو ما تفعل
الولايات المتحدة في العمل على توفير نفس الامكانية للصهاينة وكلا الشرين ،
اي العنصري التي تمثلها بريتوريا والصهيونية التي تعبر عنها تل ابيب ،
سيشكل قريبا تهديدا لكل الدول الافريقية والعربية . وهذا يدعرا الى
زيادة روابط الوحدة الافريقية العربية ، وتقديم مزيد من المساعدة لمنظمة
التحرير الفلسطينية وحركات التحرير في جنوب افريقية حتى تتمكن من
تحطيم الحكومات الصهيونية والعنصرية قبل ان تصبح قوى نووية .

ويدعو المؤتمر القومي الافريقي في جنوب افريقيا ، من فوق هذه المنصة
الدولية العالم الى عدم الاعتراف باستقلال المناطق التي يطلق عليها
البانتوستانات ، وان يؤيد قرار منظمة الوحدة الافريقية ، الذي ينص على
ان الاعتراف بالبانتوستانات لن يعتبر خيانة لشعب جنوب افريقيا وحركة
التحرير هناك فحسب بل سيعتبر خيانة للقارة الافريقية بوجه عام .

٢٨ - تدعيم العلاقات :

١ - نمو الروابط بين جنوب افريقيا واسرائيل
(تفيد الأنباء ان تدعيم العلاقات يتضمن ارسال مواد عسكرية) (١٩)

بقلم : وليام ماريل

القدس ، في ١٧ اغسطس - زادت خلال الأشهر الأخيرة الروابط الدبلوماسية الاقتصادية بين اسرائيل وجنوب افريقيا ، زيادة كبيرة ، وتطورت الى علامة قوية بين البلدين وتفيد الأنباء انها تشمل صفقة معدات عسكرية اسرائيلية الصنع .

وبينما لا يتردد المسؤولون الاسرائيليون في مناقشة زيادة حجم التبادل التجاري بين الدولتين ، يحجمون عن مناقشة المعاملات العسكرية ومع ذلك تسربت المعلومات من عدة جهات ، بما في ذلك الصحافة الأجنبية واذاعة اسرائيل . وتتضمن هذه المعلومات التي تم الكشف عنها ما يلي :

- تقرير من اذاعة اسرائيل يفيد بأن اسرائيل تقوم بتصنيع اثنتين من سفن المدفعية ذات المدى البعيد مزودتين بصواريخ بحر - بحر في الحوض الجاف بحيفا . لحساب بحرية جنوب افريقيا . وتفيد انباء اخرى بأن عدد هذه السفن يبلغ ست سفن وحمولتها ٤٢٠ طن وتتكلف حوالى ستة ملايين دولار بدون عتاد اما اذا زودت بالصواريخ فان السفينة الواحدة تتكلف ١٨ مليون دولار تقريبا .

تقارير تفيد بأن حوالى خمسين من رجال بحرية جنوب افريقيا ، بصفة مدنية مؤقتة يتدربون في منطقة تل أبيب للعمل على هذه السفن المزودة بالصواريخ ، وان أول السفن ستكون جاهزة في يناير .

- تقارير غير مؤكدة تفيد بأن اتفاقية المبيعات المعقودة مع جنوب افريقيا ، تتضمن تسليمها حوالى ٢٠ طائرة نفائة من طراز كفير الاسرائيلية الصنع .

- تقارير تفيد بأن اسرائيل ستزود جنوب افريقيا بأجهزة الكترونية عسكرية متطورة ، وفي مقابل المواد الخام من جنوب افريقيا بما في ذلك حوالى مليون طن فحم سنويا لتعزيز صناعة الصلب في اسرائيل .

الخشوف من النقد :

ولا تحسدو المسؤولون الاسرائيليون الرغبة في مناقشة ما يتردد عن الجوانب العسكرية للاتفاق التجاري بين البلدين نظرا لان جنوب افريقيا

تعتبر منبوذة من جانب كثير من الدول ونظرا للخوف بنوع خاص من النقد المتوقع من جانب بعض الدوائر في الولايات المتحدة مثل المؤتمر الحزبي للسود ومن جانب المجموعات اليهودية الأمريكية الليبرالية .

ولطالما عارضت الحكومة الاسرائيلية السياسة العنصرية التي تنتهجها حكومة جون فورستر وتسفر اية تساؤلات حول معاملات اسرائيل الحالية مع جنوب افريقيا عن اعادة تأكيد هذه المعارضة .

وقد زار مستر فورستر اسرائيل في ابريل الماضي وتعتبر هذه اول زيارة من نوعها يقوم بها رئيس وزراء من جنوب افريقيا خلال ٢٤ عاما . وقد صرح فورستر اثناء الزيارة ، بأنه بحث مع اسحق رابين ، رئيس الوزراء وايغال آلون ، وزير الخارجية ، « طرق تنشيط التجارة وتشجيع الاستثمار ، واقامة مشروعات عملية وثقافية مشتركة ، ومنح القروض من اجل المشاركة في استغلال المواد الخام في جنوب افريقيا » . وقد نفى آنذاك ما تردد عن صفقة الأسلحة .

وقد تزيد تردد مثل هذه الأنباء بعد ان قام مستر فورستر بزيارة زورق اسرائيلي مزود بالصواريخ في قاعدة بحرية بالقرب من شرم الشيخ وبعد زيارته لمصنع الطائرات الاسرائيلي بالقرب من تل أبيب ، والذي ينتج الطائرات المقاتلة من طراز كفير .

تبرير السياسة الخارجية :

يقوم المسؤولون الحكوميون هنا بتبرير تصعيد اسرائيل لمعاملاتها مع جنوب افريقيا بأساليب من بينها :

— القول بأن هذه المعاملات تتفق مع سياسة خارجية تقوم على اساس الموافقة على اقامة علاقات دبلوماسية مع اي دولة ترغب في اقامتها مع اسرائيل .

— تفكير عملي يقوم على اساس معدل التضخم في البلاد ، ويقدر هذا العام بحوالى ٣٠٪ — وحاجتها الملحة الأجنبية والمواد الخام .

— حقيقة ان الضغوط العربية اجبرت كثيرا من الدول الافريقية على قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل في سنة ١٩٧٣ ، ومن بينها الدول التي وجهت اسرائيل نحوها ايماءات هامة على مر السنين تدل « حسن الجوار » . ويقوم الاسرائيليون من معارض سياسة زيادة توثيق العلاقات بين الحكومة الاسرائيلية وجنوب افريقيا ، انها سياسة غير متبصرة ستعرقل

بشكل خطير كل الجهود التي تبذلها اسرائيل لاستئناف العلاقات المقطوعة مع افريقيا السوداء .

— القول بأن رفض عرض الصداقة الذي تقدمه جنوب افريقيا قد يكون له اثر عكسي على الجالية اليهودية الصغيرة في تلك البلاد التي تشمل ١٢٠ ألف يهودي وهم عامة من الاثرياء كما ان معظمهم صهاينة . ويشعر عدد من المسؤولين الحكوميين الاسرائيليين بضيق ازاء الاهتمام الخاص الذي تحاط معاملات اسرائيل مع جنوب افريقيا . ويقولون انهم انما يتعرضون بذلك للقياس بمعايير مختلفة حيث ان كثيرا من الدول الاخرى التي ليس من الضروري انها توافق على سياسة جنوب افريقيا العنصرية ، لها علاقات ايضا بتلك الدولة .

(ب) تدريب مواطني جنوب افريقيا في اسرائيل (٢٠)

تل ابيب في ٩ اغسطس (ج - ت - ا) يتلقى ٥٠ من رجال البحرية في جنوب افريقيا تدريباتهم في اسرائيل للعمل على الزوارق الموزودة بالصواريخ والمصنوعة في اسرائيل ، وذلك وفقا لما جاء من اذاعة اسرائيل مساء امس وذكرت الاذاعة ان اسرائيل ستقوم ببناء زورقين من طراز ريشف لحساب جنوب افريقيا ، وهو نفس الطراز الذي شارك في « عملية الابحار من نيويورك في ٤ يوليو » . ومن المتوقع ان يتم تسليم اول زورق ، وهو مزود بصاروخ جبريل بحر - بحر الاسرائيلي ، في اوائل العام القادم . واعلنت اذاعة اسرائيل ايضا انه سيتم بترخيص خاص بناء زورق وحراسة ساحلية من تصميم اسرائيل في جنوب افريقيا .

(ج) اسرائيل وافريقيا (٢١)

تجرى حاليا عملية هامة لتوسيع نطاق العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا وذلك بعد الزيارتين اللتين قام بهما للقدس كل من رئيس الوزراء جون فورستر ووزير العدل والنعدين ستيفانوس بوت ، بالرغم من جهود كلا الجانبين للتقليل من شأن هذه العملية . وقد قامت جنوب افريقيا بشراء سفينتين اسرائيليتين من طراز ريشيف حمولة ١٥ طنا مزودتين بالصواريخ بالاضافة الى ٤ سفن اخرى . وتفيد الأنباء ان رجال بحرية جنوب افريقيا يتدربون الآن في حيفا . (وقد تم نفي الأنباء التي ترددت حول شراء عدد من الطائرات المقاتلة النفاثة الاسرائيلية الجديدة من طراز كفير ، ومع ذلك ما زالت هذه الأنباء تتردد) . وسيشترك البلدان ايضا في بناء خط سكة حديدية ، ومصنع صلب ومحطة لتوليد الكهرباء بالقوة المائية عن طريق قناة تحول مياه البحر المتوسط الى وادي البحر الميت .

وقدمت اسرائيل طلبا هاما للحصول على فحم جنوب افريقيا وأبدت حكومة فورستر اهتماما كبيرا بالمعدات الالكترونية وأجهزة التحكم .

(ج) جنود اسرائيل في « ناميبيا » (٢٢)

بقلم جون بوريل

لوساكا - زعمت المنظمة الشعبية لجنوب غرب افريقيا (سوابو) أن جنوب افريقيا تستخدم المرتزقة الاسرائيليين والبريطانيين لمساعدتها على السيطرة على المنطقة العازلة التي يباغ عرضها ٢٠ ميلا والتي انشئت على حدود ناميبيا مع أنجولا وزامبيا .

وقال رئيس المنظمة ، مستر سام فوجاما ، في حديث صحفي أدلى به هنا اليوم ان السوابو لديها الدليل على وجود خبراء اسرائيليين في كيفية مقاومة التمرد ومرتزقة بريطانيين في المنطقة العازلة .

(ولقد صرح اليوم المتحدث عن وزارة الدفاع الاسرائيلية في تل أبيب بأنه ليس لديه أى معلومات عن وجود اسرائيليين يساعدون في السيطرة على حدود ناميبيا . وقال المتحدث : « ليس لدى علم بوجود أى اسرائيليين يقومون بمثل هذا العمل في جنوب افريقيا أو غيرها من أجزاء افريقيا » .)

وقال مستر نوجوما ان المرتزقة البريطانيين يعملون لدى حكومة جنوب افريقيا طوال ٤ أعوام تقريبا وهم يقومون بتركيب الأجهزة الالكترونية الخاصة باكتشاف الفدائيين الذين يحاولون عبور المنطقة العازلة واستطرد بقول ان أهالي جنوب افريقيا قد بدأوا مؤخرا في استخدام الاسرائيليين في المنطقة العازلة ، لأنهم يعتبرونهم - كما قال خبراء في أساليب الحرب الصحراوية .

وعندما سئل فوجوما عما لديه من أدلة على تورط الاسرائيليين في ناميبيا ، رد قائلا : « ان قواتنا الفدائية تملك الدليل على وجود اسرائيليين هناك » . وعندما واجه مزيدا من الضغط ، قال ان الذين يعيشون في القرى الواقعة على الحدود شاهدوا الاسرائيليين وهم في زى جيش جنوب افريقيا .

وقال « ان شعبنا في تلك القرى تعرفوا عليهم من ملامح وجوههم ومن حقيقة أنهم كانوا يتكلمون العبرية في احاديثهم الخاصة وبدأ أنهم لا يعرفون شيئا عن اللغة الافريكانية » .

وأشار زعيم المنظمة الشعبية لجنوب غرب افريقيا الى ان فورستر ، قد زار اسرائيل مؤخرا ، حيث اتفق مع الاسرائيليين - وبقيا لمستتر

فونجوما - لم يلق القيام بعمليات عسكرية مشتركة وقال : « أن هذا يعتبر دليلا واضحا على أن هناك عمليات اسرائيلية - جنوب افريقية مشتركة .

وقال مستر فوجوما - معلقا على ما أعلن في ويندهوك من أنه غد تم تحديد يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٧٨ . موعدا لاستقلال ناميبيا - أن المنظمة لن تعترف بأي تحركات من جانب جنوب افريقيا في أراضي ناميبيا .

وأعلن أن « سوابو » ستستمر في تكثيف نضالها المسلح . وسوف نواصل القتال حتى تحقيق الحرية والديمقراطية الحقيقة والاستقلال في بلادنا . وسنشن كفاحا مسلحا ضد أي حكومة تابعة يقيمها مستر فورستر في ناميبيا . بل أننا سوف نحطمها . »

وندد مستر فوجوما بمحادثات تيرنهول في ويندهوك على أساس أنها تسخر بالديمقراطية « وقال أن أي اقتراح باجتماع وفود يترنهورك بسوابو » سواء في زامبيا أو تانزانيا يعتبر اقتراحا أجوف .

وصرح بأن « سوابو » غير مستعد للتحديث الى زعماء الدول العميلة إذ أنه لا جدوى من ورائهم . ولكننا مستعدون لاجراء محادثات مع حكومة افريقيا في أي وقت وأي مكان فيما عدا ناميبيا . وبالطبع ستدور محادثات معهم فقط حول اسس سحبهم لادارتهم من ناميبيا ومتى يكون ذلك . »

(د) مجموعة جنوب أفريقيا تقول ان الاسرائيليين يقاتلون هناك (٢٢)

لوساكا ، زامبيا ، في ٢٢ أغسطس (ا.ب) - تؤكد المنظمة الشعبية لجنوب غرب افريقيا العسكرية ان اسرائيل تساعد جنوب افريقيا في العمليات العسكرية بجنوب غرب افريقيا أو ناميبيا ، وتعلن انها تتوقع الحصول على مساعدة من كوبا أو الاتحاد السوفيتي لتصفيد الحرب الفدائية في المنطقة .

ووجه اليوم سام نوجوما ، زعيم المنظمة . اتهامات لاسرائيل بالاشتراك في العمليات العسكرية على طول الحدود بين جنوب غرب افريقيا وأنجولا . وصرح نوجوما هنا بأن « البيض في جنوب افريقيا بدأوا في استخدام الاسرائيليين لمساعدتهم في السيطرة على المنطقة العازلة التي تم اخلاؤها على طول الحدود بين أنجولا وناميبيا . »

ولطالما تجاهلت الاقلية البيضاء في جنوب افريقيا مطالبة الأمم المتحدة لها بالتخلي عن جنوب غرب افريقيا ، وهي مستعمرة المانية سابقة ، ولكنها تضم مجتمعا متعدد الجنسيات تسانده حكومة جنوب افريقيا ،

وحددت الأمم المتحدة مؤخرًا يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٧٨ ، موعدًا للاستقلال .

« أسفرت العلاقات بين إسرائيل وجنوب إفريقيا وأثرها على السود في أمريكا والمجموعات المهتمة بالفعل العنصرى ، عن شن حملة صهيونية - جنوب إفريقيا في صورة زيارات يهودية (٢٩) وبيان صادر عن المؤتمر اليهودى الأمريكى . »

* * *

(٢٩) العلاقة بين يهود أمريكا وجنوب إفريقيا

وأهميتها المستقبلية

(١) رؤساء التحرير الأمريكيون يدافعون بدولة الفصل العنصرى :

تشجيع العلاقات بين الصهيونية - وجنوب إفريقيا (٢٤)

أخبر اسحاق يونا ، سفير إسرائيل لدى جنوب إفريقيا ، ورؤساء تحرير الاثنى عشرة صحيفة يهودية أمريكية رئيسية ، الذين زاروا جنوب إفريقيا في مايو الماضى ، انه باتخاذهم موقفًا إيجابيًا في صحفهم أزاء جنوب إفريقيا ، يخدمون العلاقات بين جنوب إفريقيا وإسرائيل « كما انهم يخدمون جنوب إفريقيا » . وقال يونا ان الظروف في جنوب إفريقيا تعتبر في واقع الأمر أفضل بكثير « مما تحاول الدعاية المناهضة لجنوب إفريقيا اظهارها بها » . وقد أدلى السفير بهذه التصريحات قبل شهر فقط من انتهاج جنوب إفريقيا لأسلوب وحشى في قمع المقاومة المناهضة للفصل العنصرى التى اشتعلت في مسويتو في يونيو والتى سرعان ما امتدت الى باقى أنحاء جنوب إفريقيا .

وقد تحملت « منظمة السياحة بجنوب إفريقيا » - وهى وكالة شبه حكومية تكاليف رحلة رؤساء التحرير ، وذلك بالمشاركة مع شركة طيران بان امريكان وقد صاحبهم في رحلتهم ، ويليام ايفانز ، مدير المشروعات الخاصة ببان امريكان ، كما صاحبهم مدير مكتب منظمة جنوب إفريقيا للسياحة في نيويورك . واستهدفت هذه الرحلة ، التى أعلن انها زيارة للجالية اليهودية في جنوب إفريقيا ، الدعاية بان امريكان الجوى الجديد بين نيويورك وريد وجوهانسبرج ، والسياحة في جنوب إفريقيا .

وقد شرح فيليب هوتشستين ، رئيس تحرير وناشر صحيفة جويش ويكلى ، الذى اشترك في الرحلة ، الاهداف التى سعى منظمو الرحلة الى

تحقيقها وذلك في مقال نشر بعدد الصحيفة الصادر في ٢٧ مايو . فقد جاء في المقال « ان افتتاح خط بان امريكان الجديد بين نيويورك وجوهانسبرج المار بريودي دي جانيرو قد دفع رجال العلاقات العامة ، الى بذل جهد لجذب السياح اليهود . . وتسعى افريقيا بوجه خاص لجذب السياح اليهود نظرا لكبر عددهم وايضا نظرا للامل في ان يؤدي وجود اهتمام مشترك باستمرار وجود اسرائيل ومقاومة امتداد النفوذ الاستعماري الروسي ، الى نشر التفهم في الخارج للمشكلة العرقية المعقدة للفاشية في جنوب افريقيا والدور الاستراتيجي الذي تلعبه على النطاق العالمي ولمواجهة احتمال ان تعمل روسيا على تقويض جنوب افريقيا عن طريق تأييد منح السود حقوقا متساوية فان كلا من روسيا والسود في جنوب افريقيا قد يعملون على قيام دولة افريقية متحدة عنصريا قبل الاوان فيصبح البيض عندئذ عاجزين امام حكم الاغلبية السوداء التي تفتقر الى الحنكة » .

وقد عملت القيادة الرسمية للروابط اليهودية بجنوب افريقيا ، وهي هيئة نواب يهود جنوب افريقيا ، لمدة سنين طويلة ، وبنجاح غير منتظم ، من اجل تحقيق تأييد المنظمات اليهودية الدولية والامريكية للعنصرية او على الأقل تحديد موقف هذه المنظمات من هذه المسألة .

وبالرغم من طبيعة الرحلة التي اثارت الجدل ، لم يرفض اي رئيس تحرير الاشتراك فيها لاسباب اخلاقية او سياسية - وذلك وفقا لما قاله ايفانز ، مدير بان امريكان الذي اختار رؤساء التحرير على اساس حجم توزيع صحفهم والمواقع الجغرافية ، لاحد كتاب صحيفة « فلسطين » .

وقد صرح جيسي لوري ، رئيس التحرير التنفيذي لصحيفة هاواسا ، انه ايد مقاطعة السياحة الصهيونية للمكسيك في العام الماضي ، نتيجة لتصويت حكومة المكسيك لصالح قرار الامم المتحدة الذي ندد بالصهيونية والفصل العنصري في جنوب افريقيا كشكل من اشكال العنصرية ، ولكنه اضاف انه لم يجد اي غضاضة في تشجيع الرحلات لجنوب افريقيا . ويكتب لوري يقول في تعليقه : « ان جنوب افريقيا تعتبر بلدا جميلا وجذابا . وليس هناك اي سبب يدعو لمقاطعته : » و اضاف يقول انه قال لوزير السياحة في جنوب افريقيا « ان بلادكم جميلة وهي تذكرني كثيرا باسرائيل فهي مثلها تواجه مشاكل لا حل لها » .

ووفقا لما ذكره لوري فان المجموعة قابلت اعضاء هيئة نواب يهود جنوب افريقيا وكثيرا من الشخصيات الحكومية ، ولكنه لم يقابل شخصا سوى واحد اسود من جنوب افريقيا ، وكان مليونيرا .

وهذه الرحلة تتفق والاجراءات الرسمية الاخيرة من أجل تدعيم العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل . وقد جاءت رحلة رؤساء التحرير بعد وقت وجيز من زيارة فورستر ، رئيس وزراء جنوب افريقيا ، لاسرائيل حيث وقع اتفاقا تجاريا هاما . وقد استقبلت الحكومة الاسرائيلية ، فورستر الذى اعتقل ابان الحرب العالمية الثانية بصفته جنرالا فى منظمة النازى بجنوب افريقيا ، وعضوا بجناحها العسكرى استقبالا حافلا . وقد شرب اسحاق رابين ، رئيس وزراء اسرائيل نخب فورستر اثناء مأدبة عشاء ، قائلا « انى اعتقد ان بلدينا مشتركان فى مشكلة واحدة وهى كيف نبني جسرا للحوار الاقليمى والتعايش السلمى والاستقرار فى مواجهة عدم الاستقرار والتهور الموعز بهما من الخارج » .

وقد رتب ايفانز ، مدير بان امريكان ، لقاء بين رؤساء التحرير الاثنى عشر ويونا ، سفير اسرائيل لدى جنوب افريقيا ، الذى حدد ، وفقا للصحافة اليهودية « بعض الفلسفات والاسباب الكامنة وراء التقارب غير العادى الذى نما بين اسرائيل وجنوب افريقيا » . وقد تم نشر الحديث الصحفى الذى ادلى به السفير الاسرائيلى ، فى الصحف اليهودية بالولايات المتحدة .

(ب) اسرائيل وجنوب افريقيا : التقارب فى عالم معاد (٢٥)

اوضح اسحاق يونا سفير اسرائيل فى جنوب افريقيا فى حديث صحفى ادلى به ، لمجموعة صغيرة تمثل الصحافة اليهودية الامريكية بما فى ذلك صحيفة جويش بريس ، بعض النظريات الفلسفية والاسباب الكامنة وراء التقارب غير العادى النامى بين اسرائيل وجنوب افريقيا .

وقد اشار السفير يونا فى مستهل حديثه الى الزيادة الحادة فى حجم التجارة المتبادلة بين اسرائيل وجنوب افريقيا . فعلى سنة ١٩٦٩ بلغ حجم التبادل التجارى بين البلدين ٣ مليون دولار ووصل خلال السنوات السبع الاخيرة الى ٨٠ مليون دولار . واهم واردات اسرائيل من جنوب افريقيا هى الصلب والحديد وغيرهما من المعادن اما اهم صادراتها الى جنوب افريقيا فهى الاسمدة الكيماوية والاجهزة الالكترونية والآلات والمنسوجات والملابس الحديثة ومنتجات المواالح .

وفيما يلى بعض المقتطفات من الحديث الصحفى .

س - ما هى العوامل الرئيسية التى قربت بين اسرائيل وجنوب افريقيا ؟

ج - أستطيع ان اقول انك اذا سألت احد سكان جنوب افريقيا وخاصة احد الافريكانيين فانه سيعطيك ثلاثة أسباب لهذا التقارب . وسيقول لك أولا ان لنا تراثا مقدسا واحدا ولا أستطيع ان اقلل من شأن هذا الشعور . ان الافريكانيين يعتبرون شعبا مسيحيا متدينا ، وربما يعرفون الكتاب المقدس بما في ذلك العهد القديم ، اكثر مما نعرفه وهم يقدمون لنا مجالا للمقارنة فكثيرا ما تجدهم يقارنون بين الهجرة الكبرى التي قام بها الافريكانيين ، للابتعاد عن البريطانيين الى اقليم الترنسفال وبين الخروج العظيم لليهود من مصر . وكما قلت لبعض الأصدقاء فانهم كانوا يطلقون على القرى والمدن التي يمرون بها ويستقرون فيها أثناء هجرتهم الجماعية شمالا ، اسماء من الانجيل مثل بيت لحم وبيتال وبينونى وما الى ذلك . وعلى ذلك فان هناك تراثا انجليا مشتركا يتمتع باحترام كبير فى اسرائيل . ثم هناك شعور ، ربما كان مبسطا بشكل مبالغ فيه ، من جانب الافريقيين الذين يشعرون بأن مصر جنوب افريقيا واسرائيل واحد فكلاهما يعتبر مجتمعا صغيرا محاطا بأعداء يتفوقون عليه من الناحية العددية ولا بد له رغم ذلك من ان يحافظ على وجوده ويبلغ تعداد الجالية اليهودية هنا حوالى ١١٧ ألف شخص ، وهم من اليهود المعروفين باخلاصهم المتناهى لاسرائيل والذين يشعرون بولاء كبير نحوها ، والذين يساهمون ماديا وثقافيا وروحانيا فى سبيل بناء اسرائيل والذين هاجروا من هنا الى اسرائيل بفضل العلاقات الطيبة القائمة بين حكومة جنوب افريقيا واسرائيل . ويحتل اليهود وصفا متميزا الى حد ما من حيث قدرتهم على ارسال الاموال الى اسرائيل ، أى ان بمقدورهم استثمار أموالهم فى اسرائيل وعلى ذلك لدينا هنا مكانة مميزة نعتز بها فيما يتعلق بعلاقتنا بجنوب افريقيا ، وكما قلت هناك أيضا العلاقات التجارية النامية . وخلال السنتين أو الثلاث السنوات الأخيرة كانت هناك أيضا علاقة تبادل علمى نامية بين البلدين . وهناك كثير من المشاكل المشتركة بين جنوب افريقيا واسرائيل قبل الحاجة للمحافظة على خصوبة التربة وازالة الملوحة من مياه البحر وبتزايد تبادل العلماء بين البلدين الذين يحاولون سبر غور المجالات ذات المصلحة المتبادلة ويعملان فى المشروعات المشتركة وما الى ذلك . وعلى ذلك فانها علاقة تنمو باطراد وتزداد قربا بالرغم من الخلافات السياسية المتأصلة والواضح وجودها بين البلدين .

س : السيد السفير ، ما رأيك فى ردود الفعل غير العادية فى جميع الدول لاسرائيل ؟

ج - حسنا ، انى أعتقد أن هناك مبالغة فى تقدير زيارة رئيس الوزراء لاسرائيل ، وربما أستطيع أن أقول أنه يتم تقويم الزيارة بمعيار مزدوج أيضا ، إذ أن رئيس وزراء رومانيا قام منذ بضعة سنوات بزيارة اسرائيل ، وعندما ردت مسز جولدا مائير الزيارة لرومانيا ، لم ترتفع الصيحات التى ترددت ان اسرائيل تتحول نحو الشيوعيين لأن رئيس وزراء رومانيا زار اسرائيل أو أن رئيسة وزراء اسرائيل قامت برد الزيارة لرومانيا . ولقد زار بلادنا العديد من رؤساء الدول من العالم الثالث ، والذين لا يعتبرون تماما من حملة شعلة الليبرالية التقدمية الفكرية ، ولم يذكر احد فى تلك المناسبات ان اسرائيل بدات تنهون فى اتجاهاتها الليبرالية . وانا أعتقد أنه يوجد هنا ، بالنسبة لزيارة رئيس وزراء جنوب افريقيا لاسرائيل ، ميل الى ما أصفه بتطبيق معيار مزدوج فى هذه الحالة . ولقد صرح رئيس وزراء جنوب افريقيا بنفسه بعد زيارته لاسرائيل ، بان التعاون بين البلدين يعتبر مثالا على التعاون بين أى بلدين فى المجالات الاقتصادية والصناعية والعلمية بالرغم من الخلافات السياسية بينهما . ونحن لا نتدخل فى شئون جنوب افريقيا ، ولا نتدخل جنوب افريقيا فى شئوننا ، وفى واقع الأمر ان مستر فورستر ذهب منذ بضعة أيام الى حد التصريح بان جنوب افريقيا تشعر بأنها حرة فى اقامة علاقات مع دول غير صديقة لاسرائيل تماما كما أنه من الواضح ان اسرائيل لها مطلق الحرية فى اقامة علاقات ودية مع دول قد تشعر بعداء نحو جنوب افريقيا . وعلى هذا فانها تعتبر علامة عملية ، وانا أعتقد أنه من فى اعقاب زيارة رئيس الوزراء سستزايد المزاي التى تعود على اسرائيل ، خاصة فى المجال الاقتصادى . وكذلك بالنسبة للتسهيلات التى ستمنح للجالية اليهودية فى جنوب افريقيا للمشاركة بشكل ايجابى أكثر مما أتيح لها فى الماضى وذلك من خلال الاستثمارات وغيرها من الأساليب التى تساعد اسرائيل على تدعيم موقفها الاقتصادى . ومن الواضح اننا أخذنا فى اعتبارنا أنه ستحدث ردود فعل عكسية فى البلاد الأخرى نحو هذه الزيارة ، ولكننى أعتقد أنه على المرء أن يوازن خلال ظروف الحياة السائدة اليوم ، بين المزايا والمساوىء ، فلا يمكن القول بان هناك حلولا تعتبر مثالية تماما أو سلبية تماما ، وانا أعتقد أنه فى حالة اجراء موازنة ستسفر زيارة رئيس وزراء جنوب افريقيا لاسرائيل عن بعض المكاسب بالنسبة لاسرائيل فى كشف الموازنة .

س : سيدى السفير ، هل تعتقد أنه يجب على المجتمعات اليهودية فى أمريكا واسرائيل بل فى أى مكان ، أن تنظر برضاء نحو جنوب افريقيا ، نظرا للعلاقة الخاصة بين جنوب افريقيا واسرائيل ؟

ج : سألتزم هنا بالخط العريض الذى اتضح من خلال تصريحات مستر مارياس شتاين ، وزير السياحة ، اليكم مساء امس . فان جنوب افريقيا ليست « المدينة الفاضلة » ، هناك فى واقع الامر كثير من الدول التى يمكن اعتبارها كذلك ، حتى اسرائيل ذاتها لا تعتبر « مدينة فاضلة » فاننا نعانى جميعا من مواطن الضعف ، ولا أحد يشك - بما فى ذلك شعب جنوب افريقيا ذاته - فى ان جنوب افريقيا تعانى من بعض نواحي النقص ، ولكننى أعتقد ان زيارتكم هنا كضيوف على منظمة السياحة فى جنوب افريقيا وبان امريكان ، ستتمكنكم من القاء نظرة صادقة على جنوب افريقيا وأنا أعتقد انكم ستستطيعون ان تميزوا بين الدعاية المعادية وبين الأوضاع الحقيقية ، التى أعتقد انها تدعو للتفاؤل بدرجة اكبر مما ينصح من الدعاية المضادة لجنوب افريقيا ، واذا قدمتم فى صحفكم المختلفة صورة اصدق وأكثر واقعية لما ترونه فى جنوب افريقيا - وأنا لا أشك فى أن هذا هو ما سنفعلونه - فانكم ستخدمون بذلك العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل . بل أعتقد انكم ستخدمون بذلك أيضا نزاهتكم الفكرية . وهذا اقصى ما اسطيع قوله فى هذا الصدد .

س - سيدى السفير ، بالنظر الى علاقة جنوب افريقيا بالدول المصدرة للبترول ، كيف يتطابق وضعكم هنا مع الجغرافيا السياسية للموقف ؟

ج : ان جنوب افريقيا ، بالطبع ، تعتمد مثل اسرائيل على استيراد البترول . وكلاهما يعتمد بشدة على ايران التى تربطها باسرائيل وجنوب افريقيا علاقات ودية للغاية . وبالإضافة الى ذلك فان جنوب افريقيا أحدثت بعض الاتصالات مؤخرا ببعض الدول العربية . وقد ترددت أرباب فى العام الماضى تفيد بان سفير جنوب افريقيا فى لندن قام بزيارة العربية السعودية والكويت وغيرها من الامارات الفنية بالبترول ، وأنا أعتقد انه يمكن للمرء أن يتكهن بانه لم يقم بهذه الزيارات لأمر صحيحة فقط . واذا أخذ المرء فى اعتباره أن جنوب افريقيا تملك الذهب الذى ربما كان أكثر جاذبية بالنسبة للعقليات العربية من العملات الورقية ، فقد تراوده بعض الافكار التى قد تطابق الصورة القائمة .

س : سيدى السفير ، هل يمكنك أن تعلق على النواحي العسكرية ، ان وجدت ، فى اتفاقيات اسرائيل وجنوب افريقيا ؟

ج : من الواضح ، ان مستر فورستر أثناء زيارته لاسرائيل - وكنت معه - كان مهتما للغاية بجيشنا وبيحريتنا وسلاحنا الجوى ، وقد شاهد عرضا جويا ، ولكنكم تعرفون ان هذه الأمور تعتبر ، من وجهة نظر سياسية ،

بمثابة أحد المجالات ذات الجاذبية السياحية مثل الجائط الغربى وجبل صهيون . والمرء يحب أن يستعرض عضلاته العسكرية ولدى جنوب افريقيا خط امداد يمتد نحو فرنسا ، فسلحها الجوى قائم على أساس نظام تسليح تزوده به فرنسا . وحتى اذا افترضنا ان اسرائيل مستعدة لتزويد جنوب افريقيا بنظم تسليح ، وهى غير مستعدة لذلك ، فان الفرنسيين يحرصون على الا ينافسهم احد فى السوق ، وبامكانهم منع الجميع من دخوله . وليس هناك أى صفقات عسكرية من أى نوع ، وفى الواقع ليس هناك أى اتفاق لقد حدث نوع من المبالغة فى الموضوع . والذي حدث هو انه قرب نهاية الزيارة ، واثناء المحادثات بين الوزراء ، ثم تقديم اقتراح باجتماع الوزراء دوريا ، ربما مرة كل عام ، لمناقشة نواحي التعاون الاقتصادى والصناعى والعلمى القائمة ، وفى الواقع لدينا اتفاق مماثل مع الولايات المتحدة ، لدينا لجنة وزارية مشتركة يمثل فيها سيمون ، وزير مالية امريكا ، الولايات المتحدة، ويمثل روبينو فيتز ، وزير المالية ، اسرائيل فى اللجنة « وهم يجتمعون من وقت لآخر ، مرة أو مرتين ، وأحيانا فى اسرائيل وأحيانا أخرى فى الولايات المتحدة ، ولكن هذا ترتيب لمواجهة أغراض معينة ولمعالجة الأمور الجارية ، وهذا هو ما تم الاتفاق عليه عندما كان وفد جنوب افريقيا موجودا فى اسرائيل أى ان تقيم جهازا لمعالجة الشؤون الاقتصادية والصناعية والعلمية الجارية ، ولكن لم يتم تشكيل هذا الجهاز بعد .

س : سيدى السفير ، ماذا عن الاحتمالات الفعلية بالنسبة لتحسين العلاقات بين اسرائيل ودول افريقيا السوداء ، كيف يمكنك تقويمها ، وماذا تم بالنسبة لهذه الاحتمالات ؟

ج : حسنا اننا نتلقى بالفعل اشارات من بعض دول افريقيا تفيد بانها تشعر بشيء من الأسف لاستسلامها للارهاب العربى وانها تشعر بأنها أخطأت وإنه اذا عرضت عليها شروط ملائمة وفرص طيبة فانها سترحب باستئناف علاقاتها باسرائيل ، ومن الأمور الشيقة فى نطاق العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا نلاحظ عدم وجود أى تناقض فى هذا لان الدول الافريقية التى ترسل تلك الاشارات الى اسرائيل حول استعدادها من حيث المبدأ لاستئناف العلاقات مع اسرائيل ، هى نفس الدول التى تجرى حوارا مع جنوب افريقيا ، وأنا أشير بوجه خاص الى دول مثل ساحل العاج وليبيريا وجمهورية افريقيا الوسطى وخلافه . وبالإضافة الى ذلك فان هناك عددا قليلا من الدول المستعدة لاستئناف العلاقات معنا ، ولكن ليس

من الضروري ان تجرى محادثات مع جنوب افريقيا ، الا ان هذه الدول التي تجرى محادثات مع جنوب افريقيا تصدر ايضا بعض الاصوات نحونا ، وفي الواقع زادت تجارتنا وصادراتنا الى افريقيا السوداء في عام ١٩٧٤ - وهو العام التالي لقطع العلاقات مع دول افريقيا السوداء - بنسبة ٦٥٪ عن العام السابق . وعلى ذلك فان التجارة مستمرة ولنا تمثيل تجارى في معظم الدول الافريقية ، بل اننا في الواقع ممثلون تجاريا في كل الدول الافريقية باستثناء أوغندا . وما زالت الشركات الاسرائيلية تعمل هناك ، وما زالت اعمالنا في كثير من النواحي تسير كما كانت من قبل .

(ح) المعلقون يتأثرون بالفصل العنصرى (٢٦)

اندلعت مظاهرات الاحتجاج المعادية بين الطلبة السود في جنوب افريقيا ضد سياسات الفصل العنصرى التي تنتهجها الحكومة بعد شهر واحد من زيارة ١٢ من رؤساء تحرير الصحف اليهودية لجنوب افريقيا . ووفقا لتقارير الامم المتحدة فان ما يقرب من ١٠٠٠ شخص من المتظاهرين قتلوا بواسطة قوات الامن في جنوب افريقيا اثناء محاولات قمع التمرد .

وقد سخر فينيس ستون ، كاتب المقال الافتاحى في صحيفة الجويش ويك التى كان رئيس تحريرها ، فليب هرشتاين ، قد عاد لتوه من رحلة رؤساء التحرير الى جنوب افريقيا سخر من الغضب الدولى ازاء طرق القمع الوحشية التى تم استخدامها ويربو توزيع هذه الصحيفة على ١٠٠ ألف نسخة في الولايات المتحدة .

وقد انتقد ستون فى مقاله الملىء بالافتراءات العنصرية ، الليبراليين الذين يرون « تحرك جنوب افريقيا تدريجيا نحو المساواة » وجادل بأن تحقيق المساواة بين « أغلبية سوداء ساحقة ولكن بدائية » و « والاقليّة البيضاء الحاكمة المتقدمة » سوف تؤدي أولا الى طرد البيض ثم الى « سنوات وربما تصل الى عشرات السنين من تبادل المذايح » بين القبائل السوداء المتنافسة في البلاد .

وكتب ستون يقول ان « مجموعة رؤساء التحرير اليهود الذين زاروا جنوب افريقيا منذ بضعة اسابيع تأثروا بوجه عام بالمنطق والاخلاص وراء برنامج التنمية المنفصلة » الفصل العنصرى « الذى تطبقه الحكومة .

(د) الدفاع عن اسرائيل بشأن مسألة جنوب افريقيا (٢٧)

نشرت منظمة يهودية امريكية دراسة تزعم ان العرب ودول افريقيا السوداء تقيم « علاقات تجارية مزدهرة مع جنوب افريقيا ، في الوقت

الذى تهاجم فيه نفس هذه الدول توسيع نطاق العلاقات الاقتصادية بين جنوب افريقيا واسرائيل .

وجاء في هذه الدراسة ، التى أعدتها منظمة « المؤتمر اليهودى الأمريكى » ، انه « بينما ترفع دول افريقيا السوداء صوتها بالهجوم علينا على سياسة جنوب افريقيا العنصرية تعترف سرا بأنه لا بد ان تحافظ على تجارتها مع نظام الفصل العنصرى ، اذا أرادت الحفاظ على بقاء ونمو اقتصادياتها . »

وذكر المؤتمر اليهودى الأمريكى ان ١٩ دولة افريقية تتاجر مع جنوب افريقيا وان كثيرا من هذه الدول ندد بالزيارة الأخيرة التى قام بها رئيس وزراء جنوب افريقيا لاسرائيل والتى أسفرت عن تدعيم الروابط الاسرائيلية الجنوبية الافريقية .

وتعتبر المعاملات التجارية مع حكومة موزمبيق الاشتراكية ، أهم معاملات جنوب افريقيا فى القارة . ووفقا للتقدير ، قامت جنوب افريقيا بتوفير ما يقرب من نصف مجمل واردات موزمبيق من الخارج فى العام الماضى .

ووفقا لدراسة صادرات جنوب افريقيا الى باقى الدول الافريقية بلغت فى عام ١٩٧٥ ٤٩٣ مليون دولار ، بينما بلغت وارداتها من تلك الدول ٢٦٦ مليون دولار . وبالإضافة الى ذلك ، يزعم التقرير ان السعودية العربية « قامت بشراء كميات ضخمة من المواد الغذائية من جنوب افريقيا وانها بعثت بوفد الى جوهانسبرج لبحث شراء ما قيمته عدة ملايين من الدولارات من مواد البناء المصنعة مسبقا » .

وصرح الحاخام آرثر هيرتزبيرج ، رئيس المؤتمر اليهودى الأمريكى ، بأنه « كثيرا ما يتم التفاوض عن الخلافات السياسية العميقة فى سبيل البقاء الاقتصادى . وهذا هو الحال مع افريقيا السوداء ، وهو الحال أيضا مع اسرائيل » .

وكان بايارد راستين ، زعيم الحقوق المدنيين الذى يرأس لجنة تعرف باسم « الأمريكيون السود المؤيدون لاسرائيل » ، قد بعث برسالة الى هيرتزبيرج ، أعرب فيها عن « أسفه » ازاء العلاقات التجارية النامية بين اسرائيل وجنوب افريقيا . وأعلن راستين ، بعد قراءته لتقرير المؤتمر اليهودى الأمريكى ، انه عدل « من تفكيره » .

وقال راستين « اننى أشعر بالحزن عندما تعمل إسرائيل على توسيع نطاق تجارتها مع جنوب افريقيا . ولكننى أشعر بمزيد من الحزن عندما يفعل الافريقيون ذلك . وانى أندد بالنفاس من جانب الافريقيين الذين يهاجمون هذه التجارة فى الوقت الذى يقومون فيه هم انفسهم بممارستها . غير ان راستين أضاف يقول « اننى لن أكف عن ما فى الشعور بالحزن ازاء قيام أية دولة بالاتجار مع أخرى يجرى فيها اطلاق الرصاص على الأطفال السود . »

(هـ) مراسلات بين راستين وهيرتيرج (*) (٢٨) .

أرقت بالدراسة التى أصدرها المؤتمر اليهودى الأمريكى نسخ من الرسائل المتبادلة بين بايارد راستين ، مدير لجنة الأمريكين السود المؤيدبن لإسرائيل والحاخام آرثر هيرتيرج ، رئيس المؤتمر اليهودى الأمريكى . وقد أعرب راستين فى رسائله عن « شعوره بالقلق العميق والانزعاج » لزيارة جون فورستر ، رئيس وزراء جنوب افريقيا ، لإسرائيل فى يوليو الماضى وأعلن راستين انه هو « وجميع اصدقاء إسرائيل فى المجتمع الاسود يشعرون بالأسى » نحو هذه الزيارة .

وأبرز هيرتيرج فى رده على الرسالة ان الاسرائيليين المسئولين « ابتداء من رئيس الوزراء راين الى اقل المناصب » حرصوا على مهاجمة الفصل العنصرى فى المجالات العامة والخاصة وكتب هيرتيرج يقول ان راين رغم ذلك قد استقبل فورستر بالفعل « وقرر الطرفان توسيع نطاق العلاقات التجارية » . وأضاف انه « ربما نجد الجواب على هذا فى عزلة إسرائيل الفعلية عن العالم وتعرضها للهجوم السياسى والحرب الاقتصادية والغزو العسكرى » .

وأورد - كمثل على ذلك - حقيقة ان السنوات الطويلة التى شهدت علاقات إسرائيل الوثيقة بكثير من الدول الافريقية السوداء وما تقدمه لها من مساعدات قد انتهت عندما قطعت هذه الدول علاقاتها بإسرائيل سنة ١٩٧٣ .

(ان نمو العلاقات بين إسرائيل وجنوب افريقيا يدل على تصميم الدولتين على المحافظة على الوضع القائم وعلى جميع المزايا الناجمة عنه ، بغض النظر عن الثمن الباهظ الذى يدفعه سكان البلاد الاصليون . غير ان المقاتلين فى سبيل الحرية فى كلا البلدين ، يعملون فى نطاق رؤيا محدودة ، وهى اقامة دولة ديمقراطية علمانية تحمل فى طياتها الأمل فى الحرية والمساواة للجميع) .

* وكالة التلغراف اليهودية ، النشرة اليومية للاباء ٧ سبتمبر سنة ١٩٧٦ .

(٢٠) الحلول الوطنية « لمشكلة الاستيطان » (٢١) الاحتمالات والمشاكل *

بقلم : جورج جابور

ربما كان الوقت لا يزال مبكرا للحديث عن الحلول الوطنية للمشاكل المتعلقة بالاستيطان في جنوب افريقيا ، وروديسيا الجنوبية ، واسرائيل . وهناك في هذه الدول الثلاث مقاومة من سكان البلاد الاصليين واصرار وتصميم ، وليس هناك أى افتقار الى الشجاعة ، ومع ذلك لا يبدو ان السكان الاصليين سيتولون ناصية الأمور في المستقبل القريب . وعلى الرغم من اصرار السكان الاصليين على استعادة حقوقهم ، فانهم يعترفون صراحة بأن صراعهم سيكون طويلا ، وتعرضه المصاعب والعقبات . وفي هذه المرحلة من النضال ضد المستوطنين الاستعماريين ، لا يجد الأهالي انفسهم في وضع يمكنهم من وضع برامج عمل مستفيضة ومفصلة . ومع ذلك يملكون الخطوط العريضة لما يودون تحقيقه .

ومن المعروف لدى الجميع ان هذه الخطوط العريضة تتمثل في اصرارهم على التحرر من العنصرية والفرقة على أساس الجنس أو العقيدة ، وما يلفت النظر ويستحق الثناء أن السكان الاصليين في جنوب افريقيا وروديسيا الجنوبية واسرائيل . يصرون ، بالرغم من أن لديهم الحق الكامل في كراهية المستوطنين ، على أنهم مستعدون لمعايشة المستوطنين على أساس المساواة للجميع . وشرطهم الوحيد لهذا هو ازالة الأساس العنصرى الذى تقوم عليه جميع المؤسسات الخاصة بالمستوطنين . وهذا يعتبر بالنسبة لكثير من المستوطنين بمثابة الدمار الفعلى لأنهم اعتادوا على التفكير في أن وجودهم مستحيل بدون التمتع بالمزاي والتفوق . ولكن يجب توضيح أنه ليست هناك أى حركة وطنية ، سواء في جنوب افريقيا أو فلسطين ، تنادى بالابادة أو بالطرد الجماعى بالقوة للمستوطنين وبدون تمييز . فان الأمر الذى يعارضه الوطنيون ليس وجود المستعمرين بصفتهم هذه . فهم لا يناهضون المستوطنين على أساس لونهم أو بشرتهم أو معتقداتهم الدينية بل أنهم يناهضون التفوق الذى يستمتع به المستوطنون ، والتمييز الذى يمارسونه والأساليب التى يتهجونها . وحقيقة أن معظم المستوطنين يوافقون على السياسة العنصرية التى يتبعها زعمائهم ضد الوطنيين لا يشوش على ايمان الوطنيين الواضح بأنه اذا كانوا هم ضحايا الفرقة العنصرية فانه لا يتعين عليهم أن يمارسوها ضد مضطهديهم . وعلى ذلك فان تأكيد

* الاستيطان الاستعمارى في جنوب افريقيا واسرائيل (بيروت : مركز ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٧٠)

المساواة في الحقوق بالنسبة لجميع الديانات والجنسيات هو أهم ما يميز الخطوط العريضة لرؤيا الوطنيين بالنسبة للمستقبل .

وتزخر وثائق حركات التحرير الوطنية بمادة كافية توضح هذا التركيز على المساواة . ففي جنوب افريقيا ما زال ميثاق الحرية الذي تمت الموافقة عليه في ٢٦ يونيو سنة ١٩٥٥ ، هو الوثيقة الرئيسية التي توجه أعمال المؤتمر الافريقى الوطنى ، وتعتبر بمثابة الخط العريض الذى يحدد المستقبل وميثاق الحرية واضح وصريح تماما من تأكيده للمساواة . ويبدأ الميثاق بالكلمات التالية :

« نحن شعب جنوب افريقية نعلن امام بلادنا كلها وامام العالم أجمع . . »
ومن الملاحظ أن الاعلان صدر نيابة عن شعب جنوب افريقيا كله وليس نيابة عن الوطنيين وحدهم . وتتضح هذه الحقيقة بدرجة أكبر في الفقرة التالية من الديباجة .

ان جنوب افريقيا ملك لكل من يعيش فيها . سودا كانوا ام بيضا ، ولا يمكن لاية حكومة ان تتولى السلطة بحق ما لم تقم على أساس ارادة جميع افراد الشعب . . . »

وبذلك فمن الواضح ان المؤتمر الوطنى الافريقى يسلم تماما بحق المستوطنين فى البقاء ، كما يسلم تماما بأن جنوب افريقيا تعتبر وطنهم كما انها وطن للافريقيين والمولونين ، ولكن يجب ضمان حق اكتساب الجنسية بالميلاد بالنسبة للجميع ويعلن ميثاق الحرية فى هذا الصدد :

« ان الدولة الديمقراطية وحدها ، التى تقوم على أساس الارادة الجماعية للشعب - تستطيع أن تضمن للجميع حق اكتساب الجنسية بالمولد بدون تمييز من حيث اللون أو الأصل أو الجنس أو العقيدة . »

« ثم يعلن الميثاق بناء على هذه الفقرات الاستهلالية - وغيرها - « اننا نحن شعب جنوب افريقيا السود والبيض معا - كمواطنين متساوين وكأخوة - نقر ميثاق الحرية هذا . . . » .

ويستطرد ميثاق الحرية ليؤكد فى الفقرات العملية التركيز المستمر على فكرة المساواة ، ان حقوق الجميع تتساوى بصرف النظر عن الأصل أو اللون أو الجنس و « ستمتع كل المجموعات الوطنية والجنسيات المختلفة بالمكانة المتساوية امام هيئات الدولة والمحاكم وفى المدارس » ، « ان جميع المجموعات الوطنية ستمتع بحماية القساوان ضد الاهانات التى مبعثها الجنس والكبرياء الوطنى » ، « ان المناداة بالتمييز والازدراء على أساس القومية أو الجنس أو اللون أو ممارسة مثل هذا التمييز أو الازدراء سيعتبر جريمة يعاقب عليها القانون » ، « ستمتع الجميع حيثما يشاءون بالمساواة

من الحقوق في مجال التجارة والصناعة في أي مجال وحق ممارسة أي حرفة أو مهنة ، الخ ، الخ » ...

هذا ولم تضع منظمة التحرير الفلسطينية مخططا للمستقبل الخاص بفلسطين المحررة . بيد انه من الواضح ان منظمة فتح ، وهي اعرق واغوى منظمات التحرير ، تتبنى وجهة النظر التي لا تهدف الى طرد اليهود بل الى طرد اليهود بل الى اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية حرة يعيش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون جنبا الى جنب متمتعين بحقوق متساوية ومضمونة بالنسبة للجميع بصرف النظر عن الأصل او العقيدة . ومن المهم هنا ان نلاحظ نميز منظمة فتح - وغيرها من منظمات المقاومة - بين اليهودية والصهيونية وهم ينظرون الى اليهودية ، مثل كثير من اليهود غير الصهاينة ، على انها عقيدة دينية لا علاقة لها بالصهيونية التي تعتبر حركة سياسية امبريالية . وهي تقيم موقفها من هذه المسألة على اساس المنشورات اليهودية التي تناهض الصهيونية . وعلى ذلك فمن اهداف فتح - وحركات المقاومة الاخرى - تحرير الشخص اليهودي من الصهيونية وهو نفس الهدف الذي تسعى لتحقيقه كثير من المنظمات مثل المجلس الامريكي لليهودية الذي تم تشكيله بناء على برنامج بلتي مور ، ومثل المنظمات التي يشكلها الآن الحاخام المير جرجر تحت اسم مؤقت وهو « الحل اليهودي البديل للصهيونية » . ويجب الاشارة في هذا الصدد الى ان منظمة فتح نشرت في مارس سنة ١٩٦٩ ، نداء موجه الى يهود العالم تحثهم فيه على تشكيل جبهة مناهضة للصهيونية .

وسيؤدي قيام دولة فلسطينية علمانية ، كما تتصورها حركات المقاومة الى معاملة جميع المواطنين بها على قدم المساواة بصرف النظر عن الاصل أو اللون أو العقيدة . وقد اعلن متحدث باسم منظمة التحرير الفلسطينية «واننا لا نبوى انفاءهم (أي المستوطنين) في الخارج مثلما طردونا من قبل» واكد أن المستوطنين يستطيعون أن يظلوا من دولة فلسطين الديمقراطية العلمانية بعد تحريرها : « والشرط الوحيد هو أن يقبلوا التعايش كمواطنين مسالمين » .

وتعني مسألة اقامة دولة على اساس المساواة للجميع انه يجب تغيير جميع المؤسسات في الدولة التي تقوم على اساس التفرقة العنصرية . ويعلن ميشاق الحرية في جنوب افريقيا مثلا ان « جميع قوانين واسس الفصل العنصري سيتم إلغاؤها » ستلغى القيود المفروضة على ملكية الأراضي على اساس عنصري ، ويتم تقسيم الأرض بين الذين يفلحونها ، من اجل القضاء على المجاعة والتعطش للأرض » « لن يحرم الافراد من ماشيتهم

وسيتم الغاء السخرة والسجون الزراعية » ، « سيتم الغاء جميع القوانين التى تؤدى الى التمييز على اساس الجنس او اللون او العقيدة . . » الخ .

ولا بد وان يؤدى منح المساواة للجميع الى وضع هيكل جديد للدولة بدلا من ذلك القائم على التمييز العنصرى . ففي جنوب روديسيا مثلاً بصر الوطنيون على ان قيام حكم ديمقراطى لا بد ان يعنى التخلّى عن قانون توزيع الاراضى لسنة ١٩٧٠ وكذلك الغاء جميع القوانين الاخرى التى تقوم على اساس التمييز العنصرى كما يعنى اعادة تشكيل هيكل مؤسسات الدولة . ويقول ZAPU فى تعليقاته على المقترحات « الجريئة » : ان البوليس والجيش والادارة الحكومية والتشريعات كلها مشكلة بأسلوب يساعد على اضطهاد واستغلال الشعب الافريقى . ويجب حلها كلها واعادة بنائها حتى تخدم العدالة والحرية . ثم يجب تطهير الدستور من جميع القوانين التابعة من العنصرية وتعديل الاقتصاد من أجل مصلحة شعب البلاد بأسره وليس من أجل مصلحة فئة قليلة فقط .

وفى ظل دولة علمانية فلسطينية ، ينبغى القضاء على الصهيونية وتميزها وعنصريتها . وكما يقول ميشيل هادسون « القضاء على صهيونية الشعب اليهودى لا بد ان يتضمن اساسا اعلان تخليه عن هدفه الخاص بأن تصبح فلسطين يهودية تماما كما تعتبر انجلترا انجليزية » . وهذا يعنى الغاء قانون العودة ، الذى ينص على انه يمكن لليهود فى جميع انحاء العالم التمتع تلقائيا بالجنسية الاسرائيلية . كما يعنى انه لا بد من التخلّى عن الرموز العميقة الجذور للدولة اليهودية - اى العلم واسم اسرائيل . ويصبح من الضرورى اعادة تنظيم الاحزاب الاسرائيلية السياسية والمؤسسات شبه الحكومية بصورة جذرية ويؤكد الفلسطينيون ان هذا لن يعنى اى تعد على ممارسة اليهود من جميع المذاهب شئونهم الدينية التى يتمتعون بها الآن فى اسرائيل .

ومن ثم فان التركيز على المساواة يعتبر ابرز النواحي من الحلول التى يفكر فيها الوطنيون لمشكلة المستوطنين . وينبغى ان نقول هنا مرة اخرى ان المساواة تستدعى اجراء تغييرات اساسية فى المؤسسات الحكومية القائمة وان تحل محلها مؤسسات ديمقراطية جديدة تكون ذات طبيعة غير عنصرية . وهناك مظهر مميز آخر بالحلول التى يتصورها الوطنيون لمشكلة المستوطنين فانه ليس هناك اى تلميح يفيد بأن الوطنيين سيجبون المستوطنين على مغادرة البلاد . وهذه علامة بارزة هامة جدا ، لا لطبيعتها الانسانية ولا لانها تدل على ايماءة نبيلة من جانب الوطنيين نحو المستوطنين الذين طالما اضطهدوا الوطنيين بطرق شتى وعاملوهم بطريقة غير انسانية ، فحسب ،

بل لأنها تتضمن أيضا أهمية عملية . وهذه النقطة الهامة انما تعتبر في واقع الأمر بمثابة نداء موجه الى المستوطنين المتنورين ، وإلى المستوطنين الذين يلمسون ويتفهمون ويقدرّون الروح المعاصرة المناهضة للعنصرية ، وموجه الى أولئك المستوطنين الذين يتعاطفون مع سعى الوطنيين نحو تحقيق المساواة واستعادة الحقوق - وهو في النهاية نداء موجه الى كل هؤلاء ليقفوا الى جانب العدالة والحرية .

ومن الحقائق المعروفة ان الاتجاه العام للمجتمعات الاستيطانية يعتبر اتجاها رجعيا ، وربما يعتبر واحدا من اكثر الاتجاهات رجعية في العالم . وهذا ينطبق بوجه خاص على زعماء المستوطنين والشخصيات البارزة بينهم في المجالات الاقتصادية والمالية . غير أن هذا الاتجاه الرجعي العام للمجتمعات الاستيطانية يجب الا يستبعد ، او يؤدي الى التحامل على حقيقة بعض المستوطنين مستعدون لتفهم وجهة نظر الوطنيين ، اما لانهم يتعرضون هم انفسهم للاضطهاد (مثل كثير من اليهود الشرقيين في اسرائيل) او لانهم يعارضون من وجهة نظر اخلاقية او دينية او انسانية التمييز العنصري الذي يقوم على اساس الاصل او العقيدة .

ويعتبر مثل هؤلاء الأشخاص بالطبع حلفاء محتملين بل حلفاء فعليين احيانا للعناصر الوطنية . وهم لا يخشون شيئا من انتصار الوطنيين في النهاية على الحكومات الاستيطانية . بل على العكس فان الفرص متاحة لان يكسبوا من الاقامة في دولة ديمقراطية . ولا يبسّدوا ان دورهم هام من الناحية العملية حتى الآن ، ولكن عندما تزيد احتمالات انتصار الوطنيين في النهاية ، ستزداد هذه القطاعات من المستوطنين جراءة واستعدادا لاعلان رايها صراحة بل حتى للعمل بأسلوب يتفق مع الاستراتيجية الوطنية . وبذلك تعتبر وجهة نظر الوطنيين الخاصة بعدم اجبار المستوطنين على مفارقة الوطن بعد ان يتم تحريره وتطبيق الحياة الديمقراطية فيه ، تعتبر ذات اهمية كبرى من وجهة نظر انسانية وعملية كذلك . وهذا يثير مسألة أخرى : وهي مسألة من هم أولئك المستوطنون الذين سيمرغون في ترك البلاد وما هو السبب في ذلك ؟ .

واكبر احتمال هو انه بعد انتصار الوطنيين في النهاية ، سيجد المستوطنون الذين يؤمنون تماما بسلامة وصحة العنصرية ، والذين يخشون « الاندماج » لانه لا يضمن لهم التفوق والامتياز ، والذين يوجدون في اراض ليست بما كما لهم بل مجرد استغلالها - ان كل هؤلاء المستوطنين سيجدون انه من غير المحتمل بالنسبة لهم ان يعيشوا في دولة ديمقراطية تسيطر عليها العناصر الوطنية بالمشاركة مع حلفائها .

وهنا عامل آخر في هذه المشكلة . فان تحرير الاراضى الوطنية لن يتم بأسلوب سلمى : فان المستوطنين سيقاومون هذا الامر كما سيقاومون حلفاءهم الاستعماريين وعلى اكبر احتمال سيقاومه ايضا المرتزقة من امثال أولئك الذين ساندوا تشومبي في كاتنجا . ومن المؤكد ان المستوطنين سيقاثلون مثل الوحوش ، وسيكشفون عن كراهيتهم للوطنيين بكافة الطرق غير الانسانية الممكنة . ويقدم لنا المستوطنون في الجزائر في حربهم ضد العناصر الوطنية ، خاصة عندما اصبح من الواضح ان فرنسا بدأت ترضخ للمطالب الوطنية ، مثالا حيا على ما قد يحدث في جنوب افريقيا وروديسيا الجنوبية واسرائيل . ويقدم المستوطنون الفرنسيون ومنظمة جيشهم السرى مثالا حيا عن الفظائع التى قد يرتكبها المستوطنون ضد الاهالى ، ويعتبر دليلا على ان المستوطنين اليائسين والمسلحين ، يستطيعون العمل بوحشية ضد الاهالى ، وبأسلوب يشبه تصرفات المفايرين في المناطق الموحشة واثبتت منظمة الجيش السرى بصورة لا تدع مجالا للشك ، انه يوجد في قلب المستوطنين الاوربيين المتدينين الذين يفدون الى اراض غير اوربية من اجل نشر المدنية بها ، نوع من البدائية الوحشية التى من المؤكد انها لا تجد لها نظيرا بين الشعوب البدائية التى جاءوا لتطويرها .

واصبح من غير المعقول الآن ان يشكل المستوطنون من امثال مرتكبي جرائم « منظمة الجيش السرى » في الجزائر ، العناصر الرفيعة داخل مجموعة تساهم في اقامة دولة ديمقراطية او ترضى بالالتزامات التى تفرضها الحياة داخل مثل هذه الدولة . وعلى ذلك لا بد ان يكون هناك بعض المستوطنين الذين سيرغبون في الرحيل او الذين لابد ان يدفعوا ثمن جرائمهم وقد يكون عدد هؤلاء كبيرا او قليلا ، ويتوقف هذا على رد الفعل من النضال الوطنى مستقبلا . وكان المستوطنون الفرنسيون في الجزائر يصرون دائما على انهم جزائريون تماما مثل اى جزائرى مولود بالجزائر ، وكانوا يصرون على انه ليس لهم مكان آخر يلجئون اليه . فهل سيؤدى اكتشاف عدد كبير من المستوطنين في جنوب افريقيا وروديسيا الجنوبية واسرائيل ان عليهم ان يرحلوا الى خلق مشكلة انسانية ان بعض سكان جنوب افريقيا من اصل هواندى ويعيشون هناك منذ قرنين ونصف من الزمان ، بينما يعيش بعض المستوطنين في روديسيا الجنوبية واسرائيل منذ جيلين او اكثر . ماذا يكون مصير امثال هؤلاء الافراد ؟ هل سيجدون مكانا يلجئون اليه ؟

يستدعى الامر التاكيد المرة تلو الاخرى بانهم غير مضطرين للرحيل ، فهم غير مضطرين لمفادرة جنوب افريقيا وروديسيا الجنوبية واسرائيل اذا كانوا

يستطيعون تأكيد التزامهم بمبادئ العدالة والحرية والديمقراطية وهم يستطيعون ان يساهموا ايجابيا في سبيل اقامة دولة علمانية ديمقراطية في جنوب افريقيا وكذلك في روديسيا الجنوبية واسرائيل . والا فسيضطرب الذين يرفضون التعايش سلميا مع الاهالي على اساس من المساواة ، الى البحث عن مكان آخر يعيشون فيه وجاء في « تاريخ » جنوب افريقيا الذي كتبه كيپيل - جونز في سنة ١٩٤٧ ، ان كثيرا من البوير / سكان جنوب افريقيا من اصل هولندي) قد يجدون انه من الملائم ان يقيموا في امريكا اللاتينية واستراليا . ويفكر كثير من المستوطنين في روديسيا الجنوبية في انفسهم على انهم بريطانيون ، ولهم اقارب في بريطانيا ، ويمضون اجازاتهم هناك ويعود كثير منهم الى بريطانيا عندما يتقاعدون . وكثير منهم قدموا من بريطانيا الى روديسيا الجنوبية على امل تكوين ثروة هناك والعودة الى بلادهم كأثرياء . ويحتفظ كثير من المستوطنين في اسرائيل - جميع الاسرائيليين المهاجرين من دول غربية تقريبا - بجنسيتهم الاصلية ويحتفظون بجوازات سفرهم « الأجنبية » ويقومون بتجديدها بانتظام ويحتفظون بعلاقاتهم مع بلادهم الاصلى بل انهم يحتفظون هناك احيانا ببعض الاعضاء ذوى القربى من اسرهم . وتعتبر فترة وجودهم في اسرائيل شبيهة برحلة يقوم بها احد المغامرين الذين يسافرون في رحلة صيد ولكنه يكون مستعدا دائما للاحتفاظ بولائه القديم لبلده الاصلى . وهؤلاء المغامرون الذين يعرفون ان ديارهم توجد في مكان آخر هم اكثر الشخصيات التى يحتمل ان تقاوم الوطنيين لانهم لا يستطيعون ابدا ان يتصوروا امكان معاشتهم للاهالي على اساس من المساواة . ولا يشكل رحيل هذه العناصر اى مشكل حيث انهم يعرفون تماما ان ديارهم توجد في مكان آخر .

وانه لمن السابق لاوانه ، بالطبع ، ان نناقش حاليا بالتفصيل مستقبل المستوطنين الاوربيين بعد ان يتم الاطاحة بمؤسساتهم الحاكمة والقضاء على الامتيازات التى يتمتعون بها . ومن غير المعقول ان يحتفظ المستوطنون بمكانتهم المميزة الحالية . وليس من المعقول الا يتم القضاء على استعمار المستوطنين في جنوب افريقيا وروديسيا الجنوبية واسرائيل وتؤكد الدروس المستفادة من التاريخ الحديث للوطنيين انهم محقون في اعتقادهم بانهم سيخرجون منتصرين في نهاية الامر . وابرز هذه الدروس هو الدرس المستفاد من الجزائر ، حيث كانت جذور المستوطنين ثابتة في تلك البلاد بشكل اعمق ولمدة اطول مما هي عليه بالنسبة للمستوطنين في روديسيا الجنوبية او فلسطين . وكان عددهم كبيرا ولم يكن من المشكوك فيه على الاطلاق انهم سيواصلون الاحتفاظ بمكانتهم المميزة في الجزائر . الا انهم

واجهوا معارضة قوية ، ليست من جانب الثوار الوطنيين - الأهالي الجزائريين - فحسب بل أيضا من جانب روح العالم المعاصر الذي كان ينظر اليهم دائما على انهم دخلاء ومفتصبون واجانب لا ينسجمون مع البيئة التي حولهم وحقيقة ان معظمهم رحل عن الجزائر بعد استقلالها ليس دليلا على اى سوء فيه من جانب الجزائريين نحوهم ولا دليل على عدم وجود استعداد لمعاملتهم على اساس من المساواة . بل ان رحيلهم يعتبر دليلا على قصر نظرهم ورفضهم التأقلم مع الظروف المتغيرة وتصميمهم على الاحتفاظ بمكانتهم المميزة والمتفوقة في الجزائر - اما هذا او الرحيل ، عن الجزائر الديمقراطية . ولا بد ان تتعمق المجموعات الباقية من المستوطنين في افريقيا والشرق الاوسط في حفظ الدرس المستفاد من وضع المستوطنين الفرنسيين في الجزائر - وقد كانوا اكبر مجتمع منفرد امكن القضاء عليه - لاي مستوطنين اوروبيين في بلد غير اوروبى . ويجب ايضا ان يدرس المستوطنون الذين يريدون البقاء حيث هم والذين يرغبون في التعاون مع الاهالى من اجل انشاء مؤسسات ديمقراطية حقيقية في جنوب افريقيا وروديسيا الجنوبية وفلسطين - يجب ان يدرس هؤلاء الاساليب الرجعية لزعامة المستوطنين في الجزائر واساليب تعويق البرلمان والفظائع التي ارتكبتها منظمة الجيش السرى . بأن مثل هذه الدراسة تستطيع ان تكشف لهم كيف يمكنهم تجنب المساهمة في تدهور الموقف وتستطيع ان تقنعهم بدرجة اكبر بضرورة بناء الجسور واحترام الوطنيين وبالحاجة الى قبولهم للتعايش معهم على اساس من المساواة .

وتعتبر الدروس المستفادة من التاريخ المعاصر واضحة : فانه لا يوجد مكان في هذه المرحلة من التاريخ ، للمستوطنين اصحاب الامتيازات . وانه لا بد من ازالة الجيوب الباقية للاستعمار الاستيطاني وذلك تمشيا مع نمط الحياة المعاصرة ولم يعد هناك وجود للمكانة الممتازة التي كان يتمتع بها المستوطنون في شمال افريقيا وكثير من انحاء شرق ووسط افريقيا . وقد رحل كثير من المستوطنين الاوروبيين عن افريقيا في الستينات ، ولكن ما يقول البروفيسور فريدج برك فان « الأغلبية العظمى من الاوروبيين الذين فضلوا ان يبقوا في شرق ووسط افريقيا هم اولئك الذين اصبحوا يعرفون ويتفهمون ويحترمون اخوانهم من المواطنين السود » .

وفي الختام يمكن القول بأن حلول الوطنية لمشكلة المستوطنين تقوم على اساس بعض المبادئ البسيطة مثل مبادئ المساواة والديمقراطية للجميع وضرورة اقامة مؤسسات جديدة لتحل محل المؤسسات القائمة التي تقوم على اساس التمييز سواء كان ذلك ضمنا او علنيا ويستطيع المستوطنون

الذين يدركون مساوىء الأوضاع العنصرية غير العادلة الحالية ، والذين يستطيعون أن يتعاونوا مع الوطنيين فى بناء مجتمعات ديمقراطية ودول خالية من التمييز على أساس اللون أو الجنس أو العقيدة أو الأصل ، أن يلعبوا دورا عظيما فى تخفيف عملية نقل السلطة من المستوطنين الى الوطنيين وفى تخفيف آثار الفترة الانتقالية على انفسهم وعلى غيرهم من المستوطنين . حقيقة ان هذا الدور يعد صعبا للغاية ولكنه يعتبر لنفس هذا السبب دورا ضروريا جدا .



القسم الثانى

ردود الفعل على مستوى الامم المتحدة والمستوى الدولى

(١) الموقف فى جنوب افريقيا نتيجة لسياسات الفصل العنصرى

قرار الجمعية العامة رقم ٣١٥١ (د - ٢٨) الصادر فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٧٣ ان الجمعية العامة :

اذ تعيد الى الأذهان قراراتها الخاصة بسياسات الفصل العنصرى لحكومة جنوب افريقيا قرارات مجلس الامن الخاصة بالموضوع .

٤ - تندد بتصرفات تلك الدول والشركات التى تواصل تزويد حكومة جنوب افريقيا بالمعدات والامدادات العسكرية ، وتقدم المساعدة للصناعات المحلية لتلك المعدات والامدادات او أى شكل آخر من أشكال التعاون العسكرى وهو ما يعد انتهاكا لقرارات الجمعية العامة ومجلس الامن .

٥ - وتندد بوجه خاص بالتحالف المشين بين الاستعمار البرتغالى والعنصرية فى جنوب افريقيا وبين الامبريالية الصهيونية والاسرائيلية .

(٢) الموقف فى جنوب افريقيا

قرار الجمعية العامة رقم ٣٣٢٤ (د - ٢٩) هـ الصادر فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٧٤ ان الجمعية العامة :

اذ قامت بالنظر فى تقارير اللجنة الخاصة بالفصل العنصرى ، واذ تعيد الى الأذهان قراراتها بشأن سياسات الفصل العنصرى التى تمارسها حكومة جنوب افريقيا وقراراتها خلال الدورة الحالية بشأن تمثيل جنوب افريقيا .

٥ - تندد بتدعيم العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها من العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا .

(٣) العلاقة بين الأمم المتحدة وجنوب افريقيا

قرار الجمعية العامة رقم ٣٢٠٧ (د - ٢٩) الصادر في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٧٤ ان الجمعية العامة :

اذ تعيد الى الأذهان قراراتها ٢٦٣٦ أ (د - ٢٥) الصادر في ١٣ نوفمبر سنة ١٩٧٠ ، ٢٨٦٢ (د - ٢٦) الصادر في ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٧١ ، ٢٩٤٨ (د - ٢٧) الصادر في ٨ ديسمبر سنة ١٩٧٢ وقرارها الصادر في ٥ اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، الذي قررت بموجبه رفض اوراق اعتماد جنوب افريقيا .

واذ تعيد الى الأذهان ان جنوب افريقيا لم تكثرث بأى من القرارات المذكورة فيما سبق واستمرت في انتهاج سياستها القائمة على الفصل العنصرى والتمييز العنصرى عند الأغلبية العظمى لشعب جنوب افريقيا .

واذ تؤكد من جديد ان سياسة الفصل العنصرى والتمييز العنصرى لحكومة جنوب افريقيا تعتبر انتهاكا صارخا للمبادئ الواردة في ميثاق الامن والاعلان العالمى لحقوق الانسان .

واذ تشير الى رفض جنوب افريقيا المستمر التخلي عن سياستها القائمة على الفصل العنصرى والتمييز العنصرى تنفيذا للقرارات الخاصة بهذا الموضوع وقرارات الجمعية العامة ، تدعو مجلس الامن الى اعادة النظر في العلاقة بين الأمم المتحدة وجنوب افريقيا في ضوء الانتهاك المستمر من جانب جنوب افريقيا لمبادئ الميثاق والاعلان العالمى لحقوق الانسان .

الدولة المؤيدة

افغانستان ، ألبانيا ، الجزائر ، الأرجنتين ، استراليا ، النمسا ، جزر البهاما ، البحرين ، بنجلاديش ، بربادوس ، بلجيكا ، بوتان ، بوليفيا ، بوتسوانا ، البرازيل ، بلغاريا ، بورما ، بروندي ، بيلوروسيا ، كندا ، جمهورية افريقيا الوسطى ، تشاد ، تشيلي ، الصين ، كوامبيا الكونجو ، كوستاريكا ، قبرص ، تشيكوسلوفاكيا ، كوبا ، داهومى ، اليمن الديمقراطية ، الدنمارك ، الدومينيكان ، اكوادور ، مصر السلفادور ، أثيوبيا ، فيجي ، فنلندا ، جابون ، جابيا ، ألمانيا الديمقراطية ، ألمانيا الاتحادية ، غانا ، اليونان ، جرينادا ، جواتيمالا ، غينيا ، غينيا بيساو ، غيانا ، هابتر ، هندراوس ، المجر ، اسلندا ، الهند ، أندونيسيا ، العراق ، ايرلندا ، ايطاليا ، ساحل العج ، جمايكا ، اليابان ، الأردن ، كينيا ، جمهورية خيقر ، الكويت ، لاوس ، لبنان ، ليسوتو ، ليبيريا ، ليبيا ، لوكسمبرج ، مدغشقر ،

ماليزيا ، مالى ، مالطة ، موريتانيا ، المكسيك ، موثغوليا ، المغرب ، نيبال ، هولندا ، نيوزيلاندا ، النيجر ، نيجيريا ، النرويج ، عمان ، باكستان ، بنما ، بيرو ، الفلبين ، بولندا ، البرتغال ، قطر ، روندا ، السيشيودية ، السنغال ، سيرالون ، سنغافورا ، الصومال ، سرى لانكا ، السودان ، السويد ، سوريا ، تايلاند ، توجو ، ترينداد ، وتوباجو ، تونس ، تركيا ، أوغندا ، اوكرانيا ، الاتحاد السوفيتى ، الامارات العربية المتحدة ، جمهورية الكاميرون المتحدة ، جمهورية تانزانيا المتحدة ، فولتا العليا ، اورجواى ، فنزويلا ، اليمن ، يوغوسلافيا ، زائر ، زامبيا .

الدول التى امتنعت عن التصويب

فرنسا ، ايران ، اسرائيل ، ملاوى ، نيكارجوا ، برجواى ، اسبانيا ، المملكة المتحدة ، الولايات المتحدة .

الدول المعارضة

جنوب افريقيا .

{ } مناقشة الجمعية العامة اوضع جنوب افريقيا

وضع وفد جنوب افريقيا فى الدورة التاسعة

والعشرين للجمعية العامة

أبدت الجمعية العامة فى جلستها العامة ٢٢٨١ المنعقدة فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٧٤ بموافقة ٩١ صوتا ، مقابل ٢٢ صوتا وامتناع ١٩ عن التصويت ، القرار التالى الذى اعلنه رئيسها : « بناء على تمسك الجمعية العامة برفض قبول اوراق اعتماد وفد جنوب افريقيا ما يمكن الاستدلال قانونا بأن الجمعية العامة سترفض بالمثل اوراق اعتماد أى وفد آخر مفوض من قبل حكومة جمهورية جنوب افريقيا لتمثيلها ، الأمر الذى يعنى القبول صراحة بأن الجمعية العامة ترفض السماح لوفد جنوب افريقيا بالاشتراك فى اعمالها »

الدول المؤيدة

افغانستان ، البانيا ، الجزائر ، الارجنتين ، البحرين ، بنجلاديش ، بربادوس ، بوتان ، بوتسوانا ، بلغاريا ، بورما ، بوروندى ، بيلوروسيا ، جمهورية افريقيا الوسطى ، تشاد ، الصين ، الكونجو ، كوبا ، قبرص ، تشيكوسلوفاكيا ، داهومى ، اليمن الديمقراطية ، مصر ، غينيا الاستوائية ، اثيوبيا ، جابون ، جامبيا ، المانيا الديمقراطية ، غانا ، جرينادا ، غينيا

بيساو ، غيانا ، هاييتى ، المجر ، الهند ، اندونيسيا ، العراق ، ساحل
العاج ، جمايكا ، الأردن ، كينيا ، جمهورية خيمر ، الكويت ، لاوس ، لبنان ،
ليبيريا ، ليبيا ، مدغشقر ، ماليزيا ، مالى ، مالطة ، موريتانيا ، مونغوليا ،
المغرب ، نيبال ، النيجر ، نيجيريا ، عمان ، باكستان ، بنما ، بيرو ، الفلبين ،
بولندا ، قطر ، رومانيا ، رواندا ، السنغال ، سيراليون ، سنفافورة ،
الصومال ، سرى لانكا ، السودان ، سوزيلاندا ، الجمهورية العربية السورية ،
تايلاند ، توجو ، ترينداد وتوباغو ، تونس ، اوغندا ، اوكرانيا ، الاتحاد
السوفيتى ، الامارات المتحدة ، جمهورية الكاميرون المتحدة ، جمهورية
تنزانيا المتحدة ، فولتا العليا ، اليمن ، يوجوسلافيا ، زائر ، زامبيا .

الدول التى امتنعت عن التصويت

بوليفيا ، البرازيل ، شيلي ، كولومبيا ، الدومينيكان ، اكوادور ،
فيجي ، اليونان جواتيمالا ، ايران ، اليابان ، ليسوتو ، ملاوى ، المكسيك ،
براجواى ، البرونزال ، اسبانيا ، تركيا ، فينزويلا .

الدول المعارضة

استراليا ، النمسا ، بلجيكا ، كوستاريكا ، الدانمرك ، السلفادور ،
فنلندا ، فرنسا ، المانيا الاتحادية ، ايسلندا ، ايرلندا ، اسرائيل ، ايطاليا ،
لوكسمبرج ، هولندا ، نيوزيلندا ، نيكاراغوا ، النرويج ، السويد ، المملكة
المتحدة ، الولايات المتحدة .

(هـ) القرار الخاص بمسألة فلسطين

القرار ٧٧ (د - ١٢) الصادر عن اجتماع رؤساء دول وحكومات منظمة
الوحدة الافريقية فى غسطس سنة ١٩٧٥ .

ان مجلس رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الافريقية فى الدورة
العادية الثانية عشرة المنعقد من ٢٨ يوليو الى اول اغسطس سنة ١٩٧٥ فى
كامبالا بأوغنده .

وقد اخذ بعين الاعتبار ان الحكم العنصرى فى فلسطين المحتلة والحكومات
العنصرية من زيمبابوى وجنوب افريقيا ذو اصل امبريالى مشترك يشكل
كلًا لا يتجزأ ويقوم على نفس الهيكل العنصرى ومترابط عضويا فى سياسته
التي تستهدف القضاء على كرامة الانسان وسلامته ..

(٦) القضاء على جميع اشكال التمييز العنصرى

قرار الجمعية العامة ٣٣٧٩ (د - ٣٠) الصادر فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٧٥ ان الجمعية العامة :

اذ تعيد الى الازهان قرارها ١٩٠٤ (د - ١٨) الصادر فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٦٣ الذى يتضمن « اعلان الأمم المتحدة الخاص بالقضاء على جميع اشكال التمييز العنصرى » ، وخاصة تأكيدها ان « أى مذهب ينص على التمييز العنصرى او التفوق العنصرى يعتبر غير سليم علميا ، ويستحق اللوم معنويا ، وهو غير عادل وخطير اجتماعيا واعرابها عن الانزعاج ازاء « مظاهر التفرقة العنصرية التى ما زالت واضحة فى بعض انحاء العالم ، والتى تفرضها بعض الحكومات المعنية من خلال الاجراءات التشريعية والادارية او غيرها » .

واذ تعيد الى الازهان ايضا ، ان الجمعية العامة فى قرارها ٣١٥١ ، و (د - ٢٨) الصادر فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٧٣ ، ندوة تضمن امورا اخرى بالتحالف الآثم بين عنصرية جنوب افريقيا والصهيونية .

واذ تأخذ فى الاعتبار اعلان المكسيك حول مساواة المرأة ومساهمتها فى التنمية والسلم الذى صدر عن المؤتمر العالمى للعام الدولى للمرأة الذى انعقد فى مكسيكوسيتى من ١٩ يونيو الى ٢ يوليو سنة ١٩٧٥ والذى اعلن المبدأ الذى يفيد بأن « التعاون الدولى والسلم يتطلبان تحقيق التحرير الوطنى والاستقلال والقضاء على الاستعمار والاستعمار الجديد ، والاحتلال الأجنبى والصهيونية والفصل العنصرى والتمييز العنصرى بجميع اشكالهما بالاضافة الى الاعتراف بكرامة الشعوب وحقوقها فى تقرير مصيرها .

واذ تأخذ فى الاعتبار ايضا القرار ٧٧ (د ١٢) الصادر عن رؤساء الدول والحكومات . منظمة الوحدة الافريقية الذى انعقد فى كمبالا من ٢٨ يوليو الى اول اغسطس سنة ١٩٧٥ ، والذى اعلن ان « الحكومة العنصرية فى فلسطين المحتلة والحكومات العنصرية فى زيمبابوى وجنوب افريقيا ترجع الى اصل امبريالى مشترك ، وتشكل كلا لا يتجزأ وتقوم على نفس الاساس العنصرى وتتحد عضويا فى سياستها التى تهدف الى قمع الكرامة والعزة الانسانية » .

واذ تأخذ فى الاعتبار ايضا « الاعلان السياسى والاستراتيجية الذى يستهدف دعم السلم والأمن الدوليين وتقوية التضامن والمساعدة المتبادلة بين الدول غير المنحازة ، والصادر عن مؤتمر وزراء خارجية الدول المنحازة

الذى انعقد في ليما بيرو في الفترة من ٢٥ - ٣٠ اغسطس سنة ١٩٧٥ ،
والذى ندد بشدة بالصهيونية على أساس انها تهدد السلام والأمن العالى
والذى دعا جميع الدول الى معارضة هذه الأيدلوجية العنصرية والامبريالية
١ - تقرر ان الصهيونية تعتبر شكلا من اشكال العنصرية والتمييز
العنصرى .

(٧) الوضع في جنوب افريقيا

قرار الجمعية العامة ٣٤١١ (د - ٣٠)

الصادر في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٧٥

ان الجمعية العامة :

وقد نظرت التقرير المقدم من اللجنة الخاصة لمناهضة الفصل العنصرى
واذ تؤكد من جديد ان استمرار بعض الدول في التعاون اقتصاديا وفي
المجالات الاخرى مع الحكومة العنصرية في جنوب افريقيا ، يعرقل الجهود
المبدولة من اجل القضاء على الفصل العنصرى .

٤ - تندد مرة اخرى بتدعيم العلاقات والتواطؤ بين نظام الحكم
العنصرى في جنوب افريقيا واسرائيل في المجالات السياسية والعسكرية
والاقتصادية وغيرها ...

(٨) التواطؤ بين اسرائيل وجنوب افريقيا

بيان صاحبة السيادة السيدة جين مارتن سيسى (غينيا) رئيسة
اللجنة الخاصة بمناهضة التمييز العنصرى التابعة للأمم المتحدة (اكتوبر
سنة ١٩٧٥ - ابريل سنة ١٩٧٦) الذى ادلت به في ١٤ ابريل سنة ١٩٧٦
حول « التضامن الدولى مع النضال من أجل تحرير جنوب افريقيا » ابريل
سنة ١٩٧٦ من ٢٠ - ٢٢ .

لقد اضطرت منذ بضعة ايام ، الى اصدار بيان طارىء اعربت فيه عن
القلق البالغ حول زيادة تدعيم العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا . ولقد
نددت الجمعية العامة مرارا بزيادة التعاون بين الحكومة الاسرائيلية ونظام
الحكم العنصرى في جنوب افريقيا - وكانت آخر مرة في القرار ٣٤١١ ،
و (د - ٣٠) الصادر في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٧٥ ، الا انه بعد شهر واحد
من صدور القرار ، رفعت جنوب افريقيا مستوى قنصليتها العامة في
اسرائيل الى مستوى سفارة . وقام مستر سى.جى. مولدر ، وزير

الداخلية والاعلام بجنوب افريقيا ، بزيارة اسرائيل يومى ٢٦ و ٢٧ مارس وتفيد الأنباء بأنه عقد اجتماعات مطولة مع رئيس وزراء ووزير خارجية اسرائيل . ووصل فى اعقابه الى اسرائيل مستر فورستر ، رئيس وزراء الحكومة العنصرية بجنوب افريقيا ، وذلك فى ٩ ابريل .

ولا يمكن تصديق ما تزعمه بعض الصحف التى تصف زيارة مستر فورستر بأنها حج الى الاماكن المقدسة . فلا يمكن اعتبار الاجتماعات الطويلة مع رئيس وزراء اسرائيل وزيارة القواعد العسكرية بمثابة رحلة حج مسيحية .

ومنذ بضعة ايام قليلة ، اضطرت مجلس الأمن الى بحث الشكاوى المتتالية المقدمة من الدول العربية ضد اسرائيل ومن الدول الافريقية ضد حكومة جنوب افريقيا . فما هو السبب الذى يجعل اسرائيل ، التى تواصل احتلالها للأراضى فى شمال شرق افريقية ، تجد أنه لازم عليها فى هذا الوقت بالذات ان تجرى مباحثات على مستوى عال مع حكومة جنوب افريقية التى تواصل احتلالها غير الشرعى للطرف الجنوبى لافريقيا ؟ اعتقد ان هناك سببين لذلك .

وسأعيد هنا الى الاذهان نبأ اذاعه راديو القدس فى ١٨ يناير سنة ١٩٧٦ ، وجاء فيه :

« صرح اليوم وزير الخارجية (الاسرائيلى) فى اجتماع مجلس الوزراء بأن التحفظ حول مسألة انجولا الذى انتهت به منظمة الوحدة الافريقية اجتماعاتها يعتبر انجازا هاما للمعسكر المعتدل بين دول القارة . وقال وزير الخارجية ان هذا يعد نجاحا للدبلوماسية الامريكية ، وهناك امل فى ان يؤثر المعسكر المعتدل بين الدول الافريقية ايضا على العلاقات بين هذه الدول واسرائيل » .

فهل هذا يعنى ان الدولتين تواصلان جهودهما اليائسة من اجل نشر بذور الشقاق فى افريقيا ، مع الامل فى الحصول على التأييد من مكان آخر ؟ لقد عملت حكومة افريقيا على زيادة ميزانيتها العسكرية فى آخر مارس بنسبة تزيد على ٤٠ ٪ وذلك من ٩٤٨ مليون راند الى ١٣٥٠ مليون راند ويجدر بى ان اعيد الى الاذهان هنا ان ميزانية جنوب افريقيا كانت ٤٤ مليون راند فى سنة ١٩٦٠ ، وهو نفس العام الذى وقعت فيه مذبحه شاريفيل . وقد تضاعفت هذه الميزانية الآن الى ثلاثين ضعفا . وهى تبلغ ثلاثة اضعاف الميزانية العسكرية لعام ٧٣ - ١٩٧٤ وخصص حجم الميزانية لعام ١٩٧٤ - ١٩٧٥ وقد قررت حكومة جنوب افريقيا هذه الزيادة

الضخمة في حجم الميزانية العسكرية ، كرد مباشر على اداة عدوانها في انجولا ، وذلك بالرغم من الازمة الاقتصادية الخطيرة في البلاد . ووفقنا للتقديرات الموثوق بها ستنخفض مستويات العيش في جنوب افريقيا في هذا العام ، وتشير كل الدلائل الى ان السود هم الذين سينحملون العبء الاكبر من المعاناة نتيجة لذلك .

وينوى نظام الحكم العنصرى هناك الحصول على مزيد من المعدات العسكرية - وخاصة الزوارق المزودة بالصواريخ والطائرات والطائرات ذات المدى البعيد . ويدل توقيت زيارة مستر فورستر لاسرائيل ، على ما يبدو ، على امل جنوب افريقيا في استغلال اسرائيل لكسر حظر الاسلحة المفروض ضدها .

وقد اكتشفت الحكومتان وجود مصلحة مشتركة بينهما . فقد اعلن منذ بضعة اسابيع قليلة في ٢ فبراير سنة ١٩٧٦ ، الميجور - جنرال نيل ويستار من قوات الدفاع بجنوب افريقيا :

« انه يجب على شعب جنوب افريقيا ان يعتاد شأنه شأن الاسرائيليين ، على فكرة العيش في حالة حرب لبضعة سنوات قادمة » . ويقال ان مستر فورستر قد صرح امام الصحافة في ١٠ ابريل بأن العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل لم تصل اطلاقا الى مثل هذا المستوى الطيب من قبل . وزعم ايضا ان هذا لن يؤثر على علاقات جنوب افريقيا بالعرب الذين يزودونها بالبترول .

واود ايضا ان اقول ان اللجنة الخاصة متيقظة ، وستظل كذلك ، ازاء المناورات من اجل بث الشقاق بين الدول العربية . وكما تعرفون تهدف المناقشات التى تجرى بين امين عام الجامعة العربية وهذه اللجنة ، الى مواصلة الجهود من اجل تحقيق فرض حظر بترولى فعال ضد جنوب افريقيا .

وقد اعربت اللجنة الخاصة ، بالطبع ، عن قلقها لفترة طويلة ازاء تواطؤ اسرائيل مع حكومة جنوب افريقيا في كثير من المجالات ، ولم نكتث اسرائيل حتى بالرد على مذكرة ارسلتها اللجنة اليها في هذا الشأن ، ولذلك اضطرت اللجنة الى احالة المسألة الى الجمعية العامة للتصرف .

وساكرر مرة اخرى هنا ، اعرابى عن الامل فى أن تمارس الحكومات والمنظمات نفوذها من اجل القضاء على هذا المحور والتواطؤ بين اسرائيل وجنوب افريقيا . ويجب ابلاغ حكومة اسرائيل بمنتهى الوضوح بأن الحكومات والشعوب التى تعارض الفصل العنصرى والتمييز العنصرى

أنى معظم الجنس البشرى - لا يمكنها السكوت على أو تجاهل علاقاتها (إسرائيل) بهذا النظام العنصرى الحاكم فى جنوب افريقيا تلك العلاقات التى تعتبر انتهاكا صارخا لقرارات الأمم المتحدة .

(٩) القرار الخاص بالشرق الأوسط

المؤتمر الخامس لرؤساء دول وحكومات البلدان غير المنحازة

كولومبو سنة ١٩٧٦

ان المؤتمر الخامس لرؤساء دول او حكومات البلدان غير المنحازة والمنعقد فى كولومبو ، بسرى لانكا من ١٥ - ١٩ اغسطس سنة ١٩٧٦ . . .
٩ - يدين التواطؤ بين اسرائيل وجنوب افريقيا الذى يؤكد تشابه سياستهما العدوانية ، والعنصرية بالاضافة الى تعاونهما فى كافة المجالات بهدف تهديد الامن والاستقلال الافريقى والعربى .

(١٠) التواطؤ المتزايد بين اسرائيل وجنوب افريقيا

لجنة الفصل العنصرى تعتمد التقرير الذى يشير الى

التواطؤ المتزايد بين اسرائيل وجنوب افريقيا

وتطالب الوكالة الدولية للطاقة الذرية بمنع نقل التكنولوجيا النووية والمواد النووية الى جنوب افريقيا .

وافقت اللجنة الخاصة المناهضة للفصل العنصرى بعد ظهر اليوم على تقرير عن العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا ، واعلن السيد ليسلى هاريمان (نيجيريا) ان المحور بين بريتوريا وتل ابيب اصبح يشكل خطرا حقيقيا يهدد السلام والحرية فى افريقيا والمحيط الهندى .

ويعلن التقرير ان هناك تواطؤا متزايدا بين نظام الحكم القائم على الفصل العنصرى فى جنوب افريقيا وحكومة اسرائيل .

ويؤكد التقرير « ان الحكومتين لجأتا الى زيادة التعاون بينهما فى جميع المجالات ، نظرا للضعف الذى اصابهما نتيجة للتقدم الذى حققه النضال من اجل التحرير ، ونظرا لزيادة عزلتهما نتيجة لزيادة التضامن العربى الافريقى والادانة العالمية لسياستهما العنصرية » . وتتناول اجزاء خاصة عن التقرير العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا فى المجالات الدبلوماسية والعسكرية والتجارية والاستثمارية والعلمية والتكنولوجية والثقافية وغيرها .

وقد قامت اللجنة الفرعية لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة والتواطؤ مع جنوب أفريقيا ، والمنبثقة عن اللجنة الخاصة بإعداد التقرير تنفيذاً لقرار أصدرته اللجنة في الشهر الماضي .

وقد قررت اللجنة إحالة التقرير الى الجمعية العامة ومجلس الامن وكذلك الى منظمة الوحدة الافريقية وجامعة الدول العربية ومؤتمر دول عدم الانحياز لتوزيعه على اعضائها .



تقرير عن العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل

١٩ اغسطس سنة ١٩٧٦

اولا - خلفية .

ثانيا - مقدمة .

ثالثا - تطور العلاقات : عام .

رابعا - العلاقات الدبلوماسية والقنصلية .

خامسا - التواطؤ العسكري .

سادسا - التجارة .

سابعا - الاستثمار :

(١) استثمارات جنوب افريقيا في اسرائيل ، (ب) استثمارات اسرائيل

في جنوب افريقيا .

ثامنا - التعاون العلمى والتكنولوجى .

تاسعا - الخطوط الجوية والبحرية .

عاشرا - العلاقات الثقافية .

حادى عشر - التعاون فى مجال الرياضة .

اولا - خلفية

١ - أعربت الجمعية العامة خلال السنوات الأخيرة عن قلقها المتزايد ازاء تدعيم العلاقات السياسية والعسكرية وغيرها بين اسرائيل وجنوب افريقيا .

٢ - أدانت الجمعية العامة فى قرارها ٣١٥١ و (د - ٢٨) الصادر فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٧٣ « التحالف الشرير بين ... العنصرية الافريقية ... والامبريالية الاسرائيلية » .

٣ - ادانت الجمعية العامة مرة اخرى في قرارها ٣٣٢٤ هـ (د - ٢٩) الصادر في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٧٣ ، تدعيم العلاقات والتعاون بين نظام الحكم العنصرى فى جنوب افريقيا واسرائيل فى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية وغيرها .

٥ - تابعت اللجنة الخاصة المناهضة للفصل العنصرى ، بانتظام تطور العلاقات بين الحكومتين بقلق بالغ وقدمت تقارير للجمعية العامة حسب الاقتضاء .

٦ - فى مارس سنة ١٩٧٤ ، عقب قرار الحكومة الاسرائيلية رفع بعثتها الدبلوماسية فى جنوب افريقيا الى مستوى سفارة ، طلبت اللجنة الخاصة من اللجنة الفرعية المعنية بتنفيذ قرارات الامم المتحدة والتعاون مع جنوب افريقيا ، واعداد تقرير عن التطورات الاخيرة فى العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا . وقد صدر تقرير اللجنة بوصفه الوثيقة A/Ac. 115/L. 383

٧ - بعث رئيس اللجنة الخاصة فى ٢ ابريل سنة ١٩٧٤ برسالة الى المندوب الدائم لاسرائيل لدى الامم المتحدة اعلن فيها ان « رفع مستوى البعثة الدبلوماسية فى جنوب افريقيا يعتبر انتهاكا صارخا لقرارات الجمعية العامة » وطلب منه فيها ان يبلغ حكومته بقلق اللجنة الخاصة العميقة واملها فى ان تعيد الحكومة النظر فى قرارها وان تنهى تمثيلها الدبلوماسى والقنصرى وغيره من العلاقات الرسمية مع حكومة جنوب افريقيا العنصرية تنفيذا للقرارات الخاصة بهذا الشأن والتي اصدرتها الجمعية العامة . وفى حين اعترف المندوب الدائم لاسرائيل باستلام رسالة رئيس اللجنة الخاصة ، لم يصل اى رد من حكومة اسرائيل .

٨ - قررت اللجنة الخاصة فى اكتوبر سنة ١٩٧٤ ، نشر دراسة شاملة حول تطور العلاقات بين اسرائيل وجنوب افريقيا فى الفترة من سنة ١٩٦٧ الى سنة ١٩٧٤ ، اعدتها اللجنة ، الخبير مستر بيتر هليار . وصدرت الدراسة بوصفها الوثيقة A/Ac. 115/L. 396

٩ - تم لفت نظر اللجنة الخاصة فى يونيو سنة ١٩٧٥ الى الانباء الصحفية حول وصول وزير داخلية واعلام جنوب افريقيا الى اسرائيل فى زيارة « خاصة » وذلك فى ١٧ يونيو سنة ١٩٧٥ ، وان القنصلية العامة لجنوب افريقيا فى اسرائيل سترفع الى مستوى سفارة . وطلبت اللجنة ، التى شعرت بالقلق ازاء الدلائل على تزايد الروابط بين البلدين ، من مقررها ان يعد تقريراً حول نواحي التعاون الاخرى بين جنوب افريقيا واسرائيل .
وصدر التقرير بوصفه الوثيقة A/Ac. 115/L. 411

١٠ - أصدرت مدام جين مارثين غيس (غينيا) رئيسة اللجنة الخاصة بيانا صحفيا في ٧ ابريل سنة ١٩٧٦ وذلك في أعقاب زيارة أخرى قام بها وزير الداخلية والإعلام بجنوب افريقيا لاسرائيل في مارس سنة ١٩٧٦ ، وفي ضوء الأنباء التي ترددت عن قرب زيارة مستر فورستر ، رئيس وزراء جنوب افريقيا لاسرائيل . واعربت عن الأمل في ان تندد جميع الحكومات والمنظمات بتصرفات حكومة اسرائيل من اجل تنمية التعاون مع حكومة بريتوريا العنصرية متحدية بذلك قرارات الامم المتحدة وان تمارس نفوذها من اجل اقناع حكومة اسرائيل بالامتناع عن مواصلة سلوك هذا الطريق .

١١ - ناقشت اللجنة الخاصة في جلساتها ٣٢١ و ٣٢٢ ، يومى ١٤ و ٢٠ ابريل سنة ١٩٧٦ ، زيادة التعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا ، في أعقاب زيارة رئيس الوزراء فورستر لاسرائيل في الفترة من ٩ الى ١٢ ابريل سنة ١٩٧٦ ، وابرام اتفاق تعاون واسع النطاق بين البلدين . وطلبت اللجنة الخاصة من اللجنة الفرعية الخاصة بتنفيذ قرارات الامم المتحدة والتعاون مع جنوب افريقيا - اعطاء الأولوية لاعداد تقرير عن التعاون والتواطؤ المتزايد بين اسرائيل وجنوب افريقيا ، بهدف إحالته الى الجمعية العامة ومجلس الأمن ، بالإضافة الى منظمة الوحدة الافريقية ومؤتمر دول عدم الانحياز وجامعة الدول العربية .

١٢ - اصدر رئيس اللجنة الخاصة السفير ليسلى هاريمان (نيجيريا) اثناء حضوره اجتماع وزارى لدول عدم الانحياز في سرى لانكا في ١١ اغسطس سنة ١٩٧٦ ، بيانا ندد فيه بأنباء بيع اسرائيل زورقين مزودين بالصواريخ لجنوب افريقيا . وفيما يلي نص البيان :

« ان اعلان اسرائيل عن عزمها بيع طرادين مزودين بالصواريخ لجنوب افريقيا يعتبر انتهاكا صارخا لقرارات الامم المتحدة كما يعتبر عملا عدوانيا ضد شعب افريقيا الذى يخوض حاليا النضال البطولى من أجل الحرية في مواجهة المذابح التى يرتكبها نظام الحكم العنصرى ، كما انه يشكل تهديدا للدون الافريقيه المستقلة وتحديا للجهود التى تبذل لجعل المحيط الهندى منطقة سلام وانى أدعو جميع الحكومات والشعوب لادانة هذا التصرف والتعاون الاسرائيلى المتزايد مع الحكومة العنصرية وان تطالب بوقف جميع اوجه التعاون مع بريتوريا . وانى واثق من ان وزراء دول عدم الانحياز المجتمعين الآن في كولومبو سيولون هذا التهديد المتزايد لافريقيا الاهتمام الواجب » .

ثانيا : مقدمة

١٣ - ان الهدف من التقرير الحالى هو توضيح مدى النمو فى العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل . ويتضمن التقرير معلومات عن الخلفية التاريخية للتعاون بين جنوب افريقيا والحركة الصهيونية قبل انشاء دولة اسرائيل ، وهو يستعرض التطورات فى جميع مجالات التعاون بين البلدين فى الفترة من سنة ١٩٤٨ حتى الوقت الحالى :

١٤ - يوضح التقرير ان العلاقات بين جنوب افريقيا واسرائيل التى ترجع الى اصول ايدولوجية وتاريخية ، اكتسبت ابعادا جديدة وتدعمت كثيرا بعد حرب يونيو سنة ١٩٦٧ فى الشرق الاوسط بل انها ازدادت قوة بعد حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ . ونحيت جانبا الخلافات بين الحكومتين نتيجة لاختلاف اهداف السياسة الخارجية نحو الدول العربية والافريقية ، عندما قامت الدول الافريقية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل . وقد لجأت الحكومتان اللتان اضعفهما التقدم الذى احرزه النضال من اجل التحرير واللذان اجبرتا على مواجهة عزلة متزايدة نتيجة لتزايد التضامن العربى الافريقى وتنديد العالم لسياستهما العنصرية - لجأت الحكومتان نتيجة لذلك الى زيادة التعاون بينهما فى جميع المجالات :

(ا) سياسيا ، ويهدف التعاون بين هذا المجال الى بث الشقاق بين الدول الافريقية وبين الدول العربية ، والى ربط جنوب افريقيا والشرق الاوسط ببعض على اساس انهما مجال مشترك ذو اهمية استراتيجية للغرب . وتتوقع جنوب افريقيا الحصول على مكاسب سياسية هامة من توثيق علاقاتها باسرائيل وعلى مساعدة فى سبيل تعويض المقاطعة المفروضة عليها .

(ب) فى المجال العسكرى ، ان التعاون المتزايد فى هذا المجال ، زود كلا البلدين بمصدر اضافى للأسلحة وللمعرفة الفنية ، بالاضافة الى امكانية الحصول على معلومات سرية عن الاستراتيجيات والتكتيكات .

(ج) اقتصاديا ، استفادت اسرائيل من المواد الخام الحيوية بالنسبة لاقتصادها ، فى الوقت الذى استفادت فيه جنوب افريقيا بوضوح من ميل الميزان التجارى بينها وبين اسرائيل فى صالح الاولى (جنوب افريقيا) ومن امكانية استغلال تلك الدولة (اسرائيل) كنقطة انطلاق لتفادى المقاطعة الدولية وكذلك للمراوغة من الرسوم الجمركية المرتفعة للسوق الاوربية المشتركة . واما بالنسبة للاستثمار فانه يأخذ بشكل متزايد صورة اقامة

مشاروعات مشتركة عن طريق المؤسسات العامة مع استغلال تكامل اقتصاد البلدين - المواد الخام من جنوب افريقيا والتكنولوجيا العلمية من اسرائيل - لدعم مشاريع التوسع الصناعى فى البلدين .

(د) فى المجال الثقافى ، ساعدت البرامج المتبادلة وغيرها من نواحي النشاط على تقوية الروابط الايدىولوجية بين البلدين كمساعدات على نشر الدعاية الخاصة بجنوب افريقيا .

ثالثا - تطور العلاقات : عام

١٥ - ان التعاون المتزايد بين نظام الحكم القائم على الفصل العنصرى فى جنوب افريقيا وحكومة اسرائيل بلغ مرحلة جديدة فى ابريل سنة ١٩٧٦ عندما زار رئيس الوزراء فورستر ، اسرائيل وابرام اتفاقيات اقتصادية وعلمية واتفاقيات تعاون صناعى بين الدولتين . وقد اوضحت ايضا التقارير الصحفية والتطورات اللاحقة ان البلدين اتفقا على دعم التعاون العسكرى .

١٦ - ينبغى أن نعيد الى الأذهان أن العلاقات بين الأقلية العنصرية الحاكمة فى جنوب أفريقيا واسرائيل لها جذور تاريخية وأيدىولوجية عميقة . فان الجنرال جان سمطس ، وزير الدفاع فى الحكومة الاتحادية وعضو المجلس الأعلى للحرب فى سنة ١٩١٧ ، كان واحدا من المخططين الرئيسيين لوعده بلفور الخاص بإنشاء « وطن يهودى » فى فلسطين .

١٧ - أيدت الحكومة الوطنية ، العمالية الائتلافية برئاسة الجنرال ج ب م . هيرتزوج ، تأييدا تاما بإنشاء « وطن يهودى » فى فلسطين ، وأصدرت قرارا فى هذا الصدد فى سنة ١٩٢٦ ، كما وعدت تلك الحكومة بتأييد الأهداف الصهيونية أمام عصبة الأمم . ولقد كانت جنوب أفريقيا ايجابية فى تأييدها لمشروع تقسيم فلسطين فى الأمم المتحدة . وكان من أول التصرفات التى اتخذها الحزب الوطنى عند توليه الحكم فى سنة ١٩٤٨ هو الاعتراف القانونى بدولة اسرائيل المنشأة حديثا . وكان الدكتور د. ف. مالان هو أول رئيس وزراء بريطانى فى الكومنولث البريطانى يقوم بزيارة ودية للدولة الجديدة . وبالإضافة الى ذلك سمح لضباط الاحتياط اليهود فى جنوب أفريقيا بالخدمة فى اسرائيل ووافق على تحويل الأموال والسلع الى اسرائيل بالرغم من الظروف الاقتصادية الصعبة التى كانت تمر بها جنوب افريقيا آنذاك .

١٨ - تمشيا مع سياسة الحزب الوطنى الخاصة بتأييد اسرائيل قام هذا الحزب بانتهاج سياسة عكسية تماما لسياسته السابقة نحو الأقلية

اليهودية في جنوب افريقيا ، وقد تميزت هذه السياسة بالتطرف في مناهضة السامية : وأعلن د . مالان في أعقاب توليه منصبه أنه سينتهج وحكومته سياسة عدم تفرقة ضد أى قطاع من قطاعات البيض وأنه يتطلع الى اليوم الذى لن يكون فيه أثر « للمسألة اليهودية » في البلاد . وتم رفع الحظر الذى كان مفروضا على عضوية اليهود في الحزب الوطنى وتم تعيين الشخصيات اليهودية البارزة في المناصب الرسمية الهامة .

١٩ - من الواضح أن السياسة الجديدة للحزب الوطنى لم تكن نتيجة لرغبة في تدعيم التضامن بين البيض فقط ، بل نتيجة أيضا للدور الهام الذى أصبح المجتمع اليهودى يقوم به في اقتصاد جنوب افريقيا . وقد خشى زعماء الحزب من أن تؤدى أى ممارسات عنصرية ضد اليهود الى سحب رأس المال اليهودى من جنوب افريقيا . وقد تمت ايضا الإشارة الى أن تأييد الافريقين البيض للصهيونية يرجع الى أساس مشترك يتمثل في معارضة البريطانيين في ذلك الوقت ، بالإضافة الى الشعور المشترك بأنهم « شعب مختار » يحمل لواء مهمة مقدسة .

٢٠ - استطاع الحزب الوطنى ، عن طريق تأييده لاسرائيل والفائه رسميا لسياسة مناهضة السامية داخليا ، ان يحصل على الموافقة على سياسة الفصل العنصرى على كافة المستويات الرسمية المعبرة عن اليهود . وتعتبر الرابطة اليهودية الكبيرة في جنوب افريقيا ذات ميول صهيونية قوية وحافظت على علاقاتها الوثيقة مع الآلاف من يهود جنوب افريقيا الذين هاجروا الى اسرائيل ، والذين أصبح بعضهم يحتلون مناصب بارزة في الدولة الجديدة . واستجابة لسياسة د . مالان الجديدة . خفضت الهيئات اليهودية من انتقاداتها الصريحة السابقة للتفرقة العنصرية . وفي حين استمر اليهود كأفراد في مناهضتهم للفصل العنصرى الى حد ان بعضهم انضم الى النضال من أجل التحرير ، سارت المنظمات اليهودية الرسمية ، على نهج مجلس نواب يهود جنوب افريقيا في موقفه الذى يقوم على أساس أنهم بصفتهم هيئات غير رسمية - « سيمتنعون عن اتخاذ أى موقف من المسائل السياسية » وانها لن تعبر عن وجهات نظرها من السياسات العنصرية المختلفة التى يتردد الكلام عنها .

٢١ - ان اليهود ، كما شرح الحاخام د . وايلر في كلمته امام المؤتمر الدولى الثامن للاتحاد العالمى لليهودية التقدمية الذى عقد في لندن في يوليو سنة ١٩٥٣ :

« ان اليهود بصفتهم مجتمعا مستقلا قد قرروا عدم اتخاذ أى موقف تجاه مسألة الوطنيين ، نظرا لانشغالهم بمشكلة مساعدة اليهودية في بلاد

أخرى ، ويبلد يهود جنوب إفريقيا جهدا أكبر من أية مجموعة أخرى من أجل مساعدة إسرائيل . ولا يمكن لهذا المجتمع أن يطلب من الحكومة السماح له بتحويل الأموال والسلع الى الخارج وفي نفس الوقت الذى يعارض فيه سياسة الحكومة » .

٢٢ - لم تخرج الصحافة اليهودية ومجلس النواب بجنوب إفريقيا عن صمتها حتى ابان مذبحه شاريفيل فى سنة ١٩٦٠ . وفى مقابل ذلك تم السماح للاتحاد الصهيونى بجنوب إفريقيا بالاستمرار فى تحويل كميات كبيرة من الأموال الى إسرائيل سنويا - مما جعل من المجتمع اليهودى فى جنوب إفريقيا أكبر مساهم بالنسبة للفرد لإسرائيل فى العالم .

٢٣ - ومن ثم كانت مجموعة المصالح المتبادلة بين دولة إسرائيل والحكومة العنصرية قائمة منذ بداية انشاء تلك الدولة ، مع قيام المجتمع اليهودى بجنوب إفريقيا بدور حلقة الاتصال بين البلدين وذلك بالرغم من بعض المصاعب الانتقالية . وكما يقول بيتر هيليار :

« ان الأهداف السياسية المتباينة لكلتا الدولتين ، خاصة فى مناطق إفريقيا شبه الصحراوية فى الفترة من سنة ١٩٦٠ الى سنة ١٩٧٠ قد تسببت فى اثاره بعض المشاكل من وقت لآخر ، ولكن ثبت أن هذه المشاكل كانت ذات طبيعة انتقالية أساسا ، ويمكن وضعها فى المرتبة الثانية للسياسة الشاملة الخاصة باستمرار تنمية العلاقات » .

٢٤ - أدت محاولة إسرائيل اقامة علاقات دبلوماسية وغيرها من العلاقات مع الدول الافريقية المستقلة فى الستينيات الى اعلانها معارضتها للفصل العنصرى وذلك فى الأمم المتحدة وغيرها من الهيئات الدولية . وردت حكومة جنوب إفريقيا على ذلك فى سنة ١٩٦٢ بأن ألغت كل الامتيازات الخاصة المتضمنة فى لوائح النقد الأجنبى التى كانت تسمح بحرية تحويل النقد الى إسرائيل . وحاولت المنظمات اليهودية فى جنوب إفريقيا التأثير على إسرائيل لتمتنع عن التصويت « مع الدول الغربية الأخرى » عند الاقتراع على قرارات الأمم المتحدة الخاصة بمناهضة الفصل العنصرى . كما جعلت من نفسها أداة لترويج دعاية جنوب إفريقيا وذلك بأن قررت أنه « يجب على المجتمع اليهودى أن يتخذ الخطوات اللازمة لشرح موقف جنوب إفريقيا لليهود فيما وراء البحار وفى وطنهم » .

٢٥ - اتضحت المصالح المشتركة الكامنة بين الحكومتين بالرغم من الاختلاف فى السياسة الخارجية ، عندما أيدت جنوب إفريقيا إسرائيل ابان حرب سنة ١٩٦٧ . فسرعان ما تم اعادة اللوائح الخاصة التى تسمح بحرية

تحويل النقد الى اسرائيل ، وتم توفير انواع أخرى من المساعدات المادية . وادت الحرب الى زيادة ادراك التشابه الاساسى بين موقف الدولتين في المجال السياسى الدولى والحاجة الى قيام تعاون بينهما نتيجة لذلك ووضعت صحيفة « داي بيرجر » ، لسان حال الحزب الوطنى فى مقاطعة الكاب ، الموقف كما يلى :

« هناك أسس مشتركة كثيرة بين اسرائيل وجنوب افريقيا . فكلتاهما تدخل فى صراع من أجل الوجود ، وكلتاهما فى صدام مستمر مع الأغليات المؤثرة فى الأمم المتحدة . وكلتاهما تعتبر مركز قوة يعتمد عليه داخل المنطقة ولولاه لوقعتا فى برائن القوى المعادية للغرب ونجاح اسرائيل فى احتواء أعدائها ، الذين يعتبرون من أعنف أعدائنا ، يعتبر فى مصلحة جنوب افريقيا . ولو لم تتمكن اسرائيل من استخدام الطريق الملاحى حول رأس الرجاء الصالح مثلا ، نتيجة لتزعزع سيطرة جنوب افريقيا عليه لوجدت ان العالم كله ضدها . ولقد دفعت القوى المناهضة للغرب باسرائيل وجنوب افريقيا الى أن تصبحا ذواتا مصلحة مشتركة ، من الأفضل لهما استغلالها بدلا من انكارها . »

٢٦ - وقد رددت مجلة « جويش افيرز » الناطق الرسمى بلسان مجلس النواب اليهودى فى جنوب افريقيا - نفس هذا المنطق :

« ان القول بأن اسرائيل وجنوب افريقيا تربطهما مصالح أساسية مشتركة فى الشرق الأوسط وجنوبه ، يعتبر قولا صادقا الى حد كبير . وليس فى هذا سر أو سوء . ان العلاقات الوثيقة بين البلدين ، التى ازدادت قوة منذ حرب سنة ١٩٦٧ ، لا تنفصم عن مواقعهما الجغرافية والاستراتيجية ، ولا عن نظرتهم المعادية للشيوعية ، ولا عن جميع حقائق وجودهما القومى . وباختصار يتفق مصر البلدين رغم اختلافه الى حد كبير فيما يتعلق بكثير من الحروب يتفق الى حد كبير من حيث الظروف الأساسية لبقائهما ، ويتداخل هذا المصير الى حد يفوق كثيرا ، تصور أى رجل دعاية للعدو وبالأصح بشكل لن يسعده . »

٢٧ - نمت الروابط السياسية والعسكرية بين الدولتين نموا سريعا خلال السنوات التى أعقبت ذلك ، بالرغم من بعض التوتر المؤقت الذى نتج عن محاولات اسرائيل للتقارب من دول افريقيا المستقلة . فقد فامت حكومة جنوب افريقيا مرة أخرى فى سنة ١٩٧١ بوقف حرية تحويل النقد الى اسرائيل احتجاجا على تقديم اسرائيل مبلغ ٥٠٠٠ دولار الى صندوق امانة حركات التحرير التابع لمنظمة الوحدة الافريقية واضطرت اسرائيل عندئذ الى سحب عرضها .

٢٨ - كانت حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ علامة هامة في عملية نمو التعارف بين البلدين . فقد قطعت معظم الدول الافريقية علاقاتها بإسرائيل اثناء الحرب أو بعدها الأمر الذى وضع حدا لحاجة إسرائيل الى الإبقاء على مظهر معارضة الفصل العنصرى . وقد اتضح هذا مباشرة فى اقتراع إسرائيل على قرارات الأمم المتحدة المعارضة للفصل العنصرى : فمنذ سنة ١٩٧٣ تمتنع إسرائيل عن التصويت أو تصوت ضد هذه القرارات . وقد أعربت جنوب افريقيا صراحة عن تأييدها لإسرائيل اثناء الحرب : فقد أعلن مستر بوثا ، وزير الدفاع فى جنوب افريقيا ، ان حكومة بلاده ستقوم فى حدود امكانياتها وبدون اعلان الحرب بتقديم المساعدة لإسرائيل . وأعلن مستر فورستر ، رئيس الوزراء انه اذا خسرت إسرائيل الحرب فان هزيمتها سيكون لها عواقب هامة على جنوب افريقيا . وبالمثل قد قامت جنوب افريقيا فوراً برفع القيود النقدية للسماح بحرية تحويل الاموال الى إسرائيل وقدمت اشكالا مختلفة من المساعدات المادية لها بما فى ذلك المساعدات العسكرية . واصبحت جنوب افريقيا بعد الحرب ، وفقا لتصريحات أحد المراقبين ، المؤيد الهام الوحيد لإسرائيل فى القارة الافريقية وواحدة من الحكومات القليلة التى لم تدع الى انسحابها من الاراضى العربية المحتلة .

٢٩ - وقد تحركت الدولتان فى السنوات التى تلت حرب سنة ١٩٧٣ ، بخطى حثيثة نحو اقامة تحالف قوى للدفاع عن المصالح المشتركة ولاضفاء الصفة الرسمية على الروابط بينهما . وقد رفعا مستوى التمثيل الدبلوماسى بينهما من مستوى المفوضية الى مستوى السفارة ، وتولت المؤسسات شبه الحكومية فى كلتا الدولتين تنفيذ عدة مشروعات من مشاريع الاستثمار المشترك ، كما تم تدعيم الروابط التجارية والعلمية عن طريق انشاء الأجهزة المناسبة وتبادل الزيارات على مستوى عال . وتم بوجه عام تكثيف الاتصالات السياسية . ومن بين كبار المسؤولين الاسرائيليين الذين قاموا بزيارة جنوب افريقيا منذ سنة ١٩٧٤ : الجنرال موشى ديان ، وزير الدفاع السابق ، والجنرال مائير أميت ، الرئيس السابق لجهاز المخابرات الاسرائيلى ورئيس مجلس الادارة المحلى لمصانع كور ، والجنرال حايم هيرتزوج الذى كان وقت الزيارة ، المعلق العسكرى باذاعة إسرائيل والذى يتولى الآن منصب مندوب إسرائيل الدائم فى الأمم المتحدة . وبينما كان يتم فى الماضى السماح لمثل هؤلاء الزوار بدخول جنوب افريقيا فى المناسبات الخاصة بالجمالية اليهودية المحلية ، تم الفاء هذا القيد فى سنة ١٩٧٤ ، وذلك وفقا لما ترددده الأنباء .

٣٠ - قام الدكتور س.بى.مولدر ، وزير الداخلية والاعلام لجنوب افريقيا ، بزيارة اسرائيل مرتين ، وذلك فى يونيو سنة ١٩٧٥ ومارس سنة ١٩٧٦ واجتمع خلال تلك الزيارتين برئيس وزراء اسرائيل ووزير خارجيتها . ومن الواضح انه مهد خلال الزيارتين لقيام اسحاق رابين ، رئيس وزراء اسرائيل بتقديم دعوة رسمية لرئيس وزراء جنوب افريقيا ، ج.ب. فورستر ، الذى زار اسرائيل لمدة اربعة ايام فى ابريل سنة ١٩٧٦ . وقد أجرى مستر فورستر ، الذى اصطحب معه وزير خارجيته مستر هيلجارد مولر ، وسكرتير الشؤون الخارجية ، مستر بيرنارد فوري وغيرهما، محادثات مع رئيس اسرائيل ووزير خارجيتها ووزير الدفاع وغيرهم من كبار المسؤولين فى الحكومة الاسرائيلية ، كما زار المواقع الاستراتيجية فى جنوب سيناء (ويقال انه اول رئيس وزراء اجنبى يزور هذه المناطق) وزار أيضا مصنعا للطائرات الحربية .

٣١ - تم أثناء زيارة مستر فورستر ، ابرام اتفاق واسع النطاق بشأن التعاون الاقتصادى والعلمى والصناعى ، بين جنوب افريقيا واسرائيل . وصرح مستر فورستر ، فى اعلانه نبأ الاتفاقية فى المؤتمر الصحفى الذى عقده فى ١٢ ابريل بالقدس ، بان الحكومتين قررتا انشاء لجنة مشتركة على مستوى الوزراء تضم وزراء جنوب افريقيا واسرائيل ، وتجتمع مرة على الأقل سنويا لاستعراض موقف العلاقات الاقتصادية بين البلدين ولمناقشة الوسائل والأساليب التى تؤدى الى توسيع نطاق التعاون الاقتصادى بين البلدين وخاصة من حيث تشجيع الاستثمار ، والتنمية التجارية والتعاون العلمى والصناعى والاستغلال المشترك للمواد الخام من جنوب افريقيا والأيدي العاملة الاسرائيلية فى المشروعات المشتركة وأعلن أيضا عن تشكيل مجموعة توجيه من أجل تنظيم تبادل المعلومات والأفكار ، وانه سيتم أيضا تشكيل لجان فى كلا البلدين . ومن المتوقع أن تضم اللجنة الوزارية من جانب جنوب افريقيا وزراء الدفاع والمالية والشؤون الاقتصادية . وتشير الأنباء الصحفية الى أن الاتفاقية قد تتضمن « اقامة علاقة واسعة النطاق فى مجال الامدادات العسكرية » ، بالرغم من أن الحكومتين قامتا بنفى أن هذه المسألة كانت موضع مناقشة الا أن ما أعلن بعد ذلك عن قيام اسرائيل ببناء زورقين مزودين بالصواريخ لحساب الحكومة العنصرية ، أوضح أن التعاون العسكرى يزداد قوة فى اعقاب زيارة مستر فورستر .

٣٢ - رحبت معظم قطاعات مجتمع البيض فى جنوب افريقيا ، خاصة المنظمات اليهودية بفورستر على انه « رجل دولة عظيم » ووصفت الاتفاقية بأنها « عمل عظيم يدل على فن الحكم من جانب كلتا الدولتين » فى الوقت الذى

اثارت فيه هذه الاتفاقية شعورا بالاستنكار على المستوى العالمى . وعلقت صحيفة « ستار » التى تصدر فى جوهانسبرج على هذه الاتفاقية بقولها : « من الواضح أن هذه الاتفاقية تذهب الى أبعد من اتفاقيات التعاون والتجارة المعتادة التى يتم توقيعها عادة فى نهاية زيارة رسمية بين الدول الصديقة . . ومن بين أسس الاتفاقية التبادل المشترك للمواد الخام والمعلومات العسكرية التى يحتاج اليها البلدان بشدة .

ويعتبر هذا الأمر بالنسبة لكل منهما بمثابة مسألة حياة أو موت . وربما كانت هذه الحاجة هى أكثر المسائل الملحة بالنسبة لهما » .

وجاء فى مقال افتتاحى لصحيفة « راند ديلى ميل » .

« لا يمكن انكار الطابع المميز للنصر الذى أحرزه مستر فورستر هذا الاسبوع . فانه بتحقيقه لاتفاقية التعاون الاقتصادى والعلمى والصناعى مع اسرائيل ، يكون قد أنجز أكثر من مجرد اضافة الصفة الرسمية على العلاقات التى كانت على أى الحالات تزداد قوة . فانه قد اكتسب لجنوب أفريقيا فى الواقع ، صديقا هاما وحليفا صريحا ، فى الوقت الذى يواجه فيه هذا البلد عالما يزداد عداء نحوه وقارة افريقية سوداء تزداد عدوانا » .

٣٣ - ان لزيادة الروابط مع اسرائيل مزايا سياسية هامة أخرى بالنسبة لجنوب افريقيا . وقد أوضح السفير الاسرائيلى لدى جنوب افريقيا ، مستر استحقاق اونا ، فى حديث أدلى به لمجموعة من رؤساء تحرير الصحف اليهودية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ونشر « بالجويش بريس » فى ١٨ يونيو سنة ١٩٧٦ ، انه يتوقع أن يؤثر هذا الاتفاق بشكل مرض على موقف المجتمعات اليهودية الدولية من جنوب افريقيا .

رابعا - العلاقات الدبلوماسية والقنصلية

٣٤ - احتفظت اسرائيل منذ سنة ١٩٤٩ بمفوضية من بريتوريا وقنصلية عامة بجوهانسبرج . وقد فضلت جنوب افريقيا فى البداية أن يتم تمثيلها بصفقتها عضوا فى الكومنولث ، من خلال المملكة المتحدة حتى تنمى روابطها مع الدول العربية . وفى أعقاب قطع العلاقات الدبلوماسية من جانب الجمهورية العربية المتحدة والانفصال عن الكومنولث ، سعت جنوب افريقيا لاقامة روابط أوثق مع اسرائيل الا أن اسرائيل كانت قد بدأت تنتهج سياسة تقوم على أساس خطب ود الدول الافريقية التى نالت استقلالها حديثا ، وقامت بالتالى باستدعاء وزيرها المفوض فى بريتوريا ، وتركت البعثة تحت رئاسة قائم بأعمال . وأدى التدعيم الشامل للعلاقات

بين البلدين في أعقاب حرب يونيو سنة ١٩٦٧ الى رفع مستوى التمثيل الدبلوماسي الاسرائيلي : ففي سنة ١٩٦٩ عينت اسرائيل قائما بأعمال بدرجة سفير كرئيس لبعثتها الدبلوماسية . وقامت في ابريل سنة ١٩٧٣ بتوسيع نطاق قنصليتها العامة . وقررت في أعقاب حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ رفع مستوى بعثتها الدبلوماسية الى مستوى سفارة ، وقامت بتعيين اسحاق يونا ، القنصل العام السابق ، كأول سفير لها هناك .

٣٥ - وردت جنوب افريقيا على ذلك بإنشاء قنصلية عامة في تل أبيب سنة ١٩٧١ ، برئاسة قنصل عام بدرجة سفير . وفي سنة ١٩٧٥ أنشأت جنوب افريقيا سفارة في تل أبيب ، وقدم سفيرها في اسرائيل أوراق اعتماده في يناير سنة ١٩٧٦ .

خامسا - التعاون العسكري

٣٦ - يرجع التعاون العسكري بين اسرائيل وجنوب افريقيا الى بداية انشاء دولة اسرائيل فقد قاتل بضعة مئات من المتطوعين من جنوب افريقيا الى جانب الصهيونيين بعد نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، وأرسلت جنوب افريقيا اثناء حرب سنة ١٩٤٨ بالأغذية والمعونة الطبية وغيرها الى الصهاينة . وكان اول طيار يسقط في المعركة من السلاح الجوي الاسرائيلي هو أحد المتطوعين من جنوب افريقيا .

٣٧ - وقد زادت الاتصالات العسكرية بين البلدين كثافة اثناء حرب سنة ١٩٦٧ وبعدها ، مما أدى الى اقامة علاقات أوثق في المجال العسكري . وبينما زعمت جنوب افريقيا انها تلتزم بالحياد قامت بتقديم المساعدات المادية لاسرائيل سنة ١٩٦٧ ، وأهم هذه المساعدات رفع القيود المفروضة على تحويل النقد للخارج . ويقدر المبلغ الذي حصلت عليه اسرائيل نتيجة لذلك - بالرغم من انه لم يتم قط الكشف رسميا عن قيمة هذا المبلغ - بما يزيد على ٢١ مليون راند . وبالإضافة الى ذلك قامت الهيئة الرسمية المسئولة عن نقل الدم في جنوب افريقيا باعارة الدم للخدمات الطبية الاسرائيلية وأعرب المتحدثون بلسان جميع الأحزاب السياسية للبيض عن تعاطفهم مع اسرائيل وساهمت هذه الأحزاب في مجالات المعونة المختلفة .

٣٨ - قام المتطوعون اليهود من جنوب افريقيا بالخدمة في اسرائيل ابان حرب سنة ١٩٦٧ بصفة رسمية في المناصب غير العسكرية ، حيث استبدنوا بالاسرائيليين الذين تم استدعاؤهم للقيام بمهام قتالية وفتح الاتحاد الصهيوني لجنوب افريقيا اعتمادا خاصا لمساعدة اسرائيل .

وبالإضافة الى ذلك : اشترك كثير من قطاعات مجتمع البيض في جنوب افريقيا في تقديم المساعدة لاسرائيل .

٣٩ - ان مساعدات جنوب افريقيا لاسرائيل ابان حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، تعتبر أكبر حجما ، الأمر الذي يعتبر مرحلة جديدة على طريق تنمية العلاقات بين البلدين . فقد خففت حكومة جنوب افريقيا جميع القيود المفروضة على النقد حتى تسمح بتحويل جميع الاموال التي تم جمعها الى اسرائيل فورا وبالرغم من انه لم يتم الكشف من قبل عن المبلغ الكلى الذى تم جمعه وتحويله ، أشارت التقارير الصحفية الى انه ربما بلغ حوالى ٣٠ مليون دولار . وكما حدث ابان حرب سنة ١٩٦٧ تولت جميع قطاعات مجتمع البيض في جنوب افريقيا ، وليس اليهود وحدهم ، تولت عمليات جمع الاموال وتوجيه الأنشطة الخاصة بالمساعدة .

٤٠ - اتجه عدد كبير من المتطوعين في جنوب افريقيا الى اسرائيل اثناء الحرب وبعدها للمشاركة في المهام القتالية وغيرها . وأشارت التقارير الصحفية الى ان مئات من مواطنى جنوب افريقية ، يهودا كانوا أو غير يهود ، تطوعوا من أجل القتال في اسرائيل في أكتوبر سنة ١٩٧٣ . ويفيد أحد التقارير ان عدد الرجال الذين ينحدرون من جنوب افريقيا والذين كانوا في القوات المسلحة الاسرائيلية اثناء الحرب يبلغ حوالى ١٥٠٠ رجل . وفى أعقاب الحرب سافر مئات من المتطوعين من جنوب افريقيا الى اسرائيل ليحلوا محل عمال المستوطنات الاسرائيلية الذين كانوا ما زالوا في القوات المسلحة .

٤١ - هناك دلائل تشير الى انه ربما تكون جنوب افريقيا قد لعبت دورا مباشرا بدرجة أكبر في حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ . فقد اعلنت الحكومة المصرية انه تم اثناء الحرب اسقاط طائرة ميراج نفثة يرجع أصلها الى جنوب افريقيا وذلك على جبهة السويس . وأشار نبا ورد بعد ذلك في صحيفة الديلى تلغراف اللندنية يفيد بأن جنوب افريقيا أرسلت بعدة طائرات من طائرات الميراج عن طريق جزر الأزور لمساعدة اسرائيل . وقد نفت كل من اسرائيل وجنوب افريقيا هذه الاتباء .

٤٢ - افادت التقارير ان جنوب افريقيا قامت ، بالإضافة الى تقديم المساعدة لاسرائيل ابان الحرب ، بتزويدها أيضا بالمعدات العسكرية ، غير ان اسرائيل نفت هذه التقارير : فقد ذكرت وكالة الانباء اليهودية مثلا فى يناير سنة ١٩٧٠ ، ان حكومة جنوب افريقيا تقوم بتصدير دبابات ضخمة زنة ٦٥ طن ، مصممة على طراز دبابات التشيفتين البريطانية ، الى اسرائيل .

وقد رفض وزير خارجية اسرائيل التعقيب على النبأ الذي نفاه ممثل اسرائيل في الأمم المتحدة .

٤٣ - هناك دلائل متزايدة تشير الى تعاون اسرائيل عسكريا مع الحكومة العنصرية ، وذلك في شكل تزويدها بأجهزة عسكرية والتدريب على وسائل مناهضة التمرد واستخدام الأسلحة المتطورة .

٤٤ - حصلت جنوب افريقيا في أوائل فترة الستينات على ترخيص من شركة بلجيكية لتصنع المدفع الآلي من طراز أوزي الاسرائيلي التصميم وأصبح هذا الآن هو السلاح القياسي الذي يزود به جيش جنوب افريقيا .

٤٥ - تهتم جنوب أفريقيا منذ فترة طويلة بالحصول على طائرات حربية من اسرائيل . وتفيد الأنباء بأن أول اتصالات بين صناعة الطائرات الاسرائيلية ومؤسسة أطلس للطائرات في جنوب افريقيا ، تمت في سنة ١٩٦٧ ، ودارت حول احتمالات تصدير الطائرات الاسرائيلية ، « أرافا » الملائمة بوجه خاص لعمليات قمع التمرد ، الى جنوب افريقيا . وقد نقلت طائرات أرافا الى جنوب افريقيا لاجراء اختبارات تجريبية عليها ، وتفيد بعض الأنباء غير المؤكدة بان هناك احتمالا بقيام جنوب افريقيا بشرائها

٤٦ - ثمة دليل آخر على احتمال قيام اسرائيل بتزويد جنوب افريقيا بالطائرات الحربية ، وقد جاء هذا الدليل في مايو سنة ١٩٧١ ، عندما ترددت أنباء تفيد بأن اسرائيل عرضت على في جنوب افريقيا السلاح الجوي تعويضه عن ثلاث طائرات تابعة له سقطت فوق جبل تابل .

٤٧ - ترددت أيضا أنباء بأنه ربما قامت اسرائيل بتزويد جنوب افريقيا بالصاروخ « جبريل » المنقول بحرا والمصنوع في اسرائيل . وقد نفى الناطق بلسان الصناعات الجوية الاسرائيلية في سبتمبر سنة ١٩٧٤ ، هذا النبأ . غير ان صحيفة الديلي تلجراف أشارت بعد ذلك بفترة قصيرة الى احتمال أن يتم تزويد ٦ سفن كان يجري تصنيعها في جنوب افريقيا آنذاك ، بالصاروخ الاسرائيلي « جبريل » .

٤٨ - يعتبر تبادل الخبرة في مجال أساليب مناهضة التمرد والتدريب على استخدام الأسلحة المتطورة ، من بين العناصر الهامة في مجال التعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا . وذكرت الأنباء أن بعثة من جنوب افريقيا طارت الى اسرائيل في يونيو سنة ١٩٦٧ لدراسة استخدام الأسلحة والتكتيكات الخاصة بتوجيه الضربات الخاطفة وذلك أثناء حرب الأيام الستة وقد قام رئيس اركان سلاح الطيران الاسرائيلي بعد الحرب بزيارة جنوب

افريقيا يشرح بالتفصيل لطلبة كلية الاركان في جنوب افريقيا الدروس المستفادة من الحرب .

٤٩ - كشف الجنرال مائير أميت ، الرئيس السابق لجهاز المخابرات الاسرائيلية ورئيس مجلس الادارة الحالي لمؤسسة كور الصناعية ، اثناء الزيارة التي قام بها في يوليو سنة ١٩٧٥ لجنوب افريقيا عن قيام كبار الشخصيات العسكرية الاسرائيلية بزيارة جنوب افريقيا بانتظام لالقاء المحاضرات على ضباط جنوب افريقيا حول اساليب الحرب الحديثة وطرق مكافحة التمرد . وصرح الجنرال أميت ، وان كان قد رفض الادلاء باية تفاصيل ، ان قوات الدفاع لجنوب افريقيا تستفيد من الخبرة الاسرائيلية ومن معلوماتها الفنية في مجال صناعة الأجهزة الحربية الالكترونية .

٥٠ - ذكر مراسل الديلي تلجراف في جوهانسبرج في ٣ ابريل سنة ١٩٧٦ ان بعض الضباط الاسرائيليين اشتركوا اشتراكا فعليا في خطة جيش جنوب افريقيا الخاصة بحملة أنجولا . ووفقا للنبا صرح الجنرال روجرز من سلاح الطيران جنوب افريقيا بان من الأسباب التي أدت الى انخفاض نسبة الخسائر في الأرواح بين اهالي جنوب افريقيا في الحملة هو الاتباع الدقيق للأساليب الاسرائيلية الخاصة بنقل وعلاج المصابين في الخط الامامي .

٥١ - أكدت مارشيا فريدمان ، عضو المعارضة في البرلمان الاسرائيلي ، في يونيو سنة ١٩٧٦ ان مئات من الجنود الاسرائيليين التحقوا بوحدة جيش جنوب افريقيا ، كمدرسين وشاركوا في المناورات التدريبية . وقد نفى وزير الدفاع الاسرائيلي هذا النبا .

٥٢ - تفيد الأنباء بأن الرغبة في الحصول على الخبرة الاسرائيلية في التكنولوجيا العسكرية واساليب الحرب الحديثة من العناصر الهامة في أسباب زيارة مستر فورستر لاسرائيل في ابريل سنة ١٩٧٦ . وأشارت الأنباء الصحفية الى استعداد جنوب افريقيا لتمويل عملية توسيع مدى امكانية الاسرائيلية لانتاج الأسلحة ، بل وحتى لتزويد اسرائيل باليورانيوم في مقابل الحصول على المقاتلة الاسرائيلية النفاثة من طراز كفير وغيرها من الأسلحة . وقد نفى مستر فورستر هذه الأنباء ، الا انه قام بزيارة مصنع طائرات كفير . وكان من المعروف ان أحد المسؤولين في صناعة الطائرات الاسرائيلية قد زار جنوب افريقيا في يناير سنة ١٩٧٦ ووفقا لصحيفة التايمز اللندنية ، المحت بعض المصادر المطلعة الى ان الأسلحة الاسرائيلية كانت في طريقها بالفعل الى جنوب افريقيا حتى قبل زيارة مستر فورستر .

٥٣ - أعلن راديو اسرائيل في أغسطس سنة ١٩٧٦ ان اسرائيل تقوم ببناء زورقين بعيدى المدى ومزودين بصواريخ بحر بحر لحساب بحرية جنوب افريقيا . ونقلت الاتباء عن مصادر غير رسمية قولها ان ٥٠ من ضباط بحرية جنوب افريقيا واسرهم قد وصلوا الى اسرائيل وانهم سيتسلمون الزوارق في يناير . وقد ألمحت الانباء الصحفية الى ان اسرائيل تقوم ببناء « عدد » من السفن المزودة بالصواريخ لحساب الحكومة العنصرية ، وانها ستحصل في مقابل ذلك على الصلب والفحم .

سادسا - التجارة

٥٤ - زاد حجم التجارة خلال السنوات الأخيرة بين جنوب افريقيا واسرائيل زيادة سريعة خاصة منذ حرب يونيو سنة ١٩٦٧ في الشرق الأوسط ، وتضاعفت تقريبا في أعقاب حرب أكتوبر سنة ٧٣ ويوضح الجدول التالى نمو التجارة بين البلدين خلال فترة السنوات العشر التى تنتهى في سنة ١٩٧٤ وهى آخر سنة تتوفر عنها الاحصائيات :

صادرات اسرائيل لجنوب افريقيا واردات اسرائيل من جنوب افريقيا

بملايين الدولارات الأمريكية

١٩٦٥	٢٧	٤٣
١٩٦٦	٢٣	٤٥
١٩٦٧	٤٠	٣٤
١٩٦٨	٥٧	٥٢
١٩٦٩	٨٢	٥٨
١٩٧٠	١٠٧	١٠٢
١٩٧١	٩٤	٨١
١٩٧٢	٨٨	١١٦
١٩٧٣	١٢٠	٣٤٣
١٩٧٤	٢٨٧	٤٣١

٥٦ - كنت واردات جنوب افريقيا من اسرائيل في سنة ١٩٧٤ ، تتركز أساسا على الكيماويات والمنسوجات والسلع المصنوعة من المطاط ، والمستحضرات الصيدلانية ، والمعدات الكترونية ، والآلات أما صادرات جنوب افريقيا الرئيسية فكانت تتكون من الصلب والاسمنت والخشب والسكر . ومن المتوقع ان يتم ضم الفحم والمواد الخام الى القائمة في المستقبل القريب .

٥٧ - ان اهم واردات اسرائيل من جنوب افريقيا هي الماس الخام الذى لا يدخل فى الاحصائيات التجارية بين البلدين حيث ان المبيعات تتم عن طريق منظمة البيع المركزية التى يوجد مركزها الرئيسى فى لندن وهى أحد فروع « دى بيرز » . وتفيد الانباء بان اسرائيل التى تعتبر أحد المراكز الرئيسية فى العالم لتصنيع الماس ، تقوم بشراء نصف مشترياتها من الماس الخام من منظمة البيع المركزية بما يزيد على ١٠٠ مليون دولار سنويا .

٥٨ - بالرغم من ان الروابط التجارية بين البلدين قامت فور انشاء دولة اسرائيل ، ظلت التجارة بينهما ضئيلة الى ان تم فتح مضائق تيران نتيجة للعدوان الثلاثى على مصر فى سنة ١٩٥٦ ولم تبذل الجهود المركزة من أجل تدعيم العلاقات التجارية بين البلدين واعطائها صفة رسمية الا بعد حرب سنة ١٩٦٧ فى الشرق الأوسط . وتم ارسال وفد من وزارة التجارة والصناعة الاسرائيلية الى جنوب افريقيا حيث أمضى هناك مدة أربعة اشهر فى نهاية عام ١٩٦٧ . وقد زار جنوب افريقيا أيضا ممثلو المصالح الصناعية وصناعة السفن الاسرائيلية بهدف ترويج التجارة .

٥٩ - تم فى أعقاب الحرب اقامة عدة اتحادات تهدف الى ترويج التجارة بين البلدين . فقد تم انشاء رابطة الصداقة الاسرائيلية لجنوب افريقيا فى اسرائيل فى يناير سنة ١٩٦٨ وضمت الرابطة فى عضويتها عددا من رجال السياسة والمستشارين المحليين ورجال الأعمال . وكان هدف هذه المنظمة هو العمل من أجل زيادة التجارة وتحسين العلاقات بين البلدين . اما مؤسسة جنوب افريقيا ، وهى منظمة تضم كبار رجال اعمال الدولتين ورجال اعمال من جنوب افريقيا وتهدف الى الترويج لمصالح جنوب افريقيا فى الخارج ، فقد انشئت لجنة من اسرائيليين ومن جنوبيين افريقيين وضمت فى عضويتها بعض كبار رجال السياسة الاسرائيلية السابقين وعددا من العسكريين وكانت اللجنة تعمل على تشجيع تبادل الزيارات وكسار الزوار ودعم العلاقات الاقتصادية بين البلدين وتم كذلك انشاء اتحاد اسرائيل - جنوب افريقيا التجارى فى عام ١٩٦٨ ، ويقال انه كان عاملا رئيسيا فى الزيادة السريعة فى التبادل التجارى بين البلدين .

٦٠ - قامت اسرائيل فى يونيو سنة ١٩٦٨ بتعيين مندوب تجارى اسرائيلى فى جنوب افريقيا .

٦١ - تم تنظيم اسبوع ازياء اسرائيلى فى جوهانسبرج وكيب تاون فى اغسطس سنة ١٩٦٨ وكانت هذه أول عملية هامة تقوم بها اسرائيل للترويج للازياء فى جنوب افريقيا وقد تولت مؤسسة التصدير الاسرائيلية تنظيمه . وتم خلال الاعمال التالية تنظيم اسابيع اسرائيلية اخرى فى جنوب افريقيا .

٦٢ - وقعت شركة التنمية الصناعية المملوكة للدولة في جنوب افريقيا اتفاقية مع بنك اسرائيل للتجارة الخارجية بفتح اعتماد مضمون بحسب اقصى ١.٧ مليون راند لتشجيع تصدير رأس المال من جنوب افريقيا الى اسرائيل . وتم بعد ذلك بفترة وجيزة تشكيل أول بعثة تجارية تمثل جنوب افريقيا في اسرائيل ، وقد تولى تشكيلها « اتحاد اسرائيل جنوب افريقيا التجارى » بالاشتراك مع غرفة الصناعات المتحدة ، وعدد من أكبر شركات وبنوك جنوب افريقيا . وكان هدف البعثة هو ضمان استغلال القرض بالكامل وتدعيم الروابط الاقتصادية بين البلدين .

٦٣ - تم فتح اعتماد جديد في أول يونيو سنة ١٩٧١ بمبلغ ١٤٩ مليون دولار مقدم من غرفة الصناعات المتحدة « لصالح اسرائيل . ووصلت الى اسرائيل من أوائل سنة ١٩٧٢ في أعقاب توقيع الاتفاقية ، بعثة تجارية من جنوب افريقيا بهدف زيادة تشجيع صادرات جنوب افريقية .

٦٤ - تعتبر حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ في الشرق الأوسط نقطة تحول هامة أخرى في العلاقات التجارية بين جنوب افريقيا واسرائيل . فقد تم في يناير سنة ١٩٧٤ تشكيل غرفة اسرائيل - جنوب افريقيا التجارية في تل أبيب . وتكهن القنصل العام لجنوب افريقيا في الحفل الافتتاحي بان التجارة بين البلدين ستزيد بشكل ملموس خلال عام (وقد تحقق هذا بالفعل) وقد انضم الى الغرفة حوالي ١٠٠ شركة اسرائيلية . وأدى نجاحها المباشر الى تشكيل غرفة جنوب افريقيا - اسرائيل التجارية بعد ذلك بفترة قصيرة في جوهانسبرج .

٦٥ - نظمت اسرائيل وجنوب افريقيا في سنة ١٩٧٤ حملة مشتركة في المملكة المتحدة لترويج البرتقال يافا واوتسبان ولعصير البرتقال .

٦٦ - اشتركت اسرائيل في ربيع سنة ١٩٧٤ لأول مرة منذ ١٠ سنوات في « معرض ايستراند » وهو أكبر معرض صناعى يقام في جنوب افريقيا . وتفيد الأنباء بان اسرائيل كانت في سنة ١٩٧٦ واحدة من أكبر المشتركين في المعرض في مجال المعدات الالكترونية وأجهزة التحكم .

٦٧ - أعلن وزير التجارة والصناعة في اسرائيل في ابريل سنة ١٩٧٥ اعتبار جنوب افريقيا « هدفا مفضلا للصادرات » الاسرائيلية ، وتحقيقا لذلك تم تقديم امتيازات مالية خاصة الى المصدرين الاسرائيليين وقامت بعثة لترويج التجارة على مستوى عال تمثل غرفة التجارة بجوهانسبرج بزيارة اسرائيل في يونيو سنة ١٩٧٥ .

٦٨ - أعطت اتفاقية التعاون التي وقعها رئيس الوزراء فورستر أثناء زيارته لاسرائيل في أبريل سنة ١٩٧٦ دفعة هامة أخرى للتجارة بين جنوب افريقيا واسرائيل . ومن المتوقع أن تؤدي هذه الاتفاقية الى زيادة التبادل التجاري في كلا الاتجاهين وزيادة تبادل البعثات التجارية وايضا زيادة صادرات المواد الخام من جنوب افريقيا الى اسرائيل ، خاصة الفحم من ميناء ريتشارد زباي الجديد . ونتيجة لذلك كان من المتوقع أن يتم تطوير ريتشارد زباي بسرعة . وتكهنات الصحف في جنوب افريقيا آنذاك بأن زيادة الروابط مع اسرائيل ستؤدي الى قيام حركة مرور بحرية في اتجاهين وتقوم السفن بحمل الفحم من جنوب افريقيا الى اسرائيل وتعود حاملة البترول لجنوب افريقيا .

سابعاً - الاستثمار

٦٩ - نمت استثمارات جنوب افريقيا في اسرائيل منذ اوائل السبعينات ، خاصة بعد حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ . وقد أدى قرار حكومة جنوب افريقيا في مايو سنة ١٩٧١ بتخفيف القيود المفروضة على استثمار شركات جنوب افريقيا المباشر في اسرائيل مع رفع الحد الأقصى للاستثمار الى ١٠ ملايين راند الى تشجيع الاستثمار . وتم في مايو ١٩٧٤ رفع الحد الأقصى الى ٢٠ مليون راند ومن المتوقع أن يتم رفعه الى ٢٢ مليون راند في عام ١٩٧٧ .

٧٠ - زادت نسبة استثمار رجال الأعمال الاسرائيليين لرؤوس اموالهم في جنوب افريقيا سواء كان ذلك في صورة استثمار مباشر أو في صورة قروض . وفتح بنك چافيت وبنك ليومي مكاتب في جنوب افريقيا في عامي ١٩٧١ ، ١٩٧٢ على التوالي ، وقد ساهم فرع بنك ليومي في الولايات المتحدة في تقديم قرض سري قيمته مليوناً دولار الى وزارة المالية في جنوب افريقيا وذلك في عام ١٩٧٢ وقد بعث بنك ليومي مؤخراً بواحد من كبار المسؤولين التنفيذيين الى جنوب افريقيا لاكتشاف مزيد من فرص الاستثمار .

٧١ - تتم عمليات الاستثمار المباشر من قبل إحدى الدولتين في الدولة الأخرى اساساً من خلال عمليات مشتركة تقوم بها المؤسسات العامة والخاصة . وقد أشار مرارا كل من زعماء جنوب افريقيا واسرائيل الى أن اقتصاد الدولتين يعتبر متكاملًا وأنه يمكن تحقيق أفضل الامكانيات من خلال العمليات المشتركة وكما ذكر القنصل العام الاسرائيلي السابق في جنوب افريقيا : « اننا نستطيع تحقيق الكثير اذا وحدنا قوتنا وقمنا معاً

باستغلال المواد الخام المتوفرة في جنوب افريقيا والتكنولوجيا الاسرائيلية «
وقد اشار القنصل التجارى الاسرائيلى في جنوب افريقيا الى ان افريقيا
غنية بالأيدي العاملة الرخيصة الامر الذى تفتقر اليه اسرائيل .

٧٢ - من المزايا الهامة التى حصلت عليها جنوب افريقيا من العمليات
المشتركة مع الشركات الاسرائيلية امكان استغلال اسرائيل كقاعدة صناعية
يمكن عن طريقها تجنب المقاطعة المفروضة ضد نظام الحكم القائم على الفصل
العنصرى . فمثلا تقوم جنوب افريقيا بتصنيع المنسوجات والكيماويات
والاسمدة في اسرائيل لتصديرها الى افريقيا وغيرها من الدول . اضاف الى
ذلك ان جنوب افريقيا تستغل اسرائيل كنقطة انطلاق للمراوغة من الرسوم
الجمركية المرتفعة التى تفرضها المجموعة الاقتصادية الأوروبية والولايات
المتحدة على منتجاتها . ويمكن تصدير السلع شبه المصنعة التى تنتجها
جنوب افريقيا الى اسرائيل ثم يتم تكميلها هناك حتى يمكن وضع ختم
« صنع في اسرائيل » عليها وبذلك تستغل جنوب افريقيا اتفاقيات الاعفاء
الجمركى التى تتمتع بها اسرائيل مع المجموعة الاقتصادية الأوروبية
والولايات المتحدة .

٧٣ - من المتوقع ان يؤدى اتفاق التعاون بين اسرائيل وجنوب افريقيا
الذى تم ابرامه بمناسبة زيارة رئيس الوزراء فورستر لاسرائيل في ابريل
سنة ١٩٧٦ ، الى تحقيق زيادة هامة في مشروعات الاستثمار المشترك .
وتفيد الأنباء بأن غرفة جنوب افريقيا واسرائيل التجارية تدرس مسألة
ارسال بعثة على مستوى عال الى اسرائيل لدراسة افضل طريقة لتنفيذ
الاتفاق . وقد صرح مستر هوسمان ، رئيس الغرفة الصناعية في ترانسفال
بأن الغرفة مهتمة باكتشاف الفرص الاستثمارية في اسرائيل وانها تدرس
فكرة ارسال بعثة صناعية الى هناك . وقد اعلنت عدة شركات كبرى من
شركات المصنوعات المشتركة عن اقامة مشروعات موسعة . ومن المتوقع
أيضا ان يؤدى الاتفاق الى ابرام اتفاقية لتجنب الازدواج الضريبى في
المستقبل القريب .

٧٤ - فيما يلى قائمة بالمشروعات الاستثمارية المعروفة ، وان كان
الحجم الحقيقى لهذه الاستثمارات لاي من البلدين الآخر غير معروف تماما .

(١) استثمارات جنوب افريقيا في اسرائيل

٧٥ - اشتركت « صناعة الاتايب الصلبية » ، التابعة لشركة « افريكان
جيت هولدنجره » . مع شركة « اتايب الشرق الأوسط » في حيفا في بناء

مصنع لانتاج الانابيب الصلبة الحلزونية ويتكلف ٢٥٠ ألف راند . وهذا يعتبرونه واحدا فقط من بين ٦ او ٧ مشروعات مماثلة في مجال صناعة الانابيب .

٧٦ - ساهمت شركة الاستثمارات الافريقية الاسرائيلية ، وهي شركة اسرائيلية كبرى يملك الجنوبيون الافريقيون ٢٥٪ من اسهمها ، في مشروع في فنزويلا بتمويل من مؤسسة التنمية الصناعية بجنوب افريقيا .

٧٧ - انشأت مجموعة « ديزيريه للملابس بكيب تاون » مصنعا للمنسوجات في اسرائيل باسم « سيسيل نيتس » .

٧٨ - استثمرت عدة مؤسسات في جنوب افريقيا ، لم يتم الكشف عنها ، مبلغ ٤٠٠ ألف جنيه استرليني في مصنع اسرائيلي لانتاج الاقمشة القطنية المطبوعة للتوزيع في سوق السود بجنوب افريقيا والدولة الافريقية المستقنة .

٧٩ - دخلت « مؤسسة الحديد والصلب » بجنوب افريقيا ، وهي شركة مملوكة للدولة ، في شركة مع مؤسسة كور الصناعية ، وهي شركة استثمار صناعية مملوكة لاحدى النقابات التابعة لاتحاد نقابات العمالية الاسرائيلي . وتقوم الشركة الجديدة ، وتعرف باسم اسكور ، ورأس مالها مليون راند (تملك مؤسسة كور ٥١٪ من اسهمها بينما تملك مؤسسة الحديد والصلب ٤٩٪ منها) بتوزيع الصلب في اسرائيل . وقد نجحت الشركة الجديدة انى حد انه يجرى الآن بناء مصنع الصلب في كيرجات بالقرب من غزة . وقد ساهمت الشركة مؤخرا بنصيب كبير في بناء مستودع للصلب ومركز لخدمة الصلب .

٨٠ - انشأت شركة دوربيل ، وهي واحدة من اكبر شركات جنوب افريقيا للصناعة الثقيلة ، فرعا لها بالمشاركة مع شركة كور الاسرائيلية للدخول في المناقصات الخاصة بمشروعات الانشاءات الهندسية . وقد بلغت قيمة اول عقد حصلت عليه الشركة الجديدة ٩٢ مليون راند لمشروع انشاء المغناطيس الصلبة لتخزين مياه ري المزارع باسرائيل .

٨١ - تقوم سكك حديد جنوب افريقيا وشركات دورمان لونج ويونيون كاريج ، بتشديد خط حديدى يمتد الى ميناء ايلات على البحر الاحمر .

٨٢ - تتضمن المشروعات الأخرى التى تساهم جنوب افريقيا فى اقامتها باسرائيل « ساوث افريكان هاوس » ، وهو مجمع مكاتب ومحلات

من ٢٦ ملائكة في تل أبيب ، مجمع مقرو كيمائيات في حيفا ، مجمع مصانع في جولون بالقرب من تل أبيب ، للتأجير للصناعة الخفيفة ، مصنع الآلات الزراعية في ايلات ، مصنع في اشدود لصناعة السياج الشبكية ، طاحونة ارز في حيفا ، مصنع اشغال معدنية غير حديدية ، كما ساهمت جنوب افريقيا في مشروع تطوير ميناء ايلات وغيره من الموانئ الاسرائيلية .

(ب) الاستثمارات الاسرائيلية في جنوب افريقيا

٨٣ - ظلت الاستثمارات الاسرائيلية في جنوب افريقيا متواضعة حتى عهد قريب ، عندما اقامت مؤسسة كور الصناعية وكالة لها في جوهانسبرج . بهدف تشجيع العلاقات الاقتصادية بين البلدين ، وخاصة تشجيع مشروعات الاستثمار المشترك . غير ان توسيع العلاقات ادى الى اقامة عدة مشروعات مشتركة هامة في جنوب افريقيا .

٨٤ - قدمت مؤسسة كور الصناعية في يونيو سنة ١٩٧٤ ، اول استثماراتها في جنوب افريقيا وذلك بدخولها في شركة مع مجموعة «ساوث افريكان أدكوك انجرام» الانشاء مصنع كيماويات زراعية ، في برلين التي تقع على الحدود بالقرب من ترانسكي وتبلغ تكاليفه ٢٥ مليون راند . وتم تشكيل شركة جديدة : وهي شركة اجبرو لتأسيس وإدارة المصنع وهي اول شركة من نوعها في جنوب افريقيا . وتقرر ان تساهم مؤسسة كور بـ ٢٥٪ من راس المال بينما تساهم مجموعة جنوب افريقيا بالباقي ومن المتوقع ان تكفى طاقة المصنع الانتاجية لتوفير احتياجات جنوب افريقيا والمنطقة المجاورة . و « الدول الاكثر بعدا » من مبيدات الاعشاب .

٨٥ - أنشأت « معامل آسيا الكيماوية » ، وهي شركة اسرائيلية اخرى للكيماويات ، فرعا لها في جنوب افريقيا ، تحت اسم دينكافيت ، من اجل تصنيع الأغذية الكاملة العناصر ، وتملك شركة آسيا ٢٥٪ من اسهم المشروع مع فرصة لشراء الـ ٧٥٪ الباقية من الاسهم .

٨٦ - تقوم المصالح الاسرائيلية بتشيد محطة لازالة الملوحة من مياه البحر في جنوب افريقيا .

٨٧ - ستتولى شركة تاديران ، وهي كبرى الشركات الاسرائيلية لصناعة الأجهزة الالكترونية بناء مصنع في « منطقة الحدود » عند روزالين ويتكلف ١٧ مليون راند . وتفيد الأنباء بأنه سيتم تجهيز هذا المصنع الذي سينتج البطاريات ومنتجات النيكل ، بأحدث المعدات الاسرائيلية . ومن المقرر ايضا ان تقوم شركة تاديران ، بتجميع معدات الاضاءة للطوارئ بالمشاركة مع شركة « كونلايت ساوث افريكا » في مصنع بجوهانسبرج .

٨٨ - وكانت المشروعات الاسرائيلية التي اقيمت في فلسطين في جنوب افريقيا والتي كانت اصغر حجما تتضمن شركة اليكترا ، وهي شركة لصناعة مكيفات الهواء ، وشركة « صناعة اجزاء السيارات » بالمشاركة مع شركة جنوب افريقيا ، ومشروعاً مشتركاً بين شركة شابل للانشغال الهندسية وشركة « جنوب افريقيا لادوات ومعدات الطاقة » لصناعة الحديد بترخيص رسمي .

٨٩ - اعلنت اسرائيل مؤخراً ، اهتمامها للاستثمار بالبناتومات (الاراضي المخصصة للسود في جنوب افريقيا) . وقد ذكرت صحيفة هآرتس الاسرائيلية الواسعة الانتشار ، انه يمكن لاسرائيل ان تستغل على « تنمية » هذه الأماكن المخصصة للافريقيين بما لديها من معرفة فنية بالأساليب الزراعية الحديثة وبمقاومة تآكل الاراضي . وقد حضر وفد اسرائيلي في ابريل سنة ١٩٧٦ ، ندوة استغرقت ثلاثة ايام ، نظمها الحساد الشيون الخارجية لجنوب افريقيا ، وعقدت في اومتنا باقليم ترانسكي .

ثامناً - التعاون في المجالات العلمية والتكنولوجية

٩٠ - اقيمت اسرائيل وجنوب افريقيا خلال السنوات القليلة الماضية ، علاقات وثيقة تتزايد بانتظام في مجال التعاون العلمي والفني . ووفقاً لتصريحات دافان دير مروى برينك ، رئيس مجلس جنوب افريقيا للابحاث العلمية والصناعية ، وهو وكالة شبه رسمية ، يمتد هذا التعاون الى مجالات مثل تنظيم استغلال موارد المياه ، والزراعة ، والبناء والتشييد ، والابحاث الخاصة بالمحيطات ، والانتاج الصناعي بما في ذلك صناعة المواد الكيماوية والاسمدة والالكترونيات ، وهندسة الطيران ، وفسيرها من المجالات .

٩١ - اتخذت في سنة ١٩٧٢ الخطوات الاولى في سبيل تحقيق مشيلى هذا التعاون ، عن طريق تبادل البعثات العلمية والفنية لدراسة الامكانيات المختلفة وقام وزير شؤون المياه والغابات بجنوب افريقيا ، في يونيو سنة ١٩٧٢ بزيارة اسرائيل لدراسة الاساليب التي تتبعها اسرائيل من اجل تخزين المياه ، وقد اجرى محادثات مع نده الاسرائيلي ، بهدف فتح باب التعاون مع اسرائيل في هذا المجال .

٩٢ - قامت بعثة من جنوب افريقيا تضم ١٥ رجلاً ، لزيارة اسرائيل بعد عام من تلك الزيارة ، واستغرقت الزيارة اسبوعين ، لدراسة اساليب انشاء مدن جديدة ، ومشاريع احياء المدن ومشاريع البناء في حالة الطوارئ .

واقامة إلمباني المصنعة . وقد راس البعثة الدكتور ت.ل. ويب مدير الوحدة القومية لأبحاث الانشاءات التابعة لمجلس جنوب افريقيا للأبحاث العلمية والصناعية .

٩٣ - قام الدكتور كروجير ، المدير الفني لمحطة أبحاث مصايد الاسماك بالوفيلد ، التابعة لقسم المحافظة على الطبيعة باقليم الترانسفال ، في يوليو سنة ١٩٧٤ بزيارة اسرائيل لحضور ندوة عن مصايد الاسماك .

٩٤ - اتخذت في سنة ١٩٧٥ الخطوات اللازمة لاعطاء هذه الاتصالات المبدئية صفة رسمية فتم تشكيل لجنة جنوب افريقيا التابعة لمعهد وايزمان وكان نائب رئيس اللجنة هو البروفيسور س.س. اسراييلتام استاذ الكيمياء بجامعة ويتواترزراند . وكان من اول المهام التي قامت بها اللجنة تنظيم مؤتمر وايزمان العلمي الثوى ، بالاشتراك مع مجلس جنوب افريقيا للأبحاث العلمية والصناعية ، الذي انعقد بجوهانسبرج في ابريل سنة ١٩٧٦ ، واشترك فيه كبار العلماء من جنوب افريقيا ومن معهد وايزمان للعلوم باسرائيل . وقام الدكتور فان دير مروى برينك رئيس مجلس جنوب افريقيا للأبحاث العلمية والصناعية ، والدكتور فيريك وزير الزراعة بجنوب افريقيا ، بزيارة اسرائيل ، بعد انشاء اللجنة للنهوض بالتعاون العلمي بين البلدين . وفي اوائل سنة ١٩٧٦ قام الدكتور تال ، مدير مجلس اسرائيل القومي للبحوث والتنمية ، ومستر سافير ، مدير الشئون القومية بالمجلس والبروفيسور س.لافي ، مدير عام ادارة البساتين ، بزيارة جنوب افريقيا حيث نزلوا ضيوفا على مجلس جنوب افريقيا للبحوث العلمية والصناعية ، ردا على الزيارة السابقة الذكر .

٩٥ - أن تدعيم التعاون العلمي والتكنولوجي يعتبر واحدا من اهداف الاتفاق الذي وقعه رئيس الوزراء فورستر مع اسرائيل بمناسبة زيارته لها في ابريل سنة ١٩٧٦ . واعلن في يونيو انه تم النوصل الى اتفاق لتبادل الأبحاث بين مجلس جنوب افريقيا للبحوث العلمية والصناعية وبين العلماء الاسرائيليين وقد تمت اول ندوة علمية في اسرائيل في نوفمبر سنة ١٩٧٥ حول اعادة استخدام فاقد المياه . . ومن المقرر ان تعقد الندوة التالية في سنة ١٩٧٧ بجنوب افريقيا ، وسنتناول الموضوعات التي تحتل نفس المستوى من الأهمية والمصلحة المشتركة لكلا البلدين . وتم التوصل الى اتفاق مماثل بين منظمة الأبحاث الزراعية الاسرائيلية وادارة الخدمات الزراعية الفنية بجنوب افريقيا ووفقا للدكتور مايرنج نود ، المستشار العلمي لرئيس الوزراء فورستر ، تتوقع جنوب افريقيا كسب مزايا علمية هائلة من زيادة تعاونها مع العلماء والفنيين الاسرائيليين .

٩٦ - ويبدو ان ثمة مجالا آخر تهتم جنوب افريقيا بالاتصال باسرائيل بشأنه وهو مجال الخبرة الاسرائيلية في الادارة العلمية . فقد اعلن في ابريل سنة ١٩٧٦ ان مستر اسرايل ميدن ، رئيس معهد الانتساج الاسرائيلي والمعروف بأنه واحد من اكبر خبراء الانتاج في العالم () ويقال ان المعهد اكبر معهد من هذا النوع في العالم) ، قد تلقى دعوة لعقد سلسلة من الحلقات الدراسية في اتحاد جنوب افريقيا في اواخر سنة ١٩٧٦ . وسيحاول مستر ميدن تطبيق خبرة اسرايل في مجال زيادة الانتاجية على الوضع في جنوب افريقيا . وسيُنزل اثناء وجوده بجنوب افريقيا ضيفا على معهد الانتاج القومي في بريتوريا وعلى المؤسسة القومية للتنمية والادارة .

تاسعا - الخطوط الجوية والملاحية

٩٧ - توفر شركة العال الاسرائيلية الجوية خط اتصال جوى منتظم بين اسرايل وجنوب افريقيا . وقد زادت شركة العال على اثر زيادة التقارب بين البلدين في اعقاب الحريين الشاملتين في المشرق الاوسط . من رحلاتها الجوية الاسبوعية من تل ابيب الى جوهانسبرج فرفعتها الى رحلتين اسبوعيا في سنة ١٩٨٦ والى ثلاث رحلات اسبوعيا في نوفمبر سنة ١٩٧٣ . وقد أدى فتح الطريق الأقصر عبر شبه جزيرة سيناء بعد احتلال اسرايل لها الى زيادة كبيرة في حجم الرحلات الجوية .

٩٨ - وتوفر شركة زيم وهي شركة الملاحة الاسرائيلية - الاتصال البحري مع جنوب افريقيا وتقطع السفر هذا الخط بين اسرايل وجنوب افريقيا ذهابا وايابا بانتظام .

عاشرا - العلاقات الثقافية

٩٩ - ازدادت العلاقات الاجتماعية والثقافية قوة بتدعيم الروابط السياسية والاقتصادية والعسكرية بين جنوب افريقيا واسرايل . فمثلا زادت السياحة في اسرايل بسرعة بعد حرب سنة ١٩٦٧ ، نتيجة لارتفاع عدد الزوار عن جنوب افريقيا لاسرايل بنسبة ٣٥٪ خلال عام واحد ، ومنذ ذلك الحين وعددهم يتزايد بانتظام وباستمرار . واسفر هذا النمو السريع عن فتح مكتب سياحة تابع للحكومة الاسرائيلية في جنوب افريقيا سنة ١٩٦٨ ، وقد بلغ عدد السياح من جنوب افريقيا لاسرايل سنة ١٩٧٢ ٣١٩ و ١٥٠ سائحا . وقام ٢٦٠١ اسرايلى بزيارة جنوب افريقيا في نفس العام .

١.٠ - أصبحت زيارات الفنانين الاسرائيليين لجنوب افريقيا مقبر
امرا. مجتاهدا متزايدا منذ سنة ١٩٦٨ : وفي تلك السنة قام فسمويق كاومون
الاسرائيلي للفناء والرقص والممثل الهزلي شيمون دزيجان ، برحلة فنية في
انحاء جنوب افريقيا .

١.١ - لعب اثنان من كبار الموسيقيين من اوركسترا الفيلهارمونيك
الاسرائيلي في جوهانسبرج في أغسطس سنة ١٩٧٠ .

١.٢ - قام اوركسترا الفيلهارمونيك الاسرائيلي في سنة ١٩٧٤ بجولة
في جنوب افريقيا استغرقت اسبوعين . وكان هذا حدثا ثقافيا هاما بالنسبة
لجنوب افريقيا ، الذي يقال انه لم يستضيف فرقة موسيقية زائرة كبيرة
ولها مكانتها منذ ١٨ عاما .

١.٣ - قامت فرقة بات هور الاسرائيلية للرقص في سنة ١٩٧٦ بجولة
في جنوب افريقيا وشملت جوهانسبرج وكيب تاون وبلومفونتين . واقيم في
مارس من نفس العام معرض للرسومات في جامعة جوهانسبرج وابرز
الفنانين الاسرائيليين .

١.٤ - يعتبر الاتفاق الذي تم توقيعه في فبراير سنة ١٩٧٥ بين مدينتي
كيب تاون وحيفا ، مثلا آخر على تزايد العلاقات الثقافية بين الدولتين .
وقد قام عمدة كيب تاون بزيارة حيفا بتلك المناسبة وصرح بأن الاتفاق
يحظى بموافقة حكومة اسرائيل وإدارة الشؤون الخارجية بجنوب افريقيا
وكان من المتوقع ان يؤدي الاتفاق الى زيادة الاتصالات الثقافية بين المدينتين
ومن بين النتائج التي اسفر عنها الاتفاق هو اقامة جمعية الاتصالات الثقافية
بجامعة حيفا بهدف توثيق العلاقات مع جنوب افريقيا . وقد قام رئيس
جمعية العلاقات الخارجية في جامعة حيفا في يونيو سنة ١٩٧٦ بجولة في
جنوب افريقيا استغرقت ثلاثة اسابيع من اجل تحقيق اهداف الجمعية
وخطبة عن طريق وضع برنامج للتبادل بين اساتذة وطلبة جنوب افريقيا
وجامعة حيفا ، وكذلك وضع منهج دراسي بالمراسلة حول الشؤون اليهودية
في جنوب افريقيا .

١.٥ - تشير الأنباء الى أن من بين نواحي التعاون الثقافي الأخرى
بين البلدين ، الحالات التالية :

» يوجد في اسرائيل عدة مؤسسات قامت بإنشائها جنوب افريقيا
وعلى سبيل المثال تقوم مؤسسة من جنوب افريقيا بتحويل معمل الطفيليات
بالجامعة العبرية بالكامل ، وقاعة بياليك للغة العبرية ، وقاعة ترويتشكوشبرج

للزراعة ، ومتحف كوتشر ، وجناح كامل في المكتبة العامة القومية، ومؤسسة سيلاس س. بيرى للأبحاث الدينية » .

١٠٦ - أعلن بالاضافة الى ذلك ، عن قيام تاجر تجف اسرائيلي ثرى بعد زيارة لجنوب افريقيا في سنة ١٩٧٥ ، بتقديم مجموعة كتب قيمة ، قيمتها حوالي ٢٣ مليون دولار الى الجامعة العبرية لاقامة ادارة تتسولى تشجيع زيادة العلاقات بين الاسرائيليين والجنوبيين الافريقيين البيض .

١٠٧ - امتدت العلاقات الثقافية بين البلدين في بعض الأحيان الى نامبيا . فقد قامت مجموعة دراسية من جامعة تل ابيب في سنة ١٩٧١ بزيارة نامبيا حيث استضافهم نادى الروتارى بويند هوك لدراسة البناء الاقتصادى والسياسى للبلاد .

حادى عشر - التعاون في المجال الرياضى

١٠٨ - تم في سنة ١٩٧٠ احياء العلاقات الرياضية بين البلدين وكانت تعاني من حالة كساد منذ منتصف الخمسينات . ففي مارس سنة ١٩٧٠. امتنع اتحاد التنس الاسرائيلي عن التصويت في اجتماع كأس ديفيز بلندن الذى كان سيحدد مسألة اشتراك روديسيا وجنوب افريقيا .

١٠٩ - قام فريق الجودو الاسرائيلي الرسمي بزيارة جنوب افريقيا في سنة ١٩٧١ ، وتعتبر اول زيارة يقوم بها فريق دولى للجودو لتلك الدولة . وقد لعب « مكابى » الاسرائيلي لكرة السلة . في يوليو - اغسطس سنة ١٩٧١ ضده جميع فرق البيض في جنوب افريقيا . واشترك اثنان من الرياضيين الاسرائيليين في الاجتماعات الرياضية المتعددة الاجناس التى عقدت بكيب تاون في نوفمبر من ذلك العام .

١١٠ - سافر فريق التنس النسائى الاسرائيلي الرسمي الى جنوب افريقيا من مارس سنة ١٩٧٢ للاشتراك في مباريات كأس الاتحاد للتنس .

١١١ - اشترك فريق من الرياضيين في جنوب افريقيا بعضهم ١٢٠ رياضيا في مباريات ماكابيا ، الرياضية التى اقيمت في يوليو سنة ١٩٧٣. باسرائيل بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لانشاء دولة اسرائيل . وقد بعث الاتحاد الرياضى الاسرائيلي في ديسمبر من نفس العام، فريقا رياضيا للاشتراك في المسابقات الرياضية الدولية التى اقيمت بجوهانسبرج .

١١٢ - قام فريق الترانسفال الشمالى للرجبي في يناير سنة ١٩٧٦ بزيارة اسرائيل .

ملاحظات

- (١) داي بيرجر ، ١٢ نوفمبر سنة ١٩٧٥ .
- (٢) داي ترانسفالير ، ١٢ نوفمبر سنة ١٩٧٥ .
- (٣) التعليق على الانباء في محطة (اس.بي.سي) ١٢ نوفمبر سنة ١٩٧٥ .
- (٤) داي فولكسيلا (١٣ نوفمبر سنة ١٩٧٥) .
- (٥) « بيلد » ١٦ يناير سنة ١٩٧٦ .
- (٦) داي بيرجر ١٤ يناير سنة ١٩٧٦ .
- (٧) ذي فرنيدي ، ١٥ يناير سنة ١٩٧٦ .
- (٨) ساوث أفريكان دايجست ، ١٦ ابريل سنة ١٩٧٦ .
- (٩) ساوث أفريكان دايجست ، ٢٣ ابريل سنة ١٩٧٦ .
- (١٠) نيويورك تايمز ، ١١ ابريل سنة ١٩٧٦ .
- (١١) نيويورك تايمز ، ١٨ ابريل سنة ١٩٧٦ .
- (١٢) جيروسالم بوست الاسبوعية ، ١٣ ابريل سنة ١٩٧٦ .
- (١٣) جيروسالم بوست ، ٢٠ ابريل سنة ١٩٧٦ .
- (١٤) اينتر تسينج ، المجلد الاول العدد التاسع مايو سنة ١٩٧٦ .
- (١٥) وول ستريت جورنال ، ٢٣ ابريل سنة ١٩٧٦ .
- (١٦) سائرن افريكا المجلد التاسع العدد ٧ ، اغسطس سنة ١٩٧٦ .
- (١٧) اينتر تشاج ، المجلد الاول ، العدد التاسع ، مايو سنة ١٩٧٦ .
- (١٨) ستار ، اول مايو سنة ١٩٧٦ .
- (١٩) نيويورك تايمز ، ١٨ اغسطس سنة ١٩٧٦ .
- (٢٠) وكالة التلفزيون اليهودية ، النشرة اليومية ، ١٠ اغسطس سنة ١٩٧٦ .
- (٢١) نيوزويك ٢٣ اغسطس سنة ١٩٧٦ .
- (٢٢) الجارديان ، ٢٣ اغسطس سنة ١٩٧٦ .
- (٢٣) نيويورك تايمز ، ٢٣ اغسطس سنة ١٩٧٦ .
- (٢٤) فلسطين يونيو اغسطس سنة ١٩٧٦ .
- (٢٥) جويش برنس ، ١٨ يونيو سنة ١٩٧٦ .
- (٢٦) فلسطين ، يوليو واغسطس سنة ١٩٧٢ .
- (٢٧) نيويورك بوست ، ٣ سبتمبر سنة ١٩٧٦ .
- (٢٨) وكالة التلفزيون اليهودية ، النشرة اليومية للاباء ، ٧ سبتمبر سنة ١٩٧٦ .
- (٢٩) الاستيطان الاستعماري في جنوب افريقيا واسرائيل (بيروت : مركز ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٧٠) ص : ٢١٠ - ٢١٦ ،

فهرس

صفحة

٣	مقدمة
٨	الجزء الأول : الأسس الثقافية والتماثل التاريخي
٣١	القسم الأول : جنوب افريقيا والصهيونية واسرائيل
١٠٠	الجزء الثاني : قراءات ووثائق
١٩١	قرار الأمم المتحدة المناهض للصهيونية
٢٤٢	القسم الثاني : ردود الفعل على مستوى الأمم المتحدة والمستوى الدولي